

الألف  
كتاب  
الثاني

١٩٣

كرسيان ديزلر نو بلكور

# المرأة الفرعونية



ترجمة: فاطمة عبد الله محمود  
مراجعة: د. محمود ماهر طه



الهيئة المصرية  
العامة للكتاب



# المراة الفرعونية

تأليف  
كريستيان ديروش نوبلكور

ترجمة  
فاطمة عبدالله محمود

مراجعة  
د. محمود ماهر طه



الهيئة العامة للكتاب

١٩٩٥

الالف كتاب الثانى

الإشراف العام  
د. سمير سرحان  
رئيس مجلس الإدارة

مدير التحرير  
أحمد صليحة

سكرتير التحرير  
عزت عبدالعزيز

الإخراج الفنى  
محسنة عطية

توزيع فلاح



## الفهرس

الصفحة	الموضوع
١	مقدمة
	الجزء الاول : المرأة فى دنيا الارباب
١٧	الانوثة المقدسة
٣٠	ايزيس ومجدها
	الجزء الثانى : المرأة فى اطار الملكية
٤٥	الملكة ودورها
٥٩	الزوجة الملكية العظمى
٨١	حريم التاج
١٠٤	الجبانات ، والملكة المؤلهة ، والفرعونات
١٢١	آمون والزوجات الالهيات
١٣٠	حتشبسوت زوجة الملك المعظمة
١٤٧	حتشبسوت - ماعت كارع
	الجزء الثالث : المرأة فى مصر
١٧٧	المرأة الحرة والامة
٢٠١	طفولة ، وتعليم ، وحب وخطوبة
٢٢٠	الزواج ، وتعدد الزوجات ، وتعدد الأزواج
٢٤١	البيت والحياة فى البيت
٢٦٥	علم أمراض النساء ، دور ربة البيت
٢٨٥	الترمل ، زوجة الأب ، تعليم الابن
٣٠١	خاتمة
٣٠٦	هوامش
٣٢٠	التقويم المصرى القديم

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لكتاب

La Femme au Temps des  
Pharaons  
Par  
Christiane Desroches Noblecourt



## مقدمة

نشأت أرض مصر القديمة بين سلسلة جبال الصحراء الشرقية والصحراء الغربية وكانت تسمى فى العصور الغابرة « كيمت » أو الأرض السوداء . وتكونت تلك الأرض من ترسيب طبقات الطمي التى تراكمت على مدار آلاف السنين من الفيضانات السنوية التى تسببها الأمطار الموسمية فى أفريقيا . ولولا النيل الأبيض الذى يتفرع من بحيرة فيكتوريا وبحيرة ألبرت العظمى ، ولولا النيل الأزرق الذى تغذيه هضبة اثيوبيا لغدت تلك الأرض السوداء صحراء جرداء قاحلة تلفحها حرارة الشمس الحارقة .

آمن المصريون القدماء أن كل شيء يخضع لإرادة عظمى تهيمن على قدر العالم أجمع ، وأن تلك القوى العظمى تسيطر على حياة كل كائن حي ، وتنظم وترتب أموره فى كل ساعة من ساعات الليل والنهار ، التى قسمها المصريون الى أربع وعشرين ساعة . وجمعوا الأيام فى سنوات يتألف كل منها من ٣٦٥ يوما ، تبدأ بقدوم الفيضان . وكأنما كان هذا الفيضان ساعة حائط هائلة لا تتوقف أبداً أو تقويما يتكرر بدقة مذهلة .

وينقسم وادى النيل الى اقليمين هما مصر العليا أو الصعيد ، ومصر السفلى أو الدلتا حيث تخصب الأرض وتزدهر الزراعة . أما خارج أرض الوادى فلا يلقي المرء أمنا أو سلاما . ان هذه الواحة الفريدة من نوعها تحفها الرمال من الشرق والغرب ، وكأنما هى اطار يحدد مجرى الحياة الدائبة .



ان هذا لبرهان الهى قاطع على ديمومة الحركة التى لا يجب أبدا أن تغير من توازنها ، أو أن يعاق تقدمها ، وهو المفهوم الذى تغلغل فى أذهان المصريين أكثر من غيرهم . ان جذور المصريين تضرب الى اعماق أرضهم ، ولقد آمنوا إيمانا لا يتزعزع بأن كل ما ينعمون به هو منحة من الاله الأعظم . وأن عليهم أن يدمجوا كل شيء فى إطار هذا النظام الكونى الذى خلقه الاله . ومن ثم فعلى كل مخلوق أن يرضى بما قسمه له خالقه وكل ما أحاطه به ، ولكن عليه أن يستغل الطاقات الكامنة التى أودعها فيه وأحاطه بها هذا الخالق الأعظم استغلالا أقصى . ولقد خلق الاله الذكر والأنثى ليتكاملا وعليهما أن يقوموا بدورهما المقدر والمحدد ، ولهما أن ينعموا بالتقدير والاحترام اللذين هما أهل لهما .

كانت مصر تبدأ مع كل فيضان دورة جديدة فى حياتها تتعاقب فيها فصول ثلاثة كل منها يتكون من أربعة أشهر . وكل منها يحمل الى سكان وادى النيل الأمل والتفاؤل بفيض هذا النهر الخير الذى يحمل اليهم خيراته والذى تغذى مياهه أرض الوادى ودلتاه . ومع مياه النهر المتدفقة تاتى الفرحه والبهجة والأمل فى محصول وافر ، ولكنها أحيانا كانت تسبب القلق إذ كان أكثر ما يخشاه المصرى أن يأتى الفيضان ضئيلا فتعطش أرضه . لقد كانت عودة مياه الفيضان الوفير بشرى بتجديد الحياة وبرهاننا على الخلود والأبدية .

وعلى مدار السنين تضافرت معجزة التعاقب المتوالى هذا مع شمس وادى النيل المشرقة المتألقة التى لا يضاهيها فى اشراقها وتألقتها بلد آخر ، مما أثر على سكان مصر وعلى عقائدهم وتقاليدهم وأساليب حياتهم فى سائر طبقات المجتمع . وكان من المسلم به احترام التقاليد التليدة والرضوخ لها حتى لا يختل توازن النظام الكونى القائم ، والذى يرتبط به كل شيء فى الوجود منذ أن أوجده خالقه . وهو أمر ليس بالخفى حتى يومنا هذا لا سيما فى اقاليم وقرى مصر النائية ، حيث نرى بعضا من الملامح المميزة لحضارة الفراعنة الغابرة .

ورغم تعاقب الغزوات والحروب والصراعات وعصور الاحتلال ، صمدت الأرض السوداء وامتصت من غزاها وصبغته بصبغتها . فالمصرى لم ينجح الى تغيير نمط حياته الأساسى أو أحوال معيشته الا فى اقل القليل . وبالرغم من تحوله عن دينه مرتين على الأقل وتغيير أماكن ممارسة الشعائر والطقوس الدينية خلال عشرين ، الا أن إيمانه الراسخ بالقوة الالهية العليا لم يتزعزع ولم يضعف قط .

ولا ريب أن تجربتى الطويلة على مدار سنوات عديدة قضيتها مع الفلاحين فى القرى ، أو مع البدو فى الجبال الجرداء فى مواقع التنقيب

عن الآثار ، ثم مع سكان المدن من كافة طبقات المجتمع قد ساعدتنى على تفهم أفكار سكان وادى النيل القدماء ، ومكنتنى من أن أدنو منها كثيرا . فالظاهر الخارجى للمصريين قد تغير فى شيء أو آخر ، ولكن الجوهر التليد هو كما هو . وكما أفدت من مراقبتى لنساء الريف فى مصر العليا وهن يمارسن شئون حياتهن العادية وكما أفدت من حديثى مع سيدات الطبقة الراقية ، ولولا ذلك لما استطعت أن أتفهم المواقف والتقاليد التى تعبر عنها الرسوم والمناظر المنقوشة على الجدران فى المعابد والمقابر ، أو التعبيرات اللغوية التى وردت فى النصوص القديمة .

ان آثار مصر القديمة ترسم صورة للدولة الخالدة التى كان للمرأة المصرية فيها دور كامل تؤديه ، فهى الأم التى تحظى بالاحترام والتبجيل ، والفتاة أو الزوجة التى تنصاع لقوانين اخلاقية صارمة ، ولكنها لا تمنعها من أن تعبر عن آرائها بحرية ولا تحرمها من أن تحظى بالاحترام والتقدير . فلقد تمتعت المرأة فى مصر القديمة بأهلية قضائية كاملة ، وكان لها استقلالها المالى عن الرجل وطبعت بشخصيتها القوية أثرها على الحياة العائلية . وكان لها أن تدير الممتلكات العامة أو ممتلكاتها الخاصة ، بل وأن تمسك بزمام الأمور فى البلاد . ولا يعنى هذا أنها امرأة تجردت من الأنوثة والجاذبية فهى امرأة فاتنة جذابة ، وكان هدف الفتاة الأساسى أن تختار شريك حياتها بكامل ارادتها وحريتها ، وأن تصبح زوجة وأما صالحة . ولا يعنى هذا أن النظام الأسرى كان أمويا ، أى أن الأم تخضعه لسلطانها ، بل كان الزوج والزوجة يتقاسمان المسئوليات المعتادة فى إطار حياتهما الزوجية ، حيث يتكاتفان فى السراء والضراء ، وتسير بهما الحياة سيرها العادى بخيرها وشرها . ولكن لم تخل تلك الحياة البسيطة من المؤامرات ، وكانت الخيانة الزوجية من الجرائم التى يلقي مقترفها عقابا عنيفا ، وان تخفف القانون من صرامته فى بعض الأحوال .

وكما هو الحال فى كل زمان ومكان نقرأ عن خادمت يغلظن القول لربة البيت ولا يبدين نحوها الطاقة والاحترام الواجب ، وعن كاهنات أوشكن أن ينزلن الى هاوية الخطيئة ، وعن ملكات تأمرن على ملوكهن . وتروى لنا بعض الآثار التى حفظتها الصدفة روايات عجيبة تبرهن على المواهب الرفيعة التى تمتع بها المصريون القدماء ، ذلك الشعب الذى أبدع حضارة متقدمة فى ذات الوقت الذى كان أجدادنا فى أوروبا قابعين فى ظلمات الكهوف .







وادی الملوک مقابر

الشيخ  
الشيخ  
الشيخ

سنة ١٢٨٠

« معاً منوفين »

معبد مرزبان  
وم الى طيات

مفتي

(مدینه ہابو)

ملفوظة

الحمد لله

عبدالرزاق ۵

رسیدہ وادی الملک

ذراع أبو النجا

عبد حسيني  
الأول  
(القرنة)

الكرونك

عبدالمونعم

میدانون

میرموت

مدينة الأقصر

۸۰۰۰ - ۷۰۰۰ - ۶۰۰۰ - ۵۰۰۰ - ۴۰۰۰



الجزء الأول

## المرأة في دنيا الأرباب

ايزيس .....

انت أنت رببة الأرض

التي جعلت قدرة المرأة

تتساوى مع قدرة الرجل .....



## الأنوثة المقدسة



شكل (١) خلق الشمس على أيدي أرباب وربات ثامون الاشمونين

## الخالق ومظاهره المختلفة

توضح لنا النصوص الأسطورية والدينية في مصر القديمة عقيدة الخلق عند القدماء ، الذين تصوروا وجود خالق أعظم يسود الكيان المائى اللانهائى الأزلى ، قبل أن تكون السماء ، وقبل أن تولد الأرض ، وقبل أن تخرج البشرية الى الوجود ، بل وقبل أن تنشأ الآلهة وأن يكتب الموت « (١) » .

ومن الملاحظ أن بعض فئات الكهنة في المراكز الرئيسية مثل هليوبوليس ومنف وهرموبوليس ، فسروا نشأة الوجود بمفهوم ومنطق

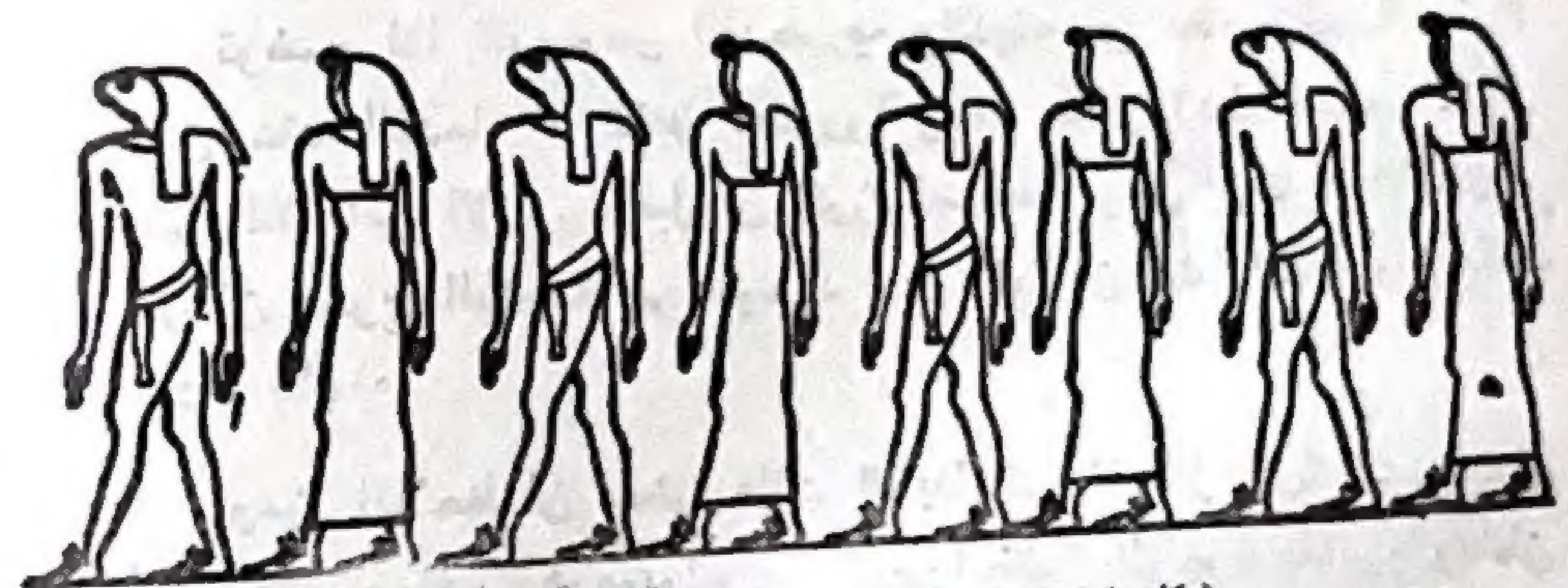


خاص بهم . ومن ثم اختلفت قصة نشأة الوجود من مكان لآخر ، ولكنها تتلاقى جميعا وترتكز على مفهوم موحد ومشترك الا وهو وجود كيان مائى لا نهائى ليست له ابعاد محددة ، قال عنه المصريون انه محيط مائى كثيف ترتفع فى مياهه كل نقطة وكل بذرة تنتظر لحظة الخلق والوجود . وكان « نون » هو الماء الازلى الذى منه انحدرت جميع الالهة ، فهو رب الارباب القابع فى غياهب الظلمات ، وهو الجد الاول لكل كائن حتى ياتى الى الوجود . ومن اعماق هذا المحيط المضطرب الذى يشمل عناصر الوجود ، ظهر الواحد الاحد ظهورا تلقائيا من ظلماته الحافلة بالاسرار ، وجاء الى الوجود دون ان تحمه ام او تلده . ونحن نجد ان مختلف هذه النظريات الخاصة بالكون تتناول فكرة الخليفة وفق مفهومها للاله ، فمنها ما اتسم بقدر كبير من التجريد مثل النظرية المنطوية المنسوبة الى الاله بتاح ، ومنها نظرية علمية وضعها كهنة هرموبوليس ، ولكن اشدها انسانية تلك النظرية التى انبثقت من لاهوت هليوبوليس . ومن هذا نرى ان الاله الواحد الاحد قد اتخذ اسما متعددة وفقا لاختلاف الاقاليم ، ولكن الملاحظ دائما انه له وليس الهة .

غير اننا نرى الهة كبرى فى منطقة « سايس » هى الربة « نيت » ، التى لا يجب ان نفعل ذكرها ونحن نناقش هذه النظرية الشهيرة ، فهى من ارباب الخليفة .

والواقع ان رب الارباب كان يشتمل فى ذاته على العناصر الاساسية للذكر والانثى ، كما لو كان ذكرا وانثى فى ذات الوقت . اى انه كان يجسد الاب والام اللذين كانا معه وهو فى « نون » (٢) قبل فجر الخليفة .

ولقد اهتم المصريون بالتعرف على العنصر الانثوى داخل نطاق النشاط الربانى ، ومن ثم كان لكل مدينة ولكل اقليم منذ بداية العصر التاريخى ، معبود له زوجة من الربيات تتجلب له ابنا ليكونوا ثالوثا ، فالثالوث فكرة مصرية صميمة .



شكل (٢) ارباب الثامون فى هيئة الضفادع والثعابين

## ارباب وربات هرموبوليس

ينقسم هؤلاء الارباب والربيات الى اربعة ازواج اندمجت معا لتخلق النور ، والعصر الانثوى فيها واضح وسوف نلاحظ دوره فى عمليات الخلق الاخرى . ويمكننا ان نميز بين العنصرين المكونين للكيان المائى اللانهائى الازلى وهما « نون » و « نونت » . كما ينقسم عنصر الابدية الكونية الى ذكر وانثى ، هما « حو » و « ححت » وكذلك الظلام الكثيف « ككر » و « ككت » ومثلهما « امون » و « امونت » ، وهما يمثلان الجوهر الخفى ، وقد يستبدل بهما احيانا « نياو » و « نياوت » وهما يرمزان الى الفراغ الكونى . وتزعم هذه النظرية ان الاقانبين الثمانية الذكورية والانثوية (٢) قد تضافرت لتخلق الذور الذى انبثق من زهرة اللوتس ، تلك الزهرة التى خرجت من جوف البحيرة الكبيرة لهرموبوليس (٤) .

## نظرية هليوبوليس

تعد نظرية هليوبوليس اكثر نظريات الخلق انتشارا ، ويزعم واضعوها بان الاله « اتوم » رأس عائلة كاملة من الالهة تتألف من تسعة عناصر متكاملة . وترسم هذه الارباب المنهج الذى سار عليه ملوك المصريين الفراعنة بل والبشر العاديون ايضا . فالشمس هى رأس التاسوع المقدس ، وهى الاله « اتوم » الذى خلق الكائنات الاولى على اختلافها من ذكور واناث ، سواء عن طريق الاستعناء ، او من لعبه او بصوته . ويتضمن هذا التاسوع تسعة ارباب ، اولها « شو » الذى يجسد الفراغ المضىء اى الهواء والنور او انفاس الاله الخالق ، وهو القوة الدينامية للكون الذى اكتمل بعد ذلك باخته التوهم « تفنوت » التى كانت تمثل الرطوبة .

وواصل هذان الزوجان « شو » ، « تفنوت » عملية الخلق لينجبا بعد ذلك رب الارض « حب » وهو اله المعادن والمزروعات ، اما رفيقته « نوت » فهى ربة السماء ، ومنهما جاء « اوزوريس » و « ايزيس » و « ست » و « نفتيس » (٥) ، وهم ابطال الاسطورة الازوروية الشهيرة التى سوف نتناولها فيما بعد ، واخيرا يجيء الاله حورس العظيم .

ان الاساطير الكونية المعروفة تصور عالم الالهة على نحو يتفق مع مفاهيم ومدركات المصريين القدماء . والمفهوم الجوهرى لتلك الاساطير يرتكز على تكامل الذكر والانثى . وسوف نرى كذلك ان



مفهوم المصرى لدور الانثى كان وثيقا بتحقيق التوازن الكونى ، ومرتبطة بالتحويلات والتقلبات التى تطرا عليه فى اطار الاسطورة والاقصومة الدينية التى ستعرض لها هنا بايجاز (٦) .

وليس العنصر الانثوى فى دنيا الالهة بالعنصر السلبي ، فالمرأة هى الرفيق والشريك والكامل . وربما تسبب هذا العنصر الانثوى فى بعض القلاقل ، او ربما بالغ فى رفته وحنانه ، او قد يكون اذا دعا داع عدوانيا شرسا . وقد يلجأ احيانا الى التخايل والتحايل ، ولكن المرأة دائما ايدا هى الام الحنون ، ومبعث السرور والمرح التى تدخل البهجة على قلب الاله اذا اصابه الكدر .

### ملك البشرية

ترتكز هذه الاسطورة على مفهوم انثوى مركب فى جوهرها ، ولقد وصلتنا بعض احداثها التى تجعلنا نرى فيها المقابل المصرى لقصة الطرفان . وتقول القصة ان اله الشمس رع حكم الارض بعد خلقها ، ودان له الارباب والبشر اجمعون بالسلطة ، ولكنه مع مرور الزمن تقدم به العمر وادركته الشيخوخة وحسب عبارات الاسطورة : « لقد أصبحت ( عظامه ) كالفضة وتحولت اعضاءه الى ذهب (\*) » ويات شعره من اللزورد . . . . . وعندما نعى ذلك لاهل الارض الذين كانوا يشعرون نحوه بالغيرة الشديدة ، بدءوا يحيكون ضده المكائد والمؤامرات . وكان تصرف رع ، تصرفا حكيما وحازما ، اذ نادى احد خدمه وقال له : « احضر لى عينى ، وشو وتفنوت ، وجب ونوت ، وكذلك الآبساء والأمهات الذين كانوا يرفقتى عندما كنت فى المياه الأزلية » نون ، . واحضر لى ايضا ، الرب « نون » نفسه . احضرهم الى بكل هدوء ، بحيث لا يراهم احد من البشر والا انخلعت قلوبهم رعبا ، وتفرقت نفوسهم شعاعا . ولتعد الى قصرى مع هؤلاء الارباب حتى يعرضوا على وجهة نظرهم ( . . . . . ) وجىء بجميع هؤلاء الارباب الذين سجدوا امام جلالته . ( والشهد هنا لا يختلف كثيرا عن اى مشهد يدور فى بلاط اى فرعون ) . وقال الارباب جميعا للاله الاعظم رع : « حدثنا ، نود سماعك ، . ووجه رع ، كلامه لاكثرهم هيبة وجلالا ، الا وهو الاله « نون » قائلا له : « انك اقدم الارباب عمرا ، وقد انبثقت انا منك . وانتم ايها الارباب الاسلاف ، ارايتم ماذا يفعل البشر الذين انجبتمهم من عيني ، انهم يحيكون ضدى امرا ما ، قولوا لى اذن ماذا انتم فاعلون

(\*) اى وفنت عظامه واحضر لونه ( المترجمة ) .

حيال هذا الامر ؟ انا لا اريد اهلاكهم ، قبل سماع رأيكم فى ذلك ، وهنا قال له الاله « نون » : « ابنى رع ، انت الاله الذى فاق اياه ومخلوقاته عظيمة ومقدرة ، فلتبق كما انت فوق عرشك ، ان الخوف والرعب الذى تبتته لمبالغ عندما تنظر بعينك الى المتآمرين ضدك . وفى الحال ، تم ما كان فى الحسبان : لقد اصاب المتمردون بالهلع عند رؤيتهم للعين المرعبة ، وانطلقوا هاربين فى الصحارى هائمين على وجوههم دون هدف . ولكن الارباب نصحوا رع ، بأن يرسل عينه لمطاردتهم فوق الارض . ولم تكن هذه العين سوى الالهة « حتحور » التى رجعت من مهمتها بعد ان قتلت المتمردين فى الصحارى . وكان يغمرها سرور عارم اذا ما نظرت الى ضحاياها المخرجين فى دماثهم ، وكأنها وحش كاسر . وحضرت لمقابلة رب الارباب رع ، الذى استقبلها بعبارات الترحيب والثناء . فاجابته حتحور قائلة : « بحياتك ، لقد كنت قوية الشكيمة بين جميع البشر ، ولقد اثلج ذلك صدرى كثيرا . »

عندئذ تريت رب الارباب قليلا خشية الا يبقى على الارض انسان واحد بعد ذلك ، فسارع الى توجيه غضب حتحور وثورتها الى امر آخر ، اذ امر خادمه قائلا : « احضر لى بعض الرسل الذين يتميزون بالسرعة الهائلة ، والذين يستطيعون ان يجروا بسرعة الظل ، وبعد احضار هؤلاء الرسل اليه فى التو واللحظة قال لهم جلالته : « اسرعوا الى الفنتين واحضروا لى كمية كبيرة من نبات الديدى Didi الذى يفرز من داخله سائلا احمر ، . وتم استخلاص هذا السائل وخلطه ببعض الجعة المصنوعة من الشعير المطحون . وبدأ هذا المزيج وكأنه دم بشرى ملا به حوالى ٧٠٠٠ جرة ، ثم حضر رع بنفسه وبرفقته جميع الارباب ، ( ما عدا حتحور طبعا ) ، لفحص هذا المزيج . وعندما بزغ نور الفجر وازف الموعد الذى كانت حتحور قد حددته لاهلاك البشر جميعا ، قال رع : « سوف احمى البشر منها . احضروا الجعة فى نفس المكان الذى ستذهب اليه لقتلهم ، . ثم حضرت الالهة حتحور الى ذلك المكان واخذت تتأمل وجهها فوق سطح الجعة ، وتذوقتها فاعجبت بها كثيرا ، فاخذت تعب منها عبا حتى الثمالة . »

وما ان انزل الاله رع رحمته على البشر بتلك الحيلة الخليفة بأحد السحرة ، والتى سقطت فى شباكها « حتحور » التى أصبحت ربة الشراب والثمالة ، حتى اصاب الاله العجوز الكدر من جحود المخلوقات ونكرانها . فاعتزم التخلّى عن حكم الارض . واحل الاله « تحوت » مكانه ، وعندئذ « خلق القمصر » وطلب رع من ابنته نوت التى تجسدت فى هيئة البقرة السماوية ، ان تحمله فوق ظهرها لى



ترفعه الى السماء ، واصيبت نوت بالدوار خلال رحلتها عندما كانت تنظر نحو الأرض . واراد « رع » انقاذها ، فطلب من شو ابيها ان يرفعها .

هذه الاسطورة تبين الأوضاع المتتالية للشمس والسماء ، والهواء ، والأرض . وهي تبين ايضا ان ( نوت وجب ) اللذين كانا متعانقين دائما منذ خلقهما قد انفصلا بعد ذلك ، وعندما قام شو برفع نوت نحو السماء ، فقد ارتفع بكل الآلهة ، ووضع كل رب في مركبه الخاص به ، ثم قام بحصرهم وتحويلهم الى نجوم ساطعة في السماء (٩) . وبذا ، فقد رأينا من خلال بعض النقوش ، الشمس وهي تسبح فوق ظهر الالهة نوت التي تقوم في المساء بابتلاعها . وتقوم الشمس خلال ساعات الليل الاثنى عشرة عبر جسد نوت حتى اذا ما حان الفجر قامت نوت كل صباح بولادتها من جديد . وهذا هو ما يبينه الشكل الرائع الذي تبدو فيه الالهة نوت ، وهي عارية تماما ، على سقف بعض المقابر الملكية (١٠) . وبداخل التابوت ، يتحول المتوفى الى اوزيريس ، بفضل التحنيط ويعتبر ابنا للالهة نوت التي تمنحه الحياة الشمسية ثانيا عندما تقوم بولادة الشمس كل صباح .

#### اسطورة الالهة البعيدة

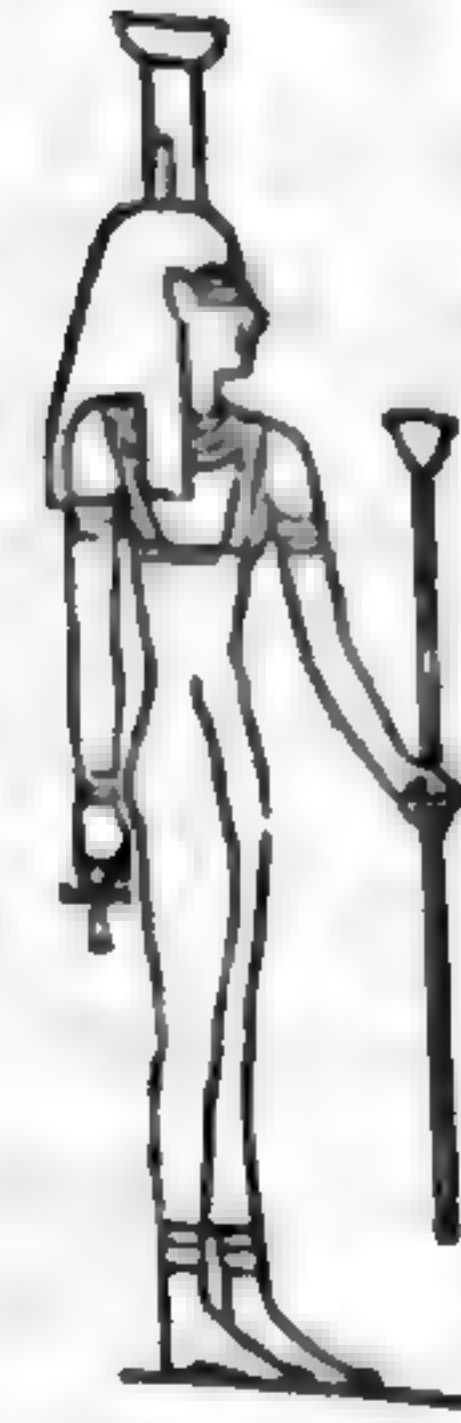


شكل (٤) شو ( الهواء ) يفصل بين ابنته نوت ( السماء ) وزوجها جب ( الأرض )

ان الهدف الاساسي لآية اسطورة هو دائما توضيح وبحث ظاهرة من الظواهر التي اثرت على الانسانية ، او التي تتكرر بشكل دائم . ولا ريب ان هذا هو ما ترمى اليه اساسا اسطورة اوزيريس والتي ارتبطت بها ايضا ايزيس ارتباطا اساسيا . ولكن ، قبل ان نقوم بدراسة هذا النموذج الفريد من نوعه للزوجة المخلصة المتيقظة ، والأرملة



ايزيس



نفتيس



حتمور



ماعت



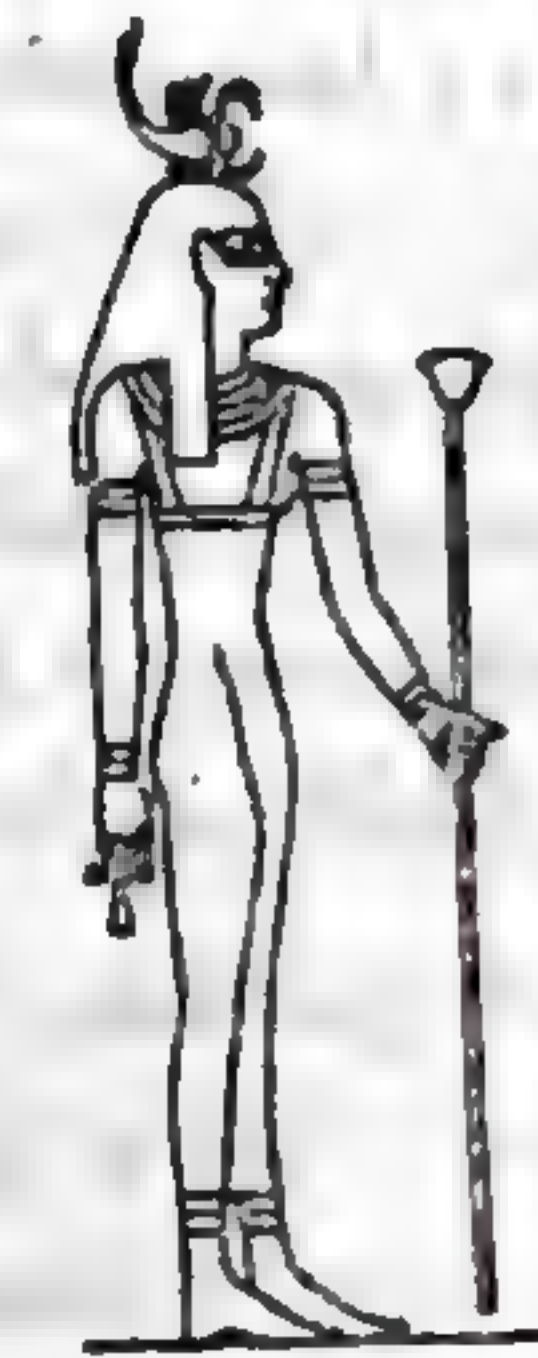
سخت



نوت



سشات



سركت



نيت

شكل ( ٣ )





شكل (٥) عين الأوجات

الالهة «حتحور» . وتقدم الأساطير المصرية أمثلة عديدة لهذه التجسيدات المتعددة «لحتحور» . فهي تبين أحيانا عين رع في هيئة الالهة «تفنوت» . ومع مرور الأيام وتوالي السنين بدأ الحزن والامس يعم أنحاء القصر . بل وأنحاء البلاد كلها لغياب العين . وبالرغم من ذلك فقد تحولت هذه الالهة الى لبوة ضارية . تنفث اللهب من عينيها وفيها وهي هائجة (١٤) . فطلب رب الكون من شو وتحوت . الذين تجسدا في هيئة قردين . أن يذهبا لمقابلة تلك الغاضبة المفترسة التي هدأت المبعوث «تحوت» بالقتل عند رؤيتهما . ولم يأل هذا الرسول التشييط جهدا في محاولة تهدئة الالهة الغاضبة . فحاول اقناعها بكل الوسائل بالعودة الى وطنها حيث المناخ الرائع والمأكول والنبذ الوفير . ولكي ينقذ حياته المعرضة للخطر لجأ للحجج والبراهين النفسية . فبين لها أنها سوف ترتكب خطأ فادحا بقتلها لمخلوق ضعيف مثله قد تدين له بحياتها في يوم من الأيام . ولكي يدعم من أقواله قص عليها قصة «الأسد والفار» . هذه القصة التي وصلت إلينا عبر عصور بعيدة ليقتبسها (لافونتين) La Fontaine . في النهاية . وهنا هدأت ثورتها لبعض الوقت . بل أن تأثرها قد بلغ مداه لدرجة أن دموعها قد انهمرت «كسيل جارف» ولكنها عادت من جديد الى ثورتها الجامحة «فبدت معرفتها وكأنها اشتعلت نارا» وتلون ظهرها بلون الدماء . وتالق وجهها وتاجج كقرص الشمس . والتهمت عيناها توقدا واشتعالا . وهنا . ساد الظلام الصحاري من كثرة الغبار عندما أخذت اللبوة الغاضبة النائرة تضرب الأرض بذيلها .

وقص عليها الرسول «تحوت» قصصا وحججا وبراهين أخرى . محاولا اقناعها . ويبدو أن «حتحور» قد هدأت ثارتها . وبذا استطاع «تحوت» أن يصطحبها الى مصر . ولكي يجعلها تهدأ تماما ولا تثور

الحزينة الثكلى التي لا تنفكر الى الهمة والنشاط . والام الحانية . علينا أن نذكر أسطورة «عين الشمس» . و«عين الشمس» هذه ليست سوى شكل آخر من أشكال الالهة «حتحور» . ذات المظاهر المتغيرة فهي تبدو مثلا . في هيئة البقرة الذهبية . أو اللبوة الضارية . وملجأ لحورس ونزلا له . وهو ما يعنيه اسمها . حتحور . وهي زوجة تارة وام تارة أخرى . ولكنها قبل كل شيء ربة الحب التي كان المصريون القدماء يوجهون اليها ابتهاجاتهم ودعواتهم حتى تستجيب لهم . وتوفر «عش الزوجية للعذراء» . والزواج المناسب للأرملة الشابة . . أن الرقصات تؤدي والموسيقى تصدح من أجل استقبال هذه العاشقة المثالية استقبالا مرحا . فكانت حتحور تعرف أيضا كيف تزيل عن رع . رب الكون . فكانت حتحور تعرف أيضا كيف تزيل عن رع مشاعر الحزن والأسى . بأن تثير فيه مشاعر المرح والابتهاج عندما تقوم بخلع ملابسها لتبدو أمامه عارية تماما . ولكن «حتحور» التي كان يطلق عليها أيضا «سيدة الجميزة» بأقليم الجنوب . كانت ترتبط أيضا بالموت . أي بالطريق المؤدى للأبدية . وهي لذلك تقيم في جبال الغرب حيث تقوم هناك بدور أساسي (١١) .

### عين رع «البعيدة»

تجسد «عين رع» في اطار روايات متعددة . الأسطورة الكونية للعودة الأبدية . ففي يوم من الأيام وجد رب الكون نفسه وقد حرم من عينه (واسمها : «أوجات» audjat . وهو اسم انثوي يعنى «الكاملة» ) . وكلف كلا من الالهين «شو» و «تفنوت» بأن يذهبا لاحضارها ولكنهما امضيا وقتا طويلا في العثور عليها . وعندما نفد صبر رع أحل مكانها عينا أخرى . فاستشاطت العين الشاردة غضبا وتملكت حتحور ثروة عارمة . ولكي يهدئ رع من ثورتها قام بوضعها فوق جبينه . وتحولت الى شكل الكوبرا «إعرت» iâret . أو الحية الأنثى المقدسة رمز القوة والحماية . ويبدو أنه بدءا من هذه اللحظة لقب الاله «شو» أو بمعنى آخر «العبيز الالهي» باسم «أنوريس» Onouris . (١٢) أي . الذي جلب البعيدة .

وهناك رواية أخرى أكثر شمولا وجاذبية من تلك الأسطورة . عريقة في القدم (١٣) ( مثلها مثل اسم أنوريس نفسه ) تبين لنا أن العين قد سافرت الى الجنوب البعيد . بعد أن غادرت في لحظة غضب قصر أبيها الفخم الذي يقع في شمال مصر . وتجسدت هذه العين في هيئة



بعد ذلك مطلقا ، القى بها فى مياه الشلال الأول ، وتحولت صورة  
حتحور فى مصر الى القطة التى قام « تحوت » بعد ذلك بانقاذها من بين  
فكى الثعبان « أبوفيس » Apophis . وبذا ، استطاع ان يبين لها  
ان المرء يحتاج دائما لمن هو اقل منه قوة ، وهذه القطة هى « باستت  
Bastet » ، ربة العائلة وحامية البيت وراعيته . وقد تم اللقاء  
بين الكون وابنته فى مدينة « قبلة » ، حيث خصص الجزء المشرق  
( الشمس ) بالجزيرة لابرار عودة « حتحور » ، والترحيب بها . ولقد  
تطابقت هذه الاحتفالات مع موعد الاحتفال ببعث أوزيريس ، متجسدا  
فى شخص ابنه حورس (١٥) .

وقد تفسر عودة البعيدة التى تقصها علينا الأسطورة باعتبارها  
عودة فيضان النيل الى مصر . فى العام الجديد ، حيث تعم الفرحة  
أنحاء البلاد لما يقدمه من رفاهية وخير وسؤدد للجميع . ولا شك ان  
المقارنة بين فيضان النيل وبين الهة تتصف أساسا بأنها تحتضن وتحنو  
وترضع وتحب ، يعتبر بمثابة تكريم عظيم وفريد من نوعه للدور  
العظيم المعترف به ، والذي تؤديه المرأة التى كانت رمزا للثراء البلاد ،  
ونبعا للسعادة . جملة القول ، انها « ايزيس » التى كانت تتجسد فى  
شكل « حتحور » ، فتتشر السرور المفرط ، والمرح والنشوة ، التى يشيعها  
اختفاء التيبذ . وكانت اقامة الاحتفالات الخاصة بها تتفق مع الحصاد ،  
وموعد فيضان النيل بسبب مطول الأمطار الافريقية الغزيرة .  
مظاهر « حتحور » المختلفة :

كانت تتجلى كالهة مبدلة فى معبدها الرائع « بدندرة » وهى  
الأم الاولى للالهة بصفتها البقرة السماوية ، التى ولدتهم وأرضعتهم  
جميعا . وبذلك تتشابه كثيرا مع « ايزيس » . ومن هذا المنطلق يتم وضع  
الموتى تحت رعايتها ، فهى تقوم بإعادة بعثهم من جديد فى الحياة  
الأبدية . ولكنها هى ايضا « حتحور » ، ربة الحب التى يشبهها الاغريق  
بألهتهم « أفروديت » . ومن أجلها كانت تقام العديد من الاحتفالات لعل  
أشهرها هو الاحتفال بلقائها بزوجها فى شهر أبيل حسب التقويم  
المصرى القديم ( القبطى ) ، وكانت تصعد النهر فى مركب فاخر حتى معبد  
« ادفو » حيث كان استقبالها يثير مشاعر السعادة والفرح لدى  
الجمامير . ومن أشهر الرموز الأنثوية لهذه الالهة هو « عقد المنات  
Menat » ، وأكثر الصلاصل شهرة تلك التى كان يمسكها ابنها  
الصغير « إحيى Ihy » ، (١٦) .

وكانت هذه الالهة تساهم فيما يقوم به رب الأرباب من أوجه  
النشاط ، فقد اتصفت أيضا بالقدرة على منح الأدميين الاحساس بالحب

والعشق حتى يستمر التناسل والانجاب فى الحياة الدنيا ، ولذا ، فإننا  
نجد ان الاحتفال الذى كان يقام بمناسبة العام الجديد كان يتصف  
بالمهابة والجلال اذ كان يبدأ فى مساء اليوم الأول من شهر « توت » ،  
أول شهور العام ، والذي يتفق مع عودة فيضان النيل ، حيث تتدفق  
مياهه من اعماق افريقيا حيث كانت تختفى البعيدة . وكان يتجلى فى  
هذا العيد تمثال الالهة « حتحور » المحفوظ فى قدس أقداس المعبد  
ليخرج للضياء الذى يمنحه الحياة لعام كامل فيفيض بها من معبدها .

وفى مركب مهيب ، يتقدمه الكهنة نحو « خزانة المعبد » يحضرون  
تمثالا على هيئة طائر له رأس امرأة مصنوع من الذهب ( أو البرونز  
المطلى ذهبيا ) ، طوله حوالى ٥٢ سم (ما يساوى الذراع الملكى المصرى)  
ويدعى « با ba » أو « باى bai » ، (١٧) .

ويتم وضع هذا التمثال داخل ناووس زجاجى صغير . ثم يقوم  
ثمانية من الكهنة بحمله حيث يبدأ المركب فى السير ، ليتوقف فى بضعة  
اماكن محددة بالمعبد لوضع تيجان مختلفة ، رمزا للقوى المتعددة التى  
تتمتع بها « حتحور » فى بهو يطلق عليه « الوعبت ouabet »  
وفى النهاية يقوم الكاهن الذى يرمز لفيضان النيل بقيادة هذا المركب .  
فيسكب امامه اثناء سيره الماء المقدس الجديد ، يتبعه شخص آخر  
يمثل الفرعون يقوم بحرق البخور للناووس حيث يسير بظهره لى  
يواجهه ، يأتى بعد ذلك دور حاملى الرموز ، وكوكبة من التماثيل  
المقدسة . وعند وصول هذا المركب الى سطح المعبد حيث يتوجه نحو  
أحد الجواسق ( الذى ما زال موجودا حتى الآن ) ، لوضع الناووس  
به . وعندما تشرق الشمس فى الأفق فى موعدها ، فان أول شعاع لها  
يسقط على وجه « باى » حتحور ، داخل الناووس الذى أزيحت عنه  
الستائر . وهنا ، تعمل القوى والطاقة الكامنة والاشعاع الالهى على  
انعاش التمثال ، لتدب الحياة فى أوصاله ، وتجعل وجود الالهة  
« حتحور » الذهبية حقيقة فعلية . وكانت الموسيقى تصاحب هذه  
اللحظة الحاسمة ، ومعها أيضا تراتيل الكهنة لإعلان ذلك الحدث  
العظيم ، وتستمر عملية البعث حيث يعم الفرح والسرور أنحاء البلاد  
وهذا الاحتفال بالذات يعد من الاحتفالات الدينية الفريدة من نوعها ،  
فهو بمثابة سر من أسرار الكون . ويمكننا مشاهدة نقوش هذه المراسيم  
كاملة فى معبد « بدندرة » ، حيث نرى منظر المركب الكهنوتى اثناء  
صعوده السلم المؤدى الى الجواسق الموجود فوق سطح المعبد ، واثناء  
نزوله منه ، وكذلك يمكننا مشاهدة بعض الكتابات الموضحة لكل تلك  
الطقوس الفريدة من نوعها .



ولقد تمكنت منذ عدة سنوات أن أضرم إلى مجموعات متحف  
« اللوفر » تمثالا برونزيا يمثل طائر « يا » ، حتحور ( ولا شك انه كان  
مطلبا بالذهب قبل ذلك ) . ومن المعتقد أن هذا التمثال كان قد تلقى  
اشعاع النور الالهى المقدس الذى يعتبر دليلا على رجوع « البعيدة »  
الى ارض مصر ( والتمثال محفوظ فى نهاية قاعة هنرى الرابع فى القسم  
الخاص بالآثار المصرية باللوفر ) .

وفى معبد « دندرة » وكذلك فى جزيرة « فيلة » ، وفى كثير من  
المعابد الأخرى اليونانية - الرومانية نستطيع أن نرى ما يسمى « بيت  
الولادة » ، وهو عبارة عن معبد صغير ملحق بالمعبد الكبير ، وكان  
يخصص للرموز والمناظر الأنثوية المقدسة ، وفى هذا المكان كانت الالهة  
الأنثى تلد الابن الالهى فى لحظة تأكيد القوة الملكية . وهذا الأمر يعد  
فى كل مرة بالنسبة للملك وبالنسبة للالهة الأنثى عملية ولادة جديدة .  
وفى كافة المعابد حيث تختلط المظاهر المختلفة أو التناقضات  
الخاصة « بالبعيدة » ، يلاحظ أن الأعمدة والأساطين تعلوها رؤوس ،  
يسمىها علماء الآثار المصرية « الأعمدة أو الأساطين الحثورية » ( ١٨ ) .  
وخلال الأسرات الأخيرة ( ١٩ ) ، كانت هذه الرؤوس تمثل على جانب  
من جوانبها وجها من أوجه الالهة « حتحور » المتعددة . أما عن الجذور  
الأسطورية لهذه الالهة أى شكلها الأولى فتتمثل فى شكل أذن البقرة .  
ولا شك أيضا أن وجوها الأربعة على أعمدة معابدها ، تشير إلى الهيات  
الأساسية التى تجلت بها هذه الالهة ، فتارة نجد أنها الهاتمة الضائعة  
فى صحراء النوبة العليا ، وتارة أخرى ، ترى على شكل لبؤة ضارية  
وأحيانا تبدو على شكل « عين الشمس » الموقدة ، المشتعلة غضبا .  
انها « سخمت » التى تحمى الفرعون التى تستطيع أيضا نشر الطاعون  
خلال الأيام الأخيرة من العام ( ٢١ ) . وهى أيضا حتحور رمز العشق  
والحب التى تحبها النساء كثيرا . وهى التى تعطى البعث بعد الموت  
المؤقت ، وهى التى تأتى بالأمل ، وهى أساس كل مستقبل . هى أيضا  
باست القطعة الحامية ، والمخلوق المفضل لدى أفراد الأسرة فى  
بيتهم ( ٢٢ ) . وهى أخيرا ، « العين » أوجات الصورة المتغيرة المتبدلة  
لايزيس ، الفتاة الجميلة الساحرة ، التى تتألق شبابا وفتنة ( ٢٣ ) .

ولعل أجمل التراتيل الموجهة للالهة حتحور ، هى بدون جدال  
الوجود فى المعبد الصغير المقام فى الجزء الشرقى بجزيرة « فيلة » .  
وقد كتبت هذه التراتيل بمناسبة عودة البعيدة الى مصر ، وقيما يلى  
بعض مقتطفات منها :

ما أبهى محياك

حينما تتالقين فى مجدك  
وانت فرحانة !

حتحور يا سيدة « سنمن Senmen » ( جزيرة بيجة ) المبهجة  
إن أباك رُع يتهلل فرحا عندما تشرقين  
ويمتدح أخوك شجوا جمال محياك  
وتحتوت القادر على أقوى المشروبات المسكرة يقول لك ،  
« يالك من قادرة » !

ويتألق التأسوع العظيم سعادة وحبورا  
وما هى القردة ترقص أمام جلالتك

وتدق قردة « الهيتز » الطبول من أجل قرينك ( الكا )  
وينشد البشر الأغاني من أجلك

ويتعبدون فيك  
( ..... )

والرجال والنساء يبتهلون اليك أن تغدق عليهم الحب  
ومن أجلك تقيم العذارى الاحتفالات ، ويعطينك أرواحهن

انت سيدة الثناء ، وسيدة الرقص

ربة الحب ، وسيدة النساء والعذارى

انت ربة النشوة فى الأعياد العديدة

سيدة البخور والطب ، وربة الأكاليل المجدولة والمضفورة

ربة المرح ، وسيدة الجذل والابتهاج

يا من تعزف الموسيقى لجلالته

انت ربة الصلصال « سخم » ، وسيدة « المنات » ، والصلصال  
« شيششت »

التي يرفع أرواحها الأنخب ( المتصل بعودة السنة )

انت سيدة الرقص ، وربة الغناء ورقصة الزهر

والتي يتألق وجهها ، كل يوم ، ولا تعرف للحزن معنى

هل تسمحين باظهار وجهك الجميل

ملك مصر العليا والسفلى ، سيد القطرين ؟ ( ٢٤ ) .



### مظاهر التلويح اخرى :

مظاهر الثوبية أخرى :  
 هناك معان ومفاهيم أخرى مقدسة ، منحت للمرأة لمساندتها  
 وتمضيدها المادى . وتجدر الإشارة هنا فقط ، الى علم الوثائق  
 والمحفوظات الذى تجسده الالهة ، « Séchat » ربة المكتبات  
 وهى شابة جميلة ترتدى ثوبا مصنوعا من جلد الفهد ، وتمسك دائما  
 بالقلم فى يدها ، وهو عبارة عن قصبة ولوحة صغيرة كانت تستعمل  
 حينئذ فى الكتابة . ولنذكر ايضا الالهة ، « Maat » ابنة رع ،  
 وهى كيان فكرى لا عائلة لها ، تعلق رأسها ريشة نعام . وهى رمز  
 للتوازن الكونى والعدالة ، والاساس الراسخ لكل الاعمال . كما أنها  
 تعمل على سير امور العالم سيرا صائبا . وبذا ، فهى تعبر عن الخطة  
 الصائبة التى يجب ان يتعهد بها الفرعون امام الاله . وتتلقى ماعت  
 طهارة ونقاء . فلا يجب أن يشك أحد مطلقا فى ذلك ، ويبدو تمثالها  
 الصغير وهى جالسة القرفصاء ، معلقة فى عنق الوزير والقاضى .

ایزیس و مجدها

مہایما :

تبدو ايزيس فى كافة المظاهر الانثوية الالهية ، فى أعيننا أكثر  
الربات شهرة وأبعد من صيتنا ، بل انها تجسد لنا صورة مصر نفسها ،  
وهى قرينة اوزيريس ، التى صاحبتة وسانده . ثم قدمت بعد ذلك تنشر  
عقيدة هذا الزوج الذى سقط ضحية الشر ، وتولت أيضا حماية وريثه  
والدفاع عنه حتى وصل الى سن الرشد . لقد انتشرت شعائر ايزيس  
نفسها فى كافة أنحاء حوض البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الرومانى ،  
حيث أقيمت معابد رسمية لتمجيدها . ويرجع هذا المجد الشعبى الذى  
تمتعت به ايزيس الى أواخر العصور الفرعونية ، حيث أقيمت لها معابد  
على ضفاف النيل ، ونذكر أولا المعبد الذى أقامه الملك « بسوسنس » ،  
وكذلك « أمنموبى » فى بداية عصر الانتقال الثالث الذى يقع فى شرق  
مصر خوفو بالجيزة . ولنذكر أيضا بعد ذلك ، عند فجر العصر اليونانى  
- الرومانى ، معبد « بهيت الحجر » حيث تبدو روعة تصميمه ونقوشه  
رغم الدمار الكبير الذى لحق به . وهناك كذلك المعبد الخاص « بمولد  
ايزيس » فى « دندرة » ، والذى كانت تقام فيه الاحتفالات « بليلة الطفل  
فى مهد » حيث كانت ايزيس تأخذ شكل امرأة سمراء ، متوردة مفعمة

2.

بالحياة ، ناطقة بالحب • ونذكر بهذه المناسبة مجموعة المعابد الرائعة المقامة في جزيرة ، فيلة ، الفريدة من نوعها •

المساحة :

من الغريب أن الكيان الالهي الذي لعب دورا أساسيا وفعالا في الأسطورة هاعية لم تخف حتى على العامة ، وكان نموذجا أصيلا للمرأة المصرية ، بصفتها زوجة ترمي بيتها ، وبصفتها أما ، لم يحتل منذ الأزمنة البعيدة مكانا متميزا في المعابد أو في المساكن . ولكن الاشارات التي وردت عن الأسطورة في الكتابات الدينية العتيقة (٢٥) تسمح للأسطورة الأوزيرية بالتيقن من العراقة الفائقة ، التي أضفى عليها غموض الأسرار الدينية سرية الا على من أوتي العلم ، إذ كان على البراهين الاستفاضة في الحديث عنها . ولا شك أنه من الاطلاع على البراهين المتعددة والمتفرقة (٢٦) يمكننا الجمع بين أجزاء قصة أشهر وأعرق زوجين في تاريخ قدماء المصريين (٢٧) . ولا شك أيضا أن ايزيس كساحرة لجأت الى وسائل وأساليب لا تتماشى كثيرا مع السواك الأنثوي ، لكي ييوح لها الاله الخالق بسر قوته . . . كان تصرفها هذا يتسم بالكر والخداع . لقد وضعت على طريقه شعبانا مصنوعا من الطين وبلته بلعاب « رع » ، الاله الخالق . وكان هذا الاله الأعظم قد أصابه الزهر والكبر ، ولذا ، استطاع الثعبان أن يهاجمه ويلدغه حتى « سرى السم في أعضائه كسريان النيل في بلاده » . وكانت ايزيس هي الوحيدة التي تستطيع معالجة هذا الاله ، ولكنها اشترطت لكي تفعل ذلك أن ييوح لها باسمه الحقيقي . ولما كان رب الأرباب كهلا يئن من الآلام الموحجة البرحة ، فقد رضخ لمطلبها ، وكشف لها عن اسمه الحقيقي فاكتملت بذلك قوته ومقدرته .

وحالما دخلت ايزيس فى أسطورة اوزيريس ، لوحظ انها فقدت جزءا كبيرا مما كانت تتصف به من تسام ، أو بمعنى آخر « الأرستقراطية الالهية » . واقتربت كثيرا من صفات البشر ، وبدأت فى الظهور كثيرا برفقة اختها « نفتيس » ، فى ملابس الحداد ، وهما واقفتان عند رأس وقدمى الموميאות تبكيان وتحميان المتوفى الذى كان يعتبر بعد موته كأوزيريس نفسه . ولم تظهر التماثيل التى تمثل ايزيس الأم جالسة على عرشها وهى ترضع الطفل حورس، وقد حملته على ذراعها اليسرى (٢٨) .

الافى العصور المتأخرة فقط .

ومهما كان الأمر ، فعلينا ان نتذكر دائما ان ايزيس تمثل ليس فقط الامومة ( البيولوجية ) ، ولكن ايضا الامومة ، كواقع اجتماعي معنوي ،



ولم يحدث أن خلط الناس بين « ايزيس » و « حتحور » ، فإن « ايزيس » تجسد في هذه الحال ، وبكل بساطة ، أحد مظاهرها المتعددة ، المنبثقة من دورها الذاتى ، ومن شخصيتها الخاصة .

### ايزيس فى دورة اوزيريس :

بدأت الصعوبات تنبثق منذ بداية الأزمان . فوفقا للمرحلة الاسطورية لنظرية عين شمس ( أون ) قام « أتوم » ، الاله الخالق بخلق اول زوجين فى العالم ، هما : « شو » و « تفنوت » . وبذا نجد أن الكون قد بدأ « بواحد » ثم « تحول هذا الواحد » الى « ثالث » ( ٢٩ ) . وانجب هذا الزوج بدوره مولودين هما « جب ونوت » ، أى الأرض والسماء اللذين ولدا وهما متعانقان عناقا وثيقا ، ولقد حذرهما الاله الخالق ونهاهما عن أى التقاء جنسى بينهما . ولكنه مع الأسف علم أن « نوت » قد حملت من رفيقها « جب » بخمسة توائم . فأصدر الاله الأكبر أوامره الى « شو » بأن يفرق بين هذين العاشقين الجامحين المتهورين كما قرر ألا تضع « نوت » حملها الثقيل فى أى يوم من أيام السنة . وهنا حاول « شو » أن يدافع عن العاشقين الشهيرين السابقين لآدم وحواء . . . . . ولكنى يساعد البانسة « نوت » على وضع حملها الثقيل ، قرر أن يضيف الى العام « خمسة أيام أخرى » . وهى نفس الأيام التى أطلق عليها الاغريق لفظ Epagomènes أى خمسة أيام النسء . وبذلك تمكنت نوت ، من وضع أولادها الخمسة وهم : اوزيريس ، وست ، وايزيس ، ونفتيس ، وحورس العظيم الذى خلف أبيه اوزيريس فى حكم الأرض معلنا ذلك الى البشر بصوت الهى .

وقد قام اوزيريس بمساعدة أخته وزوجته ايزيس ( التى كانت تقوم بحمايته وابعاد الأعداء عنه ) بتعليم البشر فن الزراعة . وكانت ايزيس تقوم بقطع الأعشاب ، كما تقوم أيضا بعجن الدقيق لاعداد الخبز . أما اوزيريس فكان يقوم بعصر العنب الذى شرب أول كاس منه ، وسن القوانين للبشر ، وبين لهم كيف يتعبدون ويجلسون الآلهة . وكان اوزيريس يضع مسئولية ادارة شئون البلاد بين يدي ايزيس ، اثناء غيابه ( وهى بذلك تجسد مقدما ما تقوم به بعض الملكات الأمهات خلال انشغال الملك فى ساحة الحرب ) . وكان اوزيريس يجوب البلاد لكى يحصل على المؤيدين ، يعزفه للموسيقى ويدون قتال ( ٣٠ ) . ولكن لم يكن مقدرا أن تستمر الأحوال على ما كانت عليه من هناء وصفاء ، فى نطاق هذه الحياة المثالية . ولفترة ما ، « وبدون قصد » - وفقا لأحد النصوص - شغل اوزيريس حبا بأخته نفتيس زوجة « ست » ، الذى كان يعاني من العقم ( ٣١ ) . لكن « نفتيس » حملت من « انوبيس » الذى

تخلت عنه تماما بعد وضعه خوفا من بطش زوجها « ست » ، العقيم . وهنا قامت « ايزيس » ( الزوجة الطيبة ) بتتبع بعض الكلاب للبحث عنه وعثرت عليه ، وقامت بتربيته ، وأصبح « انوبيس » حارسها ورفيقها . ولكنه بعد ذلك الحق بالعالم الآخر ، وأصبح مسئولاً عن الموتى هناك . وكان « ست » قد ازداد اشتعالا بالغيرة من « اوزيريس » ، فأخذ يحبك له مؤامرة بمساعدة اثنين وسبعين متآمرا آخر ، وقاموا جميعا باستقباله بعد عودته من أحد أسفاره ، وفى وليمة فاخرة . وكان حفل الاستقبال هذا يتضمن إحدى المسابقات التى تتلخص فكرتها فيما يلى : اذا تمكن أى من المدعويين من التمدد داخل صنولق ثمين جميل الصنع ، كان قد أعد لهذا الغرض ، وأن تكون مقاييس جسمه مطابقة لنفس أطوال الصندوق فسوف يحصل عليه . ولا شك أن هذا الثابوت كان قد صنع أساسا ليكون مطابقا لنفس مقاييس جسم اوزيريس ، وعبثا حاول المدعون الرقاد داخل الصندوق الذى كان كبيرا للغاية عليهم .

ولما قام اوزيريس بالتمدد بداخله هجم عليه المتآمرون وقفلوا الصندوق بتثبيت غطاءه بالمسامير . وفى مكان يسمى « نديت » Nedit القوا به فى النيل .

### بحث ايزيس :

بدأت ايزيس تبحث عن زوجها المفقود ، متتبعة ما كان يقوله لها بعض الأطفال الذين شاهدوا ما حدث لأوزيريس . وتبينت ايزيس الاتجاه الذى يجب أن تسلكه فى بحثها . وبذلك وصلت الى مدينة « جبيل » Byblos ، أو كما كانت تسمى « درجات المشرق » . وكان جسد اوزيريس المدد داخل الصندوق قد ارتطم بأحدى الأشجار الصنوبرية ، فأضفى عليها حيويته ، وارتفعت ارتفاعا هائلا ، لدرجة أنها احاطت بالصندوق من كل جانب ، ولم يعد ظاهرا للعيان . وقد استرعت نظر الملك « مالكندر » Malcandre ، ضخامة هذه الشجرة الهائلة فأمر باتخاذها دعامة لسقف قصره . ووجدت ايزيس نفسها أمام محنة جديدة ، فقررت الاستعانة بقوتها السحرية . ولما علمت أن خادمت الملك يذهبن دائما الى نبع لاحتضار الماء الى القصر حولت نفسها الى امرأة فقيرة بائسة مما شد انتباههن ، وأخذت تتملقهن وتجاملهن ، تارة بتفسير شعورهن بكل مهارة وحذق كما تفعل المصريات ، وتارة تبعث عبيرها الالهى ذا الرائحة الزكية فيهن . أما الملكة زوجة الملك « مالكندر » فتملكها فضول شديد ، لكى تتعرف على صانعة هذه المعجزة ، واستدعتها الى قصرها . وبذا ، أصبحت ايزيس مرضعة للابن الملكى المولود حديثا ، ولما كانت ايزيس ساحرة قبل كل شئ فقد كانت تكتفى بارضاعه



من اصبعها . وفي المساء كانت تشعل نيران سحرها حول فرشه ، ثم  
تتحول الى طائر ، الخطاف ، لتحوم حول الأسطون ، وهي تنن وتبكي ،  
وماجاتها الملكة ذات ليلة ، وراة ابنها وقد احاطت به الديران من كل  
جانب ، فاطلقت صرخة مدوية تسببت في فقدان طفلها للخلود الذي كانت  
ايزيس قد منحت له . وهنا ، افصح ايزيس عن شخصيتها فاعطسوها  
الأسطون ، وبذلك استطاعت ان تأخذ الصندوق الذي يحتوى على جسد  
اوزيريس . وتذكرنا هذه الواقعة بما كانت تقوم به الندابات النائحات  
في مصر من صراخ وعويل ، يصيب سامعيه بالهلع والرعب . فقد  
اندفعت ايزيس نحو الصندوق ، وصرخت صرخة عظيمة سقط على اثرها  
الابن الأكبر للملك ، مالكندر ، ملعا ورعبا ، عند سماع صوتها .

ورجعت ايزيس الى مصر بمصاحبة الابن الاوسط للملك ، مالكندر ،  
والذي قام بمساعدتها في نقل الصندوق . وعند وصولها الى بلدها  
ترقت في مكان ما معتقدة انها بمفردها ، وفتحت التابوت والصفت  
وجهها برجة اوزيريس ، لكي تقبله وهي تبكي ولكنها فوجئت بوجود  
الامير الشاب بجوارها . فانتقدت عيناها بالغضب مما اذهله حتى سقط  
صريع عينيها التاجبتين نارا . بعد ذلك ، قامت ايزيس بدفن الصندوق  
في مستنقعات ، خميس Chemmis ، نفس المكان الذي قامت فيه  
بتربية وتنشئة ابنها حورس فيما بعد ، بعيدا عن اعين عدوها اللدود  
الاله ، ست .

### الطقوس الجنزيرية :

وتضيف رواية اخرى ترجع الى عصور متأخرة بأن ، ست ، اكتشف  
خلال احدى رحلاته للصيد في ضوء القمر المكان الذي خبيء فيه  
الصندوق . فأخفى جثة غريمه اوزيريس ليقطعها بعد ذلك الى ١٤ او  
١٦ قطعة القى بها في مناطق متفرقة من نهر النيل .

وفي رواية اخرى اكثر تعقلا نجد ايزيس تحولت الى طائر  
صغير ، لكي تستطيع ان تكتشف وهي محقة عاليا مواضع اجزاء  
جثمانه . وبعد ان عثرت عليها كلها ، دفنتها في نفس الأماكن التي  
وجدتها بها على التوالي ، وهذا هو ما يبرر وجود عدد كبير من القبور  
لاوزيريس بمصر . ولكن يبدو ان هذا لم يكن سوى خدعة من ايزيس  
لكي تستطيع بمثل هذه الحيلة ان تضلل عدوها الشرس العنيد في  
الواقع ، فانها بعد ان جمعت كافة الاجزاء التي عثرت عليها ، قامت  
بمساعدة نفثيس وانوبيس ، بتكوين الممياء كاملة ، وكانت هذه هي  
الممياء الاولى في الوجود . واستطاعت ايزيس العثور على كافة اجزاء  
جسد زوجها اوزيريس ، بخلاف قطعة واحدة لم تتمكن من العثور عليها

مطلقا . الا وهي عضو ذكوره الذي ابتلعه احدى اوتامك النهر المعروفة  
باسم ، آنومة . وانتقل اوزيريس بفضل تحنيطه الى مملكة الموتى ،  
وكان جثمانه بين ، بكاء ونحيب ايزيس ونفثيس .

### ايزيس :

تعال نحو بيتك ، تعال الى بيتك

انت يا من لا اعداء له

ايها الشاب الجميل الطلعة ، تعال الى بيتك لكي تراني

فانا اخذك التي تحبها ، لا تفرق عني ابدا ، ايها الشاب بهي الطلعة

تعال الى بيتك

انا لا اراك ، ( ومع ذلك )

فان قلبي يتطلع للقياك

وعيونى تبحث عنك

( ..... )

ما اروع ان اتمالك !

( ..... )

تعال الى حبيبتي التي تحبك انت يا ون نفر

تعال الى جانب اخذك

تعال الى جانب زوجتك

انت يا من توقف قلبه عن الخفقان

تعال الى ربة بيتك

انا اخذك وامنا واحدة

لا تبعد عني

ان الالهة والبشر يلتفتون نحوك

وكلهم سيكونك مثلى والدمع السخين ينهمر من عيني

اننى اناديك

ويرج صراخى اجواء السماء

ولكنك لا تسمع صوتى

اننى اخذك التي احببتها فوق الارض

فانت لم تحب امرأة ( اخرى ) سوى

اي اخى ، اي اخى ( ٢٢ ) .



ويستمر النص الباقي على هذا النوال في صورة حوار بين  
الاختين الناضجتين ، ايزيس ونفتيس تتخلله بعض المقاطع التي تلقى بها  
ناثحات اخريات . وسوف نلاحظ هنا ، بين مشاعر الألم والحزن ان  
الاسلوب والعبارات تبدو وكأنها ترنيمة حب ، وعند الوصول الى المقطع  
الذي تلقى به نفتيس ، فان اللهجة تتغير ، انها ليست لهجة الزوجة ، بل  
لهجة المحبوبة .

احضر توا يا سيدى ... يا من ذهبت بعيدا  
احضر ... لكى نفعل ما كنت تحبه ، تحت الاشجار  
لقد اخذت قلبى بعيدا عنى آلاف الاميال  
معك انت فقط ، ارغب فى فعل ما احب  
اذا كنت قد ذهبت الى بلد الخلود ، فسوف اصحبك  
فانا اخشى ان يقتلنى زوجى  
لقد اتيت هنا من اجل حبى لك  
فلتحرر جسمى من حبك (٣٢) .

وعند قراءتنا لهذه الانشودة الأخيرة ، نلاحظ ملامح العاطفة التي  
نشأت بين اوزيريس ونفتيس التي كانت تعبر صراحة عن مشاعرها نحوه  
امام زوجته ايزيس . ولنا ان نسال : هل كان للرجل ان يتخذ الى جوار  
زوجته ، ربة البيت ، الوحيدة ، زوجة ثانوية ، مفضلة ؟ كان هذا الامر  
واضحا للغاية فى عالم الملوك ، بل ومؤكدا . وهذا ما سوف نراه ايضا  
فى عالم ، الاشراف والنبلاء .

#### مولد حورس :

قامت ايزيس بتحنيط اوزيريس وفقا لطقوس جنازية محددة سار  
على نهجها من تلاها ، وبذلك فقد ابتكرت الوسيلة والعلاج الذى يمنح  
، الأبدية والخلود ، . ومع ذلك ، فقد بقى عليها ان تقوم بمعجزة اخرى ،  
لكى تمنح وريثا لزوجها الذى مات ثلاث مرات ، لا مرة واحدة ، اذا  
صح التعبير ، فى نظر المصريين فاوزيريس لم يترك وريثا له ، قبل  
مصرعه ، فضلا عن ذلك ، فان سمكة «أنومة» قد التهمت عضو  
ذكورته . وهنا حولت الساحرة نفسها ثانيا الى طائر ( أنثى ) ،  
واخذت تضرب الهواء بجناحيها ، وعملت على اعادة الحياة لآخيها  
وزوجها اوزيريس . ولكن هذا الامر يجب ان يظل فى طى الكتمان ، .  
( كما ورد فى كتاب التنفس ) ، . والا يسمح لرجل أو امرأة بان يصرح  
بذلك بصوت عال . وبفضل مقدرتها وقوتها الفائقة فى السحر اعادت

اليه لبضع لمعات عضو ذكوره المفقودة ، وظلت تصلق وترفرف  
بجناحيها برفق فوق جسده المسجى تحتها ليرتد بينهما لقاء جنسى .  
والذى استعاد بذلك ذكوره . وفقا لنفس الاسطورة اخذت ايزيس  
تستعد فى مستنقعات « خميس » ، لولادة طفلها « حورس » . ولكى تحميه  
صارعت من جنيد قوى الشيطان ، اى ست ، ذلك الاله الذى كان  
« بلوتارخ » يطلق عليه اسم : « تيفون Typhon » .

واصبح حورس شابا بمعاونة ايزيس ، التى لم تخمد ثورة غضبها  
من اجل تأكيد حقوق ابنها من اوزيريس الذى اقام دعوى لاسترداد ميراث  
ابيه من عمه ست امام محكمة رب الأبدية « اتم » . ومرة اخرى  
اشتعلت المعركة المدمرة التى لم تتوقف ابدا ، بينها وبين ست . ولكنها  
لم تكن لتفقد الأمل ، فهى « الأم الالهية » التى قيل فيها :  
« كان قلبها اكثر فطنة من قلوب مليون رجل » .

وكانت اكثر سموا من مليون اله

وكانت نافذة البصيرة اكثر من مليون نبيل

لم يكن يوجد شيء فى السماء أو على الأرض الا وعرفته (٣٤) .

#### الصراع بين حورس وست :

ومع ذلك ، نجد ان اسلوب الاقاصيص الشعبية التى تصرد احداث  
قصص الصراع بين حورس الذى أصبح رجلا وبين عمه ست ، يفتقر  
كثيرا الى رقى التعبير الواضح فى النص آنف الذكر الذى يعدد مناقب  
ايزيس ومزاياها : فقد لوحظ ان الاحداث العديدة ، كانت تصرد بأسلوب  
فج قد يصدم الشاعر بلفظاته ، ولذلك سنكتفى هنا فقط بذكر الوقائع  
التي اشتركت فيها ايزيس : وسنلاحظ انها كانت تقوم بدور الساحرة  
التي تعرف العديد من الخدع والحيل ، مما اعطاها قوة واقتدارا ،  
ووضعت فى يدها وسائل وسيلا جبارة ومتعددة . ويدل هذا الصراع  
بين « حورس وست » على بطء الاجراءات القانونية بشكل كبير ،  
فلا شك ان امور الحياة لم تكن بسيطة . والآلهة هنا تبدو فى صورة  
آدمية ، ولذا لا يمكن اعتبارهم اشخاصا يجسدون الخير المطلق والشر  
المطلق . او الصراع بين النور والظلام .

ولكى يستحوذ « ست » على ميراث « ضحيته » ، نجده يدعى ان  
حورس ليس ابنا لاوزيريس . وسنجد اننا هنا امام قضية « اثبات نسب » ،  
او « اثبات بنوة » : ابن ولد بعد موت ابيه . ومن ثم عقدت المحكمة  
الكلفة بالنظر والحكم فى هذه القضية . وكانت تتألف من كافة الهة



مصر ، الذين عقدوا جلساتهم لمدة ثمانين عاما . فالمشكلة كانت شائكة .  
وقام صراع ضار ، وصل للدرجة تشابك المتخاصمين بالأيدى ، واخصاء  
الاله ، ست ، كما فقدت عينا « حورس » . وفي لحظة من اللحظات وجدت  
الحكمة نفسها عاجزة عن اتخاذ أى قرار ، فلجأت الى الالهة ، نيت ،  
رية ، سايس ، الذى جاء حكمها واضحا جليا : « ضعوا منصب ومكانة  
أوزيريس بين يدي ولده ، ولا ترتكبوا ظلما فادحا . والا فانتى سائور  
غضبا وستنطبق السماء على الأرض » . ولكنها اضافت الى ذلك ضرورة  
تعويض « ست » بمنحه « عثات » و « عشتارت » ابنتى « رع » ،  
الأجنبيتين ( ٢٥ ) مما سبب مشكلة أخرى بين الالهة ، حتى ان « رع »  
نفسه قد خارت قواه وظهرت عليه مظاهر الشيخوخة والقنوط . وهنا  
حاولت ابنته « حتحور » ان تسرى عنه فخلعت ثيابها كلها امامه . ومع  
ذلك ، استمر « تحوت » ( المصامى ) فى مرافقته قائلا : « هل تمنح  
الخلافة ، لست » رغم ان بيننا ابن أوزيريس من صلبه ؟ » وعندما لاحظت  
ايزوس ان رب الكون « رع » يضم بعض النوايا السيئة ، استشاطت  
غضبا واقسمت : « بحياة أمى نيت التى ما زالت حية ترزق ، وبحياة  
بتاح تاتن ذى الريش العالى ، والذى لا يزال حيا ، سوف يعرض هذا  
الأمر على آئوم العظيم القاطن بعين شمس ، وكذلك على خبرى القيم  
فى سفينته » .

### الام الحامية :

وكانت محاولات التهديد والتخويف ، التى قام بها « ست » ذات  
غاية لدرجة ان الحكمة وافقت على طلبه بإبعاد ايزيس من القضية  
آنذاك ، وهذا الأمر يعد فى حد ذاته انكارا لقوة ودهاء المرأة الالهة .  
وقرر « حور اختى » لكى يرضى « ست » ان تنتقل الحكمة بكامل هيئتها  
الى جزيرة « الوسط » ، حيث لا يسمح حارس بوابتها بعبور أى  
امراة . وهنا ، اضطرت ايزيس ان تتحول الى امراة بائسة عجوز منحنية  
ولكنها كانت تضع فى اصبعها خاتما ذهبيا . واقتربت من النوتى  
قائلة : « انتى قادمة اليك ومعى قدر من الدقيق لأجل صبنى الصغير يرعى  
الماشية فى الجزيرة منذ خمسة أيام وهو يتضور جوعا » . ولما رفض  
النوتى السماح لها بالدخول قدمت له الخبز ، ثم قدمت له خاتمها  
الذهبي ، وبدا هذا الخاتم بالنسبة للنوتى وسيلة قوية للاقتناع ، فسمح  
لايزيس بالعبور الى الجزيرة حيث تعرف عليها « ست » ، لدى وصولها ،  
فتحولت الى امراة بارعة الجمال . واعتمدت على ما يتصف به « ست »  
من غفلة فحاولت ان ترقعه فى شباكها ، وقالت له شاكية : « أيها

السيد العظيم ، لقد كنت زوجة لأحد الرعاة وانجبت له ولدا وقد توفي  
زوجى ، ويقوم ابنى برعى قطعان أبيه . ولكن ، جاء شخص غريب  
ومكث فى حظيرتى . وقال لابنى : « سوف اضربك وأخذ منك قطعان  
أبيك » ثملقى بك فى الخارج » . وأنا أرجوك يا سيدى ان تحمى ابنى  
من هذا المقتصب ، ولم يثنى « ست » للفتح المنسوب له ، فاجاب :  
« ايعطى القطيع لشخص غريب ، فى حين ان ابن الرجل ما زال حيا ؟ »  
وحالما نطق « ست » بهذه العبارة تحولت ايزيس الى حداة ، وسرعان  
ما طارت وحطت فوق قمة شجرة سنط ، قائلة له : « لقد حكمت على  
نفسك بنفسك . يا له من عار ، ان فمك نفسه هو الذى نطق بالحكم  
عليك . ومهارتك هى التى حاكمتك . ماذا تريد اكثر من ذلك ؟ » وعلم  
رئيس الحكمة بهذه الواقعة فادان « ست » وتلا « رع » عليه حكم  
الحكمة ، لقد أصدرت الحكم على نفسك . ولكن يبدو ان « ست »  
الشريد قد استطاع الحصول على حكم بتاجيل فى القضية ، مع وقف  
التنفيذ ، لاستكمال المعلومات . أما الجزء الثانى من القصة ، فيصور  
استمرار المتصارعين فى قتال مرير ضار . وتحول كل منهما الى حيوان  
فرس النهر ، وكانت ايزيس لا تفارق ابنها أبدا خلال كل ذلك ، وجرح  
كلا المقاتلين حتى ان « ايزيس » نفسها شعرت بالشفقة والعطف على  
« ست » ، فحاولت ان تخفف عنه هذه الآلام ، ولذلك ثار ابنها « حورس »  
ثورة عارمة وهو فى هيئة فرس النهر ، لدرجة انه أطاح برأس أمه .  
ولكن لحسن الحظ قام « تحوت » بوضع رأس بقرة مكان رأسها المقطوع  
( ولهذا السبب نلاحظ وجود تشابه بين رأسى كل من « ايزيس »  
و « حتحور » ) . وتتوالى أحداث غير متوقعة من مرحلة الى أخرى ،  
ويلقى حورس عقابه على ما فعله بأمه . فيقوم « ست » بفقاء عينيه ،  
( وكان العقاب بفقاء العينين شائعا فى العصور القديمة ) لكن « حتحور »  
أعادت عينيه اليه . بعد ذلك ، قطع عضو ذكورة « ست » وتتابع  
الأحداث المفعم بالشراسة التى انزلت الى الفجاجة الصارخة أحيانا ،  
طوال قرن من الزمان ، وأخيرا أصدرت الحكمة حكمها النهائى ، الذى  
كان يجب ان تصدره منذ البداية : وهو الرجوع الى أوزيريس نفسه  
الذى جاءت اجابته فى خطاب قام « تحوت » بقراءته أمام قضاة الحكمة .  
وكانت كلمتهم : « كل ما قاله صواب ، انه أوزيريس ، رب الغذاء  
والمأكول » . وكلفت ايزيس باحضار ست موثوق اليدين عقابا على رفضه  
لاحكام هذه الهيئة العليا . ولكنه ، فى النهاية خضع وتخلّى عن مطامعه  
فى الاستيلاء على عرش أوزيريس ، وتولى حورس مقاليد الحكم . وبذا ،  
تحقق الانتصار النهائى لايزيس .



يعتبر سلوك اوزيريس في حد ذاته . مجرد عمل مكمل لما قامت به ايزيس من اعمال ، التي بدونها ولولاها لم يكن في الامكان ان تتم عملية البعثة الغامضة ، ولما انتقل ايضا ارث الأب بكل عدل وانصاف الى ابنه . وكان مقدرا لمثل هذا المنهاج ان يلاقى نجاحا شعبيا فريدا من نوعه ان كان يوفر للانسان الطمانينة وهي بغية البشر . وشيئا فشيئا ، وخلال حكم الاسر المصرية الاخيرة ، بدأت تتلاشى مفاخر الآلهة الأخرى لتحل محلها في أفئدة المصريين من كافة الطبقات ، آيات الاجلال والتوقير المزايد ، لايزيس ، العظيمة . لقد أصبحت الآلهة ايزيس محور المجتمع بأسره ، الذي تتركز حوله كافة الأمنيات والتمنيات والتي أقيمت من أجلها المعابد ، ثم بجلبها الاغريق والرومان بعد ذلك وتكاثر عبادتها ، لدرجة انها جذبت بصفتها ، ايزيس - حتحور Isis-Hathor ، او - ايزيس - سوتيس Isis-Sothis . انظار المتعبدين والنسك . وابتداء من فيلة ، حتى الاسكندرية ، ومن بومبي الى جميع انحاء اوربا الجنوبية ، انتشرت طقوس واسرار ايزيس ، وأصبحت الصورة المثالية للام على هيئة امرأة جالسة تضع الطفل حورس على ركبتيها . وهناك ايضا ، Isis Lactans عند الرومان والغاليين ، و - ايزيس الفئار Isis Pflaria . بالاسكندرية ربة البحارة ، وكانت السفينة التي تمثل فوقها الربة العظيمة رمز المرأة التي تحافظ على استمرارية الجنس البشري تعبر النهر كل عشرة أيام ، لكي تسكب اللبن اكراما للآلهة على المذابح الجنائزية الخاصة باوزيريس ، في جزيرة « بيجه Biggeh » ، في مواجهة « فيلة » ، في المكان المسمى بـ « اباتون Abaton » . والصق بهذه السفينة صار وشراع بعد ذلك ، ونزلت النيل لكي تصل الى الاسكندرية . حيث يمكننا ان نرى « ايزيس الفئار » ، وهي تمسك بدفة ، أو بهلب بحرى ، وهي التي مازالت تمثلها لنا « عذارى الهلب » ، في جنوب اوربا على سبيل المثال ، وأحيانا نجد ان صارى السفينة قد حل مكانه تمثال هذه الربة ، التي تكن جوانحها عطفا لا حدود له ورعاية عميقة ، والتي عانت من آلام مريرة وموت بكافة الاختبارات والحن .

ويتنقلها من ملاحه الى أخرى ، شددت انتباه ملاحى لوتيس Lutèse لدرجة ان القارب ذا الشراع المنتفخ الخاص بتلك الآلهة ، التي صارت اكثر ربات العصور القديمة عالمية ، والزوجة والام المثالية . مازال باقيا حتى أيامنا هذه ، كرمز - من آلاف السنين - لمدينة باريس .

وفي الوقت الذي طغت فيه الطقوس الخاصة بايزيس على كل ما عداها ظهرت الترانيم التي تترنم باسمها وتتغنى بها . ومن خلال تلك الصلوات الفعلية ، نجد بعض آيات المديح التالية :

( ..... )

انها الآلهة ذات الدهاء والحيلة

فخر الجنس النسائي

( ..... )

هي العاشقة التي تنشر مشاعر الحب بين الناس

( ..... ) فهي تعقت الحقد والكراهية ( ..... )

( ..... ) انك تتربعين على عرش السمو والأبدية

انك تتفوقين بسهولة ويسر على الطفاة ، بفضل افكارك المخلصة

( ..... ) يا من استطعت الرجوع باخيك ، وانت التي عرفت

كيف تقودين المركب ، واعدت من أجله لحداد لانقا به .

( ..... ) انك تبغين أن تحضر النساء ( اللاتي في سن الانجاب )

مع الرجال الى المرفأ .

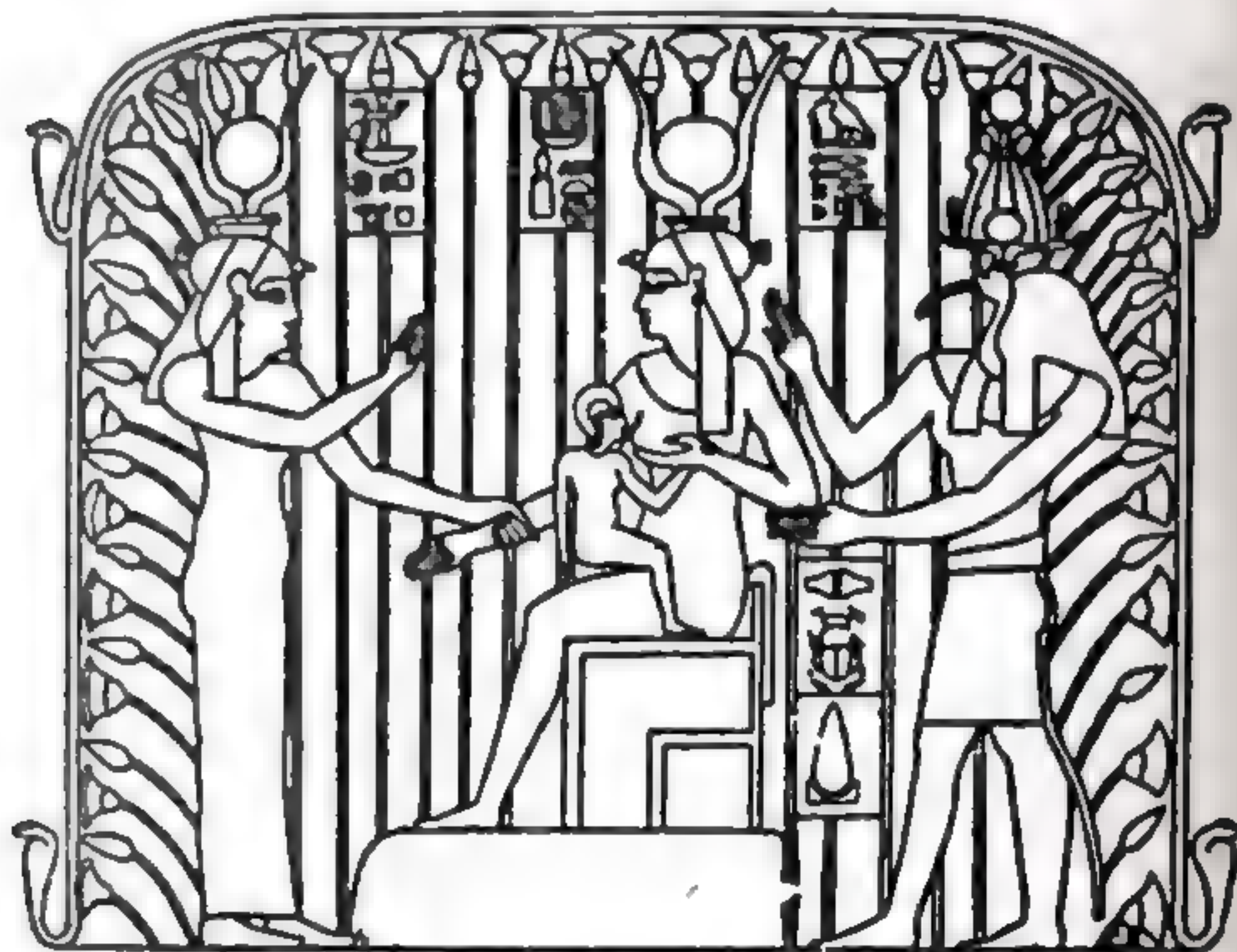
ويقدم لك جميع المسنين ، قرابينهم

( ..... )

واقارارا واعترافا بما قامت به الآلهة :

« انك سيدة الأرض ( ..... ) »

التي جعلت سلطة النساء متساوية مع سلطة الرجال (٢٦) ، .



شكل (٦) ايزيس ترضع طفلها



## الجزء الثاني

# المرأة في إطار الملكية



## الملكة ودورها

### مكانتها

من ملاحظتنا للمكانة التي كانت تحتلها الالهات في أحداث مختلف الأساطير المصرية ، نستطيع أن نستشف الدور الرفيع ، الذي كانت تقوم به الملكة زوجة الفرعون ، أو « الزوجة الملكية الكبرى » ، تلك التي يجب أن تلد وريثا للعرش . وسوف نجد بعد ذلك أن هناك نساء أخريات يكملن هذه الامبراطورية النسائية الساحرة التي يتبوا عرشها ملك مصر ، ولكن الأمر يتعلق هنا قبل كل شيء ، بمجموعة نساء الناج ، .

ونلاحظ منذ الأسرة الأولى سواء من حيث عدد مقابر الملكات (١) ، من ناحية ، أو من حيث ما تدل عليه مظاهر فخامتها (٢) المتبقية ، من ناحية أخرى ، أهمية الدور الذي كانت تقوم به الملكة على مر حقب التاريخ المصرى القديم ، وازدياد مكانتها وسوخا ومقانة .

ومما لا شك فيه أن وراثة العرش كانت تتم من خلال الملكة . فهي التي كانت « تنقل الجواهر المقدس الى الطفل الملكى » . ومن هذا المنطلق ايضا كانت الضرورة تستلزم أن تكون الملكة نفسها ابنة لأحد الفراعنة وكان يترتب على اقترانها أحيانا بأحد المطالبين بالعرش أو الطامعين فيه ، أى كوريث غير مباشر ، أن تنقل الدماء الملكية الشمسية الى ابنائه . إذن ، فحقوق الأم أو الابنة الملكية كانت من الأولويات ، وهذا ما أكدته وأثبتته منذ أكثر من ألفى عام ، المؤرخ « مانيتون » الذى ذكر أن ملوك الأسرة الثانية قد أقروا بشرعية اعتلاء المرأة للعرش ، شرعية مطلقة ، ويعتبر المؤرخ « تيودور » المتخصص فى دراسة القوانين الفرعونية ، أن نفس هذا القانون المدون كتابة معروف منذ الدولة القديمة .

### الزواج بين المحارم فى البلاط الملكى

#### بين الأخوة والأخوات :

والتطبيق « المثالى » هو بدون شك الزواج الملكى بين الأخ وأخته المنحدرين من نسل الفرعون ، وهذا يعتبر تقليدا فعليا لما كانت تفعله



الآلهة ، وبصفة خاصة في أحداث أساطير الخلق ( ففي أساطير  
ميرمبوليس ، الإسمونيين ، لم تكن العناصر الذكورية والأنثوية الخالقة  
أزواجاً كاملة التكوين ، ولكنها كانت مشتقة من الجوهر الإلهي ، تتناثر  
الجنس ) . ولنرجع بذاكرتنا إلى الآلهة الأخوة الأزواج : شرس ،  
و ، تقوت ، و ، جب و ، نوت ، و ، وكذلك الآخرين الزوجين ، أوزيريس ،  
و ، إيزيس ،

وعلى مدى التاريخ نجد أن الأميرة المالكة - تلك المؤسسة المقدسة  
التي كانت الضرورة تحتم الإبقاء عليها - كانت تلجأ إلى ذلك السلوك  
في نطاق فروعها الأسامية ، وكلما أمكن ذلك للإبقاء على قداسة الوراث  
الفرعونية . فمثلاً ، في الأميرة الرابعة ، نجد أن الملك ، ددف رع ، قد  
تزوج من أخته ، حتب حرس ، الثانية ، ذات الشعر الذهبي المستعار .  
أما أحسن محرم مصر ، فقد دون على لوحته القائمة في أبيدوس ، أن  
وأخته / زوجته ، أحسن نفرتاري ، يتحدران من أب واحد وأم  
واحدة ، هما : داحح حتب ، و ، سقندر ،

وقد طبقت مصر في عصرى الإغريق والرومان هذه القاعدة تطبيقاً  
كاملاً ، ويتضح ذلك في زيجات آخر ملوك البطالة ، وبصفة خاصة زيجات  
الملكات المسح اللاتي حملن على التوالي اسم ، كتيوباترة ،  
ولكن تضاف لينة الملك على قرينها السلطة والنفوذ الفرعوني كانت  
تزوج أخيراً غير الشقيق ، كما فعلت حتشبسوت ، أو تتزوج أيضاً  
بقريب أكثر بعداً عن الأسرة الملكية ، كما فعلت ، حتب حرس ، التي  
تزوجت ، سقرو ، ومهدت له بذلك الطريق إلى العرش . ولكن ، علينا  
أن نعرف أن نفس القاعدة قد لاقت على مر العصور الفرعونية بعض  
الاستثناءات التي يعرفها الكثيرون . وهناك البعض الآخر ما زلنا نجهل  
حتى الآن .

لقد عرفنا أن الملك ، نبي الأول ، - في الأميرة السادسة - قد  
تزوج شقيقتين أو ربما نصف شقيقتين وكانتا تحملان نفس الاسم :  
« مروت رع عتخ لن اس » ، وهما ابنتا أحد وجهاء مدينة « أبيدوس » ،  
وينسب « خوى » (٢) وفي أولئك الأميرة الثامنة عشرة ، كان الملك أحسن  
يقترن بان أباه وأمه أخوان من الأميرة المالكة ، وأن جدتهما المشتركة  
هي السيدة « تيتي شيري » ، التي تزوجت ملكة ، ومع ذلك ، فإن الآثار التي  
عثر عليها بمقبرة تيتي شيري (٤) هذه ، تبين أنها كانت تتحدر من أصل  
متوسط الحال . ولأنك أن تاريخ مصر يزخر بكثير من الاستثناءات في  
هذه القاعدة ، فالتأكد بحور محب ، قد استطاع بكل سهولة الاستيلاء على  
مقاييد الحكم ، - في أواخر عصر العمارنة - ودغم من شرعية استيلائه

على الحكم بزواجه الثاني من الأميرة ، موت نجمت ، التي يعتقد أنها  
شقيقة للملكة ، نفرتيتي ، . فإذا كان هذا صحيحاً ، أي أنها كانت  
فعللاً شقيقة ملكة ، بل العمارنة ، الرائعة ، فهل كانت ، نفرتيتي ، أميرة  
ملكية فعلاً قبل أن تتزوج من ، أمنحتب الرابع ، . اننا ، حتى يومنا  
هذا لا نعرف من هم أجداد أو والدا نفرتيتي أشهر ملكات قدماء  
المصريين .

ويمكننا التوصل إلى بعض الاستنتاجات الماثلة ، فيما يختص  
بمؤسسى الأسرة التاسعة عشرة ، أي مجموعة الملوك الرعامسة ، الذين  
عرفت هوية زوجاتهم المعظمت ، فالملكان الأولان ، رمسيس وسيتي ،  
كانا يشغلان وظيفتين كبيرتين ، ثم قام ، حور محب ، بتعيينهما في منصب  
وزاري كبير ، وتوفى دون أن يترك وريثاً للعرش .

وبذلك استطاع كل من ، رمسيس الأول ، و ، سيتي الأول ، أن  
يتقلدا الملك على التوالي ، تصاحب كل منهما زوجته . وكانت زوجة  
، رمسيس ، تدعى ، سات رع ، ، أما زوجة ، سيتي ، فكانت تدعى  
، توى . وهاتان الزوجتان انحدرتا من سلالة أبوين عسكريين ، وهما  
من سيدات المجتمع اللاتي ساهمن في ممارسة طقوس عبادة آمون .  
فإن هي الدعاء الملكية عند هؤلاء ، القوم ، ؟ .

ولدينا مثال نمونجي - وأكثر توضيحاً - لهذه الظاهرة ، ونعني  
به زواج ، تي ، من ، أمنحتب الثالث ، الذي لم يكتف بخلع أرفع الألقاب  
في البلاط الملكي عليها ، أي ، الزوجة الملكية الكبرى ، ، وتمادى في  
تحديه الواضح ، ففرض هذا القرار وذكر أنه لن يسمح لأحد بمناقشته .  
ثم أصدر سلسلة من الجمارين التاريخية الضخمة (٥) التي سجل  
عليها تذكارات زواجه من هذه الفتاة التي تنتمي إلى عامة الشعب ، تي ،  
ابنة أحد الكهنة ، وأحدى الكاهنات بمدينة ، أخميم ، في مصر العليا .  
وكانا يدعيان ، تويا ويويا ، ويبدو أنهما أصلاً من بلاد النوبة السفلى .

### بين الآباء والبنات :

علينا أن نعرف دون شك الوسيلة الملتوية التي كان يتم بها التوصل  
لنقل الدم الملكي المقدس بالرغم أن الزواج المحرم بين الأخوة والأخوات ،  
لم يكن دائماً . ففي أجواء البلاط الملكي ، لوحظ وجود زواج محرم آخر ،  
- ولكن لأغراض عقائدية بحتة - ألا وهو الزواج بين الأب وابنته .  
فلو أن مصادرتنا كانت أكثر شمولاً ، لاستطعنا أن نلم بواقعة وردت  
الينا من مصادر العصر المتأخر ، تحكى أسطورة غرامية بين « منكاور رع » ،  
واسنقه (٦) ، من الدولة القديمة . أما في الدولة الوسطى ، فإن الأحداث  
تؤكد زواج الملك ، أمنمحات الثالث ، من ابنته ، نفرو بتاح ، (٧) .



أما عن الحالات الأكثر تأكيداً ، فهي ترجع الى الدولة الحديثة خاصة وأن الوثائق التاريخية الخاصة بتلك الفترة حفظت لنا كاملة نجد ، أمحنتب الثالث ، الذى كانت ترافقه دائماً الجميلة الرائعة ، التى يقال عنها لفتنتها الفاتكة أنها كانت ، بومبادور ، الأسرة الثامنة عشرة ، ( الكونتيسة دى بومبادور كانت من أجمل جميلات فرنسا فى القرن الثامن عشر ) ، وبالرغم من ذلك تزوج من ابنته ، سات آمون ، وجعل منها زوجته الملكية الكبرى الثانية ، ولم يكتب ، أمحنتب ، بهذه الوريثة ، بل تزوج كذلك من واحدة أخرى من بناته ، وهى ايزيس ، وربما قد تزوج أيضاً من بعض شقيقاتها الأخريات .

وأشهر هؤلاء ، الآباء - الأزواج ، من الفراعنة المرموقين فى الدولة الحديثة هم : أمحنتب الرابع ، ورمسيس الثانى ، ورمسيس الثالث ، وبالنسبة لأمحنتب الرابع ، فقد ، تشرفت ، ثلاث من بناته بالزواج به ، ومن : مريت آتون ، كبراهن التى أنجب منها ابنته (٨) ، مكت - آتون ، أما ابنته وزوجته الثانية ، فقد توفيت غالباً أثناء عملية الولادة ، والابنة الثالثة التى تزوجها هى ، عنخ اس ان با آتون ، التى أنجبت له وريثه (٩) وبعد أن توفى أمحنتب تزوجت ابنته هذه من ، توت عنخ آمون ، (١٠) ، وإلى يومنا هذا فإن أسباب مثل هذه الزيجات غير مؤكدة تماماً ، فهل كان الملك بعمله هذا يحاول أنجاب وريث للعرش ، وخاصة أن ، نفرتيتى ، لم تنجب له سوى ست بنات ؟ وكان عليه مع ذلك ، أن يظل وقفاً لعنصر وسلالة زوجته الكبرى ؟ ... على أية حال فإن كل هذا غير مؤكد .

وعموماً فأننا لا نستطيع أن نجزم أن هذا هو الدافع الذى جعل رمسيس الثانى - ، شمس مصر - ، الذى أنجب ذكورا عديدين ، يتزوج من كبرى بناته التى أنجبها من ، ايزيس - نفرت ، ، و ، تفسرتارى ، الزوجتين الملكيتين الكبيرتين (١١) ، كما تزوج بأخريات غيرهن أيضاً ، ولعلنا لا ننسى أيضاً زواجه من صغرى بناته ، وتدعى ، حتوت - مى - رع ، (١٢) . هذا بالإضافة الى أن الملك الذى عاش لسنوات عديدة ، وأمد حكمه طوال ٧٦ عاماً ، سار على نفس نهج ، أمحنتب الرابع ، ، وأنجب ابناً من كبرى بناته وهى أميرة ما زالت مجهولة صورت فى مقبرة ، بنت عنات ، على أنها ابنة وحفيدة ملك ... ترى ، ما هو الدافع الذى كان يدفع بهؤلاء الملوك المحاطين بأجمل نساء مصر ، بل بنساء العالم المعروف فى تلك الحقبة التاريخية ، لأن يتزوجوا بناتهم ؟

لا شك أن هذه الدواعى والأسباب ، كانت ترجع قبل كل شيء الى الطقوس والمعتقدات الخاصة بمفهوم المجتمع الالهى ، الذى يركز على ضرورة الوجود الدائم للعنصر المقدس فى السلالة الملكية .

فالفرعون ، قبل كل شيء ، هو تجسيد للاله ، الخالق ، ، آتوم ، ، وأحياناً أيضاً ، رع ، ، أما زوجته ، فهى أما ، موت ، ، او ، ايزيس ، ، او ، حتحور ، ، وهى أيضاً ، تفنوت ، ابنته وزوجته ..... بل هى ، يده ، ، وهنا ، نجد انفسنا امام أكثر النظريات واقعية ، فى مجال الخلق ، حيث تسمى رفيقة ، رع ، ، نبت - حتب ، ( وترجمتها : سيدة المنعة ) ، بعد أن اتخذت مظهر الالهة ، يوسعاس ، Toussâas ، أى التى تبين حيوية ونشاط الخالق ، و ، يوسعاس ، تعنى : انها تتقدم ، انها تنمو ، .

و ، تفنوت ، التى نراها فى اسطورة ، الالهة البعيدة ، ابنة ، رع ، وعينه المربعة اللطيفة فى ان واحد ، هى نفسها الالهة ، ماعت ، ، التى تعمل على انعاش حيوية الاله الأعظم اللازمة لأجل حياة مصر ، ويتجسد هذا الاله نفسه فى جسد الفرعون فوق الأرض ، ، اذن ، فالفرعون سواء كان ينحدر من أصل ملكى او من طبقة أقل سموا ، فهو يتمتع بطاقة الهية كاملة ، وبمجرد أن يعتلى العرش ، تستلزم الضرورة تأكيد هذه الطاقة ورعايتها وتجديدها بالطقوس الواسعة المدى ، ونفس هذه القوى المستمدة من العالم الالهى اكتسبها الفرعون ، فى نهاية الامر من أمه الملكة ابنة الملك ، وسليلة الأمراء أو نبيلة من النبلاء ، ولكنها فى نفس الحين ، مرت بتجربة ، المعاشرة الالهية ، ، أو بمعنى آخر ، ، أنها استقبلت الاله الأعظم فى فراشها ، ليلة زفافها ، الذى تجسد فى هيئة زوجها الفرعون ، ولذا ، فإن الملك « عن طريق أمه » التى شرفها الرب قد توج من قبله ، وريثاً للاله الخالق ، ومما هو جدير بالذكر ، أن الآثار القليلة الموجودة فى معابد العصور الأولى لم تحتفظ لنا بشيء يذكر عن هذا النوع الخاص بالطقوس الأساسية ، ولكننا نستطيع أن نرى مثل هذه المناظر الخاصة بفراعنة الدولة الحديثة بالدير البحرى مثل الملكة ، ، آموسى ، ، أم « حتشبسوت » ، وبالأقصر نجد مناظر خاصة بالملكة ، ، موت أم أويا ، أم « أمحنتب الثالث » ، ونشاهد فى أطلال معبد ، ، الرمسيوم ، المناظر الخاصة بالملكة ، ، توى ، ، والدة ، رمسيس الثانى ، ، وإذا رجعنا الى بردية « وستكار » ، ، وقرأنا النصوص التى تسرد بعض أحداث الدولة القديمة ، فأننا نطالع فى إحدى قصصها الرائعة ، حكاية زوجة أحد كهنة « رع » ، ، التى تشرفت بزيارة الاله الخالق ، وبذا استطاعت أن تنجب الملوك الثلاثة الأوائل الذين تولوا الحكم فى الأسرة الخامسة .

..... وذات يوم شعرت « ردد جدت » بآلام ( الوضع ) ، وكانت الولادة عسرة . ولذا ، قال الاله « رع » ، رب ساخيو للالهات ايزيس ، ونفتيس ، وسخمت ، وحكات ، والاله خنوم : « اذهبوا



## زواج الفرعون

ليس هناك دليل قاطع يؤكد لنا أن بعض الزوجات الملكيات العظيمات ، كن أصلا أميرات اجنبيات . ومع ذلك فالساريخ القديم يبين لنا أن بعض الأميرات الاجنبيات قد أصبحن زوجات من الدرجة الثانية لبعض الملوك . ففي خلال عصر الأسرة الخامسة يبدو أن الملك « ساحورع » قد استقبل في بلاطه أميرة وافدة من مدينة « جبيل » . كذلك فإن بنات الفرعون كن يستطعن الزواج من أمراء « جبيل » خلال عصر الدولة الوسطى . وفي أواخر عصر سيطرة « الهكسوس » على مصر ، يبدو أن الأميرة « مريت » والتي تزوجت من أحد الفزاة ، ويدعى « أبو فيس » ، كانت هي إحدى جدات الملك « أمنحتب الأول » .

وبالنسبة لملوك الأسرة الثامنة عشرة فقد كانوا يملكون ضمن حريمهم نساء شقيقات عريقات النسب والمنبت . مثل الأميرات الثلاث السوريات اللاتي كن ضمن حريم تحتمس الثالث ، واللاتي دفن معا في جنوب « وادي الملكات » . وكذلك الحال بالنسبة لأميرات « ميتاني » اللاتي أرسلن إلى بلاط الفرعون . ومما هو جدير بالذكر أن تحتمس الرابع لاقى صعوبات جمة لكي يتم زواجه من ابنة حاكم « ميتاني » (١٦) الملك « ارتا - نا - ما » في نفس الوقت الذي تمت فيه المعاهدة بين الملكين ، لكي يتمكنوا من النضال معا ، ضد الحيثيين ، عدوهم المشترك حينئذ .

وقد قام الملك « أمنحتب الثالث » ابن « تحتمس الرابع » في العام العاشر من حكمه بعقد زواجه على ابنة « شوتارنا الثاني » أمير « نهارينا » . وهناك مجموعة من الجعارين نحدد الاحتفال بدوم الأميرة « جيلوكيا » إلى مصر برفقة حاشية مكونة من ٢١٧ من السيدات والخدم . ولكن ، لم يعثر على أي أثر لهذه الأميرة ، بصفتها الزوجة الملكية الكبرى . ولم يعثر أيضا على ما يفيد ذلك من خلال الكتابات الموجودة على ظهر الجعران الذي صدر لإعلان نيا هذا الزواج . أما الملكة « تي » التي كان نبيل وعراقة عائلتها يحف بها ، فقد كانت تحتل دائما مكان الشرف والصدارة . وهناك أيضا أميرة أخرى من نفس العائلة تدعى « تادوخيا » والتي وصلت إلى البلاط الملكي بعد وفاة « أمنحتب الثالث » بفترة قصيرة ، ودخلت ضمن حريم « أمنحتب الرابع » الذي كان قد تزوج أيضا خلال فترة حكمه من إحدى بنات أمير « آرزوا » المعروفة باسم « نارخوندارادو » . وقبل أن تغادر هذه الأميرة بلدها الأصلي إلى مصر ، سكب على رأسها الزيت المعطر علامة على ارتباطها بالفرعون ومن المعروف أيضا أن حريم « أمنحتب الرابع » قد استقبل في رحابه

ومساعدوا « ردد جدت » في وضع الأجنة الثلاثة الموجودين في أحشائها ، والذين سيومون بعد ذلك بأعمال طيبة ، في أنحاء هذه البلاد . وسوف يقومون بتشديد معابلكم ، وسيقدمون القرابين والهبسات لبياكلكم ، ويفضلهم سوف تزدهر الموائد التي يقدم عليها النبيذ . وسوف يعملون على زيادة قرابينكم ، ورحلت هؤلاء الآلهات بعد أن تحولن إلى رائصات وموسقيات ، يصحبهن الآله « خنوم » ، حاملات أمتعتن ، ووصلن إلى بيت « رع أوسر » ( ..... ) الذي قال لهن : « سيداتي ، انظرن ، أن سيدة هذا البيت تعاني من آلام الوضع ، وولادتها متعسرة ، فأجبنه : هل تسمح لنا برؤيتها ؟ ..... فنحن نستطيع مساعدتها في عملية الوضع » (١٢) .

وبعد أن عملت الربيات على وضع الأطفال الثلاثة ، وكان يبلغ طول كل واحد منهم حوالي ذراع ، وكانت أعضاؤهم موشاة بالذهب ، ورووسهم محلاة بالكامليل من اللازورد ، توجهن إلى الآله الأعظم « رع » ، والدعم وطلبن منه أن يقوم بمعجزة من أجل هؤلاء الأطفال ، وصنعن من أجلهم ثلاثة تيجان ملكية .

وربما كان الفراعنة يرغبون بزواجهم من زوجات غير منحدرات من أصل ملكي ، وبزواجهم من بناتهم أيضا ، أن ينقلوا اليهن جزءا من هذا الإشعاع المقدس الذي جعل منهم آلهة مجسدة فوق الأرض . لقد كان هؤلاء الملوك مؤلهين فوق الأرض ( مثل حالة الملك أمنحتب الثالث ، وأمنحتب الرابع ، ورمسيس الثاني ) وبهذا ، كانوا يحولون بناتهم إلى ملكات مؤلهات بزواجهم منهن ، وكذلك الأمر بالنسبة لأي وريث أو وريثة ينجبون منهن ، وبذلك كانت تحمل وتنقل الدماء الإلهية .

وأخيرا فمن المعروف أبان حكم رمسيس الثالث ، أن بناته كن وفنا للمطقوس الدينية السائدة يقمن بدور « الأيدي المقدسة » خلال احتفالات الأعياد اليوبيلية (١٤) .



اميرة بابلية وهي ابنة الملك « بورنا بورياش الثاني » . ومما هو جدير بالذكر أيضا أن هذا الملك كان قد أظهر امتعاضه وضيقة الشديد ، لأن مصر لم تبعث إلا بخمس عربات ، لصاحبة وحراسة ابنته الأميرة الخطوبة .

## الأم الملكية

### وصية على العرش منذ الدولة القديمة :

كانت الملكة الوصية على العرش تقوم بدور بالغ الأهمية بجوار ابنها ، فكانت تمارس سيطرتها وتأثيرها عليه بصورة مؤكدة منذ البداية خلال فترة شبابه الأولى . وكانت إذا فقد ولي العهد أبيه ، تقوم بدور الوصاية الفعلية ، وهو دور يختلف وفقا لظروف ولم يتم تحديده قانونيا . وهذا هو عين ما حدث في عهد الملكة « مري رع عنخ أن اس » ، أرملة الملك « بيبي الأول » الذي توفي خلال فترة طفولة ابنها ( ١٨ ) .

وبذا ، كان الملوك الفراعنة يقدمون لرعاياهم البسطاء المثال الواضح لاجلالهم وتبجيلهم لامهاتهم ، وبعد وفاة هؤلاء الأمهات ، كن يدفن في قبور خاصة أعدت وفقا للطقوس المعتادة . وكانت الأثاثات والمتعلقات الجنائزية التي تمثل الأدوات الخاصة بهن في حياتهن على درجة كبيرة من الأهمية . وهذا هو ما يدل عليه ما تبقى من أثاث ومجوهرات الملكة « حتب حرس » ، زوجة الملك « سنفر » و أم الملك « خوفو » ، فقد عثر على أثاثها ومجوهراتها بعد موتها ، في أعماق بئر بشرق الهرم الأكبر الخاص بوريث العرش ، وهي تبين ما كان يحيطها به ابنها من اهتمام ورعاية ، وكان أثاثها الجنائزي عبارة عن مقاعد فخمة مطعمة بالذهب ، وسرير على مستوى صناعي وفني رفيع من خشب الأبنوس ، وهناك أيضا كرسي المحفة المزين بشرائط من الأبنوس والمطلي بالكتابات الهيروغليفية المذهبة والتي تتحدث عن هذه السيدة الجليلة ، الوصية على العرش ، وكذلك عثرنا على مظلة سريرها الخاص بحجرة نومها ، والصندوق الكبير دقيق الصنع الذي يحتوى على متعلقاتها وأدواتها ، وصدرية صغيرة مرصعة بالأحجار الكريمة والذهب ، وأساور مزينة بأشكال جميلة على هيئة أجنحة الفراش المزركشة بالأحجار نصف الكريمة ، وعشر كذلك ضمن حاجياتها وأدوات تجميلها على شفرات من الذهب .

وفي الواقع فإن الأجنبية الوحيدة التي أصبحت فعلا زوجة ملكية كبرى ، ولأسباب دبلوماسية استثنائية هي ابنة « خاتوشيليش » ملك الحيثيين . والتي عمدت وفقا للطقوس الدينية المصرية عندما تقابلت مع « رمسيس الثاني » وعند وصولها إلى حدود مصر ، أطلق عليها اسما جديدا ( مصرية ) هو « مات حور نفرور رع » أي « تلك التي ترى حورس في قوة رع الخالقة » ثم تزوج رمسيس أيضا وبعد فترة وجيزة بأحدى شقيقات زوجته الحيثية هذه ، والتي قدمت إليه بجهاز لا يقل فخامة عن الذي قدمت به إليه اختها الكبرى . وصورت لنا « لوحة الزواج » التي أمر الملك « رمسيس الثاني » بنقشها على الحائط الجانبي الجنوبي لمعبد أبو سمبل الكبير ، قران الأميرة الحيثية الأولى ، وبعد هذا هو المنظر الوحيد للاحتفالات التي كانت تقام بمناسبة الزواج الفرعوني بمصر . والمنظر العام المنقوش في جزئها العلوي يمثل الفرعون جالسا تحت مظلة يحيط به الإله « ست » - رب أسرته - والإله « بتاح تاتن » المهيم على خلق الكون وتجديده . وأمام الفرعون تقدم الأميرة الحيثية مرفوعة الرأس والذراعين كدليل على التعبد يتبعها أبوها « خاتوشيليش » في نفس الوضع . وهذا هو منظر وصول الزوجة الجديدة إلى قصر الفرعون برفقة أبيها ، الذي اصطحبها إلى مصر ( ١٧ ) .

ويمكننا أن نشير أن هذا الحفل أقيم داخل قاعة التشريفات بقصر الفرعون ، الذي كانت الزوجة الملكية الكبرى الجديدة ستدخله بالتأكيد . ومع ذلك ، فليست هناك أية تفاصيل أخرى تبين لنا بقية المنظر . وعموما ، فلا بد أن حفل الاستقبال الذي أعد لقدم الزوجة الجديدة ، كان فخما ورائعا . ولا شك أن رمسيس الثاني ، كغيره أيضا ، قد استقبل في حريمه أميرات عديدات بابليات ومن شمال سوريا .

وفي نهاية الدولة الحديثة ، أصبح اختيار الزوجات الملكيات المعضمت أقل صرامة . وذلك لأن معظم من تبوأ العرش بعد ذلك كان ينتمي إلى حد ما إلى جذور أجنبية . ألم يكن الملك « سبتاح » ابنا للملكة « سوتيلجا » الآسيوية الأصل ؟ ويلاحظ كذلك أن بعض الزوجات الدبلوماسية كانت تتم أحيانا بين بعض الأميرات المصريات وبعض الملوك الأجانب . فلقد تزوج الملك سليمان ، غالبا ، بأحدى بنات الملك سأمون ، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين . وكان المهر « غزة » تلك المدينة التي تكاثرت القوى على امتلاكها دوما .



## امهات ابطال التحرير :

ونفس هذا التبجيل والاحترام ، قدمه لأمه أيضا ، الملك « أحسن » ، محرر مصر من احتلال الهكسوس ، عند وفاة « اعح حتب » العظيمة الوصية على العرش في عمر متقدم للغاية ، ربما كان يناهز اربعة وثمانين عاما . وكانت هذه الملكة ارملة الملك « سقننرع ناعا الثاني » الذي استشهد في احدى معاركه الحربية . ولا شك أنها قد مرت بأوقات عصيبة عند استشهاد زوجها والذي تلاه بعد وقت قصير استشهاد ابنها الأكبر « كامس » .

بعد ذلك ، تولت الوصاية على « أحسن » ابنها الوريث الثاني لعرش والدي كان حينئذ صغير السن . ولقد حلت مكانه بالعاصمة عند ذهابه الى ساحة القتال ، ليقوم أخيرا بتحرير مصر في العام الخامس من حكمه . ولقد اقام أحسن لوحة كبيرة بالكرنك تبين لنا لى أى مدى تمكنت هذه الأم والملكة المثالية من تحقيق استمرارية الأسرة بفضل نشاطها وانجازاتها في مختلف قطاعات شعبها . واستطاعت بذلك أن تقوى وتدعم الأسرة التى يتركز عليها العرش . وتمكنت من اقناع واستمالة المعارضين ، بعد أن عملت على توحيد الأغلبية العظمى في أنحاء البلاد .

ولكن تختلف آراء علماء المصريات حول أمر واحد فقط بخصوصها : فلقد كانت هذه الملكة الأم متوقدة حماسا ، ودبلوماسية قديرة وتتمتع بتفكير منظم ، ولكن هل وصلت مهارتها لدرجة أنها تمكنت من التوحيد بين جيوش مصر ، واستكمال مهمة تحرير الوطن ، النهائي ؟ (١٩) وبالرغم من ذلك ، فإننا نستطيع الوثوق من هذا عند قراءة عبارات المديح والثناء التى وجهها « أحسن » لأمه ، وفيها يهيب بجميع رعاياه ، بأن يدينوا لها بالولاء والطاعة :

« اثنوا على سيدة البلاد ، وملكة شواطئ المناطق النائية .

ان اسمها يرفرف على كافة البلاد الجبلية ،

وهى التى تتخذ القرارات الخاصة بشعبها ،

انها زوجة الملك ، وأخت الملك ، فليمتعها الاله

بالحياة ، والصحة ، والقوة .

انها ابنة ملك ، وأم الملك المبجلة .

وهى على بينة بكل الشئون التى توجد في أنحاء مصر .

لقد جمعت بين نبلاء مصر ، وعملت على تضامنهم معا .

لقد أعادت الفارين ، وجمعت المنشقين ،  
لقد جعلت السلام يسود مصر العليا ،  
ودحرت المتمردين .

اعح حتب ، زوجة الملك ، فلتتمتع بالحياة (٢٠) .

انها الملكة الوصية على العرش ، التى تحلت بالحزم والارادة عندما أرغمها القدر قسرا على أن تعاصر ، على التوالى ، تعاقب ثلاثة فراعنة ، وهى بدون شك أول امرأة في التاريخ تنال وساما عسكريا (٢١) . ولقد وجد « أحسن » أن التصرف الطبيعي والعادل يلزمه بأن يرفق مع مومياء أمه المبجلة بعض التذكارات المرتبطة فعلا بشجاعته الاسطورية ، مثل قلادة على شكل ذبابات ذهبية كبيرة كوسام عسكرى ، وخنجر صغير منقوش عليه اشكال لبعض الحيوانات رمزا لطرد الهكسوس من مصر بفضل الجيوش المصرية الباسلة .



شكل (٧) وسام الذبابة العسكرى

اذن ، لا ريب مطلقا انه في بداية الأسرة الثامنة عشرة ، كانت توجد سيدات فريديات من نوعهن : لعل أولهن الملكة « تيتى شيرى » التى رجه اليها أيضا حفيدها الملك ، « أحسن » (٢٢) ثناءه ومديحه ، وعندما قام بتنصيب « أحسن نفرتارى » كزوجة ملكية عظمى حاملا تخطت اعتبار الشباب اليافع ، ووفقا للمراسيم (٢٣) أصبحت بلا شك السيدة الأولى في البلاط ، واحتلت المكانة التى كانت تحتلها « اعح حتب » (٢٤) . وفى هذه الفترة لم يكن ابنها « أمنحتب » قد تعدى العاشرة من عمره . ولا ريب أنها ، مثل من سبقتها من ملكات باسلات ، قد تولت الوصاية عليه . وتمثلها الكثير من المناظر فى صحبة ابنها « أمنحتب الأول » فى عدة حالات دينوية ، بل وبعد الممات أيضا . فهما قد عبدا كشخصيتين مقدستين ، بل والهيمن من آلهة عمال « الجبانة الملكية » .

ومن الملكات الامهات الاخريات ذوات الشخصية الفذة القسوية ، واللاتى تتوفر لدينا معلومات صحيحة عنهن ، يمكننا ان نذكر الملكة



« تي » Tiy « من الأسرة الثامنة عشرة ، والملكة « توي » Towy « من الأسرة التاسعة عشرة ، واللتي احتلتا مكانا مرموقا بارزا في اطار امرتيهما »

« تي » أم الملك أمنحتب الرابع :

قامت الملكة « تي » (٢٥) المصرية المنبت والتي لا تنتمي الى أصل ملكي ، بدور فائق الأهمية بجوار ابنها « أمنحتب الرابع » . ويتفق معظم الكتاب بمسئوليتها (٢٦) في مجال التعديل والاصلاح الديني ، الذي قام به ابنها . وان لم تكن هناك في الواقع أية كتابات توضح لنا آراء وافكار الملكة الأم . ومع ذلك ، فان « أمنحتب » كان يعاني من ضعف جسماني واضح ، في مقبل سنوات حكمه ، يضاف الى ذلك أهمية الدور الذي كانت تقوم به الملكة بجوار ابنها مثل قيامها بزيارته بمفردها فترات عديدة ، في العاصمة الجديدة وأعمال أخرى نستوضحها من المناظر المنقوشة على جدران مقابر العمارنة . كل ذلك يسمح لنا بأن نقبل مثل هذا الافتراض الذي يوضح مسئوليتها في التغييرات والاصلاحات الدينية التي قام بها ابنها .

ولقد قام « أمنحتب الرابع » ، أو بعبارة أخرى اخناتون ، بتخصيص معبد خاص بأمه ، في العاصمة الدينية « اخناتون » ، تل العمارنة ، حاليا ، وكذلك قصر خاص بها وكان يعمل به مساعدها ونائبها الدعر « حوى » الذي دفن بالعاصمة الجديدة بناء على رغبته . والمناظر المنقوشة بمقبرته توضح لنا موقف الملكة الأم الفعلي ، حيال ما قام به ابنها وزوجة ابنها « نفرتيتي » وموقفها هي تجاه تلك العقيدة . ويبدو انها بصفة عامة كانت تفهم وتستوعب هذه العقيدة الجديدة وتشجعها . بل من المحتمل انها كانت توحى بضرورة تبسيط وتوضيح معاني تلك الديانة المتخمة بالكثير من « النقد » الذي يناقش ويعلق على العديد من المظاهر الالهية .

وكانت الملكة تقيم غالبا في المقر الملكي الجديد الذي يعرف باسم « الملقطة » ، والمواجهة لطيبة في أوائل الحكم ، والذي يحمل اسم الاله « آتون » ، مما يبين مدى مؤازرتها للدين الجديد . وبالفعل ، أطلق على هذه المدينة اسم « نب ماعت رع » ، « بهاء آتون » و ( نب ماعت رع ، هو اسم التتويج للملك أمنحتب الثالث ) . كما أن المركب الملكية التي كانت تمخر عباب النهر ، كان يطلق عليها أيضا : « جلال آتون » .

ولا شك أن تلك المرأة فائقة الذكاء والفتنة وجدت نفسها مضطرة أن تكبح جماح بعض « المبالغات » التي أوشكت أحيانا أن تؤدي الى

تدمير كل ما فعله . . . . . ويتضح لنا الدليل على ذلك في مقبرة « حوى » حيث نجد منظرين فريدين من نوعهما ، يمثلان إحدى المادب التي أقامها الزوجان « اخناتون ونفرتيتي » للملكة « تي » والتي نراها بمفردها دون زوجها . ومن الواضح أن النفوس تبدو في شكل مبتكر فعلا ، بل ومغيرة للانتباه . ومنشغزة الى حد ما . سمراء بسبب أسلوب النقش الرائعي ، أو بسبب طريقة رسم الأشخاص . فنحن نرى مرحطين للوليمتين : الأولى ، يبدو فيها الملك وزوجته وأمه وهم يتناولون شرايبهم ، حيث نجد الملكة « تي » وهي تهم مثل ابنها وزوجته برفع كسها الى شفيتها . والمنظر هنا ، يتطابق مع أصول القواعد التي كانت سائدة قبل الاصلاح الديني . ويبدو أيضا أن الملكة « تي » كانت راضية تماما بأن تكون مظاهر البيئة المحيطة بها على شيء من التحديث : فمثلا ، نرى في نفس المنظر الملكة « تي » وحفيداتها ومن يشترك في هذا الحفل . فوجود هؤلاء الحفيدات الصغيرات يضيف لمسة أسرية رفيعة على مثل هذا المنظر الذي يمثل مناسبة رسمية بالقصر . بل إن نفس الأسلوب الفني قد طرأ عليه تغيير واضح . فصورة الملكة « تي » نقشت على النمط الفني الحديث .

أما في المنظر الثاني ، فاننا نرى الزوجين « المصلحين » وهما يلتهمان بنهم شديد قطعة من اللحم . وتحت أقدامهما نجد اثنتين من بناتهما الصغيرات تقومان بتقليدهما وتقربان من فمهما أيضا بطنين صغيرتين محمرتين .

ونرى في هذا المنظر كذلك ، الجدة « تي » وقد حضرت هذه المادبة وشاركت فيها ، ولكنها لم تقبل أن تبدو وهي تشترك مع بقية أفراد اسرتها في هذه المادبة الجماعية . فهي هنا لا تقرب أي طعام من شفيتها واكتفت فقط برفع يدها نحو فمها . لقد أطاح ابنها بكافة المعتقدات الدينية القديمة . وتجرا على تحدى التقاليد المقدسة . ويبدو أن الملكة « تي » توافق على ما يحدث حولها . وانحازت الى جانب الاصلاح بصفة عامة ، ولكنها تنصف أيضا بالحكمة والتعقل وتخشى بدون شك ما قد يحمله المستقبل من ويلات ، فلم تحاول الملكة الأم أن تصدم البعض بقطع أواصر الصلة تماما مع بعض العادات والتقاليد التليدة المتوارثة من أعماق الماضي .

الملكة « توي » والددة ومسيس الثاني :

أما عن « توي » والتي كانوا يلقبونها أيضا في حياتها بـ « موت توي » ، أو يدعونها ببساطة « موتي » فهي والددة ومسيس الثاني . وكانت تحتل مكانة مرموقة بجوار ابنها (٢٧) . ونستطيع أن نراها



## الزوجة الملكية العظمى

### الدور الذى كانت تقوم به

قد تنحدر زوجة الملك من أسرة ملكية فعلا ، أو تكون نبيلة من النبيلات وتشترك فى بناء أسرة جديدة . وقد تكون واحدة من عديدات يختار الأمير من بينهن « الزوجة الملكية العظمى » التى ترافقه عند اعتلائه للعرش . وفى كافة الأحوال فقد احتلت على عرش مصر مكانة من الدرجة الأولى من الأهمية ، واندمجت دائما فى المنبت الإلهى الذى انبثق منه زوجها الفرعون . ولكن وثائق الدولتين الأوليين العظميين ( الدولة القديمة والوسطى ) لا تسمح لنا أن نؤكد بشكل قاطع وجود هذه الظاهرة فيهما تأكيدا قاطعا . ومع ذلك ، فإن هناك من يرى أن بعض ملكات الأسرة الأولى مثل « مرنيت » و « نيت حتب » ، ثم بعد ذلك بفترة طويلة « حتب حرس » زوجة الملك « سنفرى » ، مؤسس الأسرة الرابعة ، كن أول من قمن بدور مستشارة العرش .

وقد سبق أن علمنا أن ورثة العرش يجب أن يكونوا أبناء « للزوجة الملكية الكبرى » . أما إذا كانوا ينحدرون من صلب الملك فحسب ، وأهمهم « زوجة ثانوية » ، وفى هذه الحالة يجب ، لكى تدعم « طاقتهم الخارقة » ، أن يتزوجوا من أخت لهم غير شقيقة ، تنحدر من الأبوين الفرعونيين ، أى الفرعون و « الزوجة الملكية الكبرى » معا ، وإذا كان الأمر خلاف ذلك فقد كانت الضرورة تحتم الالتجاء لبعض الحيل التقليدية التى كان يقوم بها الكهنة عن طيب خاطر . فمثلا ، خلال موكب فى معبد « آمون » يقوم وسيط الإله بالاعتراف بشخصية الأمير الوراثة وأثبتات شرعيته ( وهذا هو عين ما حدث بالنسبة للملك تحتمس الثالث ) . ولا شك أن تكرار مثل تلك الأساليب والحيل كان سببا ، فى قيام الملك « أمنحتب الرابع » بثورة هائلة .

اذن ، كانت بنات الأسرة المالكة يقمن بدور ذى أهمية كبيرة . ولقد تزوجت إحدى بنات « خوفو » ، وتدعى « حتب حرس » الثانية من « ددف - رع » ، وبذا أعطت هذا الأمير شرعية تولى السلطة رغم أنه كان

ممثلة فى منظرين على واجهة معبد « أبو سنبل » الكبير ، بجوار الزوجة المفضلة للملك العظيم وأولاده من زوجتيه الأوليين الرسميين . وهى سلة أن الملكة « نوى » قد شاركت ابنها فى اللعبة التى كان يقوم بها ، ألا وهى محاولته العودة إلى الإصلاح الدينى بصورة مستترة حاذقة ، لأن « رمسيس الثانى » لم يكتف فقط بمجرد الادعاء بأنه قد انبثق من الإله ، ولكنه أكد صراحة ألوهيته فوق الأرض . فأمه قد استقبلت الإله آمون متجسدا فى شكل زوجها الملك ، كما سبقنا الإشارة إليه فى موسوع الزواج الإلهى ( ٢٨ ) . بل أن « رمسيس الثانى » قد أضاف على اسم الأم « ابان حياتها » اسم الإله « موت » ، وبذلك قريبا من مرتبة الآلهة بالماجها مع تلك الزوجة الإله « آمون » . ولقد خصص لها « رمسيس » مقبرة فى وادى الملكات على قدر كبير من الفخامة والعظمة . ومع كل ذلك وبعبارة عن المجال الدينى ، وعند اعتاب عالم الآلهة فسان « رمسيس » لم يجازف بخداع الآلهة . وفى داخل المقبرة الخاصة بأمه ، حلق عليها صفاتها الدينيوية الحقيقية فقط . فعلى كافة الجدران المتبقية بالمقبرة لم تدع الأم إلا باسمها « نوى » . أما اسم « موت » الإلهة التى كان « رمسيس » يقرن اسم أمه به فلم نجده .

وخلال الفترة التى تولى فيها ابنها الحكم ، لم يكن مستغربا أن تقوم هذه الأم الملكة ، كما ورد من قبل بشأن « أعج حتب » الجدة العظمى للدولة الحديثة بالعمل على رفاهية البلاد وسؤددتها ، فى حين كان « رمسيس » يواصل ، طوال العشرين عاما الأولى من حكمه ، بذل مساعيه لقرار السلام فى الشرق الأوسط . ولن تصيينا الدهشة عندما يطالعنا اسمها الذى كان يكتب تحت عبارة « نوى » ، قبيل السنة الثانية والعشرين من حكم « رمسيس » ، فى المراسلات الرسمية التى تبادلها بلاط « رمسيس » مع بلاط ملك الحيثيين « خاتوشيليش » . كما راسلت « نوى » ملكة الحيثيين « بودوخيا » ، لتبدي ارتياحها بصدد معاهدة الصلح التى أبرمت بين البلدين ، بل أنها أشارت فى مراسلاتها إلى هؤلاء الذين يعيشون فى بلاد الأناضول البعيدة وإلى هداياها العديدة اليهم من المصنوعات الذهبية والفضية ، والأواني المصنوعة من معادن ثمينة والأقمشة المزركشة التى صنعت خصيصا تحت إشراف جلالتها فى « حريم » مقاطعة الفيوم .



أصغر من أخيه . كما أصبحت ابنة أخت ، خفسرع ، وكانت  
مرسى عنخ الثالثة ، زوجة كبرى للملك ، خفرع ، . وكانت  
ملكيات صغيرات غيرهن استطعن الزواج من بعض كبار رجال  
وإذا تأملنا التمثالين الرائعين المصنوعين من حجر  
وبالحجم الطبيعي (١) للملك ، منكاروع ، وزوجته ، حع مرسى  
الثانية ، وهما يقفان متجاوران وحجمهما متساو تماما ، ويتضح  
الى الأبدية لأدركنا المساواة بين هذين الشخصين الذين يقسم كرم  
بالدور المخصص له . وبالإضافة لذلك فإن الآثار القليلة التي عثر  
عليها في معابد الدولتين القديمة والوسطى تبدر فيها ، الزوجة  
الكبرى ، وهي تقف بجوار الفرعون ، مما يوضح لنا أنها كانت تشارك  
ممارسة الطقوس الدينية ، ليس بصفتها كاهنة تقوم بممارسة الطقوس  
فحسب ، ولكن بصفتها الملكة المكلمة الأسرية للفرعون .

وخلاف ذلك ، فإن ضخامة ونوعية بعض تماثيل الملكات بالدولة  
الوسطى تبين أن الزوجات الرئيسيات للفرعون ، في تلك الفترة ، لم يكن  
أبدا هينتهن وأهلهن ولا الدور الذي كان مقرا لهن القيام به .

والدور الأساسي الذي كانت تقوم به ، الزوجة الرئيسية ، للملك  
يرتكز خاصة على اسداء النصيح والمشورة له . مما ساعدها على اكتساب  
خبرة كبيرة لكي تصبح - إذا دعت الظروف لذلك - وصية على العرش  
أو وكيلة للوريث القاصر باعتبارها الملكة الأم لوريث العرش .  
سيدات الأسرة الملكة الوطنيات :

وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت في فترة مبكرة من بداية الدولة  
الحديثة الزوجة الملكية النظمى ، اعح حتب ، تلك الملكة التي جعلتها  
الظروف تقوم بدور سياسي على درجة قصوى من الأهمية . والذي أقر  
ابنها أحسن بأهميته وكان من أشد المعجبين به . وكانت الملكة ، أحسن  
نقوتاري ، (٢) زوجته وأخته غير الشقيقة ، تتحاور معه على قدم المساواة  
في شئون الحياة اليومية وتناقشه في مشاريعه ، فسرى ، أحسن ،  
وهو يتحدث معها عن آيات الاحترام والتقدير الذي يكنه لجده ، فأجابته  
أخته قائلة : لماذا تتذكر ذلك الآن ؟ ماذا يجيش بقلبك ؟ ، فأجابها  
الملك : لقد استعدت (ذكرى) والدتي ، والدتي أمي الزوجة الملكية  
المعظمة ، والأم الملكية المتوفاة ، تيتي شيري . حقيقة أنه يوجد الآن  
مقصورة خاصة بها ، بالإضافة الى مقبرتيها في إقليم طيبة وأبيدوس .  
ولكني أقول لك ذلك لأن جلالتي يرغب في بناء هرم ومعبد من أجلها  
في الأرض المقدسة ، وبجوار النصب الخاص بجلالتي ، (.....) ولقد  
أقيم كل ذلك في أسرع وقت .

ولا ريب مطلقا ، أن هؤلاء الملكات العظيمات الأوائل قمن بدور مهم  
للغاية ، ولا شك أيضا أن هذا الدور كان مثالا احتذت به وسارت على  
ذهبه كافة النساء وفقا لظروف كل منهن وطبيعتها ، ولعل أكثر الأمثلة  
وضوحا هو الملكة ، حتشبسوت ، . تلك الملكة التي اكسدت أحداث  
البحوث (٢) الخاصة بها أنها لم تكن وريثة للملك ، ومع ذلك فقد استطاعت  
أن ترتقى وتعتلى عرش ، حورس العظيم ، .

### ملكيات الثورة الدينية :

وحيثما نصل الى عصر الملك ، أمنحتب الثالث ، نفقرب من الحقبة  
- (بداية من هذا العهد حتى عهد رمسيس الثاني) - التي تقدم لنا أكبر  
قدر ممكن من المعلومات عن هذا الموضوع . وكان ، أمنحتب ، الشاب  
هو ثالث ملك حمل هذا الاسم . ولقد أراد أن يفرض فكرة اختياره  
لزوجته الملكية المعظمة ، تي ، التي تنحدر أصلا من بيئة كهنوتية ريفية  
بأسلوب مثير ، لذا أعلن المرسوم الملكي الرسمي الخاص بارتباطه بها  
مستهدلا في وصف هذا الاختيار بالمديح والتفاخر ، بل وأسلوب التحدي  
الواضح . ولقد أوضح فيه بكل صراحة وجلاء المنبت البسيط الذي تنحدر  
منه زوجته الملكية الكبرى المقبلة . كما بين أن ملكه سوف يمتد على  
كافة أنحاء الدولة المصرية ، التي حكمها الأسلاف الفراعنة بداية من  
أقصى الشرق الأدنى حتى إقليم ، نباتا ، بالسودان . وبعد أن ذكر  
اسم ، تي ، واسم أبويها ، تويا ، و ، يويا ، أضاف أمنحتب الثالث  
قائلا : لقد أصبحت الآن زوجة ملكية كبرى لملك عظيم السطوة ، قوى  
الشكيمة ، تمتد جذور ملكه جنوبا من منطقة ، كاروي Karoy ،  
حتى إقليم ، نهارينا ، شمالا . وكان تأثير ، تي ، - تلك الحسنة -  
فيما يبدو شديدا ومؤثرا على مليكها وزوجها .

ترك الفرعون مقر حكمه في الضفة الشرقية لمدينة طيبة وأقام قصره  
وملحقاته المترامية الأطراف في غربها ، عند المنطقة التي تعرف حاليا  
باسم ، الملقطة ، . وحسب ما ذكره أحد النقوش التي كتبت على  
ظهر بعض الجعارين في العام التاسع من حكمه ، أمر أمنحتب  
بحفر بحيرة شاسعة للهو والترفيه في الصحراء من أجل محبوبته ، تي ،  
يبلغ طولها حوالي ٢٧٠٠ ذراع ، وعرضها ٧٠٠ ذراع (أي ما يقرب  
طولها من ١٩٢٤ مترا وعرضها ٢٦٤ مترا) . وهذه هي «بركة هابو»  
القائمة عند أطراف الخط الفاصل ما بين الأراضي الزراعية والصحراوية .  
(ولكي ينتهي حفر هذه البحيرة في خلال ١٥ يوما ، كما ذكرت بعض  
النصوص ، يرى عالم المصريات الأمريكي ، هيز Hayes ، أن الضرورة  
كانت تستلزم الاستعانة بحوالي ١ مليون عامل) . ولا ريب أن مصر



في تلك الفترة كانت تعيش أكثر حقبها ازدهارا وتلقا ، لا سيما بعد فتوحاتها الشاسعة في الشرق الاوسط والتي ازدادت خلالها على ضفاف النيل مختلف مظاهر الرفاهية وتدفقت عليها التروات ، واقتضى الامر انذاك التحكم في الذوق الفني والمقاييس حتى لا تنزلق الى المعلة او الامراط في التفاصيل الزائدة ، وحتى يستطيع الفنان التمييز بين الثمن والثمين ، ويستهم في آن واحد الاشكال التي يبدعها او يعالجها بتفسيره ، وشجع ذلك على العمل على ايجاد درجات جديدة من الالوان بدءا من الاصفر والكبريتي ، الى الاحمر القاني بكافة درجاته ، واستعمال اللون الازرق بل وانتاج الزجاج الفائق الشفافية . ومن الواضح ان كل هذه المظاهر لم تكن تشاهد الا في اجواء البلاط الملكي .

كل ذلك كان يوحى بان الملكة « تي » ، المهمة الاساسية الاولى له . فقد كان يسرها صناعه الادوات والتماثيل الصغيرة التي تمثلها احيانا بمصاحبة الملك . وكانت هذه التماثيل تصنع من الحجر المطلي بالميناء الذي يبدو لونه فريدا ورائعا يضاهي في جماله اللون الاخضر الزمردى . وكانت تصنع من اجل الزوجين المسكين بعض الادوات المصنوعة من الطين المحروق والمطية والمنقوش عليها بالوان مختلفة اسماء والقباب الملكين . وقد ظهرت على تلك الادوات ايضا اسماء والقباب ابنتهما الكبرى « سات آمون » ، والتي اصبحت الزوجة الملكية الكبرى الثانية للملك . وكانت الملكة « تي » تزهر بارتداء الملابس الفاخرة ذات الثنيات العديدة ، التي قلدها فيها كل نساء البلاط بعد ذلك . كما كانت ترتدي الشعر المستعار الكثيف والمنسق على هيئة صفائر ، والذي كان يسترسل على كتفيها ويغطي صدرها عند مفرق الثديين . وكانت وجوه النساء عندئذ تبدو في جمال محبب جذاب ، واتسمت ملامهن بالركة والنعومة ، وكل شيء حولهن كان يترنم بانسودة بديعة عذبة تمس شغاف القلوب ، ويكاد يحلق في آفاق الخيال: وهذا ما توضحه النقوش في مقبرة « رعموزا » توضيحا رائعا .

وبدت واضحة تلك اللمسة الرقيقة الراقية التي كانت تضعها انامل « سيدة القصر » على كل شيء يحيط بها . هذه الملكة التي كانت تتمتع بجمال ساحر اخاذ ، ساعد على اطلاق العنان لانتاج القطع الفنية الرائعة . ومما يؤسف له حقا قلة الآثار الخاصة بالمكتبات والمعابد والقصور والمدن الكبرى في مصر القديمة . ومع ذلك ، فقد وجدت بعض المقتنيات الثمينة التي تبين بعض عناوين الكتب الخاصة بالمعابد والكتب الادبية والقصص الكلاسيكية والشعبية . ولكن ، لا شك ان اكثر ما يثير الدهشة هو ذلك الغطاء الصغير المصنوع من الطين المحروق المطلي الذي

يبدو انه كان يستعان به لتغطية علبة تحتوي على بعض اوراق البردي بمحبة الملحة « تي » . وهذا الغطاء يحمل اسم والقباب الملكة ، كما يتضمن ايضا عنوان اوراق البردي الملفوفة بشكل اسطوانى والمحفوفة بداخل العلبة والعنوان المدون على الغطاء هو : « كتاب الجميزة الرقيقة » . وربما تضمن هذا الكتاب ترانيم الحب التي وصلنا بعض بقاياها . وربما كان يتضمن بعض الدراسات في علم النبات ، ولكن مما لا شك فيه ان هذا الغطاء المحورى الصغير يعد في حد ذاته ، كاول مكتبة وجدت في العالم كله . ومما لا شك فيه ايضا ان هذا الاثبات والدليل « الثقافي » الصادر الثمين قد وصلنا من نفس الجناح الخاص بزوجة « امنحتب الثالث » ، الحبيبة ، المقربة الى قلبه .

ولقد وصلنا من اقسام « المحفوظات » الخاصة بقصور كل من امنحتب الثالث ، وامنحتب الرابع ( اخناتون ) مجموعات من اللوحات المنقوش عليها بالخط المسمارى . ويعد منظما دليلا على الكم الهائل من المراسلات الدبلوماسية التي كانت تتبادل بين بلاط الفرعون ووزرائه ، وبين حكام بلاد الشرق الاوسط ، بالاضافة الى حكام المناطق الواقعة تحت سيطرة ملك مصر . ومن المعروف ان الملكة « تي » ، وقتئذ ، كانت تساهم في الاخرى مساهمة كبيرة في مجال السياسة الخارجية . فمثلا ، كانت تسدى النصيح احيانا لمايكها عندما يقوم بمراسلة « توشراتا » ملك الميتانيين . كما انها كانت احيانا تراسل مباشرة مع الوزراء الاجانب . والاكثر من ذلك ان دور الدبلوماسى لم يتوقف عند موت « امنحتب الثالث » ، وتولى « اخناتون » العرش بعد ان شارك اياه في الحكم قبل وفاته بعدة سنوات . اذن ، لم تكن « تي » ، مكلفة بدور الكفيلة او الوصية على ابنها عند وفاة زوجها « امنحتب » ، ومع ذلك ، فقد كان « توشراتا » يخاطبها في رسائله مطالبا اياها الحفاظ على العلاقات بين البلدين خلال حكم ابنها .

ولا شك مطلقا ان « تي » ، قد استطاعت تدريجيا ان توقع « امنحتب الثالث » تحت تأثيرها ونفوذها القوي ، ولكن هذا لم يمنع الملك من ان يختار الكثيرات من بناته ليعلن منهن زوجات مقدسات . وبدأ ذلك بكبرى بناته الاميرة « سات آمون » ، التي كانت تمتلك قصرا خاصا بالزوجة الملكية العظيمة ( ٤ ) . في منطقة الملقة ، ومع ذلك فان هذا لم يمنع ابدا « تي » ، من ان تبدو دائما في المناظر والنقوش بجوار الملك في كافة المناسبات . الاحتفالات الرسمية ، واسمها بطبيعة الحال احتفالات ذكرى التتومع العظمى . وكان الاحتفال بهذه المناسبة ددا في العام الثلاثين من حكم الفرعون . وترى الملكة « تي » ، في هذا الاحتفال بجوار زوجها



في هيئة مزدوجة متمثلة في شكل الالهتين « سوتيس » و « حتحور » (٦).  
وفي منظر آخر نستطيع أن نراها في هيئة الالهة « ماعت » المرافقة



شكل (٨) امنحيب الثالث وزوجته تي

للالة « رع » ، ونشاهد في هذه الهيئة كذلك في المقصورة الجنائزية الخاصة بـ « رموزا » وزير المنطقة الجنوبية المعاصر « لامنحيب الثالث » و « امنحيب الرابع » . هذه هي الفترة التي بلغت فيها الدعوة الدينية التي أطلقها الملك الشاب اعنف درجاتها . انها تلك الحقبة التي انت فيها مظاهر المغالاة الى تحرير التعبير الفني من قيوده القديمة التقليدية ، لدرجة جعلت هذا التعبير على وشك أن ينحدر الى الأسلوب الدارج (٦) الشائع .

اما عن الملكة « نفرتيتي » ، فلا يعرف أصلها ولا جذورها ، ولكن نعرف أن جمالها قد تحول الى أسطورة بفضل تمثالها النصفى الشهير ، الذي نحت في ورشة التماثيل الخاصة بالفن « تحتتمس » (٧) ، ولقد اثير الكثير من التكهنات بشأنها . ولكن هذه التكهنات والاعتقادات لم تخط اللثام عن أصلها المجهول ، وأن كنا لا نشك في أنها تنحدر من أصل مصري ، ولكننا حتى الآن لا نعرف شيئاً عن أسرتها سوى أن لها اختاً تدعى « موت نجمت » . وأن اسم مرضعتها هو « تي » زوجة قائد فرسان الملك المدعو « آي » الذي تقلد الوزير بعد ذلك ، ثم اعتلى العرش عند وفاة « توت عنخ آمون » وكانت الملكة تظهر دائماً في صحبة

الملك ومعها بناتها الست تبعاً لتدرج أعمارهن . ولم نجد مطلقاً على الآثار الخاصة بالدولة الحديثة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة ، مثل ما وجدناه من تكرار ظهور الملكين وهما يزاويان كافة شئون حياتهما اليومية في أوضاع مألوفة رفعت فيها الكلفة ، وحيث العاطفة والمودة الواضحة تفيض بمظاهر حب قوى دائم .

وقد يستنتج في شيء من القصرع أن ابن « تي » لكي يكسر من حدة الموقف الرسمي بين الزوجين الملكيين بصفة خاصة ، قد ركز الاهتمام عن قصد على توضيح مشاعر الحب والحنان بين أفراد أسرة العمارنة . وقد تباينت مظاهر هذا الحب ابتداء من الحركات الرقيقة الحانية بين الزوجين حتى حرية التعبير في الرسم والتشكيل ، بل أن الأمر قد وصل الى درجة تصوير الملكين وهما يتبادلان قبلة حارة أثناء وقوفهما في عريتهما الحربية وهما يجوبان المدينة معاً ، بل وهما متعانقان معاً عناقاً طويلاً . وقد كتب البعض قائلين أن هذه المشاهد يجب أن تؤول باعتبارها تعبيراً رمزياً قوياً .



شكل (٩) اخناتون ونفرتيتي

علينا إذن أن نلاحظ المكانة المرموقة الرفيعة ، بل الجوهرية والاساسية التي كانت تحتلها بنات الأسرة الملكة ابتداء من عصر « امنحيب الثالث » . فلا نرى في المناظر وفي النقوش البارزة التي تبدو فيها الملكة « تي » وزوجها الملك سوى الأميرات (٨) . أما عن الشاب « امنحيب » الذي حمل لواء البدعة الدينية فقد كان يشغل مكاناً ومهمة هامة داخل القصر . ففي خلال فترة حكمه لم يظهر في أي وقت من الأوقات بين بنات الملك



أو بجوار أخته الأميرة الصغيرة ، باكت - آتون ، أى ولد صغير . ومع ذلك ، فقد عاش ، توت عنخ آمون ، سنواته الأولى فى منطقة العمارنة تحت اسم ، توت عنخ آتون ، (٩) .

وليس لدينا وثائق تبين مصير « نفرتيتى » فى النهاية . فهل وقع فعلا بينها وبين « اخناتون » ، خلاف كما اعتقد البعض بناء على العديد من الدلائل الأثرية التى أوضحتها إقامة الملكة بدون زوجها فى الجزء الشرقى من تل العمارنة ؟ أم تراها أكملت حياتها بجوار الملك بصفتها شريكة له فى الملك فى بداية الأمر ، لتزداد رسوخا وسيادة فى الملكة ، وليخلق عليها شيئا فشيئا الاختصاصات التى كان من الممكن أن تمنح لأحد الأمراء ؟ ولقد لاحظنا أنها كانت تمثل دائما فى كافة المناسبات بجوار الملك ( تحيط بهما الأميرات ) لممارسة الطقوس الخاصة بالششمس ، أو بمناسبة توزيع الجوائز والمكافآت من شرفة التجسلى بالمعبد ، أو بمناسبة الاحتفال برأس السنة ، أو فى احتفالات المراسم بالقصر ، محتلة بذلك مكانة نديم الملك . أى أنها كانت تتقاسم معه كافة مسؤوليات العرش بشكل يكاد يكون كاملا . وفى منظر فريد من نوعه نراها تقف على مقدمة سفينتها الخاصة ، فى هيئة الملك حامى حمى الملكة وهو يقا تل أى معتد تسول له نفسه الاعتداء على مصر .

وبالإضافة لذلك ، فإننا نلاحظ أن التاج الذى تضعه « نفرتيتى » فوق رأسها ، هو أقرب شيئا مع شيء من الاستطالة وبدون أية زيادات بالتاج الأحمر اللون ، الذى كان يضعه ملوك مصر السفلى على رؤوسهم .

ولقد عرفنا الملكة الصغيرة « عنخ اس ان آمون » من خلال معرفتنا بكنوز زوجها « توت عنخ آمون » ، ولكنها لم تترك لنا ما يدل على شئون حياتها الخاصة . ومع ذلك فإننا نستطيع أن نراها فى كثير من المناظر والشاهد وبالنسبة نستطيع أن نتبين بوضوح أكثر الدور الذى كانت تقوم به الملكات فى بعض مراحل الطقوس الجنائزية .

ومع ذلك ، فإن المراسلات المتبادلة بين ملك الحيثيين « شوبيلولوما » وبين بلاط العمارنة ، توضح لنا أن هناك ملكة - أرملة ( نفرتيتى ) أم « مريت - آتون » أم « عنخ اس ان آمون » سوف تعلق العرش بعد وفاة زوجها ، وهذه الأرملة قد تجرات وطلبت من ملك الحيثيين أن يمنحها ابنه لى يتقاسم معها عرش مصر . وفى نهاية الأمر ، وبعد أن وقع الاختيار على الأمير المطلب ، وكان يدعى « زانانزا Zana nza » اغتيل وهو فى طريقه إلى مصر . ويبدو أنه لم يكن من المعقول مطالبا فى تلك الحقبة من الزمان ، أن يعتلى أحد الأجانب عرش الفراعنة بجوار الملكة الوريثة .

## ملكات رمسيس الثانى المصرىات :

كانت الملكة « نفرتارى » ، الرائعة الجمال الزوجة الرئيسية للملك « رمسيس الثانى » ، من أكثر سيدات الأسرة الملكة اللاتى تتابعن بعد ذلك جمالا ، والتى تبين الآثار أنها كانت تتمتع بقوام جميل متناسق للعناية . وبالرغم من جمالها الأخاذ الذى يشع من خلال الرسوم الملونة والمنقوشة على جدران مقبرتها فى وادى الملكات ، فإن الآثار القليلة المتبقية التى تصور حياتها ليست كافية لتوضيح تاريخها . ويبدو أنها تزوجت الملك « رمسيس الثانى » فى سن مبكرة . وكان الملك فى نفس الوقت متزوجا بزوجة ملكية أولى تدعى « ايزيس نفرة » ، أنجب منها الأميرة « بنت عات » ، ابنتهما الأولى ، ولكن نفرتارى كانت المفضلة لدى رمسيس للظهور بجواره أثناء الاحتفالات والمناسبات الخاصة بتتويجه . وكانت بجواره أيضا عندما قام فى نفس العام بتنصيب كاهن كبير جديد يدعى « نبوننف » ، فى إقليم أبيدوس . وفى مناسبات المديح والاطراء كانت نفرتارى تصاحب دائما رمسيس ، بل أنها صاحبه خلال الاحتفالات الخاصة بالاله « مين » ، لاداء بعض الطقوس الدينية .

وفى العام الخامس من حكم زوجها الفرعون يبدو أنها قد صاحبه ومعها كبار أولادها إلى ضفاف نهر العاصى حتى بداية معركة قادش . وهذا ما نهجت عليه بعد ذلك بعض ملكات الغرب عندما كن يصاحبن أزواجهن الملوك إلى الحرب .

وقد أقيم أعظم وأجمل معبد محفور فى الجبل بمصر من أجل نفرتارى الذى يقع شمال المعبد الكبير الخاص برمسيس الثانى فى منطقة أبو سمبل . ويبدو أن الدور الذى كانت تقوم به زوجة الملك العظمى فى المجال الدينى بهذا المعبد يعد من مستلزمات التقاليد والطقوس الملكية . ولكن يبدو أن نفرتارى قد استحوذت طوال عشرين عاما تقريبا على قلب الملك العظيم وشغفه بها فعلا ، وتبين بعض المراسلات التى كانت تتبادلها مع ملوك الحيثيين أنها مثل من سبقنها من ملكات عظيمات قد شاركت فى الأحداث السياسية الكبرى فى المملكة مع ملك مصر والملكة الأم وولى العهد ، وكذلك الوزير المدعو « باسر » .

ومما هو مؤكد فعلا أن الملك « أمنحتب الثالث » كانت له ملكتان عظيمتان . وبالنسبة لرمسيس فقد لوحظ بفضل وقائع عديدة أنه كان يفضل كثيرا « نفرتارى » أم أولاده الذين توفوا جميعا قبل أن يعتلوا العرش . ولقد شاهدنا دليلا بينا على التناقض الواضح فيما كان يحتمل أن يفضل الملك ، فلقد اختار « مرنبتاح » ( ١٠ ) ابن « ايزيس نفرة » زوجته التى كان قد نبذها لفترة طويلة ، لى يخلفه على العرش .



مغلقة للغاية ، سيدة أجنبية ليست من خارج نطاق البلاط الملكي فحسب ، بل أجنبية عن البلاد نفسها . ولقد سبق أن ذكرنا أن ابنة ملك الحيثيين توجت زوجة ملكية عظمى . وبهذا العمل يكون هذا الفرعون قد أبرم أول وأكبر معاهدة دولية تهدف استتباب السلام المنشود بين القوتين العظميين في الشرق الأوسط في ذلك العهد طوال ما يقرب من أربعين عاما . ولكنه خصص لمحبيبة فؤاده « نفرتارى » أروع وأجمل الآثار التي أقيمت لتمجيد وتعظيم امرأة . كما أن خصائص ونوعية النقوش البارزة الملونة على جدران المعبد الصغير بأبى سمبل تبرز شباب وجمال هذه الملكة حيث تبدو هيئتها بشكل مجسم على الواجهة ككائن بشع جمالا وضياء . وحتى أواخر أيامها كان شكلها المائل قليلا للامتلاء المنقوش بمقبرتها يبين مدى تأثير السحر والجاذبية التي كانت هذه الجميلة المجهولة الأصل تملكهما ، على ملك سنم كل ما يحيط به من مظاهر لارضائه ونيل إعجابه .

كانت نفرتارى تبدو دائما بتاجها المزين بريشتى الصقر يتوسطهما قرص الشمس وقرنا « سوتيس » . وبهذا ، كانت تستحق فعلا دون من سبقنها من الملكات هذا الوصف الذي كان يصاحب صورها دائما : « الصوت الدافئ الرخيم ، واليدان الجميلتان الرشيقتان ، مليحة الوجه ، الرشيقه الأنيقة ، ذات الريشتين العاليتين » .

### الدور العقائدى للزوجة الملكية العظمى

#### تجاه الاله :

لم تكف الملكة بمساندة الفرعون ومساعدته ومرافقته خلال الطقوس الدينية الرسمية منذ بداية الدولة القديمة ، ولكن تمتعت زوجة الملك العظمى ابتداء من الأسرة الثامنة عشرة ، بلقب ووظيفة « حمت - نتر » ، أى « زوجة الاله » . وهذا ما يطابق تماما الممارسة الفعالة لطقوس آمون التي كانت تقوم بها الملكات والأميرات . ولقد وجدت بعض الأمثلة القليلة لهذه المرتبة الرفيعة التي منحت لسيدات الطبقة الراقية في المجتمع خلال الدولة الوسطى . وأوضح مثال على ذلك تمثال « اى مرت نبس » الذى يجسم بشكل فريد خاص جمالها الأنثوى الأخاذ (١١) . وحقيقة أننا لا نلاحظ وجود اسم الاله الذى « تزوجته » ، ولكن لا شك أنه أحد مظاهر الاله الخالق المتعددة : أن دور « زوجة الاله » يتركز قبل كل شيء فى تجسيد المبدأ الأنثوى الذى يعمل على تأجيج الحيوية

ومع ذلك فقد بدأ رمسيس الثانى يحدد لنفسه مرة أخرى زوجات عظيمات جديديات . وفى المعبد الجنوى بأبى سمبل تبدو الأميرة « بنت عنات » وهى كبرى وريثاته ، وابنته من « ايزيس نفرة » ، تخدم جميع أخواتها فى عرض للأميرات الصغيرات . فى الوقت الذى يتم فيه الانتهاء من تشييد المعبد ، كانت واجهة أعمدة البهو الكبير الخارجى قد زينت بصورة كبيرة كاملة لنفس هذه الأميرة . وقد بلغت حينئذ سن الرشد وذكر اسمها فى خرطوش ملكى مسبقا بلقب « الزوجة الملكية العظمى » . وبعد مرور الوقت تمتعت أيضا « مريت آمون » ابنة الكبرى لـ « نفرتارى » بلقب الزوجة الملكية العظمى . ونجد الأميرة فى إحدى المناظر المنقوشة على إحدى اللوحات المحفورة فى الصخور المجاورة لمعبد أبى سمبل الكبير وهى تمارس الطقوس الدينية بجوار والدها . وفى الجزء الأسفل من نفس المنظر تبدو الملكة « نفرتارى » وهى جالسة بحيث لا تقدر على القيام بدورها التقليدى ، وهناك ابنة ثالثة لرمسيس تدعى « بنت تاوى » ، وبنات غيرها من المحتمل أنهن قد حظين أيضا بهذا اللقب الرفيع وهو : « الزوجة الملكية العظمى » . وآخرهن كانت أصغرهن سنا وتدعى « حنوت مى رع » .



شكل (١٠) بنت عنات وابنتها من رمسيس الثانى

وما هى ظاهرة مستحدثة للغاية فى إطار حكم هذا الفرعون ، فقد عمل أكثر من غيره من الملوك ، على زيادة عدد بناته الزوجات ، كما ادمج داخل دائرة نساء الأسرة المالكة ، بالرغم من أنها كانت دائرة



الخلافة لاله العالم الاعظم والابقاء عليها . كما تقوم هذه الكاهنة أيضا  
بوظيفة مكملة أخرى ، هي « جرت - نتر » ، أى « يد الاله » ، والتي  
الإشارة الى ما ترمز اليه (١٢) .

كانت الملكة « أحمس نفرتارى » ، هي أول من حملت لقب وظيفية  
« زوجة الاله » قبل أمها « أعح حتب » (١٣) ففي هذه الفترة كانت  
وزوجة المحرر « أحمس » ، التي كانت تشغل من قبل وظيفة « الكاهنة  
الثانية » للاله آمون ، قد تركت هذه الوظيفة للحصول على هبة منحت  
لها عندما أصبحت « زوجة للاله » : خمسة أرورات من الأراضى المزروعة ،  
أى خوالى هكتار ونصف ، ( تقل قليلا عن مائة فدان ونصف ) ، وقد  
الحق بهذه الأراضى الشاسعة كافة المستخدمين اللازمين للقيام بالعمل  
بها ، واستثمارها . وكما كانت ضمن الكثير من المخازن المؤن الضخمة ،  
والمعادن الثمينة ، فضلا عن كميات ضخمة من الأدهنة العطرية اللازمة  
لإقامة الطقوس وكذلك الشعور المستعارة والتيجان والأكاليل التي كانت  
الملكة ترتديها على رأسها أثناء تأدية الطقوس .

وكانت الملكة تعمل أيضا فى ضيعتها « الخاصة » مجموعة هائلة  
من الكاهنات ، وأصبحت هذه الضيعة تزداد مع الوقت أهمية وخطورة ،  
بالرغم من بعض فترات الضعف التى مرت بها . ولا شك أن « أحمس  
نفرتارى » و « حتشبسوت » عندما كانت مجرد زوجة ملكية ، وكذلك  
ابنتها « نفرو - رع » ، ثم زوجة تحتمس الثالث « حتشبسوت مريت رع » ،  
قد حصلن على لقب « يد الاله » ، بجوار كونهن « زوجات الاله » .

أما عن وظيفة « زوجة الاله » هذه التى كانت تشغلها الملكة والتى  
ذكرت على مسلة « حتشبسوت » بالكرنك السابق ذكرها ، فإن الضرورة  
أصبحت تستلزم أن تنتقل مع أملاك الضيعة من « وريثة » الى « وريثة » ،  
أخرى . ففي معظم الأحيان كانت الوريثات المباشرات للزوجة الأولى  
يقمن بهذه الوظيفة ( مثل أحمس ، ومريت آمون « الزوجة الرئيسية  
لأمنحتب الأول » ، وسات آمون ، وسنات كا ، وموسى ) ، وفى بعض  
الأحيان كانت تنقسم عروة هذا التسلسل فى الاختيار ، أو بمعنى آخر  
توقف عملية تنصيب صاحبة الحق فى تلك الوظيفة . وفى مثل هذه  
الأحوال كانت تقوم إحدى الكاهنات بممارسة الطقوس ، مثل الدور الذى  
كانت تقوم به « حوى » ، « عابدة الاله » ، فلم تكن هذه الكاهنة من سيدات  
الأسرة المالكة ، ولكنها كانت مع ذلك تقوم بوظيفة الكاهنة زوجة الاله ،  
وتمارس عمليا إقامة الطقوس بدلا من الملكة ، وكانت هذه السيدة هي  
أول من حمل هذا اللقب الجديد « رئيسة كاهنات آمون » وهناك ظاهرة  
مهمة يجب الإشارة إليها ، وهى أن « حوى » كانت من أقوى أفراد

الكهنوت النسائى للاله « آمون » ، واستطاعت أن تعمل على منح ابنتها  
« حتشبسوت مريت رع » ، التى أصبحت « الزوجة الملكية العظمى » ،  
لتحتمس الثالث لقب « زوجة الاله » ، وخاصة أن هذا اللقب لم يكن قد  
سبق منحه لأحد فى تلك الفترة .

أما عن آخر ملكات الأسرة الثامنة عشرة التى اعتبرت آخر وريثة  
لهذه المهنة « زوجة الاله » ، فكانت تدعى « تى عا » ، وهى إحدى زوجات  
« أمنحتب الثانى » ، وأم « تحتمس الرابع » ، كما منحت بالإضافة لذلك  
لقب « يد الاله » ، ثم بدأ التسلسل ثانية بالملكة « سات رع » ، زوجة « رمسيس  
الأول » مؤسس الأسرة التاسعة عشرة وأم « سيتى الأول » ، واستمر  
بعد ذلك عن طريق « توى » ، زوجة « سيتى أول » وأم « رمسيس الثانى » .  
ومما يلاحظ فعلا حتى هذه الحقة أن هذا اللقب لم يكن مرتبطا بالضرورة  
مع تسلسل الوراثة الأسرية الملكية .

وكانت هؤلاء الملكات الكاهنات ، أو « زوجات آمون فوق الأرض » ،  
بالكرنك ، يجسدن الى حد ما الالهة « موت » ، زوجة الاله المقدسة ، وكن  
يضعن فوق شعورهن المستعارة تاجا على هيئة طائر الرخمة رمز الالهة  
« موت » ، أو « الأم الراعية » ، وكن يضعن كمثبت على رؤوسهن أيضا  
« موت » ، أو « الأم الراعية » ، وكن يضعن كمثبت على رؤوسهن أيضا  
إطارا سميكاً يحيط به شكل « الكوبرا » ، منتصبة الرأس بين الريحيتين  
العاليتين ، اللتين تمثلان ريشة الرخمة (١٤) . وأمام هاتين الريحيتين  
الكبيرتين ينتصب قرنان عالين يختلفان تماما عن قرنى « البقرة  
المقدسة » . ويلتقى هذان القرنان عند القاعدة ليضما بينهما شكلا لقرص  
الشمس .

وفى أوائل الأسرة الثامنة عشرة كانت الملكات « زوجات الاله » ،  
عندما يقمن بممارسة مهام وظيفتهن ، يرتدين رداء بسيطا تقليديا يضم  
عند الوسط بجديلة رفيعة . ويضعن على رؤوسهن شعرا قصيرا مستعارا  
يحيط به تاج معدنى صغير يتدلى منه جزءان مسترسلان يغطيان الرقبة ،  
وتبين لنا النصوص أنهن كن يتمتعن بسحر وسطوة لا يماثلهما سوى  
جمالهن وجاذبيتهن . فهن مكلفات قبل كل شىء بادخال « السرور  
والبهجة » على قلب الاله وامتناع عينيه وسحرهما ، ولقد قيل بصددهن  
هذه العبارات التى قد لا يكون هدفها مجرد المديح ولكنها تعطى أيضا  
الكثير من الإحياءات والتلميحات عنهن : « عامرات بالحب » ، « فائقات  
السحر والجاذبية » ، « جمالهن يرضى الاله كثيرا » ، « قديرات على فعل  
العجائب فى بيت أبيهن » .

وهؤلاء الكاهنات الحقيقيات اللاتى كن يتمتعن بالسيطرة والقوة  
الفائقة كملكات زوجات الاله كن يحتفظن بضياعهن الخاصة التى تحيط



بالمعبد الجنائزى الخاص بـ «أحمس نفرتارى» ، أول من حملت هذا السر ضمن الزوجات الملكيات العظيمات ورائدتهن فى هذا المجال . ويلاحظ أن هذه الضيعة كانت تزداد ضخامة وثراء مع الوقت . فكانت تضم مدرسة كبيرة لتعليم الكاهنات المعاونات فى ممارسة الطقوس . وكان يقوم بإدارتها كبير المشرفين ، تحيط به مجموعة من الكتبة والمحاسبين وتضم الضيعة أيضا رؤساء للأقسام الخاصة بقطعان الماشية ومخازن الغلال . ومثلها كاية منشأة من المنشآت كانت تضم أيضا العمال الحرفيين ، والمزارعين والفلاحين ، وبعض الموظفين المسئولين عن السير والقوارب التى لا يمكن بدونها الانتقال من الضفة اليسرى حيث توجد الضيعة الى الضفة اليمنى بطيبة التى كان يحدها معبد «الأقصر» ، فى الجهة الجنوبية ، ومملكة «آمون» ، الشاسعة بالمركز من الشمال . فما عمن ممارسة الطقوس ، فلا شك أن عابدة الاله لم تكن تكفى بالعزف على الصلاصل بيديها الجميلتين وهى تقدم قلادة «المنات» ، إحدى الأدوات الخاصة بعابدات الالهة ، وتحترق ، وهى تترنم بالترانيم الخاصة «بمغنيات آمون» . وكان على زوجة الاله أن تتطهر قبل أن تدخل المحراب . وبمصاحبة الكهنة المتخصصين ، كانت تمارس بعض الطقوس التى يتم خلالها اتلاف تماثيل عدد الاله ، ويتم أيضا تقديم النسيج الخاص بتهنئة الالهة «واجيت» . وكانت تقوم كذلك بالمساعدة فى اقناع الاله بقبول ولائم المساء . ولا شك أن دورها كان يعتمد أساسا على فتنها وسحرها وقدرتها على التهينة والتلطيف ، وأن كانت فى بعض الأحيان تبدو للحظات مثيرة للخوف والرعب . وهذا الدور الذى تقوم به زوجة الاله يجعلنا نعتقد أنها فى هذه المناسبات كانت تحتل قبل كل شئ مكانة ابنة «آتوم» ، أى الالهة «تفوت» ، أو «ماعت» ، وهى الالهة التى كان يطلق عليها لقب «البعيدة» ، أو «عين رع» . ولذلك فإن «زوجة الاله» كانت تمثل رضاء هذا الاله ، وتعبر فى نفس الوقت عن جبروته وقوته . وكل ذلك يعد فى حد ذاته من الشعائر التقليدية التى تعمل على استتباب النظام الكونى (١٥) .

فى مواجهة الملك الحى :

فى الوقت الذى بدأت تبرخ فيه أولى مظاهر البدعة الدينية العمارنية وأعمال الديانة القائمة شيئا فشيئا ، وابتعادها عن الوجدان العام لتلقى فى غياهب النسيان حينذاك ، لم يكن يعقل مطلقا أن يقوم القائمون بالتعديل الدينى بالغناء الدور الكهنوتى المهم الذى كانت تقوم به الملكة الغاء تماما . بل على العكس تماما وفى هذه الفترة بالذات كانت الملكة تحتل مكانة مهمة . ولذلك ، فإننا لا نكاد نشاهد فى المناظر الخاصة بالشعائر الدينية ، وأيضا على الآثار الملكية بجوار الزوجين الفرعونيين ،

«امنحبت الثالث» و «تى» سوى الأميرات بنات الفرعون . كما أن «تى» نفسها كانت تحتل فى كل مكان منزلة فريدة وغير عادية . أن مكانتها بجوار الفرعون كما سبق أن ذكرنا ، تتشابه مع مكانة الالهة «ماعت» بجوار الاله «رع» .

ومن الملاحظ ظهور ظاهرة جديدة فى النوبة السودانية فى مدينة «صرلب» شمال المعبد الرائع الذى يمجّد ذكرى «امنحبت الثالث» ، أقام الملك لزوجته الكبرى «تى» معبدا خاصا لتخليدها فى منطقة «سدينجا» . ولذلك ، فإن هذه المنشآت المزدوجة تعبر لأول مرة عن تخليد عنصرى الذكر والأنثى معا من خلال الملك والملكة ، وبشكل أوضح يلاحظ تأكيد الدور العقائدى الذى تقوم به الملكة ، على جدران المقصورة الجنائزية بطيبة لـ «خرواف» ، أحد كبار موظفى البلاط الملكى فى ذاك العصر ، حيث تبين لنا النقوش الاحتفالات الفريدة من نوعها للعبد اليوبيلى الملكى العظيم . فعندما يظهر «امنحبت الثالث» فى عظمته وجلاله ، وبعد أن أتم كافة الخطوات الخاصة بالتجديد الكونى يشاهد هنا على غير المعتاد بدون مرافقة «تى» له .

أنه مجال مختلف تماما هذا الذى يوجد فيه الزوجان الملكيان . تتحقق من خلاله فاعلية الطقوس ، واستمدت نفس هذه الطقوس قوتها من دور الملكة نفسها ليس بصفقتها كاهنة كبرى ولكن بصفقتها تجسيدا للها مزدوجا .

ويشاهد فى بداية المنظر ، وبجوار الملك الجالس على عرشه صورة الالهة «حتحور» ، الهة السر العظيم للموت والحب والعشق أيضا ، وهى تستعد لتلقى المتوفى فى أحضانها ، وتمهد بذلك لبعثه فى الأبدية والخلود . ونفس هذا الشكل الأول الذى تندمج فيه الملكة بشكل الالهة «سوتيس» ، وقد حملت على رأسها ريشتين عاليتين وقرنين فارعين يحيطان بقرص الشمس . فهذا هو غطاء الرأس الذى تلبسه الملكات باعتبارهن «زوجات الاله» . أما «سوتيس» ، فإن ظهورها «الشمسى» يعلن عن القدوم الوشيك للشمس المتجددة . وبذا ، نستطيع أن نستنبط من خلال ظهور هاتين الالهتين ، المرحلتين التابعتين من المجهول واللتين يخضع لهما الفرعون لكى يستمد منهما قوته وحيويته الالهية . ولذلك فقد كان دور الملكة أساسيا وجوهريا ، وكذلك وجودها المزدوج على جانبي الملك يعد على درجة كبيرة من الأهمية .

ولنحاول الآن أن نوجه تساؤلنا للآثار الخاصة بالفترة المعروفة باسم «مرحلة البدعة الدينية» فى مدينة «الأرض» ، «أخيتاتون» (١٦) لكى نستطيع أن نحلل أفعال وتصرفات الزوجين «امنحبت الرابع» أى



« اخناتون » وزوجته « نفرتيتى » . فكم من المرات ، قرانا ان « المصير الدينى » قد حاول فى كافة المناسبات أن يعبر عن الواقع الفعلى للزوجين دون الالتجاء الى الاساليب القديمة المعتادة او الصور المندثرة للرجوع من أى معنى بسبب بعدها تماما عن رسالتها الجوهرية والاساسية . ولا شك مطلقا ان التأمل فى نقوش وتماتيل « المدارس الحديثة » ، يسهم بالتلقائية والطبيعية ، وتمثل الواقع الفعلى الى درجة مبالغ فيه احيانا . ومع ذلك سوف نجد ان مثل هذا الحكم لا يعنق عامة عرى بعض المناظر المعروفة تماما ، كذلك اللوحات التى تصور الحياة الخاصة للزوجين الفرعونيين ، نجد الملكة والملك وهما متواجهان معا تحيط بهما الأميرات الصغيرات ، وفى أحد المناظر نرى « نفرتيتى » جالسة فوق ركبتي زوجها وقد حملت هى الأخرى بعض الأميرات الصغيرات على ركبتيها وأخذتهن فى أحضانها . وفى منظر آخر نقشه أحد الرعايا المتعلقين على جدران مقبرته ، يمثل عائلة الفرعون وقد احتشدت فى شرفة « الأشراق » فى الاحتفالات لتوزيع الجوائز والمكافآت . وأخيرا ، نجد اللوحة التى تثير العجب والدهشة فعلا ، حيث نرى الملك والملكة وهما فى أبهى زينتتهما الرسمية ، وقد وقفا معا فى عربتهما الخاصة التى تجرها الجياد وهى تعدو بسرعة فى شوارع العاصمة ، وقد احتضن الملك مليكته فى حنان واضح والصق وجهه بوجهها . ولا شك ان عدم معقولية بعض الأوضاع تجعلنا نؤمن التفكير وتملكنا الدهشة خاصة اننا نعرف مدى نقاء وعفة التعبير فى التشكيلات الفنية المصرية ، ونرى كذلك هذا المنظر لاحدى تماثيل الملك : وهو يجلس فوق ركبتيه امرأة . ( هل هى نفرتيتى ؟ ) ، ويتبادل معها قبلة حارة للغاية .

وقد يتضح لنا الغرض من وراء كل ذلك ، لو اننا عرفنا رغبة القائم بالتفسير الدينى : ان يبين بواسطة لغة تصويرية مباشرة الدور الذى يقوم به الزوجان المتلاصقان تماما ، كعنصرى التاج المكملين لبعضهما : أى البنى الخلاق الذكرى والأنثى المقابلة له ، أى الفرعون والملكة « اخناتون ونفرتيتى » . اما عن المناظر التى يرى فيها البعض رغبة « اخناتون » فى ادماج واقعية مظاهر الحياة اليومية ، فليست فى الواقع سوى معالجة نظرية لمفهوم جوهرى اساسى كان لازما على الجميع فهمه واستيعابه ، وهذا ما يحاول ان يؤكد ايضا من خلال معنى الوجود المطلق القائم بذاته . والغموض والاسرار فى أعماق القبور : منظر الزوجين الملكيين ( وقد أحاطت بهما - مكملاهما - الأميرات الصغيرات ) يعد فى حد ذاته تجسيدا للكونية ، أو بمعنى آخر ضمانا لاستمرار القوى الخلاقة الذى يمثلها هو تمثيلا محسوسا ملموسا . ومع توالى وتعاقب تلك المناظر الخلاقة امام البشر ، سوف تبقى أجيال النساء

والرجال الذين يتوالدون ويتعاقبون ، وسوف تتناسل الطبيعة والحيوانات ، بل ان المعادن نفسها سوف تعيش وتبقى . لقد تغير الاسلوب واحتفت اللغة ولكن لم يتغير أبدا الهدف الذى كان يعمل فى الماضى للوصول اليه ، والوسيلة الى ذلك كانت ان يوكل الى الملكة فى اطار الشعائر السرية فى المعابد التى يكتنفها الغموض مهمة التصرف كزوجة للاله .

وهناك مناظر أخرى أكثر استفزازا وتخدم نفس الأغراض التى يهدف اليها الملك فى شئ من المغالاة والتطرف المقصود . واعتمادا على مثل هذه المناظر ، رأى بعض العلماء المختصين بدراسة التاريخ المصرى القديم الذين قدموا نظريات قد تكون متطرفة الى حد ما ، انه ربما كان هناك نوع من انواع الاشتراك فى الحكم بين الزوجين . . . . . أى ان نفرتيتى ، هى أيضا فرعونة . . . . . فباله من برهان يدل على فكرة المساواة فى الحقوق بين كل منهما ! .

نرى ، ماذا عساه كان يفعل « رمسيس » العظيم ، حيال هذه النقطة الأساسية ، هذا الفرعون الذى عرف عنه انه لمس الأساسيات الطيبة للإصلاح الدينى العمارنى ، وأراد استغلاله واستثماره ، مع محاولة إخفاء ما كان يتضمنه هذا الإصلاح الدينى من استفزاز ؟ ومن المعروف ان امه « توى » ، وجده « سات رع » ، قد حملت كل منهما لقب « زوجة الاله » ، وإذا كانت « نفرتارى » ، التى استمرت لفترة طويلة رفيقة للملك وابنة ملكية « لتوى » الملكة الأم ، فلا شك انها كانت سترث عمليا وبدون أدنى صعوبة ، هذا اللقب الرفيع . ولكن يبدو ان هذا الشرف لم يكن من حظها ، ولم تكلف لهذه الوظيفة . ولكنها مع ذلك تقلدت لقب كبيرة الكاهنات القائمات بالطقوس الدينية الخاصة بالملك المؤله رمسيس ، الذى كان لا يالو جهدا هو الآخر فى السير فى نفس الطريق الذى سار فيه من قبله « أمنحتب الثالث » ، لكى يضفى الهالة الالهية على كيانه الملكى . فلم يرغب أن يمكث دون هذا « الارتقاء » . فلماذا إذن يخلع اجباريا لقب « زوجة الاله » على « نفرتارى » ، ما دام يستطيع هو أن يفعل ما يريد به بكل وضوح ؟ . . . انه لم يسند الى زوجته الملكية وحببيته دور الكاهنة الملكية المؤله . ولكنه استطاع ابتكار نظام جديد يمكن من خلاله خلق التوافق مع القوى الكونية ، ليستطيع بمعاونة زوجته الحبيبة التى أصبحت الهة مكملة أساسية لشخصيته هو أداء دور « البعيدة » ، « حثور » ، وبشكل متوازن تتجدد قوته الالهية الملكية التى يدعمها فيضان النيل .

ولتحقيق هذا الغرض ، استوحى أفكاره من الصرحيين اللذين أقامهما « أمنحتب الثالث » بالنوبة السودانية : معبد « صولب » بالجنوب من أجل العنصر الذكرى ، والآخر بالشمال هو معبد « سيدنجا » من أجل



• هي ، ونفس هذه الاتجاهات والغايات انتهجها الكثير من هؤلاء الملوك الآخرين . فقد أراد رمسيس نفسه أن يرتقى بالطقوس الدينية إلى المرتبة الإلهية واختر عند مكان انحدار الشلال الثاني ، بوادي حلفا ، (١٨) صخرتين بارزتين عند حافة النيل ، وأمر بحفرهما على هيئة كهفين يختلف الواحد منهما عن الآخر في حجمه (١٩) . وهذا هو نفس الموقع الذي نعرفه حاليا باسم « أبو سمبل » . والمعبد الذي يشد الانتباه من هذين المعبدن أي الذي أقامه الفرعون لتمجيد وتأييد نفسه يتكون من واجهة عريضة يتقدمها أربعة تماثيل عملاقة تمثله وهو جالس يحترق في نفس صخور الجبل . ويبلغ ارتفاع كل تمثال عشرين مترا . وعلى شمال هذا المعبد يوجد كهف أصغر حجما مخصص في آن واحد للملكة واللاهتين ، حتحور ، و « سوتيس » . ويبدو تمثال الملكة نفرتاري منحوتا على جانب الشاطئ الصخري يحيط به تماثلا الملك ، يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار . وعندما يللمسه أول شعاع للشمس عند فجر كل صباح يتألق بحيوية بشرية مذهلة ومثيرة للعجب !!

ومناك ملاحظة أخرى في هذا الصدد . هي أن المحورين الخاصين بالمعبدن القائمين على الضفة الغربية من أجل العنصرين ، ليسا متوازيين ، بل يلتقيان معا من أجل زواج شعائري في منتصف مياه النيل . ولا شك أن السر العظيم كان يتم داخل المعبدن الموجودين بالكهفين ولكن نتائج هذا السر تفصح عنها التماثيل العملاقة المنحوتة على الواجهة الصخرية : رمسيس الشمس المشرقة ، ونفرتاري سوتيس الإلهة المثالفة والمشعة بالحيوية والحياة .

وفي هذه الأماكن ، كان ابن « سيتي الأول » يقوم كل عام بتجديد طاقته الإلهية ، ويؤكد للعالم تطابقه وتجانسه مع الشمس الجديدة التي يجسد صورتها . وتبدو صورته هكذا فوق باب الدخول في هيئة رجل ضخم البنيان ، رأسه على شكل رأس الصقر الشمسي . وترتكز يدها فوق كتابات هيرغليفية عملاقة ، تحوى اسمه الخاص بالتقويج وهو « سر - ماعت - رع » ، ومعناه « قادرة وجبارة هي ماعت رع » .

ونفس هذا التجديد السنوي الذي يحدث للشمس والفرعون ، كان يتم في نفس وقت رجوع الفيضان - أو « البعيدة » التي رجعت من أحضان قارة أفريقيا - في التاسع عشر من يوليو . وهذا الحدث ، الذي يعتبره المصريون القدماء بمثابة حدث كوني ، وأيضا بمثابة « رأس السنة الجديدة » والذي بفضل تفيض الحياة والحيوية والخير على كافة أنحاء البلاد من جديد ، هذا الحدث كانت تسبقه ظاهرة فلكية محددة . فعلى مدى خمسة وسبعين يوما تختفى النجمة « سوتيس » من السماء ،

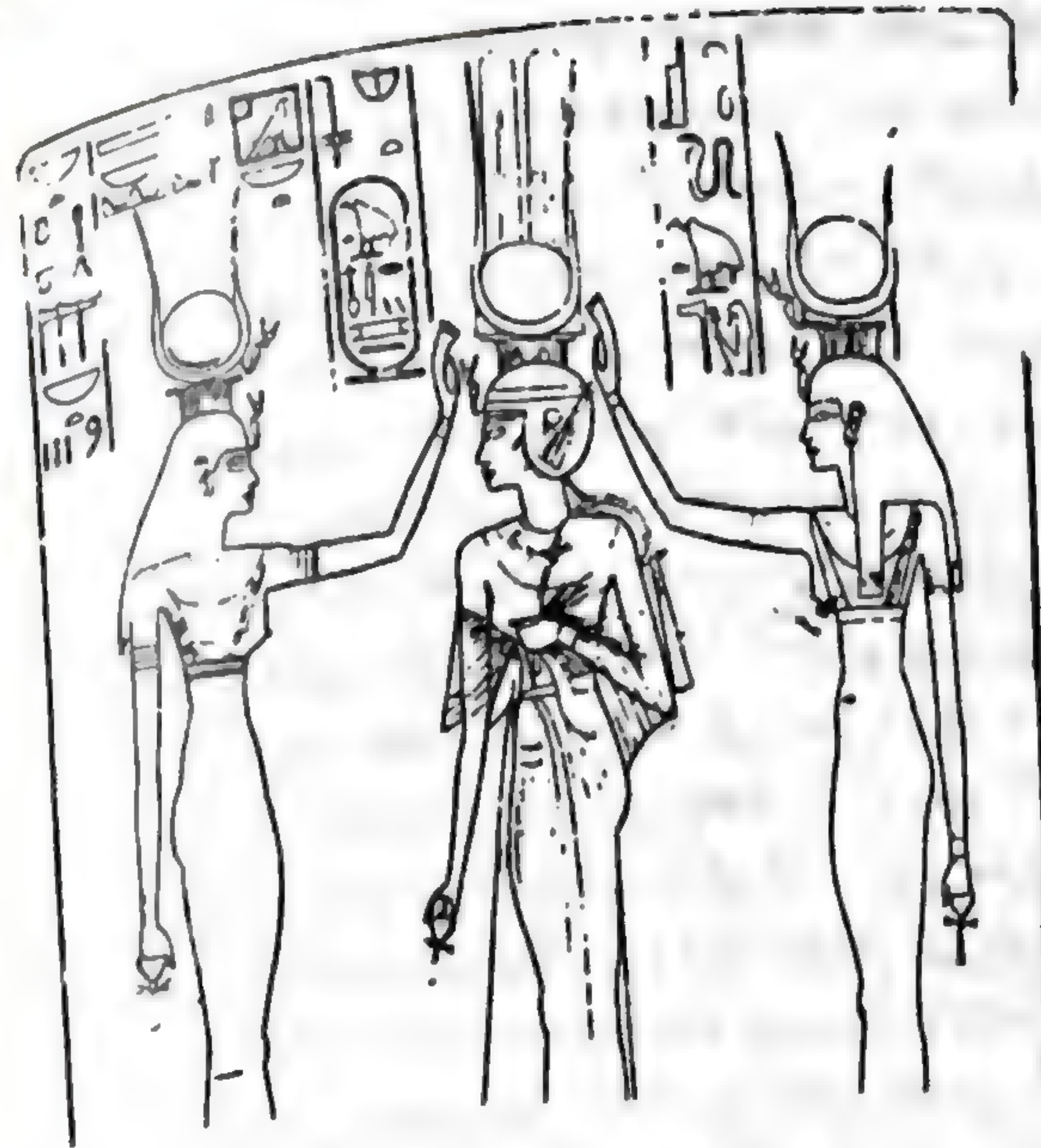
وعلى مقربة من المكان الذي ستظهر فيه من جديد تشرق الشمس . ومن هذا الظهور الشمسي للنجمة « سوتيس » ، كان يعد بمثابة معجز دائمة ومتجددة بالنسبة لمصر . ولهذا فإن تأكيد السطورة والقوة الملكية لمصر التي كان يحتفل به في كافة معابد مصر ، وفي كافة القصور الملكية ، بل وفي كافة المساكن العادية ، أصبح في حد ذاته بمثابة التدعيم الإلهي للفرعون مصر بفضل النجمة « سوتيس » التي أعادت البعيدة ، بل واندماجت واحتللت معها تماما . واستعان رمسيس بنفس الصورة التي لجأ إليها قبل ذلك « امنحتب الثالث » ، فأسند هذا الدور إلى رفيقته الأنثى المطابقة له . ومنحها هذا التطابق الإلهي . أن نجمة الصباح يجب أن تقوم كل عام شعائريا بولادته من جديد بعد مكوثه في بطن الإلهة « حتحور » ، اعطية التي يجسدها المعبد المنحوت في الجبل (٢٠) وفي المر الملحق بالمعبد الصغير بأبي سمبل ، نستطيع أن نشاهد هذا المنظر الفريد المنحوت على أحد الجدران حيث نرى « نفرتاري » وقد تحولت إلى إلهة . فتبدو أمامنا في صورة امرأة جميلة ممشوقة القد في رداء شفاف من النيل الأبيض ، ولكنها تضع على رأسها الشعر المستعار القصير المجعد ، وهي تتلقى من « حتحور » ومن « ايزيس » اللتين تحيطان بها تاج الإلهة « سوتيس » ، العالي وتبدو « نفرتاري » وهي ما زالت ممسكة بأحدى يديها صولجان الملكة ، وباليدي الأخرى يتدلى رمز الحياة « عنخ » الذي لا يملكه سوى الإلهة فقط . ولاكمال فاعلية هذه المراسيم التي تتم في قدس الأقداس ، نجد أن الزخرفة الشعائرية توحى بعودة ظهور الفرعون الذي تم تأليهه هو أيضا ، وخرج إلى الوجود بمصاحبة الفيضان المختلط مع اللاهتين « نفرتاري - سوتيس » . ولا شك أن هذا هو أحد التأثيرات العديدة الخارقة للطبيعة ، والتي استطاع رمسيس أن يلعب بها ليدعم من الوهيته ، ولكنه لم يستطع أن يفعل كل ذلك بدون معاونة رفيقته الأنثى المفضلة حينئذ « زوجته المفضلة » ، الملكة « نفرتاري » .

في صحبة الملك المتوفى :

إن الدور الذي يقوم به البشر من أجل انقاذ - أو حتى مساعدة - الملك المتوفى خلال رحلته نحو الأبدية هو دور يكاد يكون محسوسا في النصوص الدينية ، بل لا يكاد يشعر به على الجدران الخاصة بالقبور الملكية الفخمة . وكانت هذه الجدران تغطي بالعبارات والمناظر الشعائرية ولا تتضمن مطلقا أي ذكر لما قد يقوم به أفراد عائلة الملك المتوفى من أعمال من أجله بعد الموت .

ومع ذلك فإن مجموعة الأثاث الجنائزي للفرعون التي عثر عليها ملبية إلى حد ما والخاصة بـ « توت - عنخ آمون » تبين لنا في عدة





شكل (١١) تنويج نفرناري

مراحل وجود « الزوجة الملكية العظمى » في حياتها الخاصة مع الملك الشاب ، وهي تغدق عليه من حنانها ورعايتها . وبذا ، فإن اية عملية من عمليات السحر التي تتولد عنها نتائج ذات نفع وفائدة للملك المتوفى كان يجب التعبير عنها بشكل رمزي وكانها أمر من الأمور المعتادة الطريفة ، أو من أمور الحياة اليومية . وبذا ، فنحن مثلاً نرى مشهداً تبدو فيه أرملة « توت عنخ آمون » الشابة وهي مصورة على ظهر كرسى يعرفه علماء الآثار المصرية بدون تحديد باسم « عرش الملك » . وفي هذا المنظر نراها مهتمة غاية الاهتمام بدهن كتفي الفرعون بدهان معطر - الغرض منه إعادة تكوين لحم مومياء الملك الشاب - ويرى الملك الذي أحاط رأسه باكليل الشمس المشرقة . أما الملكة فتضع على رأسها تاج الآلهة « سوتيس » المرتفع . وعلى أحد أوجه صندوق كبير من العاج : نشاهد صورة الملكة وهي راكعة عند قدمي الملك وقد وضعت على رأسها تاجاً شعائرياً ثقيلاً ، وأخذت تشير للملك إلى أسماك ضخمة ( أسماك البعث ) التي يجب عليه أن يصطادها عند إطلاق السهام من قوسه الواقية الحامية من الشرور والسيئات . وفي منظر آخر نشاهدها وهي تقدم له زهرة اللوتس رمز الاستمرارية والبعث .

ولا شك أن كل هذه الأعمال التي نشاهدها في مثل تلك المناظر ، تبين لنا بوضوح تام أن « عنخ - اس - أن آمون » تلك الأرملة الملكية

والملكة العظيمة ، كانت تكن لزوجها الملك المتوفى حبا عظيماً جارفاً بالاضافة لذلك فهي تشعر نحوه باهتمام بالغ ورعاية عقائدية . وسوف يتلشى الشك تماماً عندما نقف أمام المعبود الصغير الذي زينته ونقشت جدرانها الخارجية برقائق ذهبية . حيث نجد المناظر الدقيقة المتنوعة التي تبين لنا مشاهد متتالية يدركها تماماً من استطاع التعمق في علم الرموز المصرية ، فهنا يتضح الدور الاساسي المنتظر أن تقوم به الملكة بعد وفاة زوجها الفرعون الذي كان يتم اثناء المراسم التي كانت تقام خلال فترة التحنيط . ثم بعد ذلك بدون شك خلال تشييع الجنازة . بل إن نشاطها هذا كان يعتمد الى داخل المقبرة نفسها ، وفقاً لما تبينه لنا المناظر .

ففي هذه المناظر نرى كافة المراسيم التي يجب أن تقوم بها زوجة الملك المتوفى في إطار البلاط الملكي الفخم ، حيث تقوم بنفس الدور المساوي الذي قامت به قبل ذلك الآلهة « ايزيس » بتجميع أجزاء جسد زوجها - الذي مات لبعض الوقت - ثم وهي توقف فيه فحولته وذكرته النائمة لكي يتم اللقاء بينهما ، ولتنجب منه وريثاً ولكي يبعث زوجها المتوفى من جديد في عالم الخلود والأبدية . إنها العاشقة ، إنها الأم ، فهي من جديده في عالم الكاهنة ، وهي تقترب من كيان الملك الجالس دون الأرملة والملكة ، الكاهنة ، وهي تعمل على الوقاية والحفظ : حراك ، تقدم اليه مخلف الرموز التي تعمل على الوقاية والحفظ : ادمنة عطرية ، وزهور ، وحلى شعائرية . فخلال خمس لحظات اساسية وحرجة تقوم الملكة في البداية برعاية وتاليه الجسد « الرمزي » لزوجها المتوفى ، بجميع انواع الأدوات والحلى . وبعد ذلك ، تقدم له « عظيمة السحر » . وهي تتكون من الأدوات التي تكسبه الوهيته وهي : القلادة ذات الكرات ، المعروفة باسم « مبات » ، وشكل لجسم الآلهة « حتحور » الذي سيدمج فيه تحول الملك الأبدى ، وكذلك « الصلاصل » المشكلة على هيئة « الناووس » التي تساعد بعد ذلك على ظهور الوليد الشمسي الذي سيبرز الملك في هيئته ، وهناك منظر آخر يؤكد لنا العمل الذي تساهم به الملكة : فهي تبدو جالسة القرفصاء ، عارية أمام الملك الجالس على مقعده في كامل زينته . وترى الملكة وهي تتلقى في انفعال واضح ، في السائل الذي يسكبه الفرعون من زجاجة صغيرة يمسكها بيده ، في راحة يدها : وهذا يعد رمزا وتعبيراً عفيفاً عن علاقتهما الزوجية الحميمة . وفي لحظة ذلك اللقاء العاطفي الحميم بين الزوجين الملكيين ، والذي عبر عنه في عفة ونقاء واضح ، نشاهد الملكة وقد وضعت فوق رأسها تاج الآلهة « سوتيس » . أما المنظر الرابع فيبين لنا مرحلة العمل حيث نرى في اعماق الملكة الكاهنة البذرة الجديدة التي ستعيش الى الأبد وهي تتحول رويدا رويدا . وهنا ، نرى الملكة الشابة الجالسة



القرفصاء أمام توت عنخ آمون ، على مقعد منخفض صغير وقد انهمكت  
في تصويب سهامها نحو بط بري في أحراش البردي . وحتى نصيب  
محاولات هجوم الشر المحتملة غير ذات أثر نشاهد الملكة وهي تنصب  
سهام زوجها الفرعون ، الذي يجب أن تخرق جسم أى طائر مؤذ يتوجه  
في المستقبل الذى ينبغى عبوره قبل بلوغ مرحلة البعث . أما عن المرحلة  
الخامسة أو الأخيرة فنراها من خلال دخول الفرعون الوشيك الى عالم  
الأبدية ، إذ يبين الملك وهو واقف على قدميه ولكن خطواته لا تزال غير  
ثابتة وهو يتوجه بمساعدة الملكة نحو باب غير مرئى للخروج ، وقد  
احاطته الملكة بكل رعايتها واهتمامها . فهي تبسدى نحوه غاية الحنن  
والرعاية وتسانده وقد تابطت ذراعه وكأنه قد استيقظ لتوه من سبات  
طويل . وتجذبه في نفس الوقت جذبا قويا لا يتعارض فيه أحد .

وبذا ، نجد أن الفرعون حتى وفاته ، وبعد أن يفادر كيانه الشخصى  
العالم الدنيوى ، تقوم الزوجة الملكية العظيمة التى اختارها الملك لتكون  
شريكته فى هذه المناسبات بوظيفتها العقائدية المتعددة الأوجه .



شكل (١٢) توت عنخ آمون وزوجته

- ٣ -

## حريم التاج

### فكرة الحريم

ظهرت فكرة مؤسسة الحريم الملكى متوازية تماما مع النظام الإدارى  
الملكى ، منذ فجر التاريخ المصرى القديم وإن كانت مستقلة عنه ، وكلمة  
« ابيت - نسوت » تعنى باللغة المصرية القديمة المقر الذى تقيم فيه الملكة .  
والذى يتم فيه تعليم الأطفال الملكيين . وهو أيضا نفس المكان الذى تقيم  
فيه الزوجات الثانويات ، أو من يعرفن « بزينة الملك » أو بمعنى آخر  
« خكروت نسوت » ، أو « النفروت » ، أى الجمال الحى الخاص بالبلاط  
الملكى . وهذا الجمال الحى كان يهدف بكل أغانيه والحنانه ورقصاته  
وكل أوجه نشاطه الأخرى الى إرضاء الملك وإسعادته وامتاعه . ونجد أن  
قصة « الفتيات المجدفات » والتى يرجع أصلها الى الدولة القديمة ،  
والتي وردت فى « بردية وستكار » تشير قطعاً الى هذه النوعية من  
الفتيات اللاتى كان يزخر بهن الحريم الملكى :

« ذات يوم من الأيام ، أخذ الملك « سنفر » يجوب جميع حجرات  
قصره ، بحثاً ( عما يسرى عنه ) ، ولكنه لم يجد شيئاً من هذا القبيل ،  
وهنا قال : « فليحضر الى رئيس القراء والكتاب جاجا ام عنخ » .  
وسرعان ما أحضر جاجا ام عنخ ، ومثل أمامه ، وقال له جلالته : « لقد  
جبت جميع حجرات ( القصر ) ( ..... ) بحثاً عما يسرى عن نفسى ،  
ولم أجد ( بغيتى ) مطلقاً » . فأجابه جاجا ام عنخ قائلاً : فلتتوجه  
جلالتك الى بحيرة القصر ( ..... ) ، وليعد من أجل جلالتك مركب  
مليئة بكل فتيات قصرك الجميلات وسوف يسعد قلب جلالتك ويبتهج ،  
وهو يراهن أثناء تجديفهن لنزول النهر ، ثم صعوده . وسوف تشاهد  
جلالتك المناطق المشجرة الجميلة المحيطة بنهرك والمزارع التى تجاورها ،  
وشواطئها الجميلة الرائعة . ولا شك أن قلب جلالتك ستغمره السعادة  
أمام هذا المنظر » . ( فقال الملك ) : « أجل سوف أعطى أوامرى بالاعداد  
لرحلة نيلية » . فليؤت الى بعشرين مجدافاً مصنوعاً من خشب الأبنوس ،  
الكسو بالذهب ، مقابضها من الخشب المعطر ، المطعم بالذهب النقى .  
فليؤت الى بعشرين فتاة ممن لهن أجمل الأعضاء وصدورهن رشيقه



وشعورهن مجدولة ممن لم يلدن بعد ، وفوق ذلك احضروا لى عشر  
شبكة واعدوها للنساء بدلا من ملابسهن ، . وتم تنفيذ كل ما امر به  
جلالته تنفيذا كاملا .

وقامت النساء الجميلات بالتجديف جيئة وروحة ، وبذا ، امر  
قلب جلالته سعادة وسرورا ، حيثما رأى كيف يجدفن ، (١) .  
وتستمر القصة فى سياقها من خلال المعجزة التى حدثت عند  
سقطت من إحدى الفتيات حلية من الفيروز الجديد فى الماء .....

### تنظيم الحريم

ولا شك أن هذه الأقصوصة ، تبين بعض الجوانب الساحرة ، ولكن  
الثانوية ، ولهذه المؤسسة الضخمة المعروفة باسم « الحريم » ، والتى  
كانت منظمة تنظيما دقيقا . ويقوم بإدارتها « رئيس إدارة » ، يعاونه فى  
مهمته مساعد له ، ويشرفان على عدد كبير من الكتبة العاملين بالحريم .  
والمفتشين ، والموظفين المؤوسسين الذين يحملون لقب « كتبة اسواب  
الحريم » أو « حرس الأبواب » . ولا شك أن مثل هذا التجمع الضخم  
يحتج توافر خدمات العديد من الحرفيين والخدم بخلاف من يقومون  
بتنمية واستثمار ثروات الضياع الشاسعة الملحقة بتلك المؤسسة والتى  
ربما كانت تدر خيرات وفيرة . فهناك قطعان الماشية والمزارع  
والاستثمارات الزراعية . وهناك أيضا مصايد الأسماك والانتاج الخاص  
بالمصانع الملحقة بمؤسسة الحريم ، بالإضافة الى الضرائب التى كانت  
تجمعها إدارة هذه المؤسسة . وفى إطار هذا المجتمع الضخم من الموظفين ،  
لم يكن هناك أى مجال للخصيان الذين يبدو أنهم لم يوجدوا بقاتنا ، فى  
مصر الفرعونية ، ولم يكن هناك ما يدعو لوجودهم .

ومهمة الحريم الذى كانت تهيمن عليه الزوجة الملكية العظمى كانت  
تتركز فى استقبال الأميرات اللاتى يتزوجهن الفرعون تحت المقاب مختلفة ،  
واللاتى كن يحضرن بمصاحبة حاشيتهن . وبذا ، كانت الضرورة تحتم  
تجهيز مجموعة كبيرة من المساكن حيث تقيم هؤلاء السيدات يحيط بهن  
أبنائهن الذين انجبوا بزواجهن من الفرعون . ولذا ، نجد أن الزوجة  
الملكية الثانية المعظمة للفرعون تحتل الثالث وهى الملكة « حتشبسوت  
- مريت رع » قد حملت القابا من ضمنها « تلك التى تحب سيد الأرضين » ،  
« صاحبة الامتيازات فى قصر الملك » ، « الوصية على الزوجات  
الملكيات » ، « التى لم تتعد مطلقا عن سيد القطرين » . وفى هذا  
الطار كانت « رئيسة الحريم » تقوم بمساعدة الملكة مثل أخت « حوى »

نائب الملك فى الذوبة خلال حكم الملك « توت عنخ آمون » . وقد عرف  
عنه انه كان أول من ادخل فى حريم مليكه ضمن الكثيرات أميرة رائعة  
الجمال . استحضرها من بلاد « واوات » ( أى الذوبة المصرية ) .

وبذا ، أصبح الحريم سريعا ، بمثابة المركز الرئيسى لإدارة شئون  
الزواج الخاصة بالفرعون . كما ساعد وجود الأميرات الأجنبية  
« الأجواء الملكية » على تطعيم البلاط الملكى بدماء جديدة فى مجال طبقات  
المجتمع العليا خاصة منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة . ونحن نعرف أن  
« منحتب الثالث » كان قد أصدر جعرانا يؤرخ به زواجه فى العام العاشر  
من حكمه من الأميرة « جيلوكيبا » ، ابنة « شوتارنا الثانى » ملك  
من حكمه من (٢) . وقد حضرت هذه الأميرة الى مصر ، وبصحبتها حوالى  
٣١٧ امرأة من حاشيتها . وإذا استطعنا أن نضيف الى هذا الرقم  
الهائل من الشابات الجميلات ، حوالى (٤٠) امرأة شابة ، تم احضارهن  
من غزة ، وذلك لارسالهن أيضا الى حريم « منحتب الثالث » ، كما تذكر  
من غزة ، وذلك لارسالهن أيضا الى حريم « منحتب الثالث » ، كما تذكر  
أحدى اللوحات ذات الكتابة المسمارية فى محفوظات « تل العمارنة » ،  
فإن هذين المصدرين بمفردهما يرفعان عدد الأجنيبات القادمات الى  
حريم « منحتب الثالث » الى حوالى ٣٥٧ فتاة على الأقل .

### انواع الحريم المختلفة

كانت « مؤسسة الحريم » تتضمن ما يسمى « بيت السيدات » ،  
وكان يوجد حريم فى منف وحريم فى طيبة . أما فى « تل العمارنة »  
حيث ظهرت البدعة الدينية الجديدة ، فقد كان يوجد حريم الشمال  
وحريم الجنوب . وكان يوجد أيضا ما يسمى « بحريم المصاحبة » داخل  
البلاط الملكى نفسه لكى يستطيع أن يرافق الفرعون خلال تنقلاته .  
وبذا ، نستطيع أن نتفهم مغزى هذا الأمر الذى أصدره « رمسيس الثانى »  
لابنه الأكبر عند اقتراب بدء معركة قادش الشهيرة ، على ضفاف نهر  
« العاصى » حيث قال له : يجب إبعاد النساء والأطفال .

ولا شك أن أكثر أنواع الحريم شهرة وأهمية ، كان الحريم القائم فى  
مدينة « أبو غراب » ( تى ور ) (٣) عند مدخل الفيوم ، الذى كان يعتبر  
بالفعل مدينة صغيرة ، وفى هذا المكان بالذات ، كان فراعنة الدولة  
الوسطى والدولة الحديثة يسعدون بتمضية الوقت فى صيد الطيور  
والأسماك على ضفاف بحيرة « قارون » ، وفى الصحراء المتاخمة لها .  
وكانت الخضرة والمزروعات الكثيفة ، تكسوا بغزارة تلك المنطقة الواقعة  
ما بين البحيرة والجري الموازى للنيل ، المسمى حاليا « بنهر يوسف » (٤)



أو بحر يوسف . وكانت المياه تتدفق بغزارة بين الشيطان ذات المناظر  
الشاعرية التي تزدهر باللون الأخضر البديع في تلك المنطقة التي  
استحقت عن جدارة أن يسميها البعض حاليا . سويسرا الصغرى ،  
ولا شك أن عمليات التنقيب الأولى في تلك المنطقة ، قد بينت آثارا فعلية  
للفتات التي قضاها كل من الفراعنة ، أمنحتب الثالث ، . . . الرابع  
و . . . توت عنخ آمون ، بها . وهناك آثار أخرى تبين احتمال أن الملكة  
تي ، قد قضت أيامها الأخيرة في تلك المنطقة ، لا في عاصمة ملك  
التي كانت تعرف باسم ، الملقطة ، والمواجهة لطيبة . وتمثالها الشهير  
الذي ينطق بواقعية واضحة ، والمنحوت من الخشب الداكن اللور قد  
عثر عليه ضمن آثار تلك المنطقة (٥) . كما وجدت أيضا في تلك المنطقة  
بعض الآثار الخاصة بسيدات من عصر ، رمسيس الثاني ، . . . وهذا  
يوحى بأن زوجة الملك الحيثية التي تدعى ، مات حور نفرور رع ، كانت  
هي الأخرى تقيم هناك . وعموما ، فلا شك أن الكثير من قريبات الأميرة  
المالكة المسنات كن يقمن هناك بصفة مستديمة ، ويتبادلن المراسلات  
المتوالية مع الفرعون لكي يحطنه علما بكل ما كان يدور هناك في  
أجواء الحريم .

ومما لا شك فيه أيضا أن فنون المرح واللهر كانت تمارس وتستغل  
الى اقصى درجة في مثل هذه الأماكن الأنثوية التي كان يميزها خاصة  
انتشار أوجه الثقافة الرفيعة والأذواق العالية . وكانت الموسيقى والرقص  
والشعر وكل عناصر السحر والفنوية ضمن جدول الأعمال اليومي  
في الحريم .

ومع ذلك فإن الحريم كان يعتبر أيضا مكانا للإنتاج . ومن ضمن  
أوجه النشاط التي كان على رئيسات الحريم أن يقمن بها حرفة النسيج ،  
أو أن يكن قادرات على الأقل على الإشراف على مشغل النسيج . وهذه  
المشاغل كانت تعد ضمن الأملاك الملكية الشهير في أنحاء المملكة ، بل  
وخارج الحدود أيضا ، فانتاج هذه المشاغل كان يورد الى البلاط الملكي  
بل وأيضا الى بعض القصور الملكية الصديقة لمصر . ومن المعروف أيضا  
أن العاملات الخاديات غير المتمتعات بكامل حريتهن واللاتي كن يستجلبن  
من خارج مصر ، ومن الشرق الأدنى خاصة ، كن يقمن بالعمل في المشاغل  
الملحقة به .

ومن المعتقد أيضا أن مؤسسة الحريم كانت تتضمن كذلك بعض  
المصانع والورش التي تصنع بها الأدوات المستعملة في تجميل النساء  
واللازمة للعناية بجمالهن . مثل القوارير والأوعية الخاصة بالعطور  
والدهانات المعطرة المختلفة ، الكحل ، والزيوت ذات الرائحة الزكية .



شكل (١٣) كاريكاتير مصري قديم يصور أسدا يلعب الضامة مع وعل  
سيدات الحريم

كان هذا الحريم يزخر بفنات متنوعة من النساء . وتحت لواء  
الزوجة الملكية العظمى التي كانت تلتزم بالكموث به في أغلب الأحيان مع  
بناتها الصغار ، وكانت تقيم أيضا النساء أو الزوجات الملكيات الثانويات  
سواء المصريات منهن أو الأجنيبيات ، ومعهن أبنائهن . وكانت توجد به  
أيضا أماكن للمحظيات ، أو « الزينة الملكية » (٦) وهؤلاء المحظيات  
اللاتي لم يكن يتمتعن الا بمجرد لحظات مضيئة خاطفة من اعجاب الملك ،  
كن يتزين بتاج خاص بهن تزيينه الزهور المستقيمة الساق المثبتة في  
أطراف يحيط برؤوسهن ( أما السوريات منهن ، فكن يضافن الى هذا  
التاج حلقة صغيرة أو اثنتين على شكل رأس غزالة صغيرة . يتدلى  
على الجبهة ( ٧ ) . ونفس هذا التاج كانت تلبس مثله بنات الملك أيضا  
عندما يصبحن زوجات له ، ويبقى على رؤوسهن كعلامة من علامات  
التكريم الملكي لهن . وسرعان ما أطلق على « محظيات الملك »  
لقب سيدات الحريم (٨) . وكان البعض منهن يزوجن لبعض كبار موظفي  
الإدارة الملكية . وبعد ذلك ، وشيئا فشيئا أخذت عبارة « الزينة الملكية »  
التي كانت تطلق عليهن تفقد معناها الأصلي . وأصبحت تطلق على  
سيدات البلاط الملكي المختلفات تماما عن سيدات الحريم ، إلا من حيث



كونهن في خدمة الزوجة الملكية العظيمة . وكان الفرعون يقيم  
بتزويجهن أيضا لمعاونته المقربين جدا . وبالتسالي يدعم من مراكز  
وظائفهم .

## السكن الخاص

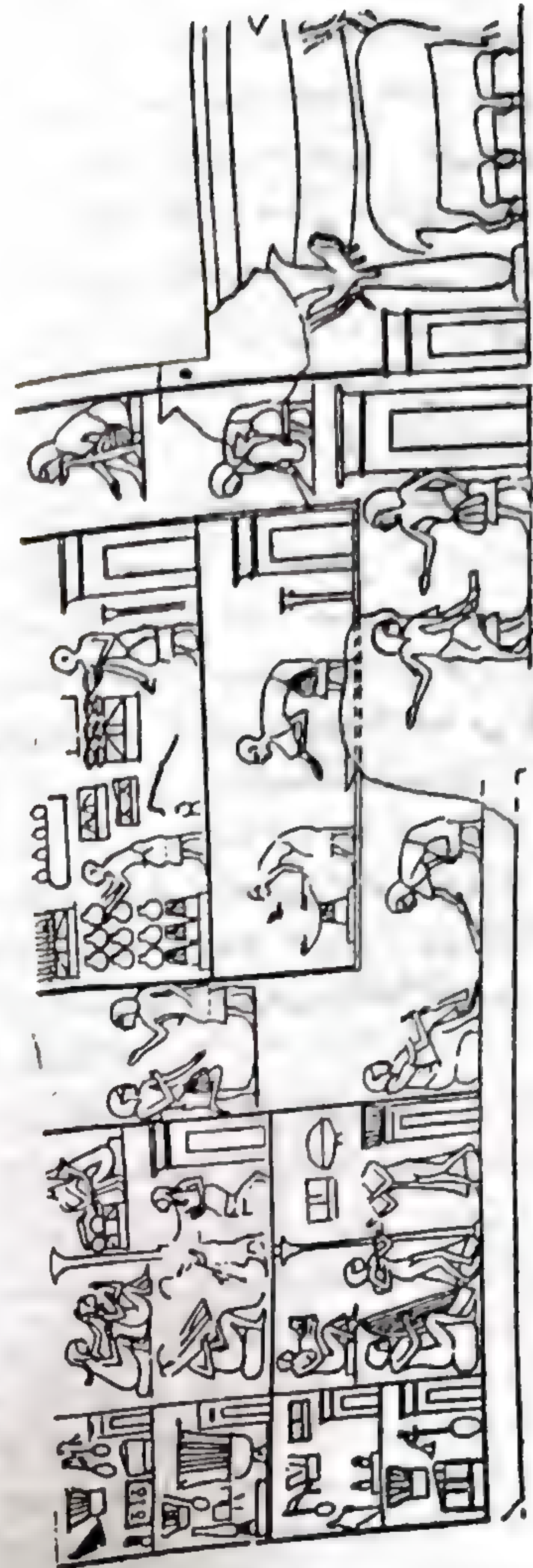
مما يؤسف له حقا ، أن منطقة « ابو غراب » ، كانت هدفا لعمليات  
تدمير وتخريب عديدة . ومع ذلك ، فقد ساعدت عمليات التنقيب الحديثة  
في اطلالها على توضيح معلومات على درجة كبيرة من الأهمية . ولكن  
مع الأسف معلومات غير كافية ( وكذلك الحال ، بالنسبة لنتائج السبيل  
في منطقة « الملقة » ) عن قصر الملكة « تي » ، والأميرة الأولى المسكنة  
« سات آمون » ، وكذلك بالنسبة للتنقيب الذي تم في منطقة نل العماره  
في القصر الشمالي الخاص بنفرتيتي على سبيل المثال . ومع ذلك ، فإن  
الكهوف الجنائزية ، التي دفن بها بعض الأمراء ، بمنطقة الأرض  
بالعمارة ( والتي عرفت قديما باسم أخيتاتون ) تبين بعض مناظر  
مسكن سيدات البلاط الملكي . ونستطيع أن نتبين بها مثلا مكان السفينة  
التي تظل باب الدخول الى المسكن الذي تتقدمه اسوار عالية يقف عليها  
بعض الحراس . ونستطيع أن نشاهد أيضا الجزء الأساسي من المسكن  
ذي المدخل والبهو الكبير ، والقاعة الوسطى التي يرتكز سقفها على  
اعمدة فخمة جميلة التصميم ، تكللها اطارات علوية على شكل زهور .  
ويلحق بذلك كله العديد من الغرف الثانوية التي كانت تخصص للملكة  
وليئاتها . وترى أيضا بنات الملكة ومن بمصاحبة مربياتهن ، يتعلمن  
منهن فنون الغناء والرقص والعزف على العود والقيثار . وفي ناحية  
أخرى نستطيع أن نشاهد البعض وهي منهمكات في تناول غذائهن .  
ويلاحظ أن المبنى مليء بالخدم الذكور فقط ، وهم يتنقلون للعناية  
بنظافة المكان ورونته ، والمساعدة في كافة شئون الحياة اليومية . ومن  
الملاحظ أيضا أن المرأة لم تكن تقوم مطلقا بالخدمة في هذه الأماكن  
حيث يقوم الرجال - متمتعين بكل احترامهم - بالتنظيم والخدمة ،  
وكان هذا أمرا طبيعيا للغاية . ولقد بينت لنا الحفائر التي تمت في هاتين  
العاصمتين ، رسوما ملونة فوق بعض الجدران ، تدل على مدى فخامة  
الزخرف الذي تعيش في أجوائه الملكات والأميرات . فهناك مناظر لأماكن  
ملينة بزهور البردي ذات اللون الأخضر الجميل المائل إلى الزرق ، حيث  
ترفرف طيور البط البري . وكذلك نستطيع أن نرى الإيكات الخسافة  
بالزهور ، والتي يرتفع في جنباتها صفار الماعز ، وأحيانا توجد على  
الأرض نفسها بعض المناظر التي تصور مسطحات مائية تطفو عليها زهور

الارنيس المتفتحة التي تكاد تلامسها أثناء سباحتها في الماء الأسماك  
اللولؤية اللون . ومن روائع اللوحات الملونة لقدماء المصريين ، هذا  
الرسم الذي نستطيع من خلاله أن نشاهد الزخرفة التي تمثل بيتا من  
بيوت الطيور ( طيور الزينة ) بالقصر الشمالي الخاص بنفرتيتي ، وسوف  
نرى إيكات نبات البردي ، وقد رسمت بأسلوب « تأثيري » ، حيث بدت  
رؤوسها ثقيلة متفتحة وقد انحنيت تحت ثقلها ، وازدانت هذه المزروعات  
الكثيفة بالطيور الزرقاء والوردية اللون ، التي بدت وكأنها تتأرجح فوق  
الأغصان . وتشاهد أيضا طيور تسمى « أكال السمك » ذات اللونين الأسود  
والأبيض ، وهي تضرب بمنقارها على جذور النباتات المائية . إنها  
شاعرية تجل عن الوصف تراءى في مثل هذه الأجواء المهيبة : الرفاهية ،  
والذوق الفني الرفيع ، والدقة المتناهية في اختيار الألوان المتدرجة  
المرحة ، كل ذلك يبدو جليا واضحا ، في أجواء هذه المساكن التي أقيمت  
من أجل رعاية الجمال وازدهاره . وفي منظر من المناظر الجدارية في  
أحد مساكن الحريم بالعمارة ، نستطيع أن نميز منظرا لحجرة بها  
سرير كبير ، وبجواره ثلاثة أسرة صغيرة ، توحى بوجود ثلاث أميرات  
ملكيات . ونلاحظ أيضا أن تيجان الأساطين قد زينت بأشكال تشبه في  
تكوينها ، مجموعة من الطيور المتجمعة معا في شكل عنقودي . وقد  
تدلت رؤوسها إلى أسفل ، وانبطت أجنحتها . ويمكن آخر - مثل  
عاصمة رمسيس « بي رمسيس » ، عند الفرع الشرقي للدلتا - نشاهد  
لوحات مصنوعة من الطين المحروق المكسو بالخزف الأزرق الفيروزي ،  
تحيط بالأبواب والنوافذ . وفوق الأرض ، ترى البلاطات البراقة اللامعة  
وهي تبدو في زخرفتها وحوض مياهها الترفيحي ، وكأنها حديقة  
مدمشة ساحرة .

أما الأواني الفخارية ، والتي كانت تحفظ فيها المأكولات والمشروبات ،  
أو المتعلقات الثمينة الخاصة بأصحابها ، فقد غطيت برسوم تمثل أكاليل  
الزهور ، ذات اللون الأزرق البراق ، وهو ما يسمى « بالأزرق الطبيعي » .  
وأما الصناديق التي كانت تستعمل لحفظ الملابس أو المجوهرات ،  
فقد صنعت من نوع من الأخشاب المستوردة من السودان والشرق الأدنى ،  
وكانت ترصع بالعاج أو تزين بالزخارف المفرغة والمذهبة ، أو تكسى  
وتلبس برقائيق ذهبية . وغالبا ما كانت تزين بتمشائل دقيقة شبيهة  
بالمشتمات المعروفة حاليا . أما الأسرة المنخفضة ذات الملة المصنوعة  
من التيل الجدول المضفر ، فقد كانت مزخرفة أيضا ، ويكمل التأثيث  
بعض المقاعد والكراسي ذات الذراعين ، والمناضد الصغيرة التي يمكن  
طيها . وكانت الوسائد الصغيرة المصنوعة من جلد الغزلان تحشى بزغب  
الحمام وهو ما كانت تفضله الأميرة « سات - آمون » غالبا .



ومن الطبيعي أن ينعقدنا هذا الوصف عن ملاحظة الفن المعماري الذي يتجلى في تصميم برج البوابة الشهير ، ذي الفتحات بمعبد رمسيس الثالث بمدينة « هابو » . فان منظر مجموعة النساء الجميلات الساحرات ومن في صحبة الملك وكائه يتغزل فيهن ، قد أوحى لفترة طويلة الى البعض ، بان هذا المكان ربما كان حريم الملك . ولكن الواقع يؤكد عكس ذلك . اذ نحن اردنا استرجاع وصف القصور التي اشرنا اليها آنفا . ففي الواقع أن برج مدينة « هابو » الذي كان يطلق عليه اسم « المكان السامي الكبير » ، قد شيد فعلا على النمط الكهنوتي ، مثله مثل المعبد نفسه . اما عن الفتيات الجميلات اللاتي تزين رؤوسهن الأكاليل العالية المجذولة من الزهور والخاصة ، بمعظيات الملك ، فلسن - وفقا لما توضحه لنا الكتابات - سوى بنات الفرعون . اذن ، فالامر يتعلق بمكان كانت تمارس فيه بعض المراسم العقائدية السحرية . المتعلقة بتجديد حيوية الملك . وتصاحب تلك المشاهد احدى قصائد الحب القصيرة ، والتي تنغنى « بسحر » المحبوب .



شكل (١٥) الحريم الملكي



## الأبناء الملكييون وكيفية تعليمهم

انقضت الضرورة وجود بيوت الأطفال الملكييين ، داخل نطاق الحريم حيث تقوم برعايتهم ، المرضعات والمربيات ، اللاتي كان يتم اختيارهن من سيدات الأمر النبيلة ، ويقوم أيضا المربون وهم من قادة الجيش ، الذين أوشكوا على الانتهاء من مدة خدمتهم برعاية الأمراء والأميرات الصغار تحت إشراف الملكة الأم . وربما كانت الزوجية الرئيسية ، تحضر إلى الحريم كذلك ، لكي تضع أبناءها ، حيث تقام الاحتفالات الكبيرة بمناسبة الوضع ، وتبقى الملكة منعزلة لفترة ما حتى تظهر بعد عملية الوضع .

وكان القصر يتضمن أيضا مدرسة يتلقى فيها النبلاء الصغار نفس التعليم المقرر على الأمراء . فهذا ، على الأقل ما يبينه لنا أحد وجهاء القوم ، ويدعى « بتاح شيسن » ، الذي ولد في عهد الفرعون « منكار رع » وتلقى العلم مع الأبناء الملكييين في القصر الكبير الخاص بالملك في مقر حريمه . وكان الملك يحبه ويعزه أكثر من أي ابن ( آخر ) . وبذا ، الحق بالقصر ، وعندما وصل إلى سن الزواج ، تزوج الابنة الكبرى للملك ، وتدعى « خع ماعت » ، لأن جلالة الملك أراد لها أن تشاطره حياته ، دون أي شخص ( آخر ) .

ومنذ الدولة الوسطى ، استمر الأبناء الملكييون في تلقي تعليمهم بجوار أبناء النبلاء ، ولكن في نطاق مدرسة خاصة يستطيع أبناء بعض الزعماء الأجانب الالتحاق بها أيضا ، ليستفيدوا من المستوى الدراسي الرفيع والتعاليم الأخلاقية وأسلوب الحياة بمصر الفرعونية . وكان يطلق على مثل هذه المؤسسة اسم « كب » Kep . أما زملاء الأمراء في الدراسة ، فيطلق عليهم اسم « أبناء كب » ( ١٠ ) وهو تكريم وتشريف كان يصاحبهم طول حياتهم . ومن الصعب إثبات أن « كب » كانت تستقبل فعلا أبناء الأسريين ، أو أبناء الساميين . ولكن من المؤكد فعلا أنه كان من ضمنهم عدد كبير من الأمراء النوبيين . وبعض هؤلاء الأمراء كانوا يلحقون بالعمل في الجيش ، وبذلك يصبحون من أفضل ضباط أبناء الملك الذين زاملوهم في تربيتهم وتعليمهم بمعهد « كب » . أما البعض الآخر مثل المدعو « حكا - نفر Heka Néfer » أمير « ميعام » في عهد « توت عنخ آمون » ، فكانوا يرجعون إلى أقاليمهم الجنوبية النائية ، ويبقون دائما أبدا من أكثر حلفاء وموالي الفرعون إخلاصا .

## تلاميذ عارف بالجميل من تلاميذ « كب »

من حسن الحظ ، أن مقصورة « حوى » الجنائزية بطيبة ، وهو نائب الملك في النوبة ، وكان معاصرا للملك توت عنخ آمون ، قد احتفظت لنا بأحدى اللوحات الجدارية الملونة ، كصورة ناطقة لحظية ، تنقلنا - إذا سمع التعبير - إلى أجواء طيبة ، منذ حوالي ٢٣٠٠ سنة ، مع أحد تلاميذ « كب » القدماء ، والذي بقي على وفائه وإخلاصه لتعاليم الحريم ، التي تربي عليها وتعلمها . والأمر يتعلق بالتحديد بالمدعو « حكا نفر » أمير مقاطعة « ميعام » ، والمعروفة باسم « غنية » حاليا . وكانت تقع في النوبة شمال أبي سمبل ( ١١ ) .

تخرج الأمير من « كب » ورجع إلى بلاده الدافئة النوبة . وبالرغم من أنه قد تشبع أثناء وجوده في الحريم ، بمصر بمختلف المعارف والتقاليد التي كان لا يرفضها أبدا ، فإنه مع ذلك سار على نهج العادات والتقاليد السائدة في وطنه . واللوحة تمثله على رأس موكب كبير ، يقوده نحو البلاط الفرعوني نائب الملك ، وقد خر ساجدا أمام جلالة الفرعون ضمن عظماء بلاد واوات Ouacuat ( أمراء النوبة السفلى ) ، في وضع يتسم بالتبجيل والخضوع . وليس هناك أي مجال للشك ، فالكتابات توضح لنا بوضوح اسمه ولقبه : « حاكم ميعام » ، « حكا نفر » كما نلاحظ أيضا ، علامات تشريط البشرة المميزة لأهالي النوبة ، الظاهرة ما بين الأنف والخدين ، واضحة على وجوه هؤلاء الوجهاء ذوي القانسوة المستديرة والشعور المجعدة ، التي تربط بشريط ، ويثبت بها على أحد جانبي الرأس ريشتا نعام ، كما تدلت من آذانهم حلقات ذهبية . أما أعناقهم فيحيط بها عقد صغير يشبه « أطواق الكلاب » ، من اللآلئ المتعددة الألوان ، وتغطي ظهورهم وأكتافهم جلود النمر والفهود . ومع ذلك نلاحظ أن المنزر الذي يرتدونه ، والمصنوع من الكتان ، المتميز بكسراته المتعددة ، وفقا للطراز المصري ، والذي يتزين بحزام ينتهي بما يشبه الأهداب الطويلة من خيوط متعددة الألوان على الطريقة النوبية ، وهم حفاة الأقدام . أما من يتبعونهم ، أي أبناء عظماء رجال كل هذه الأقاليم الأجنبية ، فقد كانوا يرتدون نعالا بيضاء خفيفة ( Sandales ) من النوع السائد في مصر .

ها نحن إذن ، أمام أحد تلاميذ الحريم القدامى ، أثناء تقديمه للفرعون دليلا على عرفانه بالجميل ، فيقدم له أجمل ما لديه : أميرة رائعة الجمال ، بصحبتها حاشية يأكملها ، مكونة من نساء جميلات وشبيلات لتزيينها وتجميلها ، وخادمت صغيرات ، وعلمان ، وخدم



قوله شجرة - ولا شك ان كل هذا الجميع قد تم تسليطه على  
 القليل القليل - على يد - حكا - نمر - وشمل على يد  
 ولواضعهم - وتنبؤ الأميرة وقد لوحت ثوبا زاهيا من  
 عن الثياب المتعددة - وعدا ثوبا - عريضا - يعطى صرور  
 اما شعرا فمثل بقية ثيابها غير مكنون من شعر مسود  
 يعطيه ما يشبه لاج الصغير - ووفقا للاستور الذي كان  
 كان لثياب الرعاة الوجوه يتحشونها يتحشونها يتحشونها  
 ايضا ثوبية مصنوعة من الكتان الأبيض المتعددة الثياب - ولا  
 العظم وعظمهم سوى ما يرتونه من القراط تملأ منها كرات صغيرة  
 وتبذل القطة لليرة العظيمة بالترجم

ويسر ان الأميرة التي مستظم الى حريم الفرعون كانت تشبه  
 بشرة لونها الفتح من بقية الفريسات المحيطات بها - كما ان ملبسها تعريفا  
 كان يسمح ليد - بطيعة الحال - بان تتجول وفقا للمعروف ولمر  
 يعرفها - فلي تتوعدا شابة صغيرة عارية الجرع - وشعرها  
 السرميل يتسلل بكل حرية فوق كتفها - ولم تكن هذه العرة تجردا  
 لحياء كما هو الحال في مصر - ولكن مجموعة من الثيران الزرقاء  
 تتسا من منزل ليها حتى السفينة - لكي تعلقها عبر النهر الى سد  
 مية - ومعد ذلك - كان الأمر يستلزم ان تقوم الثيران بتوصيل ثياب  
 الجميلة الى ايوان القصر - وذلك كان عليها ان تترجل - عند منزلها  
 حتى الفرعون -

ويسر لنا - عند تحقيق النظر في هذا الرسم التميز للغاية - ان  
 الأمر يتعلق بتوزيع - زوجة للثوية - للفرعون - ان الجميع والحد  
 تكون من القليل الضئيلة - والقرية قطعا - موجود فنا - ويشعر  
 مائة الوسط بكنها المركب الذي يمثل صدق الأميرة التي توشك على  
 التحول الى حريم الملك - وهناك ايضا العديد من الأسلحة المكسرة  
 مثل : البلولات الحشوية - والقولس والرماح - وكذلك الدروع المكسرة  
 بجلود الحيوانات التي استجبتا ايدي احسن الحرفيين واكثرهم مهارة -  
 ولا شك ان ان حريم الأميرة كان معدا ومجهزا تجهيزا كاملا - وبجوار  
 ذلك - عرض الكرز والاشراك : فهناك الحناطيق والمقاعد ذات المتكين  
 المتحشين والمساند اللينة - والكراسي المتناسقة معها - والمناضد الصغيرة  
 الخفيفة للظن - التي تشبه أرجلها عنق البط - بالاضافة الى الأسرة ومساند  
 الرأس والوسائد - وعربة ثانية - وبين لنا ذلك مدى مهارة الحنساء  
 العربيين الذين كانوا يجيدون فن صناعة المشغولات من الخشب الصلب  
 والوارد من افريقيا - في مهارة فائقة - وترصيعه بالنقوش العساجية -  
 وملفون بعض الأجزاء بالجلود الملونة تلويها متقنا رائعا - ويستعملون



شكل (١٢) موكب الجزية

ويش النعام من اجل صناعة المراوح الكبيرة - وجميع انواع المراوح  
 الأخرى

والى جانب هذا الاثاث الذي يتضمنه موكب الزوجة المقبلة نرى  
 الانبياء العاجية الماخوذة من الفيلة - وجلود الفهود - والحقائب -  
 والحلقات المصنوعة من الذهب - والتي اشتهرت بها بلاد النوبة - ونستطيع  
 ان نتبين من خلال مشاهدتنا لهذه اللوحة - ما ابدعه الصياغ النوبيون  
 من تحف نادرة - ومنها القطع الفنية المصنوعة من الذهب والالكتروم (١٢)  
 (خليط الذهب مع الفضة) - وقد نقش عليها منظر الريف على ضفاف  
 النيل - حيث ترى نخيل - الدوم - التي تتأرجح على جذوعها احيانا  
 القروء الرشيق الصغيرة - الطويلة الذيل (١٢) - والنوبيون مولعون  
 بهذه الاشجار - وفراهم هنا وهم واقفون او راكعون - وشعورهم مزينة  
 بريشة نعام - وغالبا ما كانت تصور ايضا بعض الزرافات امام هذه  
 الاشجار - وكان ضمن الهدايا بعض من حيوانات الزراف الحية - وعلى  
 رأس الموكب نرى قطعان البقر الصمين اللازمة لاهياء عيد - الأوبت -  
 خلال شهر العام الجديد -

هذا - مجرد ملخص بسيط وفكرة عما كان يجب ان يتم - عندئذ  
 تصل اية اميرة اجنبية الى البلاط الملكي حيث تعقد زيجات دبلوماسية -  
 والأمير هنا يتعلق ببلاد النوبة - التي كانت متحدة مع مصر - وسكانها



قليلو العدد : وعلينا أن نتخيل روعة وعظمة وطول الموكب الذي يوصل أميرة من أميرات بلاد « نهارينا » أو « الحيثيين » هذا الموكب الذي يضم مئات الفتيات الشابات ، وكذلك قطعان الحيوانات ، التي لا تحصى ولا تعد ، وحولهم الحرس لتوفير الحماية للقافلة ولصاملي الأثاث الثمين المنقح المكون من عربات خفيفة ، ومن أجمل الآلات الموسيقية الموروثة عن الآسيويين ( باستثناء القيثارة ، فأصلها مصري صميم ) ، بالإضافة أيضا للصناديق المليئة بالأقمشة الملونة والمجوهرات ، والمعادن الثمينة سبائك الذهب والفضة ، والأسلحة الحديدية التي تتلألأ كالفضة . يضاف إلى ذلك الأحجار الكريمة ، مثل حجر اللازورد ، الذي كان يجلب من باكترين ، وكذلك أواني العطور . حقا أن كلمة « أسطوري » - التي تستعمل عادة في شيء من التطرف في أيامنا هذه - ستجد مكانها هنا فعلا ، لوصف هذا التجمع الذي لا يتصوره عقل ، وهذا العرض الخيالي من الكنوز .

### مؤامرات الحرير

يمكننا أن نتصور مدى الأهمية التي تتمتع بها هذه المؤسسة ، الفعلية ، أي الحرير ، وعدد الزوجات الرئيسيات والثانويات اللاتي يستطيع أن ينعم بهن الملك - ومن ضمنهن المحظيات - ويتبع كل سيدة من هؤلاء السيدات أفراد عائلتها ومستشاروها ، وكاتمو السر الطموحون الذين يحدوهم الطموح ، والكثير من الأفراد المناهضين أو المواليين لهن . ويضاف إلى ذلك الأطفال والأبناء الذين ينتظمون في مستويات مختلفة . وكانت الصراعات تقوم ، وتتجسد غالبا في هيئة مؤامرات ودسائس على النفوذ فيما بين المحظيات . ولكن أكثر هذه المكائد جرما وفداحة هي التي كانت تدبر بغرض التآمر على حياة الملك نفسه ، لصالح ابن واحدة أو أخرى من الزوجات الثانويات المصريات - أو اجنبيات الأصل - لأن مولده لا يسمح له بأن يقف في مضمار التنافس مع أبناء الملك من الزوجة الملكية العظمى .

### في الدولة القديمة :

وهذه الأحداث التي كان أغلبها على درجة كبيرة من الخطورة ، كان يجبان تظل دائما في طي الكتمان الشديد ، ولا يصرح بها مطلقا ، ما دامت تتعلق بشخص الفرعون المؤله . وهذا ما كان يحدث فعلا في العصور القديمة جدا ، ومع ذلك ، ففي إحدى السير الذاتية والتي ترجع إلى الأسرة السادسة ، والخاصة بأحد كبار الموظفين واسمه « أونى Ouni » ، نقرا وصفا واقعا لأول مؤامرة من مؤامرات الحرير بمصر .

ويلاحظ أن « أونى » في هذه القصة ، يتفاخر خاصة بما يتميز به هو شخصيا من جدارة وأهلية فائقة ، ولكنه يبدي الكثير من التحفظ والحذر ، عند ذكره مرتين أنه قد استدعى هو شخصيا و « بمفرده » ، حتى دون حضور الوزير الأول لمحاكمة « الملكة الرئيسية » والمفضلة « زوجة الملك بيبي الأول » ( مع الأسف احتفظ باسم الملكة سرا ) : « لقد خلع على جلاليته منصب « ملحق الدولة » ( قاضى ) بمدينة أمناسيا . فقد كانت ثقته في تفوق ثقته في أى فرد آخر من رعاياه . كنت أستمع لكافة الشاحنات والخلافات ، أنا « بمفردى » ، مع وزير الدولة ، في كافة الأمور السرية ( وكل حدث يخص ) اسم الملك . لأن قلب جلاليته كان يثق في أكثر من ثقته في أى من مستشاريه ، أو من كبار موظفيه ، أو خدمه . ( ..... ) وفي سرية تامة ، أقيمت محاكمة في نطاق الحرير الملكى ، ضد « الزوجة الملكية » والمفضلة الكبرى . وقد استدعاني جلاليته ، لكي أستمع إلى ( الشهادة ) ، ولم يحضر خلال ذلك أى وزير من وزرائه ، أو أى قاض من قضاته . ولم يحض أحد سواي فقط . ويرجع ذلك إلى مقدرتى وأهليتى ، ولكانتى في قلب جلاليته ، لأن جلاليته يثق بي . وأنا الذى قمت بكتابة صورة الدعوى . الخاصة بهذه المحاكمة بمفردى مع أحد القضاة ، بالرغم من أن منصبى ( ليس سوى ) منصب كبير موظفى القصر الكبير . ولم يحدث مطلقا أن أطلع شخص من أمثالى من قبل على سر من أسرار « الحرير الملكى » .

تتسم لهجة هذا النص في وضوح بالاطناب والمباهاة من قبل الموظف الكبير « أونى » في نفس الحين الذى يلاحظ الإيجاز الشديد ، في سرد الوقائع والأحداث يتبين منه وقوع جرم خطير ، اقتدرته « الملكة المعظمة المفضلة » . ويبدو جليا أيضا أن الملك كان لا يثق مطلقا في بقية كبار موظفيه . ولذا ، عين « أونى » فقط ، بصفته « قاضى فوق العادة » ، لكي يرأس « محكمة استثنائية » ، لتلقى اعترافات ، من اقترفت جرما لا يحب أن يحيط به سوى القليلين جدا من الناس . كما يلاحظ أيضا أن اسم الملكة لم يذكر مطلقا . وهذا يبين أنها كانت مفضوبا عليها للغاية : مما حتم اغفال اسمها حتى يندثر . ويبدو أيضا أن الملك كان يشك في كبار موظفيه ولا يثق فيهم ، ولقد ذكر المؤرخ « مانيتون » ، في العصور المتأخرة ، واقعة اغتيال والد « بيبي » الأول بيد حرسه الخاص . وهذا يدعو إلى الاعتقاد بأن مصر كانت قد بدأت تمر فعلا بفترة اضطرابات وفلاقل . ولقد تم اكتشاف المؤامرة اذن ، واختفت الملكة بعد ذلك ( قد تكون نفيت أو أرغمت على الانتحار ) . وبعد ذلك تزوج الملك بزوجتين ملكيتين معظمتين ، على التوالي وهما : شقيقتان



تحملان نفس الاسم ، مري رع عنخ ان اس ، . وقد أنجبت له كل واحدة منهما وريثا للعرش وهما : مرن رع ، ثم بيبي الثانى .

وقد تتطلع بعض العقول المتشككة الى شخصيات هذه القصة الحقيقية التى تذكرنا بالروايات البوليسية وفقا لمنطق هذا النوع من الروايات ، من المستفيد من الجريمة ؟ وسوف تلاحظ هذا النوع من المتشككة ان كل شئ ينتهى نهاية طيبة فى هذا العالم الطيب ، فيما يخص بطانا الوفى وجميع افراد عائلته : فقد نشأ ، ابنى البطل ، فى ابيدوس ، حيث وجدنا ذلك النص (١٤) منقوشا ، وكان من اقربائه سيده تدعى ، نبت Nebet ، كانت تعمل بالحريم الملكى ، ولا شك انها قد ساعدت فى كشف القناع عن المؤامرة . وكان هذا بمثابة دليل للملك على الوفاء والاخلاص ، مما اقنعه بعد ذلك بقليل ، بأن يتزوج من ابنتى تلك السيدة المنحدرة من أسرة من صفار النبلاء الريفيين . وبخلاف ذلك ، قد لا يعتقد قارئ آخر أكثر ترددا ومجاملة ، أن الوزير ، رع ور ، الذى تم خلع عائلته ، ابنى ، الاخطبوطية الأطراف . ولن يعتقد أيضا بوجود توافق عجيب مقلق ومحير بين ازاحة الملكة الاولى الى منطقة الظل وبين زواج الملك من ابنتى السيدة ، نبت . بل انه لن يتعجب ويندهش ، عندما يعرف أن اخاميا ، جاور Djaou ، قد أصبح بعد ذلك بفترة قصيرة وزيرا للملك . وفى النهاية ، سوف يستخلص بكل بساطة أن هذا المناخ المشحون بالأساس والمؤامرات ضد العرش ، كان يتضمن عائلة كبيرة ، أصلها من مضر العليا ، من ابيدوس ، تدين بالحب والولاء للملك دون أى شك .

#### فى الدولة الوسطى :

بعد فترة مشنومة سادت فيها القلاقل والغزوات ، استعادت مصر القها وانطلقها ، تحت قيادة امير شجاع مقدم ، من طيبة . وكان اسم هذا الامير ، منتوحتب ، . وقد اعتلى العرش ، وأسس الأسرة الحادية عشرة . أما الأسرة التالية ، فقد رأسها ، أمنمحات الأول ، . وكان ذلك فى بداية القرن العشرين قبل عصرنا الحالى ، وفى اليوم السابع من الشهر الثالث من الآخت Akhet ، فى السنة الثلاثين من حكمه ، تم اغتيال ، أمنمحات ، مؤسس الأسرة الثانية عشرة . وبعد عمليات حسابية حاذقة ودقيقة قام بها خبراء علوم الفلك والرياضيات ، تبين أن هذا التاريخ يتطابق تماما مع ١٥ فبراير عام ١٩٦٢ ق م .

كان الزمن غير الزمان ، فبعد أن انقضى بعض الوقت على الحادث المشنوم ، وبعد أن قضى على المؤامرة ، سرد فى قصة روائية أن بطلها

انجرف رغما عنه فى هذه المؤامرة . كما استثمر هذه الأساة ولى العهد فى نص عرف تحت عنوان : ، تعاليم أمنمحات الأول ، . وهو عبارة عن وصية ، أملاها الملك نفسه من أجل ابنه . وفيها يحكى له انه بعد ان رأى كابوسا فى منامه ، تم اغتياله ، واجمالا للقول ، فقد بين لابنه سنوسرت ، وريثه الشرعى ، بأنه يجب أن يحتاط ويحترس من الجميع . وهذه هى الأحوال التى قام فيها المتآمرون ، ومن بعض نساء القصر بتفريق جريمتهم ، كما سيوضح لنا النص الخاص باغتيال الملك المسن أثناء الليل .

بعد الانتهاء من وجبة المساء ، وعندما أسدل الليل ستاره ، حصلت على ساعة من الراحة ، فاستلقيت فى فراشى وكنت مرهقا ، وبدأ قلبى يطاوع النعاس . وفجأة ، ترمى الى مسامعى صوت قعقة اسلحة ، وسمعت كلمات تتناولنى بالحديث . ومكنت فى مكانى كمثلى شعبان فى صحراء قاحلة ، قمت متاهبا للصراع ، ( لكنى ) كنت بمفردى ، وكان المهاجمون هم حرسى الخاص . ولو أننى كنت قد بذلت مجهودا ( لصدمهم ) ومعى سلاحى بيدى ، فلربما كنت استطعت ردع وطرد المتآمرين . ولكن لا يستطيع الانسان أن يكون قويا أثناء الليل ، ولا يستطيع انسان أن يقاتل بمفرده . ولا يمكن أن يوجد مخرج للص ، بدون حماية ( ..... ) . فهل رأى أحد من قبل نساء يقمن باثارة ودفع العصابات ؟ وهل يمكن أن يربى المحرضون للقلاقل بداخل القصر ؟ .

وترد بقية الأحداث فى رواية ، سنوهى ، . وهى نص من نصوص الشجاعة والاقدام فى الأدب المصرى (١٥) . وتقول : عقب حملة تاديبية على البلاد الليبية ، تقابل الابن الأكبر لأمنمحات وشريكه فى الحكم سنوسرت الأول فى طريق عودته مع بعض الرسل الذين جاءوا لمعلموه على وجه الأهمية ، وبغاية من السرية ، بما حدث بداخل القصر الملكى . وعلى الفور اندفع الأمير ، وبدون أن يخبر أحدا مطلقا بالأمر نحو العاصمة . ولكن بعض المبعوثين الآخرين الموالين لفئة القتل المتآمرين ، كانوا قد جاءوا هم أيضا لابلاغ ابن من أبناء الملك الآخرين ، كان قد رافق الحملة التى يرأسها شريك الملك فى العرش ، أخيه غير الشقيق ، ومن أجله دبرت عملية الاغتيال . وسمعهم ، سنوهى ، مصادفة وهم يتحادثون معا . ولكن ، لنسمعه هو :

« كان جلالتة قد أمر بارسال حملة حربية ، الى بلاد « التمحو » ، بقيادة ابنه الأكبر ، وما هو الآن يعود منها ، وقد اضطحب بعض الأمرى ( ..... ) . وقام أصدقاء القصر بارسال ( مبعوثين ) نحو غرب ( الدلتا ) ، لكى يخبروا ابن الملك بالأحداث التى وقعت بالبلط الملكى .



وتقابلوا معه على الطريق ، ولحقوا به أثناء الليل . ولم يتأخر الأمير لحظة واحدة ، وطار الصقر ( أى « حورس » وريث العرش ) مع أتباعه دون أن يخبر الجيش بذلك ، ولكن البعض كانوا قد أرسلوا ( أيضا ) ( شخصا ما ) لاختبار الأبناء الملكيين الذين كانوا يتبعونه ضمن هذا الجيش . ووجه نداء الى واحد منهم . وكنت قد تواجدت فى ذلك المكان وسمعت صوته وهو يتكلم بعيدا عن ( الجميع ) فى حين أننى كنت ( بجواره ) . واضطرب قلبى ، وخذلت ذراعى عن جسدى ، واجتاحت تشعيرة كل أجزاء جسمى . وكنت حينئذ مختبئا بين دغليين كبيرين ، حتى أكون بمعنى عن أى سائر فى الطريق . واتجهت ناحية الجنوب ، فلم أرغب مطلقا فى التوجه الى هذا البلاط الملكى . فقد كنت أعتقد بوجود صراعات فى أجوائه . واعتقدت أننى لا يمكننى العيش به ( بعد ذلك ) ( ١٦ ) .

لقد أحيط الشريك فى العرش ، الأمير ولى العهد ، اذن علما بالمأساة ، وأحيط بها كذلك أحد اخوته الصغار ، لا شك انه ابن إحدى الزوجات الثانويات ، ولصالحه تم تدبير المؤامرة . وبمحض الصدفة . سمع « ستوهى » هذا السر . ولا شك انه كان يجهل أن أميره قد انطلق فعلا الى موقع الجريمة . ولذا فقد كان يخشى أن تقوم ثورة وتورد فى القصر . وبصفته شاهدا مزعجا ، فلا شك انه سيقتل حتما ، لو اكتشف أمره . والواقع يبين أن مذبرى جريمة الاغتيال ، هم من المحيطين مباشرة بالملك ، كما أن نساء الحريم قد لعبن دورا مهما فى هذه المؤامرة . ويبدو أن بعض أسلاف ملوك الأسرة الحادية عشرة الذين خلعوا من على العرش كانوا يعتبرون أمتحات الأول « مفتصبا » للملك ، وإذا كان مرقف ستوهى يفصح عن انفعال شديد ( وهذا الانفعال يلاحظ فعلا ، لدى معظم أبناء النيل حتى يومنا هذا ) عند علمه بأحد أسرار الدولة ، فانه ربما لم يكن فائق الشجاعة ( ربما كان يخاف من اشتعال حروب أهلية ) . وهذا يجعلنا أيضا نتشكك فى ولائه واخلاصه لأميره الذى كان يتحتم عليه اللحاق به . وعموما ، فتحن غير ملمين بكل عناصر المشكلة . لقد كان ستوهى ، فى ذلك الحين حديث السن جدا . ولكنه مع ذلك ، كان الرفيق الذى يصاحب « سيده » ، وبصفة خاصة كان خادم « السيدة الأولى » فى الحريم الملكى ، « المفصلة الكبرى » ، « الزوجة الملكية » لسنوسرت ، والأبنة الملكية « لأمتمحات » ( ..... ) نفرو ، « الجليلة المبجلة » .

وبصفته من المقربين من القصر ، فلا بد أنه قد تعرف على صوت الأمير الذى يناصب سيده العداء ، وكان من المحتمل أن يتهم بالاشتراك فى المؤامرة .

ولقد بينت لنا المصادر الأدبية بوضوح تام ، فى حوالى العام ٢٠٠٠ ق م ، الدور السياسى الخطير ، الذى كانت تقوم به بعض نساء الحريم الملكى ، وهو سلوك وتصرف استمر فى كل العصور ، بسبب العرف والتقاليد المتعلقة بمفهوم « زواج » ، الفراعنة .

### فى الدولة الحديثة :

إن العصر الذى ساد فيه حكم الرعامسة قد قدم لنا الاثباتات التاريخية المسهبة والمفصلة ، التى من خلالها يمكننا أن نتفهم الكثير من الشواهد المستمدة من مصادر متعددة ومتباينة ، عن مؤامرة كبرى قام بها الحريم فى عصر رمسيس الثالث ، وبالحاكمة الهائلة التى أعيدت مرة أخرى ، فالأمر لا يتعلق اذن بمجرد تلميحات مستترة الى افتراء زوجة الكبرى خطأ ما . كما انه ليس مجرد قصة مشوقة عن جريمة قتل أحد الملوك ، يحيطها الغموض الشديد . أن الأمر يتعلق الآن بسرد وقائع محددة وبمراحل التحقيق وبالمفاجآت التى اكتنفت المحاكمة ( ١٧ ) . إن هذه البردية قد عثر عليها فى مكتبة معبد الاحتفالات اليوبيلية الخاص برمسيس الثالث « بمدينة هابو » ، فلو أن محاولة الاغتيال كانت قد كللت بالنجاح ، فلا شك أننا ما كنا لنعثر على أية تفاصيل أو معلومات عنها . وكان علماء الآثار لفترة طويلة يظنون أن الملك قد لقي حتفه فى هذه المؤامرة . ولكن ، عندما نحلل بدقة النص القضائى لبردية تورين فسيبدو أن الوثيقة قد كتبت بأمر الأمير ولى العهد رمسيس الرابع ، حتى يلقي على كامل ابيه المسئولية من قسوة وشراسة الحكم الصادر فى تلك القضية ، وخاصة أن انعكاسات هذا الحكم تعود بالضرر البالغ على العرش . والواقع أن الملك فيما يبدو لم يلق مصرعه فى هذه المؤامرة . كما حدث - بكل وضوح - لأمتمحات الأول . ( فان مومياء رمسيس الثالث لا تحمل أية آثار تدل على الاغتيال ) ، بل لا يبدو أن المؤامرة قد نجحت ( ١٨ ) ولو جزئيا ، وأنها لم تحدث فى أواخر حكمه ، كما يعتقد البعض ( ١٩ ) .

وقبل كل شيء ، علينا أن نتبين أن الحريم الذى دبرت فى أجوائه المؤامرة ، والذى يسمى « بحريم المرافقة » ، وهو نوع من أنواع حريم القصر ( ٢٠ ) ، لم يكن له موضع محدد ، مثل حريم « منف » أو « أبو غراب » ، ولكنه كان يتبع رمسيس الثالث فى تنقلاته الى « مدينة هابو » ، على سبيل المثال ، فقد كان من المقرر أن تضرب المؤامرة ضربتها خلال « عيد الوادى الجميل » ، فى نطاق الضفة اليسرى لطيبة . وعندما كان ينادى على المتهمين الرئيسيين كانت تطلق عليهم أسماء مهينة . فوفقا للتقاليد ، كان يتم « تغيير أسمائهم » ، حتى رمحى موتهم . وقد تبين



أن الزوجات الثانويات المعروفات باسم *Rheéret* ، كن على علاقة دائمة ومستمرة بأفراد من خارج نطاق القصر ، مثل الأصدقاء ، والعسكريين ، وأفراد عائلاتهم وكن يمتنع بالكثير من الوسطاء من الرجال والنساء .

ومما أتاح الفرصة لوقوع مثل هذه المؤامرات ، أن رمسيس الثالث على ما يبدو ، لم يحدد من بين زوجاته الكبيرات الملكيات ، أما لوريث العرش الأول ، وذكرت الوثائق أن اسم زوجته في وقت المحاكمة ، كان « ايزيس » وهي إحدى أخواته غير الشقيقات ، أو ربما إحدى بناته . ولقد أنجب منها ومن نساء حريمه العديد من الأبناء . توفي منهم الأربعة الأوائل وهم في ريعان الصبا ، أما الخامس فقد قدم إلى المحاكمة . ولكن ، الوثائق ذكرته فيما يبدو تحت اسم مزيف ، غير اسمه الحقيقي هو « بنتاؤور » Pentaour . أما الابن السادس ، فيبدو أنه خلفه في الحكم ، تحت اسم رمسيس الرابع .

ويبدو أن عدم الدقة فيما يمنحه لزوجاته من حظوة صائبة ، قد دفع واحدة من أكثرهن خداعاً وأقدمهن عهداً ، وهي « تي » ، أن تعمل على أن يتولى ابنها « بنتاؤور » ، كما سمي في المحاكمة - مقاليد الحكم . وتفق ذهنها عن تدبير حركة تمرد فعلى ، كانت ستنتهي باغتيال رمسيس الثالث . ويبدو أن مؤامرة كهذه ، لا يمكن أن تجد بؤرة أكثر ملاءمة للنمو من الحريم .

وهذه هي الوقائع : انفلتت « تي » الزوجة الملكية ، مع سيدة أخرى ، ذات سطوة وسيطرة كبيرة من سيدات الحريم ، ومع ست من الوصيفات الخلفيات لها ، واللاتي كن يقمن بدور حلقة الوصل بينها وبين من في الخارج ، كما ضمت إلى قضيتها أيضاً ، بعض الموظفين العاملين بالحريم ، وبالإدارة ، مثل « بلوكا » و « امنى » وهما حاجبان (٢١) للملك ، وكذلك رئيس الخدم « باى باك كامن » ، ( الخادم الأعمى ) ، وحاجب الملك « مسد - سو - رع » ، ( رع يميته ) ، وهو رجل على درجة كبيرة من الأهمية ، لأنه كان يقوم بالاتصالات الأساسية بالخارج . وكان يقوم « بنقل العبارات والأقوال » ( ..... ) ، ويذيع التعليمات على أمهاتهن وأخوتهن خارج الحريم ، وبذا ، كلفت كل أسرة من أسر هؤلاء السيدات بإثارة أفراد الشعب للأعداد لمظاهر المعاداة للملك . وفي المقابل كانت هناك امرأة أخرى ، من نساء الحريم ، جاءت من بلاد « واوات Ouauat » - النوبة المصرية - تدفع أخاها المدعو « بنام واست Binemouaset » ومعناه : ( الشرير في طيبة ) ، للخيانة . فكانت تكتب له قائمة : « اجمع حولك أفراد الشعب واجعلهم يكرهون سيدينا » . وشجع الأعداء على

الثورة ( عليه ) وعصيانه ، وقد وصل إلى الدرجة التي جعلت قائد الجيش المدعو « باى اس » ، يتورط في هذه القضية . وليس من السهل أن يقاس بدقة مدى اتساع تلك المؤامرة . ولكن المستندات الباقية ، تتيح الفرصة لمعرفة أسماء حوالي ثمانية وعشرين رجلاً ، ومجموعة متعددة من النساء . وكانت « تي » ، هي الوحيدة ضمنهم التي لم يطمس اسمها الحقيقي ( مما يذكر أن المذنبين كانوا يذكرون بأسماء مخزية ومهينة خلعت عليهم أثناء محاكمتهم ) .

وقد لجأ المتآمرون إلى كافة السبل والوسائل حتى انهم لم ينسوا الالتجاء إلى السحر والشعوذة . وبذا ، قام « بنحوروبين » ( أحد رؤساء القطعان ) بإمدادهم بلفة من الكتابات السحرية ، من مكتبة الابن الملكي ، سرقت بمعاونة الكتبة العاملين ، ببيت الحياة ، . وتبعاً لتعليمات هذا المجلد الفعال . صنعت تماثيل صغيرة من الشمع ، وأعدت بعض تعاويذ الحب ، لادخالها سرا إلى القصر بواسطة « باى باك كامن » ، حتى تعمل على إصابة الأشخاص المراد تجريدهم من الفاعلية بالشلل والعجز ، وبالفعل ، كخطوة تجريبية ، أصبح الكثير من الموظفين بالقصر ، مفتقرين تماماً لأية كفاءة ومقدرة . وتم الالتجاء أيضاً إلى بعض « الأحبار » المتخصصين في مثل هذه الأعمال ، ومنهم أحد كهنة « سخمت Sekhmet » . فهذه القوة السحرية الفائقة يمكنها بواسطة « مبعوثيها » ، خلال الأيام الخمسة من العام المعروفة باسم أيام النسيء . أن تنزل بمصر . . . وبالعروش أشد أنواع المصائب أو الويلات ، كالطاعون .

وعندما اكتشفت المؤامرة لم يبد الفرعون أية رحمة أو شفقة . وأمر بأن تتشكل فوراً محكمة استثنائية ، لا تشبه مطلقاً « المحكمة العليا » التقليدية التي كانت تنظر غالباً في القضايا المهمة ، والتي كانت تكتفى بمحاكمة المتهمين لتترك للفرعون مهمة إصدار الحكم المناسب . أما هذه المحكمة « الخاصة » ، فقد تكونت من اثني عشر موظفاً من القصر ، وبعض ضباط الجيش ، وبعض الأعضاء التقليديين بالمحكمة المركزية « القنيت » . وكان الوزير غائباً . وكانت مهمة هؤلاء الكبار المجتمعين هي تلقي أوامر الفرعون . ولكن ، كان عليهم هم بصفة استثنائية أن يصوروا حكمهم كمحلفين وأن يقوموا بالبت في العقوبات ، وتنفيذها . ولقد أعلن الفرعون عند اكتشاف تلك المؤامرة أنه لا يريد أن يسمع شيئاً بشأنها . وأنه لا يرغب إلا في معرفة الحقيقة كاملة وأن يدان المذنبون ، مع مراعاة عدم ادانة الأبرياء على وجه الخصوص . ولأن بعض المتهمين كانوا ينتمون إلى أصل غير مصري ، فقد أمر الفرعون



أن يشترك مع القضاة اثنان من حجابيه يحملان اسمين أجنيين أحدهما  
أسيوى . . .

وبدأت المحكمة تصنف المتهمين فى شكل فئات . ويعتقد أنها  
استهلت أعمالها أمام ستة من المحلفين ، ذكر اسمهم لمرة واحدة .  
وبدأت المحاكمة على ما يبدو ، على درجة كبيرة من البساطة ، تقدم  
المتهمون نساء ورجالا معا فى فئات ، وفقا لنوع الجريمة المتهمين بها .  
ويذكر كل منهم حالته المدنية ، ثم يقرأ على كل منهم نص التهم النسوبة  
إليه . ويبدو أن المحكمة بعد فترة وجيزة من الوقت ، قد اقتنعت بصحة  
الوقائع ، وأصدرت الحكم .

وأثناء إجراءات المحاكمة ونظر القضية لوحظ أن بعض المتأمرين  
الذين لم يتم اعتقالهم ، كانوا يبدلون قصارى جهدهم لتأخير المرافعات  
أو لتغييرها . ولذا ، وفى أحد الأيام ، تبين أن خمسة من الاثنى عشر  
قاضيا ، ومن بينهم ثلاثة مستشارين ، وضابطا شرطة ، قد انضموا الى  
الفئة المتأمرة . وكانوا يجتمعون فى حفلات ماجنة فى بيت أحد القضاة  
مع أحد المتهمين الرئيسيين ، وبعض السيدات المتهمات ، أو بعض زوجات  
المتأمرين ، ولكنهم اعتقلوا بدورهم ، وتم النظر فى قضيتهم .

وتضمنت المجموعة الأولى سبعة عشر متبهما أثبتت ادانتهم ، منهم  
« باى باك كامن » و « مسد سورع » ، وأحد رؤساء الخزائن الملكية ،  
وكاتبان يعملان فى « بيت الحياة » ، وأحد كبار الكهنة يعمل رئيسا  
للمرتلين ، وكاهن الالهة سخمت : لقد قاموا جميعا ، مباشرة ، بمساعدة  
الملكة تى بمحاولة إثارة الفلقل بين أفراد الشعب . ومن المعتقد أنه  
قد صدر الحكم عليهم بالاعدام . أما عن المجموعتين الثانية ، والثالثة ،  
فكانت تضم بعض كبار الشخصيات الفاسدة وكذلك الأمير « بنتاؤور » ،  
الذى حكم عليه بقتل نفسه . أما القضاة الثلاثة والضابطان ، ومنهما  
القائد « باييس » الذين اشتركوا فى الحفلات الماجنة مع نساء الحريم ،  
فى منزل أحدهم ، فقد حكم على واحد منهم فقط بالبراءة : وهو القاضى  
« حورى » ، الذى لم تثبت ادانته فى أية تهمة ، أما باقى المتهمين ، فقد  
حكم على أحدهم بأن ينتحر بعد تركه بمفرده فى قاعة المحكمة .  
أما الثلاثة الآخرون فحكم عليهم حكما مهيئا ، الا وهو : أن تجدد اتوفهم  
وآذانهم . وبذا ، يحملون وصمة العار طوال حياتهم .

ويبدو أن « تى » لم تحل الى هذه المحكمة . ومن المرجح أن الملك  
قد قام بنفسه ، بالنظر فى أمرها . . .

وما نحن ، قد استطعنا أن نعيش فى إطار الأسرة العشرين ،  
واحدة من أشهر قضايا الحريم ، بفضل بعض بقايا وثائق المحفوظات ،

التي بقيت سليمة حتى الآن عن طريق الصدفة البحتة . وكان من الممكن  
الا لحاط علما بهذه المؤامرة الدرامية ، لو اننا اكتفينا بالتطلع للآثار  
المهنية ، التي أقامها رمسيس الثالث مثل قصوره فى « بر رمسيس » ،  
أو فى تل اليهودية (٢٢) فى شرق الدلتا ، أو معبده اليوبيلى على الضفة  
اليمرى لطيبة ، ومقبرته التي تعد من أعظم آثار وادى الملوك .

ومثل هذا المثال الذى انتقل كلية بنا الى أجواء الحريم ، فى وقت  
تشويه الأزمان ، يسمح لنا بأن نتبين مدى النقص والتشتت فى معلوماتنا  
عن هذا المجال ، وفى غيره من المجالات الأخرى اللازمة لتكوين صورة  
عن الحياة الحقيقية - واليومية - للمرأة فى مصر القديمة . ألم يكن هذا  
الحدث على درجة كبيرة من الخطورة ، أبان حكم ملك عظيم ، استطاع  
أن يدمر شعوب البحر ، التي كانت تهدد مصر بأكملها بغزوها ؟ وتمكن  
بعد جهد جهيد من قهر الليبيين والسيطرة عليهم ، لدرجة أنه اضطر أن  
يقتل « مششر » ابن زعيمهم « كاعبر » بالرغم من التماسات واسترحام  
الآخرين بالافعل ذلك . ولا ريب أن بعض الأميرات الليبيات قد دخلن  
بعد انتهاء القتال فى الحريم الملكى . ولا شك أيضا أن الحقد والكراهية  
الدفينة ، التي كانت تتراءى من خلال تأليبهن للناس على التمرد ضد  
رمسيس ما زالت تعمل بداخلهن . وبذا ، فليس من المستحيل التصور  
بأن المؤامرة اذا كانت قد نجحت ، فإن انتقام الملكة « تى » كان سيصبح  
انتقاما كاملا ، خاصة اذا سلمنا بأنها قد دخلت فى نطاق الحريم الملكى  
ضمن أفراد القبائل التي هزمها الفرعون .



## الجبانات ، والمملكة المؤلهة ، والفرعونان

### أضرحة الملوك

ان أهمية الزوجة الملكية المعظمة ، ، والددة ، ولى العود كانت تبرز وتتبلور بشكل طبيعي في المكان الديني الذي تعيش فيه ، أي قصرها ، والحريم الذي يخضع لسيطرتها وسلطانها . وهي تتميز عن بقية النساء اللاتي يعشن بهذا المكان ، بأنها يجب أن تنعم بماوى أبدى ، يتناسب مع مكانتها ومركزها . لم يكن الأمر يتعلق إذن بمجرد تخصيص مكان ثانوى لها في مدفن زوجها الملك . حقيقة قد وجدت بعض الاستثناءات ، في فترة العمارنة ، لأسباب دينية واضحة ، وأيضا عندما اتسم البلاط الملكى بمظاهر التقشف ، مما اضطر الفرعون الى مراعاة البساطة وعدم المغالة في بناء قبوره الملكية . وبذا ، فإننا نلاحظ ان قبر الملك « بسوسنس Psousennès » في تانيس ، من الأسرة الحادية والعشرين ، لم يكن يتضمن سوى حجرتين فقط ، كسيتا بكتل من الرخام ، احدهما للملك والأخرى خصصت للملكة « موت نجمت Moutnédjèmet » .

### العصر المبكر والدولة القديمة :

منذ الأسرة الأولى ، في « أبيدوس » نجد ان البقايا التي عثر عليها في منطقة القبور العتيقة ، قد بينت تجمع الأبنية الجنائزية الخاصة بسيدات القصر ، تجمعا مميزا . وفي قلب هذا التجمع - كما ذكرنا آنفا - يلاحظ ان بقايا « المساكن » الجنائزية الخاصة بالملكات ، تشير الى انها كانت عبارة عن « قصور العالم الآخر » فعلية ، بل ومتجمعة في مكان محدد تماما .

أما في عصر الأهرامات الضخمة ، فكان المبنى المدرج الخاص بالملك « جسر ( زوسر ) » ، بسقارة ، أعظم ملوك الأسرة الثالثة ، يعلو مجموعة من الردهات والممرات القائمة تحت الأرض . ومن المحتمل جدا

انها كانت ، بالإضافة الى جثمان الملك وكنوزه ، تضم بعض أفراد عائلته ، ولكن منذ بداية الأسرة الرابعة ، لوحظ ان مدن الموتى الخاصة بفراعنة الدولة القديمة ، كانت تعج بأبنية ضخمة كرسيت للشعائر الملكية ، تحيط بالهرم المهيبة ، والهرم ذاته يطوى في أحشائه ردهات وغرفا ترقد فيها مومياء الفرعون . وفي المناطق المجاورة سواء في « دهشور » ، أو « ميدوم » ، أو « الجيزة » ، أو « أبو غراب » ، أو « أبو رواش » ، أو « سقارة » ، الخ . . . . . وفي الصحراء المجاورة لعاصمة منف القديمة ، شيدت من أجل الملكات أيضا مجموعات هرمية ، لا شك انها أقل حجما من أهرامات الملوك ، ولكنها على قدر كبير من الأهمية .

وبذا ، نجد ان هرم خوفو قد شيد في منطقة قبور الجيزة ، ناحية الغرب ، تجاوره بعض القبور المخصصة لأفراد عائلته . في حين ان الناحية الشرقية ، قد خصصت لمقابر أولاده المميزين الذين دفنوا غالبا في أبنية تشبه « المصطبة » ، وعلى مقربة من أمهاتهم الملكات على التوالي ، واللتي دفن تحت ثلاثة أهرامات صغيرة ، كرسيت لها ضياع للاتفاق عليها ، ومجموعة كاملة من المستخدمين المتخصصين . وأحيانا ، كانت الطقوس الدينية للمقاصير التي تضمها المجموعة الهرمية يقوم بها الوكلاء الملحقون بالمبنى الخاص بالملك . وكانت الحجارة تستعمل في أبنية الفرعون ، في حين أن منازل الأحياء ، كانت تصنع من الطوب اللبن ، وحوالي العام الخمسين من حكم الملك خوفو اكتشفت عمليات السلب والنهب والتخريب الفادحة والتي وقعت في منطة قبور دهشور ، الواقعة قرب هرم أبيه « سنفر » ومقبرة أمه « حتب حرس » . فامر بأن ينقل بجوار هرمه ، كل ما خلفه اللصوص ، بالإضافة الى التابوت المصنوع من المرمر الأبيض . . . . . ولم يوجد بداخله أي أثر لجثمان الملكة . ولكن الذي تبقى من قطع الأثاث الجنائزي ، يسمح لنا ، مع ذلك ، بأن نتصور مدى الروائع التي كانت تحيط ببقية الملكات بعد وفاتهن والتي لم يتبق منها لنا شيء الآن مع الأسف . وفي تلك الحقبة التاريخية ، لم يكن من المحتم أن تكون مقبرة الملكة على شكل هرمي . ويبدو أن البناء المقام في منطقة الجيزة ، والذي سمي خطأ « بالهرم الرابع غير المكتمل » ، والواقع فيما بين المكان المؤدى الى هرمي خفرع ومنكاورع لم يكن في الواقع سوى بناء ضخم على هيئة تابوت ، مقام فوق صخرة طبيعية بمثابة قاعدة له ، وغطيت جدرانه بطبقة جيرية . وكان يخص الملكة « خنتكاوس Khenty Kaus » ، وهذه الملكة هي ابنة الملك منكاورع والتي تعد بمثابة « حلقة الوصل » بين الأسرتين الرابعة والخامسة . وبزواجها من « أوسركاف Ouserkaf » الذي كان من خارج الأسرة المالكة ، تيسر له اعتلاء العرش .



ولم يبن خوفو لزوجاته الأخريات ولا لابنائه أهرامات لتعطية قبورهم . بل حطرت قبورهم في الصخور الشرقية للجبانة حيث يمكننا رؤية مقصوراتها المزينة بنقوش بارزة ورسومات ملونة . ومن الملاحظ أن التنوع والتغيير في الفن المعماري الجنائزي الخاص بالملوك ، قد استمر حتى نهاية الدولة القديمة . وبذا ، نجد أن الملكة « نيت » ، قد وهى من زوجات الملك « أوناس » ، آخر ملوك الأسرة الخامسة قد دفنت مع زوجة ملكية أخرى ، تحت « مصطبة » أو مقصورة من الحجر الجيري . ومع ذلك ، فقد ظهر ثانية الشكل الهرمى كمقابر للملكات : « نيت » ، كبرى بنات الملك بيبى الأول ، و « ابوت » ، و « أوجبتن » ، من الأسرة السادسة . وقد تمتعت تلك الملكات بامتيازات فائقة حيث غطيت جدران قبورهن في صحراء سقارة ، بنصوص الأهرام ، العريقة التي كانت ، فيما يبدو ، من الامتيازات الخاصة بالفرعون عندما ظهرت لأول مرة في عصر الملك أوناس . وكذلك الحال بالنسبة للملكة « خفنكاوس » التي دفنت في الجيزة ، فقد كان لها هرم في « أبو صير » ، في أوائل حكم الأسرة الخامسة ، أما الملكة « ابوت » ، والدة « بيبى الأول » ، من الأسرة السادسة ، فقد شيد من أجلها ، قبر خاص تخليداً لذكراها بمنطقة « قفط » ، ولكنها دفنت في مكان آخر . ومن المعروف أنه قد شيد من أجل بعض الملكات ، مثلن مثل الفراعنة ، قبور تذكارية ، بمنطقة ضياع أوزيريس ، بإبيدوس ، بالرغم من دفنهن في أماكن أخرى .

### في الدولة الوسطى :

عندما بدأت الدولة الوسطى ، مع بداية الأسرة الحادية عشرة الطبيعية ، بعد حقبة شابتها القلاقل والاضطرابات ، وساد البلاد خلالها النحط وعانت من شظف العيش ، تم تجميع مومياوات الأسرة المالكة ، والملكات الزوجات الثانويات ، بداخل المجموعة الجنائزية الخاصة بالملوك المعروفين باسم « منتوحتب » ، الحفورة في جبل « الدير البحري » ، ومع ذلك ، فبعد أن تم تأسيس وإقامة العاصمة الجديدة ، للأسرة الثانية عشرة ، في إقليم الفيوم ، سرعان ما استرجعت السيدات الملكيات « استقلالهن الذاتى في العالم الآخر بعد الموت » (١) . وتتابع بناء الأهرامات الخاصة بالملكات والأميرات ، حقيقة أنها كانت أصغر حجماً من الأهرامات الخاصة بالملوك الفراعنة ، ولكنها ، وفقاً للأسلوب الجديد في البناء ، كانت تبنى بالطوب اللبن ، وتكسى ببلاطات مرز الجير . ولقد بينت بعض الآثار المتبقية من سلب اللصوص ، عن وجود بعض المجوهرات الدقيقة الصنع ، والتيجان والأكاليل ، والقلنسوات ، والعقود ،

والجواهر التي تعلق بسلاسل في العنق ، والأحزمة المصنوعة من اللؤلؤ ، والمصوغات (٢) .  
ففي تلك الفترة ، كانت تضاف إلى الفيروز واللآزورد والعقيق الأحمر ، أحجار كريمة أخرى ، مثل الأماثيت الذي كان يستخرج من « وادى الهوى » ، بجوار أسوان . ومن هذه الروائع الفريدة في رقتها ودقة صنعها ، حلية الراس الشهيرة الخاصة بالأميرة « خنوميت » ، التي على شكل تاج من زهور المروج ، فوق عدة صفوف من الخيوط اللاهية المتتالية والمتعانقة ، رصعت بحبات صغيرة من الأحجار الكريمة ، وجمعت فيما بينها بكل دقة ، بواسطة أجزاء على شكل ما يسمى « بصليب مالطة » Croix de Malt ، مخلاة بزهور اللوتس المتقابلة (٣) .

### الأسرة الثامنة عشرة :

في فجر الدولة الحديثة ، بدأت مصر ، تخرج من غياهب حقبة قاتمة ، قام خلالها الهكسوس (ربما قبائل من بدو آسيا) ، بالاستيلاء على خيرات البلاد ، وعندئذ ، برز الدور الذي كانت تقوم به زوجات الأمراء الذين قادوا حركة التحرير ، وما كن يتمتعن به من تقدير واعتبار . ومثل غيرها من القبور الملكية ، في كافة العصور ، تعرضت قبورهن التي تحتوى على كنوز لا يخفى أمرها إلى الانتهاك والسلب والتخريب ، وشاءت الصدفة وحدها ، أن يعثر على بعض الأشياء المتبقية منها مدفونة داخل مخابىء بسيطة متواضعة لا تسترعى النظر ، أعدت على عجل أو خبئت بواسطة الكهنة بعد تجميعها ، بداخل بعض القبور التي لم يتم التوصل إليها أو النيل منها ، وأشهرها « خبيثة الدير البحري » . ومنذ أوائل الأسرة الثامنة عشرة ، كان الملوك والملكات يدفنون في صخور المرتفعات المشرفة على أرض الوادى في طيبة بالقرب من معابدهم المعروفة باسم معبد « المليون عام » ، اليوبيلى . ويبدو هذا واضحاً جداً ، بالنسبة للمجمع الخاص بالملكة « أحسن نفرتارى » (٤) . ولكن ، على أثر الفترة التي قام فيها ابنها « أمنحتب الأول » ، معها بإعادة تنظيم الشعائر الدينية ، أخذ جميع من خلف الملك مباشرة في الملك ، بداية من تحتمس الأول ، يشيدون مقابرهم في الوادى الذي كان يسمى حينئذ باسم « المرج الكبير » ، ونعرفه حالياً باسم « وادى الملوك » ، والذي كان قد أصبح بمثابة « مدينة الموتى » للملوك الفراعنة حتى نهاية الدولة الحديثة . ولكن ، يبدو أن الأمر كان مختلفاً بالنسبة للملكات : الزوجات الملكيات العظيمات ، والأميرات ، والزوجات الثانويات للفرعون . وفي أماكن متفرقة عثر أمام الجرف الطيبى ، على بعض الآثار التي أعيد دفنها ، والخاصة بقبور لسيدات هذه الأسرة



المالكة والتي سلبت ونهبت في أوائل عهدهما . ولكن ، يبدو ان الوديان الجافة الواقعة جنوب « وادى الملوك » قد اختيرت لاستقبال موميائات نساء أسرة الفرعون ، وهذا المكان يعرف حاليا باسم « وادى الملكات » . وكان يعرف في عصر الأسرة الثامنة عشرة باسم « وادى الملكات » . أى « الوادى الفسيح » ، ولقد تم استغلال الجزء الأوسط منه : حفرت الآبار ، فى أرضه الصخرية ، وهينئ قبور صغيرة ، على عمق حوالى ٦ و ٧ أمتار لكى تدفن بها الأميرات ( البنات الملكيات ) .

ولكن ، أين دفنت الزوجات العظيمات لهذه الأسرة ، واللانى لم يوجد لهن أى أثر حتى الآن . وربما قد جمعتن جبانة بجوار هذا المكان ، ولكن الأمر الوحيد المؤكد حاليا هو : وجود الحفرة الجنائزية التى حفرت من أجل حتشبسوت ، عندما كانت مجرد زوجة ملكية عظمى لتحتمس الثالث ، ولقد اختير موقعها فى واد آخر ، على جانب الجبل ، جنوب « وادى الملكات » . ولا شك أن الأمر كان يستدعى قوة هائلة للقيام برفع التابوت الجنائزى الثقيل الضخم المصنوع من حجر الجرانيت الأحمر اللون ، المستطيل الشكل . وفى النهاية ، لم يستقر به مطلقا جثمان تلك التى تبوأ عرش الملوك الفرعنة بعد ذلك ، والتى كان يجب أن تدفن فى « وادى الملوك » . وهناك أيضا ، فى أعماق الجرف الصخرى بوادى « جبانة القروء » ، وعلى مقربة من نفس المكان ، وجنوب « وادى الملكات » ، أعدت مقبرة من أجل ابنة « حتشبسوت » ، نفرو رع Neféroure . وعلى مسافة أبعد من ذلك ، توجد مقبرة أخرى منحوتة فى الصخر ، تضم أجساد ثلاث زوجات سوريات لتحتمس الثالث عثر عليها مصادفة ، فى الثلث الأول من القرن العشرين . وكذلك وجدت المجوهرات التى أمكن استرجاعها من البدو بالمنطقة التى كانوا يتجسرون بها ، وخلال المسح ، النهائى للمقبرة الذى قام به عالم الآثار « ونلوك » ، أمكن التعرف على بعض القطع ذات الأشكال الفاتكة النقاء ، كأواني الطعام الجنائزية ، وبعض المصنوعات ، والكؤوس والأقداح وأوعية الأدهنة ، والأساور والخواتم على النمط المصرى ، وطرز من أغطية الرأس والشعور المستعارة ، المزينة بالحلى والمرصعة بزهور من عجائن الزجاج على النمط الشرقى ، وعلى ظهرها نقوش هيروغليفية ذات علامات مميزة تبين أنها ربما من أصل سورى . كما وجدت عصاية للرأس محلاة بحليتين على شكل رأس غزال صغير (٥) من الذهب ، شبيهة بالتي ترتديها المحظيات - وكانت لبعضهن - بقصر الفرعون ، ترجع أيضا الى الأصل السورى (٦) .

وابتداء من حكم امنحتب الثالث ، لم تعد طيبة الواقعة على الضفة اليمنى عاصمة للبلاد . وحلت محلها « الملقطة » الواقعة على الضفة

اليمى . لقد تغير كل شىء على ما يبدو لأسباب عقائدية وسياسية ، وقام الملك باختيار واد صحراوى جديد لكى يحفر فيه كهفا عميقا ، كان على ما يبدو يعد بداخله ، مقبرة من أجل زوجته العظمى المفضلة « تى » ، وأخرى من أجل « زوجته العظمى » الأخرى وابنته الكبرى « سات آمون Sat-Amon » . وهذا هو الوادى الغربى . وجاء خليفته « اخناتون » ، وأسس عاصمته ، مركز عبادته الدينية بالمعمارة . وأقام هو الآخر على نفس الضفة الشرقية ، فى قلب الشاطئ الصخرى ، بمنطقة « وادى الملك » ، مدفنا تحت الأرض لاستقبال موميائه ، وكذلك مومياء نفرتيتى ، ومومياء ابنتهما الكبرى « مريت آتون » . وقد توفى موت عنخ آمون بعد اعتلائه العرش فى طيبة بعشر سنوات ، ودفن فى « وادى الملوك » . ولكن لوحظ أن حجرات قبره القليلة العدد ، لم يخصص بها مكان للملكة ، مما يعنى أن الملك قد عاد ثانية الى التقاليد القديمة التى كانت سائدة فى أوائل الأسرة . فهل يا ترى سيعرف أحد ، أين دفنت الصغيرة « عنخ اس ان آمون » ؟ . ومع ذلك ، فإن المدعو « أى » الذى قام بتنظيم جنازة الملك ، والذي كان يدين بالولاء لآخر الملوك الذين حملوا اسم « امنحتب » ، قد أقام لنفسه ، فى أعماق الوادى الغربى ، غرفة دفن فسيحة الأرجاء ، حيث رقدت بجوار موميائه ، مومياء زوجته ، مرضعة ومربية نفرتيتى قبل أن تصبح ملكة لفترة قصيرة .

ويبدو أن كل شىء قد رجع الى نصابه ، فى عهد « حور محب » ، والذي حكم فى الفترة الوسيطة ما بين الأسرة الثامنة عشرة والتاسعة عشرة . ويعتبر قبره من روائع « وادى الملوك » . وقد دفنت أولى زوجاته فى المجمع الجنائزى الفخم ، الذى كان قد شيده لنفسه بسقارة ، عندما كان يشغل منصب القائد الأعلى لجيش الفرعون (٧) . ولكن ، لم يتم العثور بعد على مقبرة زوجته العظمى « موت نجمت » .

#### الأسرة التاسعة عشرة ووادى الملكات :

ولكن ما هى الأسرة التاسعة عشرة ، تقدم ابتكارا جديدا ، وبدعة حديثة . فقد أراد رمسيس الأول ، وخلفاؤه المباشرون ، أن يعيدوا جميع « الزوجات الملكيات العظيمات » ، وبعض الزوجات الثانويات . فى « وادى الملكات » - الذى أطلق عليه فيما بعد ، اسم « تاست نفرو » . وتعنى « مكان الوهج الحيوى » ( أو الإبداع الإلهى ) ، حيث دفن الكثير من بنات رمسيس الثانى ، وكان قد جعل أغلبيتهن ، زوجات ملكيات عظيمات له . وإذا كانت زوجة رمسيس الأول ( الذى لم يمكث كفرعون أكثر من ثمانية عشر شهرا تقريبا ) ، قد دفنت فى مقبرة صغيرة ، فإن مقبرة زوجة سبتى الأول ، « توى » ، أم رمسيس الثانى ، تبدو فى



تصميمها واتساعها على درجة رائعة من الفخامة . ولكن مما يؤسف له ، أنه لم يبق من زخرفتها شيء تقريبا ، وفي الواقع أنه لم يتم بعد اكتشاف كافة القبور ، في مدينة الموتى هذه ، حيث تقوم حاليا البعثات بالبحث والتنقيب . وهناك قبور أخرى كانت هدفا للسلب والنهب ، ثم أعيد استعمالها من جديد ، لعدة مرات على مدى العصور القديمة ، ولم تفصح بعد عن أسماء سكانها الأوائل ، ولكننا نعرف أكثرها جمالا وروعة ، وهي مقبرة الزوجة المحبوبة المفضلة لرمسيس الثاني ، الملكة نفرتاري ، وهي تعد في زخرفتها من أوضح وأبرز مظاهر فن الرسم والزخرفة الرسمية ، في عصر الملوك الفرعنة . وعلينا أن نشير أيضا الى المقاييس الضخمة التي يبدو عليها المدفن المقام تحت سطح الأرض ، للابنة الكبرى و ، الزوجة الملكية العظمى ، « بنت عنات » Bentaat ، بل أن مقاييس الأشكال المقدسة وتماثيل الملكة التي شكلت على الجدران المغطاة بطبقة ملاطية . هذه المقاييس تفوق في ضخامتها ، ما عداها من الأشكال على جدران المقابر السابقة .

وهناك ظاهرة تطور أخرى نراها في مقابر سيدات الرعامسة (٨) ، فلم يعد الدخول الى سرايب الدفن عن طريق بئر مربعة ضيقة عميقة يصعب ولوجها ، بل أصبح النزول إليها عن طريق منحدر ، ويزداد يسرا وسهولة ، كلما تقدم المرء فيه بواسطة سلم منحوت في الصخور . كما أن تنوع وتعدد المواضع الدينية على الجدران ، والتي تبدو أقل صرامة وجفافا من الموجودة بمقابر الملوك ، تجعلنا نعتقد أن الملكات كن يقمن باختيار الزخرفة وفقا لشخصيتهن . وعموما ، فهناك أيضا ملحوظة جديدة بالذكر : فمن أكثر المقابر ضالة ، يبدو أن بعضها قد أعد واكتملت نقوشه ، باستثناء الاسم الذي كان يترك مكانه خاويا داخل الخرطوش ، انتظارا لمعرفة هوية التي يحتمل أن تشغله .

### ملكية مؤهلة

على غرار الملوك ، أحيطت ملكاتهن بهالات من القداسة الخارقة ، ومن يؤدين ، خلال بعض الاحتفالات الملكية أو الشعائر والطقوس الدينية ، دور الآلهة . والأكثر من ذلك ، أن أحدها قد اكتسبت في قلوب الشعب حظوة غير عادية ، لدرجة أنها قد أصبحت تبجل وتوقر . وبذا ، فبداية من الحقبة التي عاشت أثناءها من الأسرة الثامنة عشرة وحتى نهاية عصر الرعامسة ، ظلت تعامل معاملة الأرباب ، وحظيت بشهرة - خاصة في العاصمة طيبة - لم يستطع أحد النيل منها .

إنها أحسن نفرتاري ، إحدى السيدات قويات البأس ، بأسرة محررى مصر ، وهي ابنة « سقنرع ناعا » ، وزوجة وشقيقة أحسن ،

والدة امحسب الأول . وهي لم تعش بجوار هؤلاء الملوك الثلاثة فحسب . ولكنها عاصرت أيضا فرعونين آخرين من أفراد عائلتها المباشرة : كاموس ، أخيها الأكبر ، وأخيرا خليفة امحسب الأول ، أي تحتمس الأول ، وماتت خلال فترة حكمه .

كانت أحسن نفرتاري مستشارة حميمة لزوجها - ولقد خلع عليها ، مؤقنا ، لقب « الرسول الثاني لآمون » ، الذي لم يخلع على أية امرأة من قبل ، حتى لو كانت من الملكات - وتوجت ، بصفتها زوجة للاله ، ومنتمية بكل ما يصحب ذلك من امتيازات . ويبدو أنها أيضا ، كانت أولى الملكات التي يخلع عليها هذا اللقب ، والتي تصبح الوسيطة المفضلة بجوار آمون ، اله الأسرة .

ومن خلال الآثار المتبقية من فترة حكمه ، نرى أنها قد قامت بإدارة من أجل بلدها ، بدور عقائدي يوضحه كم ونوعية الهبات والقرايين المقدمة الى مختلف معابد مصر ، والانجاز الاقتصادي الواضح المعالم مثل المساهمة في إعادة تشغيل عمليات المحاجر . ولا ريب أنها مارست تأثيرا قويا على ابنها امحسب الأول ، الذي ساعدته في انجازات من أجل بلدها ، حيث كانت الضرورة تستلزم الامساك بزمام الكثير من المؤسسات والأعمال ، بل وإنشاء العديد منها ، بعد فترة الانهيار واختلال النظام ، التي « خرج » منها . وكبداية وقبل كل شيء لا يستبعد مطلقا ، أنهما قد تعاونا مع بعض العلماء - الكهنة ، الذين ظلوا في طيبة لاعداد واصدار نص « شعائر العبادة الالهية اليومية » (٩) ، واعترفوا بنسبته اليهما . ولا ريب أن الاهتمام الذي أولته أحسن نفرتاري لهذا العمل الأساسي ، والذي أسفر عن « إعادة مسيرة » الشعائر في معابد مصر ، كان من الأسباب التي جعلتها تتمتع بشهرة غير عادية في قلوب من - قال عنهم هيرودوت - « أنهم أكثر الناس تدينا » .

وهناك عامل ثان ، ربما كان له تأثير أكثر على حال الشعب . فقد كانت الملكة ، تعمل دائما مع ابنها للحد من القوضى السائدة في الجبانة الملكية . وكان المشروع يرمى الى تجميع كافة المقابر المعدة لاستقبال الموتى العظام مستقبلا . ولأجل ذلك ، كانت الضرورة تستلزم تكوين هيئة عمالية ، يرتبط أعضاؤها خاصة ، بتنفيذ هذا النمط الجديد من المقابر ، التي يجري حفرها واعدادها في صخور واد صحراوي فسيح الأرجاء - وادي الملوك - عند نهاية المرتفعات الصخرية بطيبة ، ويطل عليه جبل في هيئة هرم طبيعي . ولقد تمت هذه العملية على يد تحتمس الأول . ولكن عمال المقبرة الملكية اعتبروا امحسب الأول وأمه المؤسسين الحقيقيين لجماعتهم . وكان هؤلاء العمال يخضعون مباشرة للوزير ،



وعاشوا في قرية خاصة بهم في منطقة تعرف باسم « دير المدينة » ( مابين وادى الملكات وادى الملوك ) .

ولذلك نرى فوق بعض المسلات ، وعلى جدران المقاصير الخاصة بنبلاء طيبة أو فوق جدران أى محراب خاص ، الملكة وابنها في صورة الهين يحملان في موكب احتفالا ، بالعيد الجميل للوادي . . . وكانت التماثيل تقوم بزيارة المعابد الجنائزية - اليوبيلية الخاصة بالملوك الفراعنة - وتقف طويلا في المعبد الجنائزي الخاص بالملكة ، أى « من ست » ، وتنتهى جولتها ، بالدير البحرى ( فى مقصورة أحسن نفرتارى ، . . . وكان تماثيلها المصنوع من الخشب ، المكسو بطبقة من مادة « القار » ، والذى زينت رأسه ريشتان عاليتان محفوظا فى قدس الأقداس ، بمعبد الجنائزي الذى يقع عند سفح تل ذراع أبو النجا ، قبالة معبد الكرنك ، وقد قام نحتهم الأول بالاهتمام بتجويله وأصبح خلال حكم الرعامسة مزارا للحجيج . ومثلت أحسن نفرتارى ، وقد أمسكت بيدها صولجان الملوك الفراعنة : السوط والخطاف . وفى أواخر حكم رمسيس الرابع ، أضفى على تماثيل الملكة ، التى تعرض على العامة ، لون البشرة الأزرق المائل للسواد ، وهو لون تماثيلها الخاص بالشعائر الدينية ، وفى عصر الرعامسة استبدل تماما باللون الوردى أو الأصفر الذهبى الخاص بتماثيلها الأولى . وليس من المستغرب أن تطفى بلون الأرياب الذين يعيشون فى غياهب الظلمات ، ويرعون الموتى ، وكان هذا أيضا هو الدور الأساسى للكلب الأسود « انوبيس » ، أو لأوزيريس بعد موته ، وهو يتحول من أجل البعث الجديد والخلود . وكانت « أحسن نفرتارى » من أكثر المقربات من « آمون - مين » ، الإله الخلاق ، ذى الأشعاع الذى يبرز من ظلمات الكون .

وكانت مركبها ، على غرار مركب الآلهة تحمل اسم « أوتس نفرو Outes-Niferou » ، وكانت مقدمتها ومؤخرتها تبدو أحيانا على شكل تماثيل نصفى لها ، زين بعقد عريض ، يسمح لها وهى بداخل الناووس الذى يحتوى على تماثيلها المقدس بأن تظهر ، مرات متعددة أمام أفراد الشعب . وكانت تستطيع عن طريق النيل أيضا أن تتوجه الى معبد أمنحتب الأول . حيث كان تماثيله الموضوع داخل هودجه ، ينتظر موكب الملكة الأم ، أمام بوابة الهيكل عند الشاطئ . . . . . وكان ذلك يعرف باسم « الخروج النهري لأحسن نفرتارى » . وبفضل ذلك ، كان العاملون بمدينة المقابر يكافأون ببسومى عطلة ، مما يوما ١٤ و ١٥ من شهر « الشمو » ( ١٠ ) . وكان تماثيل الشعائر الدينية يساهم أيضا فى الاحتفالات الخاصة بعيد أمنحتب الأول .

وأخلص سكان القرية القديمة « دير المدينة » ، العبادة لزوجة أحسن نفرتارى ، « آمون - مين » ، التى تستجيب لدعوته ، كما أن علامات تبجيلها وتوقيرها ، واضحة فى أبيدوس وفى أمناسيا .



شكل (١٦) تماثيل أحسن نفرتارى فى زورقها الجنائزى

ومكذا ظهرت هيئتها على جدران معبد القرنة ، وفى الكرنك ، أولاها رمسيس الثانى تعظيمه وتبجيله ، ونقشت صورها ورسومها على جدران المقابر بطيبة بالأسرة التاسعة عشرة ، ضمن صور الملوك الأجداد والمعاصرين . وصنعت تماثيل صغيرة لعبادتها من الخشب المكسو بطبقة ذهبية أو الملون ، واستمرت عبادتها حتى أواخر عصر الرعامسة . ومع ذلك ، فإن هذه الشعائر لم تتعد نطاق المحلية ، ولم يكن لها حظ مثل بعض التماثيل الكبرى الخاصة ببعض « القديسين » ، مثل : ايمحوتب وأمنحتب بن حابو العالمين المبجلين والمهندسين المعماريين اللذين عاشا فى عصرى الملك زوسر ( جسر ) وأمنحتب الثالث ، واستمر تقديسهما حتى العصر المتأخر .

### الملكة فرعونا

لا زيب أن بعض علماء المصريين قد خدعوا بمظاهر الحياة المعاصرة ، وظنوا أن الماضى كالحاضر ، فزعموا أن قدماء المصريين ،



لم يتقبلوا فكرة أن يكون « حورس الحى » - أى الفرعون - امرأة . بالرغم من أن العديد من ملكات مصر ، قد حاولن اغتصاب امتيازات الرجل .

وهناك من عاب على هؤلاء الملكات محاولتهن للامساك بمقاليد السلطة ، ويتم هذا القول عن ازدياد كامل للاحترام الذى كان سكان وادى النيل يكنونه لنساء بلادهم ، ولهذه المساواة بين الجنسين ، التى سلم بها الجميع .

ولذا ، فإن الأمر لا يقتضى ، ونحن نعالج الفصل الخاص بالفرعونية ، أن نبرز بعد انقضاء آلاف السنين ما يزعم من عمليات الاغتصاب التى حاولت القيام بها بعض « المغامرات الخطرات » ( بالرغم من كونهن وريثات حقيقيات للملوك الفرعنة ) اللاتى كان يحيط بهن بعض المتأمرين ، أى عصابة فعلية ، يحركون الدمية الجالسة على العرش .

علينا إذن أن نعود الى الزمان والمكان اللذين تدرس فيهما وضع المرأة ، ونتخلى عن المزاعم الباطلة التى ما زالت تهيمن على أذهان بعض المعاصرين تحت تأثير قوانين الفرنجة القديمة .

لقد كانت المساواة الكاملة بين المرأة والرجل قائمة . ومن ثم فلم يشكل ارتقاء المرأة للعرش مشكلة فى معظم الأحوال . ولذا فعلى أن ندرك وجهة النظر الفرعونية المصرية للدور الذى تقوم به . فالملك يحكم وكثيرا ما يلتمس المشورة من رفيقته أى الزوجة الملكية العظمى ، التى تشاركه حياته الخاصة ، وتعرفه أكثر من أى شخص آخر . ألم تحمل منذ القدم ، هذا اللقب الذى يوحى بالكثير ، التى ترى حورس وست ، ( أى التى تفهمت جملة خصال ونقائص مليكها ) . أن هذه الملكة تكفل للقصر وللمعبد أوجه نشاط مكمل وأساسية ، وضرورية لا غنى عنها بجوار الفرعون ، وللاولاد الملكيين ، ولبعض مظاهر الشعائر الدينية . فلماذا إذن ، تحاول الأميرة ، أن تحل مكان الأمير المفروض أنه سيحكم مصر ، ما دام العمل الذى تقوم به يختلف عن عمله هو ، ولكنه تقديريا لا يقل عنه أهمية وخطورة ، بل وضرورى ولا يمكن أن يحل مكانه آخر ؟ أن تسلسل تاريخ مصر ، هو أوضح وأروع تأكيد وبرهان على ذلك ، كما أن اعتلاء النساء كرسى الحكم بالبلاد ، ليس بالأمر المدهش ، مثله كمثل الملكة اليزابيث بانجلترا ، وكاترين بروسيا ، أو ملكتى هولندا والدانمارك فى الوقت الحالى .

فأين هى حالات « اغتصاب السلطة » بالنسبة لكل من « نيتوكريس » ، ونفروسيك ، وحتشبسوت ، أو تاوسرت اللاتى اغتلتن العرش ، لقد

كان ذلك فى أغلب الأحوال فى عصور الاضطراب ، وغالبا ما كانت الملكة تحل محل فرعون صغير السن أو واهن القوى ، وهو ما حدث مع نيتوكريس ونفروسيك ، وربما نفرتيتى (٩) ، أو تاوسرت . لقد اعتلت كل منهن العرش ، بعد انقضاء عصر أسرة مجيدة عظيمة ، عندما فقت فيه سلالة الملوك سطوتها وسلطتها وأفل نجمها ، وبدأت تدخل مرحلة من الاضطرابات والقلق واكبت ضعف واضمحلال السلطة . أما بالنسبة لحتشبسوت ، فالحال يختلف لأن مصر فى ذلك الوقت بالذات ، بدلا من الانحدار الى الفوضى والقلق كانت تتوالت الى عهد من المجد والازدهار بعد فترة طويلة من الضعف والتخاذل . كما أن الأميرة كانت تتمتع بكافة الشروط الشرعية التى تؤهلها للعرش . فإن وراثته العرش - على حد اعتقادنا بالعرف الفرعوى - كانت قاصرة على ابنة تحتمس الأول . ومن المستحسن إذن أن ندرس كبداية ، ووفقا للتسلسل التاريخى ، موضوع الفرعونات اللاتى قضين فترة خاطفة فى الحكم : نيتوكريس ، ونفروسيك ، ونفرتيتى (٩) ، وتاوسرت . وكنوع من التحديد الزمنى ، سنذكر أيضا الملكة حتشبسوت دون أية اضافة . وسوف يخصص لها بعد ذلك تفصيل خاص ، يتفق مع المكانة الاستثنائية التى احتلتها هذه الملكة فى تاريخ مصر القديمة .

### نيتوكريس :

إنها الوحيدة من ملكات مصر التى تعد تقريبا ملكة أسطورية . ولقد قال عنها المؤرخ مانيتون الذى لم يتحدث عن أية فرعونية أخرى غيرها ، أنها تولت الحكم فى أواخر الأسرة السادسة ، بعد حكم مرنرع الثانى ( ربما حكمت لمدة اثنتى عشر عاما ) . وقال اراتوستين عنها ، أنها أمضت ست سنوات فى الحكم . أما المحفوظات المصرية فلم تذكر منها سوى اسمها : نيت اقرت ، وقد ورد فى حوليات الرعامسة (١١) ، أنها حكمت مدة سنتين ، وشهر ، ويوم واحد . . . والواقع أن « المعلومات » الوحيدة التى لدينا عنها ، لا تتعدى ما ذكره كل من اراتوستين وهيرودوت ، وهى تتركز على بعض الروايات والأخبار الأدبية ، التى ترجع الى العصور المتأخرة جدا ، والتى أدمجت بها بعض الأخبار ، عن الغانية الاغريقية ردوبيس Rhodopis ، عشيقة « ايسوب » . ويحكى هيرودوت قائلا : أن نيتوكريس ، بعد أن ارتقت عرش أخيها الذى مات مقتولا ، قامت بالانتقام من القتل ، عن طريق حيلة بارعة ، تسببت فى موت الكثير من المصريين . وبعدها ماتت منتحرة . أما « مانيتون »



لأنه يؤكد بدوره ( وفقا لنسخة عمارنية لا يوسيب ) : « لقد تولت الحكم امرأة تدعى نيتوكريس . وكانت تفوق جميع رجال عصرها شجاعة واتقادا . وكانت تفوق كل نساء عصرها جمالا وحسنا وبهاء . كانت شقراء ، ذات وجنتين ورديتين . ويقال انها هي التي قامت ببناء الهرم الثالث . » ومن هذه العناصر المختلطة ، نستطيع عموما ، ان نستخلص ان هذه الملكة ، التي لم تمكث طويلا فوق العرش ، في اواخر الاسرة السادسة ، ربما قد ساهمت في بعض الاعمال المتعلقة بالهرم التاسع ، الخاص بالملك منكاورع (١٢) بالجيزة . اما عن اسطورة جمالها ،

لربما تناقلتها العصور مع شيء من الالتباس مع اسطورة رديسيس ( ذات اللون الوردى ) . ولكن لون شعرها الاشقر ، الذي يثير الدهشة بالنسبة لاحدى بنات النيل ، والذي كان مثار احاديث حتى عصر الاغريق ، يرجع بدون شك الى طراز مصرى ، ثبت وجوده حاليا من الناحية الاثرية من بعض الرسوم التي شوهدت في مقابر الاسرة الخامسة بجوار الاهرامات : الاميرات يملن الى التزين بالشعور المستعارة الفاتحة اللون .

كانت هذه الملكة على قدر واضح من الشجاعة والاقدام ، كما كانت على قدر لا يضاهى من الجمال : فهذا هو الثناء ، الانثوى ، الذى ذكره ، مانيتون ، المؤرخ المصرى الوحيد عن تلك الفرعونة التى لم يطل بها المقام على عرش دولة قديمة كانت على وشك الانحدار الى هاوية الحرب الاهلية .

### نفرو سبك :

فى اواخر حقبة مزدهرة ، من فترات تاريخ مصر ، التى بدأ تألقها يخبر ويضعف ، ظهرت الفرعونة الثانية المعروفة الملكة نفرو سبك (١٢) التى يبدو انها ختمت الاسرة الثانية عشرة ، فى الدولة الوسطى . وهى ابنة الملك امنمحات الثالث ، واخت امنمحات الرابع . ولا ريب انها ارتقت العرش بين فترتى حكم هذين الملكين ، لوقت قصير للغاية .

تبين بردية « تورين » ان حكمها استمر ثلاث سنوات ، وعشرة شهور ، واربعة وعشرين يوما ، ولم تصل اليها أية تفاصيل عن حياتها . ولكن هناك دليلا قاطعا ، بانها كانت فعلا تحكم كفرعونة ، اذ عثرنا على الجزء العلوى لاحد تماثيلها ، وهو الآن بمتحف « اللوفر » ويمثل الملكة وهى ترتدى ملابسها بأسلوب فريد غير مألوف ، تفوق رداؤها الانثوى ، وضعت الازار الرجالي ذاك المصدر القوى مثل الفراغة ، وهى

### نفرتيتى :

هناك بعض الناظر الذى يبين غرابة اوجه نشاط هذه الزوجة الملكية العظمى التى دفعت بعض علماء المصريات ( هاريس Harris خاصة ، ثم من بعده سامسون Samson ) الى الاعتقاد بانه كان هناك نوع من المشاركة فى الحكم بين نفرتيتى واخناتون ، وان هذه المشاركة بينهما ، قد انتهت ، بحكمها هي حكما مطلقا بعد موت زوجها . ومن المحتمل ان تكون هذه الملكة قد اتخذت اسم سمنخ كا رع ، الذى كان يعتقد حتى الآن انه اسم احد اشقاء الملك الذى خلفه لمدة سنتين او ثلاث سنوات . ومثل هذه النظرية ، بالرغم من انها مفرية وجذابة ، فهى مازالت تفتقر الى الأدلة المقنعة فعلا (١٤) .

### تاوسرت :

اما رابع الملكات التى توجت « فرعونة » ، لسنوات قليلة ، فهى « تاوسرت » ، التى قام الكاتب الفرنسى « تيوفيل جوتيه » باقتباس اسمها ، وحوله لـ « تاوسر » وهو الاسم الذى سماها شامبليون به . واعطى « تيوفيل جوتيه » اسم « تاوسر » هذا ، لبطلته روايته المعروفة باسم « قصة المومياء » . وكانت « تاوسرت » ، هى آخر مظهر للفرعونة - المرأة بمصر ، قبل ان يفزوها الاسكندر الاكبر ، وقبل حكم البطالمة الذى انتهى بالعمل البطولى والماساوى لكليوباترة السابعة فرعونة الاسكندرية .

تبدو « تاوسرت » ، السيئة الحظ ، امرأة فائقة الرقة متناهية الرشاقة فى صورتها المنحوتة على ركيزة احد الابواب بمعبد « عمدا » ، بالنبوة ، ولم تعيش حياة هادئة هائلة تماما ، فى اواخر تلك الاسرة التاسعة عشرة ، التى اشتهر فيها رمسيس الثانى بصوره وتماثيله العديدة . فالاسرة المالكة ، كان ورثتها يبدون متهاكين وضعفاء ، يتشبثون بأذيال عرش يرغبه ويشتهي « آمون مس » ، الذى يرجح انه كان ابنا لاحد احفاد رمسيس ، ولم يعزف بالضبط ، اين توضع فترة حكمه القصيرة ، ويبدو ان « باى » كبير المستشارين ، والذي كان من دعائم السلطة ، قد لعب دورا حاسما بجوار الملكة فى تلك الفترة .



واخيرا ، قام احد السوريين ويدعى « يارسو » ، بالاستيلاء على مقاليد الحكم ، خلال تلك الفترة التي سادت فيها الفوضى والقلق ، وحكم البلاد الطغاة المستبدون . ولكن ، فى نهاية الامر ، قام الامير « ست نخب » بطرده من الحكم . والامير « ست نخت » هو مؤسس الأسرة العشرين . وعلى هذا المسرح السياسى تتابع ثلاثة ملوك ما زال ترتيب ولايتهم للعرش موضع خلاف للرأى حتى الآن ، وقاموا بعقد اتفاقيات ومعاهدات متتالية ، واختلف مصيرهم وهم : سبتى الثانى ، وتاوسرت ، وسبتاح (١٥) . واثارهم المتبقية وبصفة خاصة مقابرهم - فى وادى الملوك - تشير الى وجود صراعات داخلية ، وتنافس وعداء . تعبر عنه أسماء الملوك التى هُشمت ، ووضعت أسماء أخرى بدلا منها .



شكل (١٧) تاوسرت

وبعد وفاة الملك مرنبتاح ( الابن الثالث عشر لرمسيس الثانى وخليفته على العرش ) خلفه سبتى الثانى ، وهو ثانى ملك يحمل هذا الاسم ، ويبدو أنه قد تزوج من الأميرة الملكية « تاوسرت » كى يدعم من شرعيته . ولكنه لم يستمر على العرش سوى ست سنوات . وكان من المفروض أن يخلفه ابنه « سبتاح » على العرش عند وفاته ولسمنا نعرف اسم والدة « سبتاح » ، ولكنها بالتأكيد لم تكن « تاوسرت » ، الزوجة العظمى التى نستطيع رؤية صورتها منقوشة على سوار من الفضة (١٦) وهى تسكب النبيذ فى كأس يدها إليها الملك . وفى تلك الآونة ظهر « آمون ميس » ، الذى طالب بحقه فى وراثة العرش ، لكن عهده لم يطل ، ويبدو أن « باى » ( كبير المستشارين للأرض قاطبة ) كان يتربص به ، وعلى حد قوله : « وضع الملك فوق عرش أبيه » . وكان الملك سبتاح وقتئذ مازال طفلا يافعا . ولا شك أن « تاوسرت » لم تكن لتستطيع مطلقا ، بدون مساعدة المستشار الأكبر أن تصل بمفردها الى ذلك الغرض ، وخاصة أن الخلافة فى الملك كانت موضع نزاع . ووقف « باى » مساندا للفتنة الحاكمة : ترى هل اضطرت الملكة أن ترضخ أمام خطط « باى » ؟ أم أنها

تعارفت معه ؟ . ومهما كان الامر ، فقد قامت « تاوسرت » بالوصاية خلال السنوات الست التى قضاها « سبتاح » فى الحكم . ثم مات مبكرا ودفن فى « وادى الملوك » . فتبوات « تاوسرت » عرش مصر ، وتوجت تحت اسم « ابنة الشمس » . وخلال فترة وصايتها ، كانت قد أمرت بأن يشيد من أجلها - شأنها شأن أى فرعون - مقبرة خاصة بها فى وادى الملوك ولذا ، تشاهد معثلة فى النقوش البارزة على الجدران بجوار سبتاح . وعندما أصبحت ملكة ، رغبت فى أن تجدد فى مقبرتها ذكرى زوجها « سبتى الثانى » وبذا ، ففى المنظر الذى تبدو فيه بجوار سبتاح وهى تقدم القرابين للاله « جب » ، قامت بمحو أسماء الملك الشاب على ما يعتقد ، وأحلت محلها أسماء سبتى الثانى ، ولكننا لا نعرف سوى القدر اليسير من الأمور ، لكى نتمكن من معرفة الأحداث بالفعل .

حكمت « تاوسرت » ، حتى العام الثامن (١٨) . فهل بقيت على العرش طوال هذه الفترة ؟ أم أنها تضمنتها السنوات الست التى قضتها كوصية على العرش ؟ فلو كان الأمر كذلك فهى إذن لم تستطع أن تقاوم ظموحات وتطلعات السورى المدعو « يارسو » ، سوى سنتين فقط . ومقبرتها ( رقم ١٤ بواى الملكات ) تعد دليلا على مدى ما تعرضت له الملكة من اعتداءات ، إذ كان من المقرر أن تكتمل بمعبد ، وضعت خطوطه الأولى فقط ، بجنوب الرمسيوم ، وكان من المفروض أن يكون قصرها فى مدينة « برمسيوس » ، حيث كانت تقيم بقصر جدها العظيم رمسيس . كما أن النوبة وسيناء ، قد احتفظت ببعض أوجه نشاطها الملكى السلمى . ولكن ، ترى كيف اختفت هذه الملكة ؟ لا أحد يعرف ذلك . ولكن يرجح أنها لاقت حتفها خلال تلك الحقبة التى سادتها عوامل الفوضى ، وهو أمر غير مستبعد . ولكن ، من المؤكد أن « يارسو » لم يهتم بأحياء ذكراها ، وأن « ست نخت » قد قام بالاستيلاء على مقبرتها ، ويحتمل جدا أنه قد دمر مومياءها . ومع ذلك فقد كان هناك بعض « الأوفياء المخلصين » الذين كانوا يراقبون الوضع باهتمام ، واستطاعوا إخفاء بعض المجوهرات من الكنز الخاص بالملكة المتوفاة ودفنها بمقبرة لا اسم لها كمخبأ سرى ، عثر عليها (١٩) بنفس منطقة وادى الملوك . وضمن هذه المجموعة حفظ السواران المصاغان من الفضة المنقوش عليها بصورة « تاوسرت » وهى مازالت زوجة ملكية عظمى ، بكل ما تتمتع به من رقة ورشاقة وهى واقفة أمام « سبتى الثانى » . وضمن مجموعة الملكة وجدت مجوهرات أخرى خاصة بزوجها الأول : اقراط رائعة من الذهب ، كبيرة الحجم ، ولكنها لحسن الحظ خفيفة الوزن ، تزينها زخارف رشيقة مستطيلة على شكل ثمرة الرمان ، وكان يتحلى بها



الأمراء والأميرات في مرحلة الشباب . وفي خبيئة أخسرى بالندلنا الشرقية بالزقازيق ، وضمن بعض المجوهرات الرائعة الخاصة بالرعامسة منها ، الوعاء ذو الماعز الصغيرة ، وسوارا ، رمسيس الثاني : المنقوش عليهما أشكال للبط . وكان يوجد أيضا باسم الملكة ، تا وسرت ، كنس من الذهب على شكل زهرة اللوتس المفتوحة . وبذا ، علينا أن ندين لآخر أميرات العصور الفرعونية التي ارتقت عرش مصر ، بهذا النموذج الفريد من نوعه ، الملموس ، لكأس استعملها الملوك لشرابهم . ويمكننا ملاحظة هذا الاتاء الملكي في المناظر التعبيرية التي تشير الى الحياة الخاصة بداخل القصر ، وتسترجع المنظر الذي يمثل ، تا وسرت ، وهي تسخو في تقديم نبيذ النشوة الى « سیتی الثاني » ، مليكها وفرعونها . وربما حببيها .

## أمون والزوجات الالهيات

### ملكات طيبة العذارى

يختتم عصر الدولة الحديثة العظيم بأقول نجم أسرة الرعامسة التي هيا انحدارها ، لحىء عهد تشوبه القلائل والاضطرابات ، أطلق عليه علماء المصريين اسم : « عصر الانتقال الثالث » . وخلال تلك الفترة ، أصبح العرش - بعد أن اعتلاه بعض الفراعنة المنحدرين من نسل وزير سابق من الشمال ، توج ملكا تحت اسم « سمندس Smendès » ( الأسرة الواحدة والعشرون ) الألف الأولى قبل الميلاد - فريسة لأسرة اجنبية الاصل . وانتهت هذه الحقبة ، بالأسرة الخامسة والعشرين ، أى الملوك النوبيين - السودانيين الذين أطلق عليهم المؤرخون الاغريق لقب « الأثيوبيين » ( أواسط القرن السابع قبل الميلاد ) .

### أمون - ملكا

هجر الفراعنة آنذاك العاصمة القديمة ، طيبة ، ومدينة « بر - رمسيس » ، التي كان الرعامسة يفضلونها واستقروا في « تانيس » ، في الشمال الشرقى ، ونقلوا اليها الكنوز والثغاس التي كانت في العاصمة السابقة . ولكن ، قبل كل شيء ، نلاحظ ظاهرة تساعد على توضيح الكثير من الأمور الغامضة : لقد تلاشت صور الآلهة وخاصة التي ازدهرت في مدينة الرعامسة القديمة ، ومنها الاله « ست » ، الرهيب ، وبعض الربيات الاجنبيات ، وحل محلها أمون الأوحد . ان ديانة التوحيد ( ١ ) التي ترسخت دعائمها ، قد امتدت في كافة انحاء البلاد ومن طيبة حتى « تانيس » ، كان أمون الكرنك ( ٢ ) هو الملك . كما أن الإشارة الى مدينة ( طيبة ) ، أو اسمه ( آمون ) ، قد دخل ضمن



تكوين أسماء بعض ملوك « تانيس » ، بداية من اسم ابن سمندس يدعى بسوسنس Psousennès ( ويعنى باللغة المصرية القديمة « با سبا خع ان نيوت » أى : « النجم الذى سطع فى المدينة » ، أى طيبة ، وكذلك أمنموبى Amènemopé ويعنى : « آمون فى الأقصر » ، أى وكذلك سيامون Siamon : ويعنى : « ابن آمون » ، « آمون فى الأقصر » ، أى شئ ، القمر ، والشمس ، ( وفحواها : « الأبدية انه الخالق الاول ، خالق كل ذو الطبيعة التى لا يسبر لها غور » ) ، ان « آمون » ، كما يدل عليه اسمه ، هو « المستتر » . وقد توصل علم اللاهوت بطيبة ، الى مفهوم وحدوى يعمل على محابة رجال الدين والقصر على حد سواء . الى مفهوم ساعدت مكانة الاله السامية الرفيعة على خدمة ومساعدة الملكية فى تلك الحقبة التى سادتها القلاقل السياسية . وفى تانيس كان الملوك الفراعنة يديرون شئون الدولة بقدر ما تسمح به امكاناتهم المتواضعة ، خلال تلك الحقبة غير المستقرة . اما فى طيبة ، فقد كان كبار الكهنة الذين يطالبون بحقهم فى العرش ، يحكمون بواسطة وحى « آمون » ، الذى كانت تعرض عليه كافة النزاعات والخصومات ... حتى الغائلية منها .

### نحسى خونسو

تكشف لنا احدى البرديات التى وجدت مع مومياة سيدة من طبقة النبلاء تدعى « نحسى خونسو » لمحة مفاجئة عن العالم الخاص لكبار الكهنة وزوجاتهم فى عصر كانت شمس حضارة مصر توشك على الافول .

ونقرأ بين السطور وقائع قصة غامضة توحى بمؤامرة كانت تديرها « نحسى خونسو » للخلاص من زوجها الذى لم يكن الا كبير كهنة آمون « باى نجم الثانى » . لكن الدافع مجهول ، هل هو انحراف من الزوجة ام غيرة قاتلة ام مؤامرة سياسية من قبل الفرعون ؟ اذ كانت الزوجة ابنة للفرعون سمندس من زوجته الثانية « تاحنجىحوتى » وكان عليها بالتالى ان ترعى مصالح ابيها فى طيبة . ايا كان الامر ، كان كبير الكهنة يخشى شيئا من زوجته ، وعند وفاة زوجته لجأ الى احد كهنة آمون ليوفر له برقية وتعاون الحماية من شبح زوجته الرهيب .

وما هو ملخص لهذا القرار : « مكذا تكلم آمون رع ، ملك الآلهة جميعا ، الاله الأعظم القوى القدير ، الذى كان اول من ظهر فى الوجود ، وتتابع بعد ذلك العبارات ، دبلوماسية مهذبة ، تشوبها الرقة والثناء على السيدة المذكورة . ثم تتبعها عبارات التحذير والتنبية : « سوف

ارشد واقود قلب نحسى خونسو ، ابنه تاحنجىحوتى ، بحيث لا تلحق اى اذى به يا نجم ابن اس ام خب .

« سوف ارشد قلبها ،

ولن اسمح لها بان تنهى حياته ( بانجم ) .

« سوف ارشد واقود قلبها ،

ولن اسمح لها بان تسبب اى شئ . يمكن ان يؤذى قلب رجل حتى ( ..... ) .

« سوف ارشد قلبها ،

حتى تتمنى له الخير ، طوال حياته ( ..... ) .

هناك اذن همزة وصل ، ( قد تكون على درجة كبيرة من الخطورة ، كما شاهدنا هنا ) ، تجمع جمعا وثيقا ما بين القوتين ، الملكية والكهنوتية ، فى اطار السلطة : لتد ازداد نفوذ نساء الأسرة المالكة السياسى ، بفضل زوجة كبير كهنة آمون ، « وزوجة الاله المقدس » . وبالإضافة لذلك ، يلاحظ ان جميع كبار كهنة طيبة ، الذين جاءوا بعد راندهم « حريحور » ، انحدروا جميعا من صلب ملوك تانيس عن طريق الأم . فمثلا ، فى أوائل الأسرة الواحدة والعشرين ، نجد ان الكاهن الأكبر « ييعنخى » ، هو ابن اميرة « تنات آمون » ، والملك « سمندس » . وقد تزوج هذا الكاهن من احدى بنات « سمندس » ، وتدعى « حنوت تارى » ، ثم تزوج ابنها « با نجم » ، الاول من « اس ام خب » ، ابنة « بسوسنس » ، الاول ، احد ملوك تانيس والملكة « موت نجمت » .

وقد كلفت زوجاتهم بأداء مهام ووظائف كهنوتية متعددة . ولكن كلفن قبل كل شئ بالمهمة الأساسية الدائمة التى كانت قد خولت قبل ذلك للأميرة « موت نجمت » ، زوجة « حريحور » : « ان تكون كبرى رفيقات آمون رع » . ويتعلق الأمر هنا بحريم « آمون رع » بمعبد الكرنك . وقد قامت بهذا الدور قبل ذلك ، خلال الدولة الحديثة احدى الكاهنات التى كانت تقوم غالبا بدور البديلة « لزوجة الاله » ، وتقوم بمهامها ، عندما تكون الملكة غير مكلفة بذلك .

### زوجات الاله الجدييدات

تمت عندئذ ، عملية نقل كاملة لهذه المؤسسة الخطيرة المهمة ، الفائقة الغموض ، المكونة من « زوجات الاله » . ومنذ ذلك الحين ، لم



تعد وظيفة « زوجة الاله » تخلق الا على « ابنة الملك » في مدينة طيبة . حيث كانت تمنح ضيعة شاسعة ، وبلاطا خاصا وموظفين وعمالا . وكانت تنذر حياتها للذات الالهية . ومن ثم ، كان لزاما عليها ان تعمل دائما ابدا على تاجيج حيويته وقواه حتى يستكمل العالم مسيرته . ركز تكرم وتوقف نفسها كلية من اجل ذلك وتبقى دائما عذراء ، لا تقرب الرجال ، حتى لا يندس آدمى بذرة الاله .

لذلك لم يعد هذا الشرف العظيم يخلق على الملكة ، وكانت هذه المهمة ، ضمن الكثير غيرها ، قد اوكلت اليها في بداية الامر . وكانت قد خلعت بعد ذلك على ابنة الملك ، التي استطاعت في الفترات السابقة وفقا للشعائر ان تكون « زوجة ملكية كبرى » ، وتكون « بدون اى وسيط او مبتهل » على اتصال مباشر بالاله . وخلافا لذلك ، اضيف الى لقبها اسم الاله محمدا وواضحا بدون اى غموض او ابهام ، واصبحت منذ ذلك الوقت : « زوجة آمون » ، استبعادا لاي اله اخر . وبهذا نجد هنا ، ثلاث سلطات ( الفرعون ، وكبير الكهنة بطيبة ، وابنة الملك « زوجة آمون » ) . وكل واحدة من هذه السلطات تتمتع بنفوذها في دائرة اختصاصاتها وامتيازاتها ، وتتازعت هذه السلطات بالاقليمين الكبيرين بالمملكة ، وهما : الشمال حيث العاصمة الجديدة تانيس ، والجنوب حيث مدينة آمون طيبة . وكانت هناك سلطة اخرى وسيطة ، تتمركز ايضا في طيبة تعمل على كبح جماح « الكهنة والملوك » بالجنوب ازاء ملوك الشمال . وكانت ابنة الملك ، اى زوجة آمون وملهمته الشخصية هي المثلة لهذه السلطة الوسيطة .

ويبدو ان اولى « زوجات الاله » الجديديات ، كانت الاميرة « ماعكارع » ابنة الملك « بوسنس » الاول ، والملكة « حنوت تاري » ، والتي عثر على جثمانها بداخل الخبيثة الملكية بالدير البحري ، وبجوارها مومياء صغيرة ، واعتقد البعض عند اكتشافها انها تخص طفلا رضيعا . وكان ذلك مثارا لاقتوال خبيثة عن الاميرة . وقال البعض عنها ، انها اخلت بعهد الطهارة والنقاء ، الذي اخذته على نفسها . بل تمازت هذه الاقاويل لدرجة ذكر ان الغضب الالهى قد حق عليها عند الولادة ، وان طفل الخطيئة ، قد لقي حتفه . وكان من الممكن ان ينمحي تماما من الوجود . . . . . ولكن ، منذ حوالي عشر سنوات ، ابطلت تماما كل هذه النظريات السيئة الظن ، فقد تم تصوير المومياء الصغيرة ، موضع الخلاف بالاشعة ، وتبين انها مومياء قرد الاميرة المبدل . وبذا ، انتقدت سمعة العذارى المقدسات من وصمة عار خطيرة ، كادت ان تلحق بين . وهناك ايضا الاميرة « كاروماما » ، وهي احدى الزوجات الخمس الاخريات المعرفات ، لآمون ، قبل الأسرة الخامسة والعشرين ، ومما

لا ريب فيه انها احدى حفيدات « اوسركون » الاول ، أحد ملوك الأسرة الثانية والعشرين . وتمثالها القيم الثمين ، المصنوع من البرونز والمغطى بطبقة من الذهب ومادة الالكتروم (مزيج من الذهب والنضة) ، المعروض في متحف « اللوفر » بباريس والذي يمثلها وهي تهز صلابتها ، يعد من اروع التحف التي جلبها شامبليون من طيبة . وهو يستحق عن جدارة ، ذلك الثقت الذي وصفت به هذه السيدة : « ذات المشية الرشيفة الساحرة » في بيت آمون .

### الأميرة الكوشية

في اواخر حكم اوسركون الثالث ، ازدادت سلطة زوجات آمون ، أكثر من ذي قبل ، وذلك مع تدخل الملوك « الاثيوبيين » الطامعين في امور « الذي الحق ضررا بكبار كهنة آمون » ، وتسبب في ضياع ثرواتهم الهائلة وبالفعل ، عندما قام حاكم اقليم « نباتا » بالسودان ، ويدعى « كاشتا » بفرض سلطته وحكمه على طيبة ، قدم فوراً ابنته « آمون اريديس » الاولى ، الى « زوجة الاله » المدعوة « شابنييت » ، ابنة الملك المتوفى اوسركون ، لكي تتبناها ، وفرضت سلطتها خلال حكم كل من الملكين « شاباكا » و« شاباتاكا » بصفتها وريثة لا ينافيها احد في سلطتها . ومنذ ذلك الحين تتابعت « زوجات آمون المقدسات » عن طريق التبنى ، وكون بذلك أسرة خاصة بهن . وقامت آمون اريديس الاولى ثم شابنييت الثانية ابنة « باعنخي » (٤) ، التي فرضت سلطتها على طيبة ، خلال حكم الملوك « شاباكا » و« طهارقا » ، وتأنوت آمون .

وتتضمن المجموعات المصرية باللوفر وعاء شمينا من البرونز المكثف بالذهب والفضة ، نقش عليه صورة والقاب شابنييت الثانية وهي تتعبد أمام ثالث طيبة المقدس . وتحتوي هذه التحفة المعدنية على لوحة صغيرة من العاج ، الذي التصق بالمعدن بسبب الرطوبة . ومن المرجح ان المتخصصين اذا نجحوا باستخدام التصوير الطبقي (Tomographie) في قراءة النص المحفور على اللوح العاجي ، فلا شك اننا منطلق على معلومات قيمة نادرة ، لا سيما ميثاق تنصيب هذه الملكة الشفائية .

### العصر الصاوي

كانت « آمون اريديس » ابنة طهارقا ، آخر الأميرات الكوشيات اللاتي تقلدن منصب « زوجة الاله » ، ولقد عمل الملك الصاوي



بسماتيك الأول ، آنذاك ، على ارغام هذه الأميرة هي والعسايدة السابقة ، شابين ابت ، على تبني ابنته ، نيتوكريس ، ( اواسط القرن السابع قبل الميلاد ) ، كما أن نص الاتفاق الذي تم ( بعد سلسلة طويلة من المساومات ) مع ابنة طهارقا ، وحاكم طيبة ، منتمومات ، قد روى خبر التبني نفسه بالتفصيل على لوحة التبنى ، (2) ومعها ، بطبيعة الحال ، اشارة بالقائمة النادرة ، الالزامية ، عن المخصصات التي تؤول اليها من العايدة ، شابين ابت ، وكذلك من عائلة منتمومات ، وكهنة آمون ، وعدد كبير من المعابد المهمة ، والاراضي الواقعة في احد عشر اقليما - أو مقاطعة - مصر العليا والدلتا .

ويمكننا ملاحظة مدى اتساع رقعة املاك ، زوجة الاله ، حقيقة انها لم تكن تعادل في ثرائها ما كانت تتميز به املاك المعابد الكبرى . فقد تلقت الأميرة ، نيتوكريس ، من ، شابين ابت ، ما يوازي ٢٣٠٠ ، اورو ، ( اى ٩٠٠ هكتار ) من الاراضي ، ولكن يلاحظ أن اراضي المناطق الزراعية في مصر تعد أكثر انتاجا مما هي عليه في اوربا . وخلاف ذلك ، كانت الأميرة تتلقى يوميا ، مخصصات عينية من أجل تموين منزلها ، : احد عشر مكيالا من النبيذ ( خمسة لترات ونصف ) ، كميات كبيرة من الفطائر والكعك ، ثلاث حزم من الخضروات ، ومائة وتسعين رغيفا من الخبز . وكانت تتلقى كل شهر أيضا ثلاثة ثيران وخمس اوزات ، وكميات من الفطائر والكعك ، والخضروات ، وعشرين جرة من الجعة .

وكانت تتلقى هذه الحصص العينية ، من كهان آمون ( الأول والثالث والرابع ) ، كذلك من زوجة كبير الكهنة الرابع ، والمشراف والمنظم لشئون كبار الكهنة .

وكانت عملية التبني التي تتم حينئذ ، بداية من الخالة والعممة ، الى ابنة الأخت أو ابنة الأخ ، تذكر دائما النسب المزدوج للام الروحية ( العايدة السابقة ) ، والام الدنيوية ( الزوجة الملكية المعظمة ) . وفي متحف ، اللوفر ، نستطيع أن نشاهد أحد النقوش التي تبين يوم تبني آمون لنيتوكريس . ومنها يبدو آمون ، أثناء هذا الاحتفال ، وهو جالس على عرشه ، وكأنه يتوج ، وفقا للطقوس ، ملكا جديدا . ويبدو الملك راكعا على ركبتيه أمام رب الأرباب ، مديرا له ظهره . ويتلقى من الاله عندئذ ، لباس الرأس والذي يسمى بالخبرش ، في حين أن حاميه وراعيه الالهى ، يضع يديه على رأسه لمنحه البركة . إذن ، فالمرشحة الجديدة للقيام بدور ، زوجة الاله ، قد صورت هنا ، تماما ، في نفس وضع ولى العهد ، وبذلك أصبحت كملكة لحظة تتويجها . ويلاحظ أن الأم المتبينة والعايدة المتبناة تستطيعان في بعض الأحوال أن تقوموا بمهمتهما في

صورة مشاركة مثل بعض الفراغة الذين كانوا يشركون أبناءهم على العرش في العصر المتأخر .

بعد نيتوكريس الصاوية ، جاءت الأميرة ، غنخ ان اس نفر ايب رع ، ابنة ، بسماتيك الثاني ، من الملكة ، تاكلوت ، ، وشغلت منصب الكاهنة الأولى التي يحتفظ المتحف البريطاني بتأبوتها الرائع ، وقامت هذه الأميرة بدورها بتبني ، نيتوكريس الثانية ، ابنة ، اماريس ، ، وحكمت هاتان الأميرتان على التوالي طيبة حتى مجيء الفرس ، وفي هذا العصر حافظت كاهنات آمون على تقليد الزوجة الالهية . ومن ثم بمثابة ما سمعه هيرودوت ، عندما قدم الى طيبة عن المرأة التي تبنت في معبد زيوس ، ولا يجب أن نتصل مطلقا بأى رجل من الرجال ( الفصل الأول - ١٨٢ ) . وهو ما يرتبط بالأميرة التي ارتضت الاقتران بآمون ، وتحيط بها مجموعة من الغذارى ( المتبتلات ) بالمعبد . وكما نرى ، فالامر لا يتشابه مطلقا مع غذارى اثينا ، Pallacides ( نسبة الى ، بالاس ، الالهة الحكمة عند الاغريق ) أو جوارى المعبد ، اللاتي كن يتصفن بالتسريب الخلقى ، وربما كن يزاولن نوعا من البغاء داخل المعابد اليونانية ، واللاتي تحدث عنهن سترابو ، بل وديودور الصقلي أيضا .

### وظيفة زوجات الاله

لننا نستمد أكثر معلوماتنا عن زوجات آمون من آثار الأميرات ، الأثيوبيات ، التي تكمل لحسن الحظ ، آثار الفترات السابقة . لقد كن بالفعل حاكمات لطيبة ، وبذا ، فقد كن يتمتعن بكافة الامتيازات والحقوق الملكية . وكان لكل واحدة منهن اسمان يكتبان داخل خرطوش . وكان من حقهن تدشين المنشآت ( وخاصة المقاصير ) وممارسة الشعائر الخاصة بتأسيس المنشآت . ومع ذلك لم يشاركن في اقامة المنشآت الخاصة بملوك الأسرة الخامسة والعشرين . وكانت زوجات آمون مثل الملك يقمن بالشعائر الدينية والطقوس ، وتقديم القرابين ، وتأدية طقوس العايدة ، ويقمن كذلك بتقديم القرбан الأعظم - لتمثال الالهة معاً ، ( التوازن الكونى ) . وكن يتنقلن محمولات فوق محفات الاحتفال اليوبيلى (اعباد الخب سبد ) التي كانت تقام من أجلهن ، ومن أجل الفرعون ، على حد سواء ، ويتمتعن بمعظم الامتيازات ، باستثناء ميزة واحدة وهي أن السنوات كانت تؤرخ بتتابع سنوات حكم الفرعون فقط . وهذا يبين الصلة الملمدة ، الفريدة التي تربط بين الملك ، وعودة العام الجديد ، وفيضان النيل الذي يحدد التجدد الجوهري . ومع ذلك ، فإن مقاصير العابدات ، من الممكن أن تنقش على جدرانها المناظر الملكية التي تمثل



مركب آلهة الفيضان (٦) : وعلى بعض الآثار نرى اسم « زوجة الآله »  
 يشارك اسم الملك في اللقب ، بل أحيانا كانت زوجة آمون في العصر  
 الآثيوى تمثل وهي متوازية تماما مع الفرعون . وكانت تعامل مثله تماما .  
 فنراها أحيانا على شكل « أبى الهول » . وهذا ما لوحظ فعلا بالنسبة  
 لبعض الأميرات منذ الدولة الوسطى . وكان من حقها مثل الفرعون أن  
 تمارس « مراسيم السلطة » ، فتقذف بالكرات السحرية ، وتصوب سهامها  
 على الأهداف في الجهات الأربع الأصلية ، وتساهم أيضا في تبجيل العقد  
 الرابطة بهذه الجهات أصلية .

اذن ، ما هي الوظيفة الأساسية لهذه الملكة الإقليمية ؟ لا ريب أن  
 دورها قريب مما كانت تقوم به في الماضي ملكات الدولة الحديثة ، وكان  
 عليها باعتبارها زوجة لرب الأرباب أن تعمل على الإبقاء على طاقته  
 العظمى وتوجيه نشاطه الخلاق ، وبذا يشعر « الآله » دائما بالرضا  
 و « الاكتفاء » . ويتجلى في صورها المنقوشة أو المنصوتة على هيئة  
 تماثيل كبيرة أو صغيرة الجمال الأنثوى صريحا دافعا . فلا تباريها  
 امرأة أخرى في جمالها وحيويتها وجاذبيتها . وقد صورت الزوجات  
 الإلهيات خلال الحكم الآثيوى ، ومن برفقة آمون الذى يظهر غالبا وهو  
 واقف أمام « زوجته » ، ويمثلها في الحجم تماما ، ويقدم علامة العنق  
 رمز الحياة لمن تملأ المعبد بعيقها ، وهو يعبر لها عن رضائه وارتياحه  
 « ان قلبى لراض كل الرضا » . كما تذكر العبارة التى يمكن قراءتها  
 بجوار صورتها . وفى شمال معبد الكرنك الكبير ، بالمنطقة التى  
 خصصت لإقامة مقاصير صغيرة لآمون وهو غاف كوزيريس ، نرى  
 مشهورا عامرا بالايحاءات : الزوجة الإلهية تحتضن ربها الأعظم ، وقد  
 التصقت به تماما ، وصدرها ملتصق بصدره وقد أمسكت بأحدى كتفيه .  
 وفى منظر آخر ، نراها وقد أحاطت عنق الآله بذراعيها ، ولامس  
 فخذها فى جراحة فخذ آمون . بل اننا نرى على بعض الآثار المحفوظة  
 فى المتحف المصرى مناظر تجسد « اللقاء الشعائرى » بين هذين  
 الزوجين ، حيث تجلس الزوجة الإلهية « آمون أريديس » على ركبتى  
 « آمون » الذى يحيطها بذراعيه . وهو مشهد شديد الحرارة إذا قورن  
 بخيره من النقوش المصرية ، التى تتميز بالعفاف وشفافية التعبير ، وهذا  
 النموذج مستمد فى الأصل من فن العمارة . وظلت النفوت الرقيقة التى  
 أضفيت على زوجة الآله مستخدمة ، وأضيف إلى هذه المناظر الغزلية  
 العاطفية ما يطابقها من الألقاب التى كانت تحملها الكاهنات المعروفات  
 باسم « يد الآله » مثل : « من تنعش وتشير شهوة الآله » . « من تلتحم  
 وتلتصق بالآله » . و « من ترتوى برؤية آمون » . وأحيانا كان يخطأ  
 بينها وبين ابنة آمون : « ابنة آمون » من جسده هو الذى يحبها .

وغالبا ، كانت « الزوجة » تمثل وهي مرتدية ثوبا طويلا ، مستقيم  
 الخطوط ، على هيئة الجلباب الضيق . وأحيانا كانت ترتدى معطفا  
 ينسدل على الظهر ، ويغطي إحدى كتفيها . وتضع فوق رأسها الشعر  
 المستعار القصير . ولكن فى أغلب الأحيان ، نراها بشعرها الطويل  
 المسترسل ، الذى تعلوه ريشتان طويلتان ، وقرنا الآلهة « سوتيس » ،  
 إيماء إلى شارات وعلامات بداية الوظيفة . وكان يقف بجوارها كبير  
 خدمها ، وهو شخص قوى الشكيفة ويتبعها كظلها ، ويحل محل القرين  
 ( الكا ) الملكية ، خلال المراكب والاحتفالات . وكان يحيط بها أيضا  
 مجموعة من الموظفين المرتبطين بالعمل فى بيتها ، مثل : الحاجب الأكبر ،  
 ومهيئة متدرجة كاملة من الكتبة ، والخدم ، ووصيفات الشرف من مراتب  
 مختلفة .

ولا نستطيع فى يومنا هذا ، أن نحدد بدقة المكان الذى دفنت فيه  
 جميع « زوجات آمون » . ولكن من المعتقد أن قبورهن ، خلال عصر  
 الانتقال الثالث ، قد أعدت فى المعبد الجنائزى الخاص برمسيس الثانى ،  
 فى الرمسيوم ، حيث أقيمت - على ما يبدو - مقصورات « للمتعبات » .  
 أما الزوجات الكوشيات فيمكن زيارة مقصوراتهن القائمة حتى الآن فى  
 المنطقة الواقعة جنوب - شرق معبد « مدينة هابو العظيم » ، وأن لم نعثر  
 على مقابرهن حتى الآن .

ومن ثم فقد تأكد فى تلك الحقبة التى بدأ فيها أفول نجم مصر ،  
 الدور السياسى ، بل والملكى الذى تقوم به الأميرة ، والزوجة الدنيوية  
 للآله . ومن ثم فقد كبير كهنة آمون بالكرنك منزلته .



مارييت ، في معبد ، الدير البحري ، صف الأعمدة الجنوبي ، والذي ما زالت توجد حتى الآن في نهايته اللوحات التي تبين رغم النهش الذي لحق بها ، نقوش حملة بلاد بونت .

وإذا كانت آثار هذه الفرعنة ، قد أصبحت شيئا محسوسا وملموسا ، فإننا نجد مع ذلك أن معاصريها قد تجاهلوا ذكرها ، إذ حلت جميع القوائم الملكية التي تركوها ، والتي عثر عليها خلال عمليات التنقيب ، من أية إشارة إلى الملكة ، بل وتبين لنا وجود أدلة عن تدمير منظم ، استهدف أيضا بعض الأفراد المحيطين بها . ولكن ، ومع ذلك ، فقد ادرج حكمها وسجل ضمن أسرار ، بيت الحياة ، بمعابد مصر ، حيث كان الكهنة يحتفظون بانتظام ودقة بإرشيف بالمحفوظات لكل أسرة من الأسر الحاكمة ، ولولا هذه المسندات التي استطاع مانيتون الاطلاع عليها ، مكلفا من قبل الملك ، بطليموس الثاني - فيلادلفيوس ، لاعادة تنظيم تسلسل الفرعنة ، لما استطاع هذا المؤرخ تحديد وجود ملكة في الأسرة الثامنة عشرة ، التي قال : « أنها حكمت مصر لمدة واحد وعشرين عاما ، وتسعة أشهر » ، ويبدو أن هذا هو الواقع فعلا .

ولقد اختلفت الآراء وتباينت بخصوص هذه المرأة التي تعد رغم كل شيء سيدة فذة وفريدة من نوعها . ويبدو أن أغلب هذه الآراء التي قبلت عنها ، كانت لا تخلص من الافتراء ، إذ نجد بعض علماء المصريات ، ذوي الشهرة العالمية ، ينعنونها بصفات قاسية قد يكون أخفها ما يلي : « حتشبسوت الرهيبة » ، أو « أن مجرد اعتقالها العرش كان خبيرة الكبار » أو « أنها مفتتحة » ، لأن أية امرأة لا يمكن أن تشغل وظيفة ملكة ، ولا أن تجابه متطلبات مصر ، والبعض الآخر قد بين : « أنها كانت ستعجز عن تحقيق أي شيء كان ، لو لم يكن يرافقها ويقف بجوارها أحد الرجال » ، والرجل المعنى هنا هو « سننموت » ، أقرب معاونيها إليها : « ليس من المعقول ، أن تصل امرأة ، إلى مثل هذه القمة ، حتى لو كانت تتصف بأخلاق الرجال ، دون أن يساعدها ، ويساندها رجل ما » ، بل أشير أيضا إلى : « الحظي القوي ، الذي لا يعدم وجوده في إطار مثل هذا الحكم الأنثوي » ، وعلى النقيض من هذا ، نجد أن نفس هؤلاء الكتاب رأوا أنه من الطبيعي ، بل من الضروري وجود رجل قري يساندها مثل « ريشيليو » بجوار لويس الثالث عشر ، و « كولبرت » مع لويس الرابع عشر ، و « دزرائيلي » الذي استطاعت أن تلجأ إليه « جدة أوربا » ( الملكة فيكتوريا ) .

وهناك أيضا من يركزون على سطوة وسيطرة رجال الدين . وهم يلحون بأن الملكة كانت مجرد لعبة يلهو بها الكاهن الأول لآمون ،

- ٦ -

## حتشبسوت

### زوجة الملك المعظمة المتوجة والوصية على العرش أسطورة الملكة

لو تطلعنا إلى القائمة الجيدة ، التي ترجع إلى آلاف السنين التي تضم أسماء الملوك الفرعنة ، نجد منها شخصيتين ما زالتا حتى الآن إثيران الاهتمام من أوجه شتى ، وتعتبران من أكثر شخصيات الأسرة الثامنة عشرة ، غرابة وفردة وتميزا . وبالرغم من ذلك ، فإن من تبوءوا من بعدهما « عرش خورس » ، قد بذلوا كل ما في وسعهم لكي يمحوا تماما كل علامات وأثار عهدهما وذكرهما في أفئدة البشر . ونعني بهما ، الملكة حتشبسوت ( ١٤٨٢ - ١٥٠٤ ) ، والملك المنحطب الرابع أو اخذاتون ، انهما موضوعان مثاليان وخصبان يثيران مخيلة الكتاب في عصرنا الحديث ويزخران برومانسية صارخة في بعض الأحيان .

إن الحكم الجماعي الذي أصدره القدماء ، ضد الملكة كان حكما جائرا . وفي الواقع أن الفضل يرجع إلى أبي علم المصريات الفذ ، شامبليون الذي اكتشف عند وصوله إلى مصر أولى العلامات التي تشير إلى وجود « ملكة » ، ملكة ، إذ كتب ، بعد أن زار في عام ١٨٢٨ الأطلال القديمة في الدير البحري - معبدها اليوبيلي - الذي كان مطمورا تحت الركام . وبالرغم مما أصاب الخراطيش الملكية من تدمير واتلاف ، فقد تبين لشامبليون علامة التانيث للأسماء التي تتضمنها . ومنذ ذلك الحين وعلماء الآثار يساهمون عبر الأجيال - بقصد وبغير قصد - في إعادة ترتيب وتركيب الاكتشافات الضخمة المهمة ، أو حتى الضئيل منها ، ولكن الأساسية غالبا . وبدأ الأمر وكأنه « لعبة مكعبات » ضخمة ، ضخامة الآثار والبقايا الهائلة الخاصة بالملكة ، التي أراد البعض محوها تماما من الوجود . وبدأت شخصية « الفرعون حتشبسوت » تتجسد وتتلور في صفحات التاريخ ، ففي عام ١٨٥٨ اكتشف « أوجست



« حابو سنب » ، الذى كان يتمتع بالسلطة الفعلية ، ولا « سنتموت » ، الكاهن  
 الثانى لامون ، وربما عشيقها ، بل انهم يرون أن صعود الملك « حابو سنب »  
 هو نتيجة للدور الحيوى ، شبه المطلق لسنتموت . وجملة القول ، ان  
 حتشبسوت تبدو فى نظرهم مفتتحة للحكم ، استولى على السلطة بدون  
 وجه حق ، وكان شغلها الشاغل ، هو الاخلافت التى اوجدتها فى نفسها ،  
 بالخوض فى شئون اسيا . فهى بالتأكيد التى اعادت تحتتمس الثالث عن  
 الظهور حتى اختفائها . ولكنها فى الواقع امسكت بزمام الأمور فى البلاد  
 فى الوقت الذى لم يكن تحتتمس الثالث قد بلغ ، على أكثر تقدير ، الرابعة  
 او الخامسة من عمره .

ولا شك ان لكل اتهام اجابة تدحضه من الوثائق ، ولكن علينا  
 حتى لا يخرج القارئ بانطباع سيئ عن أسلوب تفكير بعض علماء  
 المصريات ان نشير الى علماء الآثار ممن اتصفوا بالحصافة مثل : بدج ،  
 نافيل ، لاکر ، جاردنر ، دوما . فقد اجمعوا جميعا على أن عصر هذه  
 الملكة ، ذات الحزم والقوة ، قد غم فيه السلم والازدهار ( ..... )  
 فهى لم تخض حروبا فعلية خارج حدود بلادها . ولم تعمل على إثارة  
 أى قلاقل داخلية كما خلفت العديد من المنشآت المهمة فى نفس السرت  
 الذى ارسلت فيه العديد من البعثات الى المناجم . ويرى بعض المؤرخين  
 الأكثر حرصا وحذرا ، ان استحوذت الملكة على السلطة كان مغامرة ،  
 ويقولون بان حكمها لم يكن تافها ، لأنها عرفت كيف تحيط نفسها بالمعاونين  
 والمساعدین البارعين ( كما قال فيركوتيه ) . أما البعض الآخر  
 فلا يستطيعون ، فى نهاية الأمر ، اخفاء نبرة الاعجاب عند حديثهم  
 عنها : « هذه المرأة الرائعة » ، ويقولون « بمواهبها السياسية والفنية ،  
 وأعمالها ، ومشاريعها السلمية » ، ويضيفون قائلين : « هذه المرأة عرفت  
 كيف تحقق عهدا يسوده السلم والازدهار » . ويضيف أيضا  
 « شتيندورف » ، انها بلا ريب كانت امرأة رائعة الجمال ، موهوبة حقا ،  
 وهبت سحر الأنوثة كاملا . كما كانت تتمتع بذكاء فريد من نوعه ،  
 وشخصية واردة قوية . ومن حظها الحسن أيضا ، انها وجدت فى  
 سنتموت مستشارا ووزيرا قادرا على ارواء ظمئها للسلطة وتحقيق  
 مشاريعها . وبذا ، فان تاريخ هذه الملكة قد حظى باهتمام أى شاهد  
 على العصور ، سواء القديمة منها أو فى وقتنا الحالى .

ويرجع الفضل الى الدكتورة « سوزان راتبي » ، فى جمع معظم  
 الوثائق الخاصة بتلك الملكة فى الآونة الأخيرة وأن كان عملها قد  
 تعرض للكثير من النقد ، وسوف أحاول سد بعض أوجه النقص ، وتقديم  
 بعض الإضافات ، ولكن لا شك ان عملها يعد بمثابة قاعدة جادة للبحث ،

لا يستهان بها أبدا . الا عند المفرضين ، الذين ربما استثارتهم نبرة  
 التعاطف الواضح مع الملكة التى لم ينصفها التاريخ .  
 والآن ، وقد مهدنا الأرض للدراسة ، علينا ان نحكم على موضوعية  
 المصادر التى فى حوزتنا ، حتى نرجع بعقولنا الى عصر هذه الملكة  
 العظيمة . ان معظمها مستمد من نصوص وروايات تركتها الملكة نفسها ،  
 أو اوجت بكتابتها : وسوف يرى المتحاملون عليها أن هذه النصوص  
 مبتورة ناقصة . وإذا كان هذا كذلك ، فلنا ان ننظر بنفس التشكك  
 والريبة للوثائق التى تركها تحتتمس الثالث ، وامنحتب الثالث ، وحور  
 محب ، وسيتى الأول ، ورمسيس الثانى ..... وهلم جرا ، أى ان  
 نبتى الكثير من مصادرنا التاريخية . ولكن علينا ان ننتبه الى الطنطنة  
 التى تحفل بها لغة التعبير فى الشرق .

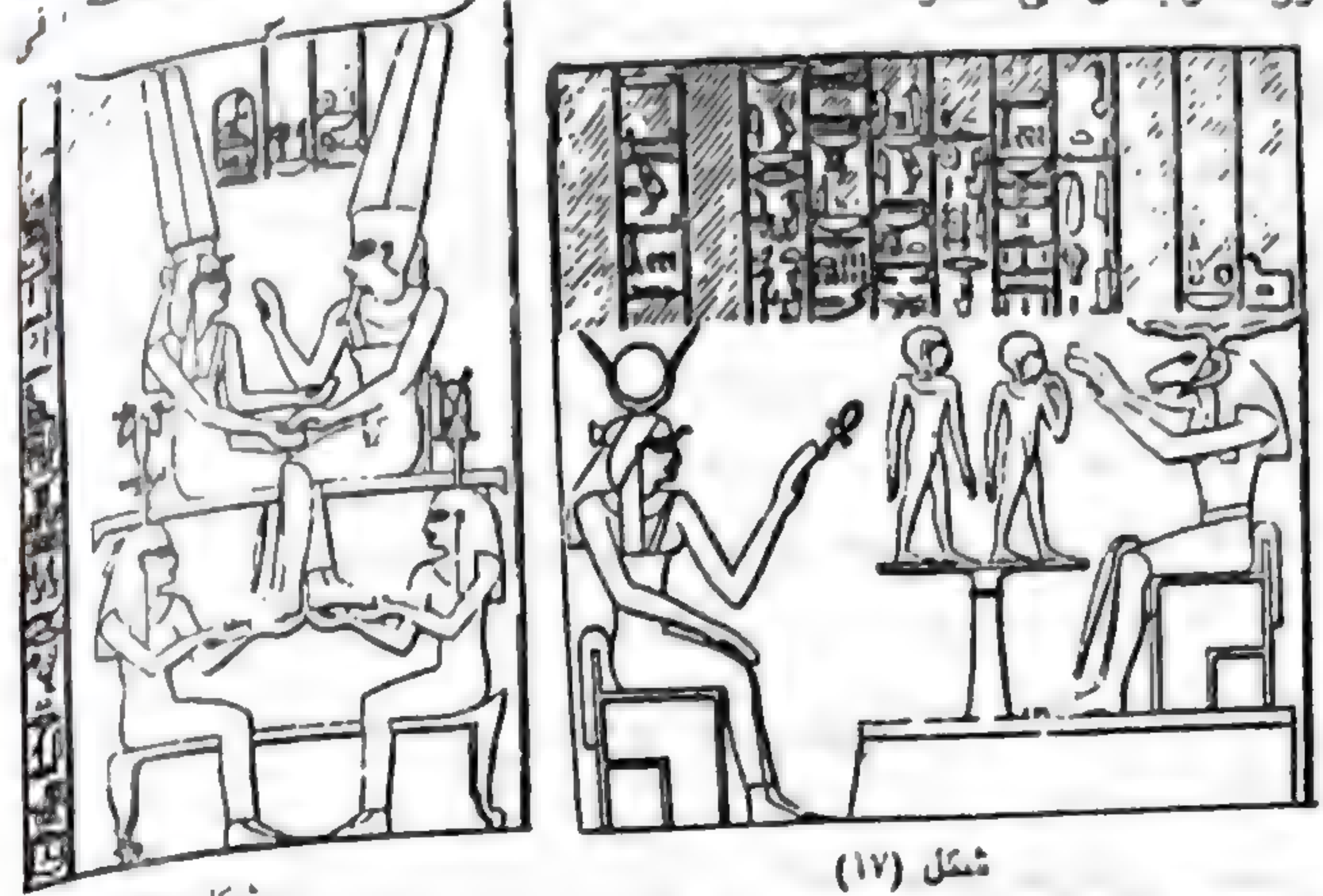
### أولى سنوات الاميرة

يبدو ان الفرعون امنحتب الأول ابن الملكة احمس نفرتارى ، قد  
 توفى دون أن يترك وريثا للعرش . ولكى يعاد تنظيم الوراثة ، تم تنصيب  
 تحتتمس والذى كانت أمه تنتسب للعائلة المالكة بشكل غير مباشر .  
 وتدعى « سنيسنب » وكان متزوجا حينذاك من الأمير « احموس »  
 التى كانت ربما شقيقة الملك المتوفى . ويبدو انه لم يستمر فى الحكم  
 أكثر من عشر سنوات . وقد أنجب هذا الفرعون تحتتمس الأول ، أربعة  
 أبناء ، من زوجته المعظمة « احمس نبت تا » منهم ثلاثة على الأقل  
 جاءوا الى العالم قبل أن يعثلى أبوهم العرش . وهؤلاء الأبناء هم :  
 آمون مس Aménmès واحمس ، والاميرة نفروبيتى أو اخبيت نفرو .  
 اذن هل ولدت حتشبسوت أيضا ، قبل أن يعثلى والدها عرش مصر ؟  
 على أية حال ، هذا لا يهم : فعلى الجدران بجانب صف الأعمدة الشمالية  
 بالدور الثانى من معبدها بالدير البحرى تركت حتشبسوت للأجيال  
 التى تليها ، السيرة الخاصة بمولدها ، فبينت بالتفصيل ، المراحل  
 الأساسية « للحمل الالهى » التى سنتناولها بعد ذلك ، بالنسبة لكل من  
 امنحتب الثالث ، ورمسيس الثانى . والتى لجأت اليها الأديان القديمة .

وتقول النصبة ان آمون رغب فى أن يضع وريثا من صلبه على  
 عرش مصر ، فتجسد فى هيئة الفرعون الآدمية ، وكان قد أرسل قبل ذلك  
 رسوله الخاص تحوت ليستطلع الأمر ، وقال الاله : « هذه المرأة التى  
 ذكرت انها تتألق وتسطع بين النبيلات ، انها احمس - نفرتارى ، أجمل  
 جميلات البلاد قاطبة ، الزوجة المعظمة للملك عا خبر رع ( تحتتمس  
 الأول ) ، وجلالته ما زال شابا يافعا » .



« هنا تحول الاله الاعظم آمون ، رب عروش القطرين ، وانخر  
هيئة جلالة الملك ( ..... ) ، زوج الملكة ، ووجدها وهي نائمة ، في  
روعة وجمال في قصرها . »



شكل (١٧)  
خنوم يشك جسداً منحتب الثالث وقريبته (كا) على عجلة  
الفخرائي  
شكل (١٦)  
مولد امنحتب الثالث

« وأيقظها عبق عطر الاله ، فتبسمت لجلالته . وعلى الفور اقترب  
منها ، مترعاً بالشوق الذي أجج فؤاده . وعهد آمون الى التجلي في  
صورته الالهية . ودنا منها فهزتها النشوة ، وتغلغل لب آمون في  
جسدها فامتلا القصر بالعبق الالهى ، كما لو كان قد تضمخ بجميع  
عطور بونت . وكان للاله ما شاء ، فامتلات احمس نفرتارى بالنشوة  
والبهجة وقبلته ..... »

بعد ذلك ، تحدثت « زوجة الملك » ، والملكة الأم « احمس نفرتارى ،  
وقالت للاله : « ما أعظم قوتك ، كم هي مبعث للبهجة والسرور ، هاه  
جسدك يحتوينى ، وعاودت الاله الرغبة من جديد ..... »

بعد ذلك ، أعلن آمون ، بكل وضوح وجلال : « ان خنمت امن  
حتشبسوت سيكون اسم هذه الابنة التى وضعتها فى أحشائك ، وفقاً  
لتلك الكلمات التى خرجت من فاهك . وسوف تمارس المهام الملكية  
العظيمة النافعة فى البلاد قاطبة . وسوف تكون قواى وتاجى العظيم  
فى حوزتها ، وستحكم القطرين ، فوق عرش « حورس » للأحياء . »

وبذا ، فإن الاله قد قام باختيار اسم الملكة المتبلة ، مستوحياً آياه  
من العبارات التى قالتها احمس فى لحظة نشوتها : خنمت امن  
Khenemet Imen « من اجتمعت بآمون » ، وحتشبسوت « تلك التى  
على رأس النبلاء » ، أو « ذات الجذع الشامخ » .

ويمكننا أن نرى على جدران معبدها رغم تهشمها ، سلسلة من  
المنابر التى تصور الاله خنوم الفخرائى ، ( أو صانع الأشكال ) ، بعد  
أن تلقى أوامر من آمون ، وبدأ يشكل بدوره من طينة النيل ، جسم المولود  
الجديد المقبل ، وكذلك الكا ( القرين ) الخاص به ( أى القبس الالهى ) ،  
والذى سوف تلازمه فوق الأرض ، منذ مولده ، والمولود فى هذه الصورة ،  
ولد صغير : وعليه نلاحظ الخطىء الفهم : فكل من يموت ، يصبح  
« أوزيريس » . كل مرشح للعرش ، يبدو فى العالم الآخر ، فى شكل  
الصغير « حورس » . إذن ، فصورة هذا المولود ، لا تعنى بالضرورة  
ذكرته إذ أن آمون ينادى المولود : « ابنتى » .

ثم جاء تحوت بشير الالهة وكنه كبير الملائكة ليبشر برضاء آمون ،  
ويقرب « مولد » الوليد الالهى المعبد وأخيراً ، ومن أجل هذه الولادة  
أدخلت الملكة الى قاعدة الطقوس الدينية ، حيث قامت بعض الرببات  
المختصات بالولادة ، بمساعدتها على وضع حملها . بعد ذلك ، قدم  
المولود ، يتبعه القرين ( الكا ) الخاص به الى أبيه آمون ، قبل أن تقوم  
بعض الآلهة بتطهيره ، وتقوم « حتحور » ، المرضعة الالهية بارضاعه .  
ومع ذلك ، ففي القصر قدمت للأميرة الصغيرة الكثير من المروضات  
الدنيويات ، وأهمهن كانت سات رع المعروفة باسم « انت » .

## حتشبسوت

### الزوجة الملكية العظمى ، وام نفرو رع

فى الكتابات والنصوص التى ذكرت فيها حتشبسوت سنئ شبابها  
لم تغفل مطلقاً ذكر أنها كانت فتاة جميلة ناضرة هادئة الطباع . وخلال  
تلك الفترة توفى أخوها ، وأختها ، على التوالى . وبذا ، نعمت فى  
معظم الأحيان ، بكل اهتمام والدها الملك ، فكان يصطحبها معه فى  
رحلات الحج الكبرى ، الى بعض البلاد المقدسة . وكانت حتشبسوت  
هى الوريثة الوحيدة للزوجة الملكية العظمى التى تنحدر من سلالة  
أكثر الأميرات اللاتى عشن فى أوائل تلك الأسرة عراقية ، كما دعمت  
من مركزها بفضل معجزة « الحمل الالهى » . فعند موت أبيها ، كانت  
الأميرة حتشبسوت تمثل « الضمان » الوحيد المؤكد للملكية . وبداخل  
القصر ، كان يعيش أخوها غير الشقيق الذى أنجبته زوجة ثانوية  
لتحتمس الأول ، وهى موت نفرت . ولكى يستطيع اعتلاء عرش  
الفرعون ، قامت بدورها بتنفيذ الأسلوب الذى استطاعت أمها بفضلها



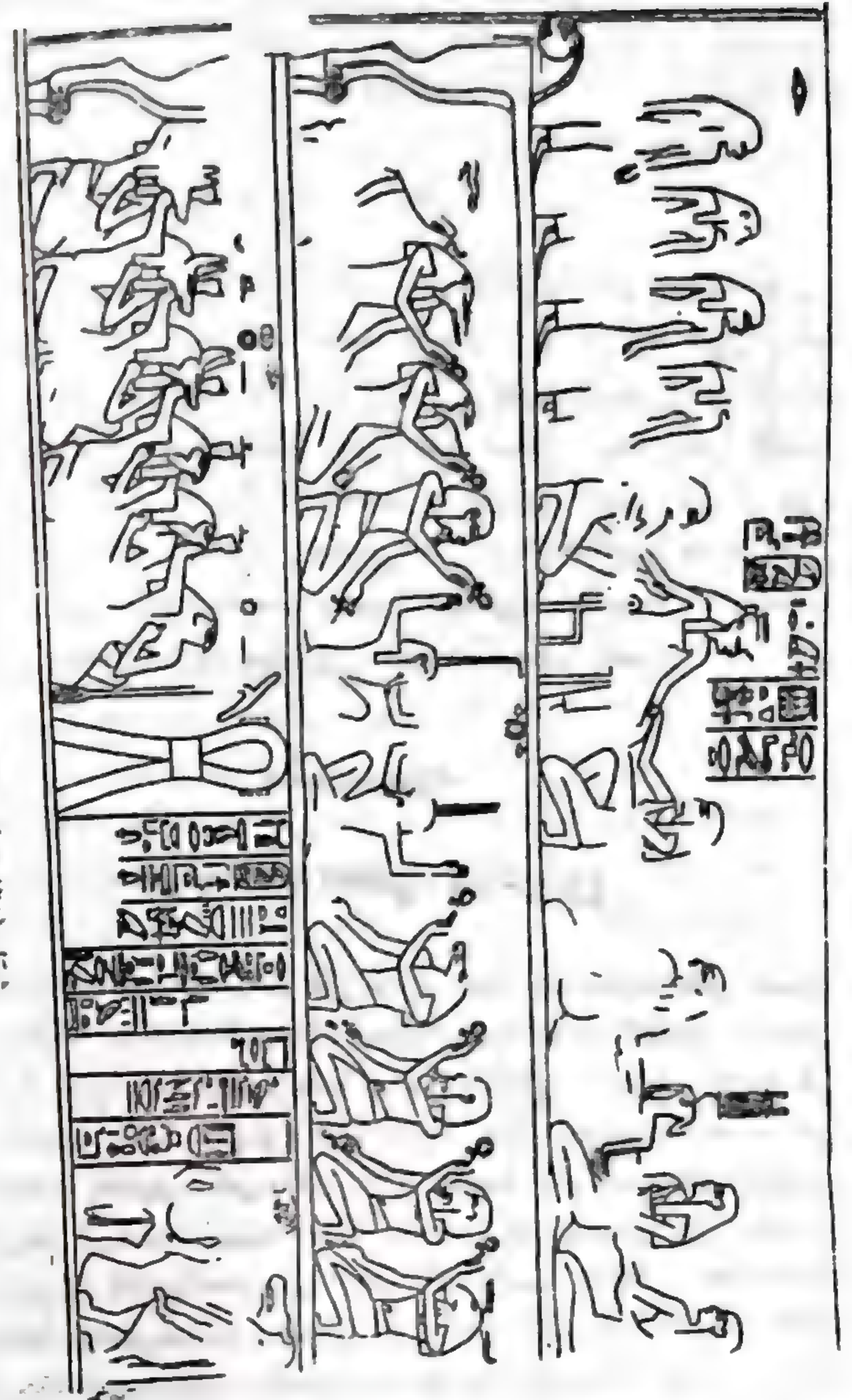
ان تجعل حكم زوجها امرا مشروعا : فتزوجت حتشبسوت من اخيها  
غير الشقيق ، والذي لقب عندئذ باسم تحتمس الثانى ، واصبحت بذلك  
الزوجة الملكية العظمى ، فى الحكم الجديد فى اليوم الثامن من الشهر  
الثانى من موسم الآخت ( بذر البذور ) .

ولقد كلفت الملكة بكافة الاعباء ومنحت الشرف والاحترام الواجب  
« لسيدة الارضين » ، كما حملت لقب « من رأت الالهين حورس وست » ،  
الذى لم ينعم به مطلقا على اية زوجة كبرى ، منذ « احمس نفرتارى » ،  
والذى كررته اثنتى عشرة مرة فوق تابوتها الاول . كما تمتعت ايضا  
بلقب « يد الاله » : وهى اول الملكات اللاتى خلع عليهن هذا اللقب .  
وبعد فترة ، وضعت الملكة طفلة هى « نفرور رع » ، وولدت احد المحاربين  
القدماء ممن شاركوا فى حروب التحرير بتعليمها وتهذيبها ، وكان يدعى  
« احمس بننخبت » . ثم اودعتها امها بعد ذلك بين ايدى الآخرين  
« سنمن » ، وخاصة « سننموت » ، الذى بدأ حياته العملية فى الجيش ،  
والذى لفتت مزاياه واوصافه الطيبة انظار البلاط الملكى ، وخاصة الحكيم  
« اننى » ، الذى كان رفيقا مخلصا للملك الراحل تحتمس الاول .

ويبدو ان زوج حتشبسوت الشاب اليافع كان ذا طبيعة هادئة ولم  
يقم خلال فترة حكمه ، التى كانت بدون شك قصيرة الاجل ، الا بحملتين  
قمعيتين صغيرتين على بلاد النوبة ، وضد بدو آسيا . ولقد دفعته  
الفرعوننة لاقامة المقاصير والمعابد فى « قعة » ، ببلاد النوبة ، ثم فى مصر  
العليا « باسنا » ، ومدينة « هابر » ، والكرك . وقام الملكان ايضا بالبدء  
فى اعداد مقبرتيهما . فالمقبرة الخاصة بتحتمس فى وادى الملوك ، لم  
تكن زخارفها قد اكتملت عند وفاته . اما الزوجة الملكية العظمى فقد  
حفرت مقبرتها بواد بعيد غرب طيبة ، هو « سكة طاقة زايد » ، وهو يقع  
على جانب بعض الصخور المرتفعة ، وعلى بعد حوالى ٤٠ مترا من  
قمتها ، و ٦٧ مترا من سطح الوادى . ومن الملاحظ ان مقبرتها قد  
اتخذت اتجاها خاصا ، يتيح لآخر شعاع من اشعة الشمس ، ان يتخللها  
مباشرة ، فى وقت الاعتدال الخريفى . ولم يضم هذا القبر جثمانها  
قط ، ولكن ، وجد بداخله التابوت الجنائزى الفخم الرائع المصنوع من  
حجر الكوارتزيت الاصفر اللون ، الذى كان قد أعد لضم جثمان الزوجة  
الملكية العظمى ، والابنة الملكية ، والاخت الملكية ، وزوجة الاله ،  
و « سيدة القطرين » .

حتشبسوت ، ارملة ، ووصية على العرش

لم يتجب تحتمس الثانى من اخته غير الشقيقة طفلا آخر غير  
الاميرة « نفرور رع » ( اما حتشبسوت مريت رع التى تزوجها تحتمس





الثالث بعد ذلك فى وقت متأخر ، فلم تنسب مطلقا كابنة لهذين الزوجين بالرغم من اعتقاد الكثيرين من علماء المصريات بذلك ) . ومع ذلك فقد أنجب من زوجة ثانوية تدعى ايزيس ابنا سمي أيضا باسم تحتمس . وهو الثالث فى نطاق الدائرة العائلية . ولذا ، فعند موت تحتمس الثانى - الذى يبدو أنه لم يكن قد تعدى عامه الثلاثين ، ولم يستطع التغلب على التهاب الجلدى الحاد الذى يبدو أنه كان السبب فى القضاء عليه - تكرر نفس السيناريو ، الذى كان يشاهده رعايا الفرعون ، منذ وفاة أمنحتب الأول : فلم تجلس على العرش ابنة الزوجة الملكية العظمى ، بل اعتلاء الأمير الذى لا تجرى فى عروقه دماء ملكيه خالصه ، ولا يزيد عمره عن أربع أو خمس سنوات . ولم يكن الأمر يستلزم أن تزوج الملكة الشابة الأرملة مرة أخرى مرشحا للسلطة العليا ، لكى ترتقى العرش من الناحية الشرعية . وخلاف ذلك لا يوجد أى دليل - باستثناء بعض الاشارات - على وجود رابطة بين ذاك الابن غير الشرعى والأميرة « نفرو رع » الصغيرة .

ويتضح مما سبق ، أن حتشبوسوت أصبحت وصية على العرش ، بسبب حداثة سن تحتمس الثالث : وكانت هذه هى الانطلاقة على طريق مغامرتها الكبرى . وبدأت الاحتفالات الخاصة باعتلاء العرش ، أى تنصيب الوريث الجديد ملكا بعد وفاة الفرعون مباشرة . ويقدم لنا « انثى » ، الرفيق الوفى لتحتمس الأول ، وصفا صادقا ، لما حدث قائلا : « مضى تحتمس ( الثانى ) الى السماء . واتحد مع الآلهة ، وارتقى ابنه ( تحتمس الثالث ) مكانه ، ملكا على القطرين ، وتبوا عرش ابنه الذى أنجبه » .

« أما اخته ( فى الواقع اخته غير الشقيقة ) زوجة الاله حتشبوسوت . فقد كانت تدبر بنفسها شئون البلاد وكان القطران يخضعان لأرادتها ويطيعانها ، وخضعت مصر لها ( ٠٠٠٠٠ ) فهى الحاكمة ذات الاستراتيجية التى تريح وترضى القطرين بأرائها » .

وقد نسب أيضا الى عمدة مدينة طيبة العجوز « انثى » هذا المديح :

« انها نطفة الاله المجيدة ، المنبثقة منه . انها المرسى الأمامى لأقاليم الجنوب ، وهى العماد التى تثبت فيه سفن الجنوبيين . وهى أيضا الحبل القوى الخلفى لبلاد الشمال والجنوب . انها سيدة الأمر والنهى التى تضع الخطط الحكيمة . انها ترضى كلا القطرين عندما تتكلم » .

## وسيط التتويج

بدأت حتشبوسوت منذ ذلك الحين فى الامساك بتقاليد الحكم . ويبدو أنها لم تعامل على الفور معاملة الفرعون ، إذ أن بعض النصوص تشير الى أنها أمرت بأجراء مراسيم تتويجها فى السنة التسايع من الحكم - وأوضحت أنها قد اختيرت منذ وقت بعيد لكى تكون وريثة للعرش - أمام كافة أفراد البلاط بأمر أبيها . فقد أمرها أبوها بأن تثبت تتويجها خلال فترة « العام الجديد » : « كان أبى يعرف فضيلة التتويج فى أول أيام العام الجديد » . فهذا ما كتب على لسانها فوق أحد جدران معبد « الدير البحرى » . وبالفعل فإن هذه الطقوس كانت تعد دائما بمثابة عهد جديد ، وتشير الى خلق العالم . بفضل الاله « رع » ، وربما تتطابق الاحتفالات التى حددتها الملكة ، فى العالم الثانى مع رغبتها فى أن يحدد تاريخها ضمن التسلسل التاريخى للحكم المزعوم لتحتمس ، فى تلك الفترة ، بفرق عام فى التوقيت . ومهما كان الأمر ، ويكل تأكيد ، فقد تم التنصيب المقدس للطفل الملك فى العام الأول ، ولا شك أن حتشبوسوت قد حضرته بصفقتها الوصية على الملك .

وعملت السنوات التالية على تزايد سلطة حتشبوسوت وسلطوتها ، كما وصفها « انثى » ، وأقر بها عدد كبير من رجال البلاط ، والكثير من أفراد الشعب بسبب منبتها ، وبصفة خاصة ، لشخصيتها المقنعة ، وحديثها البليغ ومنذ العام السابع من حكم الطفل تحتمس ، بدأت حتشبوسوت تثبت نفسها فى كل مكان بصفقتها الملك الفعلى لمصر العليا والسفلى . ورسمت لها الصور فى هيئة الفرعون وهى ترتدى النقبة الخاصة بالرجال ، وتاجى القطرين ، هنا أصبح من حقها ، أن تتحدث بكل حرية عن الاحتفالات التى كانت ستتوج خلالها ، بل وأن تجدد لصالحها الشخصى الاحتفالات التى تمت قبل ذلك من أجل الطفل الذى تقوم بالوصاية عليه . وتوجد كل هذه الاشارات الخاصة بهذا الحدث محفورة على بعض الآثار التى شيدها الملكة فيما بعد فى معبدها بالدير البحرى ( بداية من العام ٨ - ١١ ) ، ومسلاتها بالكرنك ، ومعبدها المحفور فى اسطبل عنتر ( سبيوس ارتيميس ) بمصر الوسطى ، ومقصورة القارب المقدس التى ترجع اقامتها الى أواخر حكمها .

وتزودنا المناظر الخاصة بالتتويج فى « الدير البحرى » ، التى هُشمت بالمطارق ، بكم واف من المعلومات المفصلة عن فترة الفيضان ، وتوحى بعض الدلائل بأن الملكة قد استغلت فرصة عيد « الأوبت » العظيم لاتمام ذلك الاحتفال الذى أسهبت فى وصف شعائره . وكان أرباب الثانوث بطيبة يغادرون الكرنك خلاله ، بصحبة الملك بصفته الرسمية ،



كل على مركبه الخاصة ، فى احتفال مهيب - ووسط اعداد غفيرة من افراد الشعب ، ويتوجهون الى معبد الأقصر ، بغية تجديد الطاقة والقوة الانهية الكامنة فى الفرعون ، وتصور المناظر المتبقية على كتل حجارة الكوارتزيت فى مقصورة المركب التى كرستها حتشبسوت لآمون ، بصحبة الصغير تحتمس كعادتها فى الاحتفالات الرسمية . ولا شك ان موضع اقامة شعائر التكريس ، قد تحدد فى الأقصر ، ثم أرمنت ، الواقعة جنوب الأقصر ، والمعروفة باسم هيليوبوليس الجنوب . وقد اوضحت ذلك الكتابات الموجودة على قمة احدى مصلاتها .

وكان تحركها من اجل الاحتفال ، يبدأ من قصرها عند الضفة اليمنى للنيل ، هذا القصر الذى اقامه تحتمس الأول ، وكان يشعر نحوه بميل وحب شديد ، لدرجة انه قد أطلق عليه اسم « لن ابتعد عنه ابدا » . ويمكن تحديد مكان هذا القصر عند البوابة الرابعة الحالية بالكرنك ، على شمال المعبد . حيث تؤدي احدى القنوات الممتدة من نهر النيل الى البوابة المزدوجة الكبرى ، للقصر الملكى . وبذلك كانت تتقدم الملكة لمقابلة وسيط آمون ، الذى كان قد ابلغها بالحدث . وهنا ، كانت تقام احتفالات دينية ضخمة فى معبد الكرنك ، وخاصة فى القاعة ذات الاعمدة الخاصة بتحتمس الأول ، حيث تقف الملكة وقد احاطت بها الاشكال الواقية المقدسة المصرية وهى تتلقى ، قبل كل شيء ، « حلى رع » ، اى تاجى مصر العليا والسفلى . وبعد ذلك ، يثبت آمون فوق رأسها تاج « الخيش » ، والذى سيمى بتسمية فى غير موضعها ، هى « خوذة الحرب » ، والذى كان يجب ان يظهر به ايضا فى اغلب المناسبات وهى برفقة الطفل تحتمس ، ويدخل حرم الكرنك تقوم الملكة بتمثيل دور الانطلاق نحو مركب آمون ، وهى فى هيئة ملك عارى الصدر ، وتمسك بالمجداف والدفة يصاحبها الثور الذى يعدو بصحبته . اما المقصورة التى تحتوى على مركب الاله فقد اعيد بناؤها فى الساحة الشمالية قبالة المعبد الكبير ، وهو بناء من المرمر معروف باسم « آمون ذو النصب الباقية ابدا » ، وقد شاده امنحتب الأول وتحتمس الأول .

وبعد ان تلقت حتشبسوت « حلى رع » ، تخلت دون شك عن زينة وحلى « زوجة الاله » ، ونقلت الوظيفة الى ابنتها نفرو رع . ويبدو ان ذلك قد حدث فى العام الثانى ، الشهر الثانى من موسم « برت » ، فى اليوم التاسع والعشرين . ولا شك ان حتشبسوت وقد باتت ملك مصر العليا والسفلى لم تكن لتستطيع ان تقوم بمهمة تزوج وتوقظ حيوية الاله . وسواء بداية من هذه الفترة ، او بالاحرى فى السنة السابعة من الحكم . اى التاريخ الذى لا يشوبه اى لبس او غموض لاستيلاء الملكة

على الحكم . اضطرت حتشبسوت ان تغير تماما من مسلكها . وتخلت كلية ورسميا عن مظهرها الاصلى ، وتوقفت فى المجال العام عن التصرف كامرأة . واضطرت ان تتصرف فى كافة المناسبات كفرعون . ومع ذلك نفى المراسم الخاصة بالاسماء الخمسة الكبرى التى تخلع عليها وقت الاحتفالات الدينية ، والتى تسجلها منشآت ، ( المؤرخة الالهية للوقائع ) لم يذكر ابدا لقب « الثور القوى » ، الذى كان يوصف به الملوك الرجال ، فى صيغة التانيث . كما ان آمون اقربها دائما وعلنا « ابنة له » . . .

## المسلتان الاوليان

### فى بداية حكم حتشبسوت

بعد ذلك ، كان عليها ان تحكم مصر تحت اسم « ماعت كا رع » ، ولكى يسجل هذا الحدث الاستثنائى امرت حتشبسوت ( الفرعونة ) باقامة مسلتين ، فى اقصى شرق معبد الكرنك . وقد راعت ان تمثل عملية نقلهما باسفل بهو الاعمدة الأول « بالير البحرى » ، وتشهد هاتان السلطان على اولى سنوات حكم حتشبسوت ، التى لم تكن قد وطدت اركانه بعد ، ومع ذلك فهما تحملان اسماءها والقابها كفرعون . وبالرغم من ذلك ، فان بعض النصوص والكتابات التى عثر عليها بأسوان ، على مقربة من محاجر الجرانيت الوردى ، حيث استخرجتا ، تبين ان مساعد الملكة المدعو ستنموت ، هو الذى قام بتلك المبادرة : « اعطى لسيدته القاب « زوجة الاله » ، و « زوجة الملك العظمى » ، وصورها وهى مرتدية رداء طويلا ، ووضعت على رأسها ريشتين عاليتين . وهو بذلك ، يقر بان حتشبسوت لم تكن قد اعتلت العرش فى وقت اعداد هاتين المسلتين المصنوعتين من كتلتين من الحجر . وهناك بعض الدلائل الغامضة ايضا ، التى تجعلنا نعتقد بان الملكة كانت تتصرف بالفعل كحاكمة فى البلاد ، منذ طفولة تحتمس الثالث . ولكن فى البداية ، وعلى المستوى الرسمى ، كان قد خلع عليها فقط وظائف الوصية على العرش . وبذا ، سوف نتبين بوضوح السبب فى ان الاوانى الرائعة ، المصنوعة من المرمر ، التى وجدت فى مقبرة الزوجات السوريات الثانويات الثلاث لتحتمس الثالث ، كانت تحمل اسم « الزوجة الملكية العظمى » ، و « زوجة الاله » ، حتشبسوت ، ( ويبدو ان الاميرات الثلاث قد توفين بسبب وباء ما ؟ ) ، قبل حلول العام السابع من حكم تحتمس الثالث ، اى الوقت الذى فرضت فيه حتشبسوت نهائيا كفرعون ، ولا ريب ان



الملك الصغير كان قد بلغ الثانية عشرة من عمره ( ولعلنا لا ننسى ان رمسيس الثانى ، كان له حريمه الخاص وهو فى الثامنة من عمره ) .

وقد نقلت السلطان من المحاجر ، على زلاقات ، ثم وضعتا بحيث تكون قاعدة كل منهما مواجهة للأخرى ، فوق سطح سفينة نقل ضخمة . ولقد بلغ طولهما معا ٥٤ مترا ، أما سفينة الشحن فقد صنعت من خشب الجميز ، ويبلغ طولها ٩٠ مترا . ولها أربع آلات لتسييرها . وكان يجر هذه السفينة العملاقة سبع وعشرون مركبا فى ثلاثة صفوف ، يدفعها حوالى ٨٦٤ مجدفا على ما يبدو ، وكان يصاحب هذا التشكيل ثلاث سفن أخرى للحراسة والمرافقة ، حتى طيبة ، وهناك قام البحارون والمجدفون الجدد ، بسحب المسكين فوق زلاقتيهما ، نحو شرق المعبد ، فى حضور الكهنة ، وبصفة خاصة فى حضور حتشبسوت والصبي تحتمس الثالث .

### ستتموت

كما نلاحظ ، يبدو واضحا ، أن ستتموت هو الذى كان يدير أعمال الملكة وأوجه نشاطها . وكان قد استطاع أن يكسب ثقة البلاط منذ عهد تحتمس الثانى . وسرعان ما وكلت إليه مهام على درجة كبيرة من الأهمية ، ولكن قبل كل شيء أعلن نفسه مسئولا عن جميع المعابد الخاصة بمسيده ، وكان ذلك يملؤه زهوا وفخرا ، وكان يشغل منصب رئيس ومدير « بيت آمون » ، وحدائقه ، وضياحه ، وخدمه ، وقطعان المواشى . وأدار أيضا « مخازن الغلال المزدوجة » الخاصة بآله وكاهن ، المركب الإلهى « أوسرجات » ، ويشغل منصب كاهن الآلهة ماعت ، وكبير كهنة منتو ، ومنصب العليم بأسرار « منزل الصباح » ، ورئيس بيت الذهب والفضة المزدوج ، ومدير الاحتفالات ، كان بالفعل ، يجمع ما بين حوالى عشرين وظيفة إدارية ودينية ، جملة القول ، فإن هذا الموظف الكبير المرموق ، كان يعد أكثر المقربين من الملكة . وكان بالإضافة لذلك يشغل وظيفة رئيس قصر حتشبسوت منذ أن كانت زوجة لتحتمس الثانى . وقد يرجع أول تقديم له بالقصر الملكى إلى أمه حات نفر ، التى كانت تعرف باسم « تياتيا » ، والتى كانت تعمل على ما يبدو ، فى خدمة الملكة اعحمس ( اعحمس ) . وكان أبوه من طبقة متواضعة ، ويدعى وعموسى ، وقد تزوج « ستتموت » ، على التوالى من امرأتين ، لأولاهما كانت تدعى اعح حتب ، وكانت أخته ( أو ابنة عمه ، على ما يعتقد ) . ويبدو أنه لم ينجب منها أية أولاد . ولذا ، وفى المقبرة الأولى التى

شيدها لنفسه . قبل أن تتولى الملكة نهائيا كفرعونة ، يلاحظ أن المكان المخصص للابن وهو يقوم بالشعائر الجنائزية من أجل أبيه قد شغله أحد أشقائه ، ويدعى مين حتب . أما فى القبر الثانى ، الذى شيده بعد ذلك فنجد أن هذا المكان قد شغله أخ له ، يدعى « امنمحات » .

ولكى يصبح رئيسا ، لكل الأعمال الخاصة بالملك ، بل ورئيسا لكل رؤساء الأعمال ، فلا شك أنه كان من أكثر المماريين تمرسا وخبرة ، وأوضح مثال على نبوغه الذى لا جدال فيه ، هو أعماله الضخمة بالدير البحرى . وكان ستتموت يعد الرئيس للآبنة الملكية ، ومديرا لبيتها طوال مايزيد عن الخمسة عشر عاما الأولى من حكم حتشبسوت وكان يعد بمثابة الرجل الثانى فى البلاد . أما عن ولائه وإخلاصه فيبدو أنه كان كاملا إذ ارتبط بتنفيذ كل مشاريعها وكان من الواضح ، أنه يكن لها أجلا واحتراما يكاد يصل إلى درجة العبادة والتأليه . ولقد كرر مرارا فوق نصبه الخاصة ، أسماء مليكته . بل أنه كان يدون بنوع من الكتابة المطلسة أو الملتفة « Cryptographie » والغرض منها ، ليس فقط الحماية من الهجمات السحرية المحتملة ، بل وشد انتباه وفضول القراء . كما كان يتمتع بملكة إبداعية خلقة ، تجلت فى كافة مظاهر الملك ، وارتبطت أوجه نشاطه خلال مرحلة ترقيه ارتباطا كاملا بالأعمال والمشاريع الملكية . ومن ثم اعتقد الكثيرون أن بطلى المغامرة قد ارتبطا بصداقة حميمة بالغة وينسبون إلى الملكة - التى لا يسمح لها واتعها كامرأة أن تخار لنفسها شأنها شأن أى فرعون ، زوجة ملكية عظمى ، أى أن تبقى دون زواج - ارتباطا عاطفيا نحو أوفى أغوانها ، والنصير الموهوب المخلص فى العمل ، والمتببه اليقظ ، والمدير الحاذق لكافة المشاريع .

### كبار موظفى الملكة

لقد عرفت الملكة أيضا كيف تحيط نفسها بكبار الموظفين الخنكين ، بداية من كبير كهنة آمون « حابو سنب » الذى كان يرأس ويقود مجموعة كاملة من كهنة آمون المنحدرين من أسر مشهود بولائها وإخلاصها . فى بداية الأمر شغل حابو سنب منصب حاكم أقاليم الجنوب ، وربما أصبح فى أواخر أيامه حاكم الشمال . أما وزراؤها فهم اعحمس وابنه أوسر وزير الجنوب ، وهو شخصية كبرى ، مولع بالأخلاقيات والمثل ، ويدين باسمى وأجل الأفكار والآراء الدينية ، ولقد أصبح ابن أخيه « رخميرع » وزيرا لتحتمس الثالث ، وهناك أيضا « انتف » عالم الواحات ، و « نبوناي » كبير كهنة أبيدوس ، وكذلك « ستنفر » الذى كان يشغل



مع غيره منصب رئيس مناجم آمون للذهب ، و « نخت مين » المنسوبة  
على مخازن الفلال ، و « مين موسى » ، الذى ساهم فى « قتل المسلات »  
وكذلك الأمير « تورى » أحد مستشاريها وكانت أسرارها . والقائس  
، نحسى ، حاكم الشمال الذى قاد حملة بلاد بونت . ولندكر أيضا كبير  
كهنة آمون الثانى المدعو « بوى ام رع » ، الذى كلفته حتشبسوت بمهام  
بقيمة بمعبد الكرنك ، وايضا « ثوتى » وكان من كبار المتخصصين فى  
صناعة المصنوعات والمشغولات الذهبية للخزائن الملكية . و « أمنحتب »  
الذى كلف بالمنشآت الخاصة بمعبد « السد Sed » من أجل الملكة  
وكان أيضا أحد كائنى أسرارها ، وعثر بداخل مقبرته على بعض نصوص  
التوبيخ فى بداية العام الجديد . ولقد صور كل من « واج رنبوت »  
و « جحوتى رنبوت » ، وغيرهم مثل « انب سنى » نائب الملك فى النوبة ،  
وأطباء الملكة الثلاثة فوق جدران مقصورة القرابين فى الدير البحرى .  
وبذا ، تبين وجود ما يزيد عن أربعين من كبار الموظفين الذين خدموها  
بكل ولاء وأخلاص . وتابع العديد منهم مزاولة أعمالهم المعتادة تحت  
حكم الملك تحتمس الثالث ، بعد أن توارت الفرعونة . وكذلك يجب أن  
ننظر بكثير من الحرص والتحفظ ، للانتقام المزعوم الذى قيل أن تحتمس  
قد قام به ضد عمته وعصبتها المزعومة .

وبإيمان محتمل من سننموت فإن بعض هؤلاء الأشخاص المرموقين  
البارزين ، الذين كان كل منهم يملك من قبل مقبرة رائعة ذات مقصورة  
مزخرفة بالفضة الفرجية لطيفة ، قد حصلوا مثله على الحق فى حفر  
قبر تذكارى ، عند جرف جبل « السلسلة » حيث تضيق المسافة بين  
ضفتى النيل الصخريتين ، فى جنوب طيبة وادفو . وفى هذا المكان ،  
حيث تصطبغ وتشتد الأمواج عند بداية العام الجديد ، وتندفع إلى  
داخل مصر ، بمياها الجياشة فيمكن الاستفادة من التبرك بالأرواح التى  
كانت توجد به فى هيئة « مجمع مقدس » عند عودة الفيضان ، بسل  
والتطابق معها بعد الموت . ويلاحظ ، فوق الكثير من الآثار التى شيدت  
باسم سننموت ، اهتمامه بإيجاد التقارب بين بعث الموتى الأوزيرى وبين  
عودة مصر إلى الحياة والانتعاش يوم « العام الجديد » . وبذا ، فإننا  
نستطيع أن نقرأ النص التالى على التمثال النذرى الصغير ، الذى يمثل  
واقفا . وقد حمل على ذراعيه الأميرة الصغيرة نفرو رع (١) .

« انه أنا الذى أخرج مع خضم الأمواج ، الذى منح فيضان النهر ،  
وذلك حتى أستطيع أن أتصرف فيه بصفى (أوزير) الفيضان » .

وكانت المقاصير التى هُشمت نقوشها بعد ذلك ، ممن أرادوا النيل  
من سيرة الملكة والأساءة إليها ، تحمل اسمى حتشبسوت وتحتمس  
مقترنين سويا .



المظهر يمثل الآلهة «نوت» . داخل التابوت الذى يحتوى على المومياء . وهذه الآلهة تمثل السماء . وكانت مكلفة  
ببعث المتوفى من جديد ليمش فى عالم الأبدية . وهى تقوم أيضا «بولادة» الشمس كل صباح . وتبدو هنا وهى ممسكة  
بقمر الشمس ، رمز الحياة .





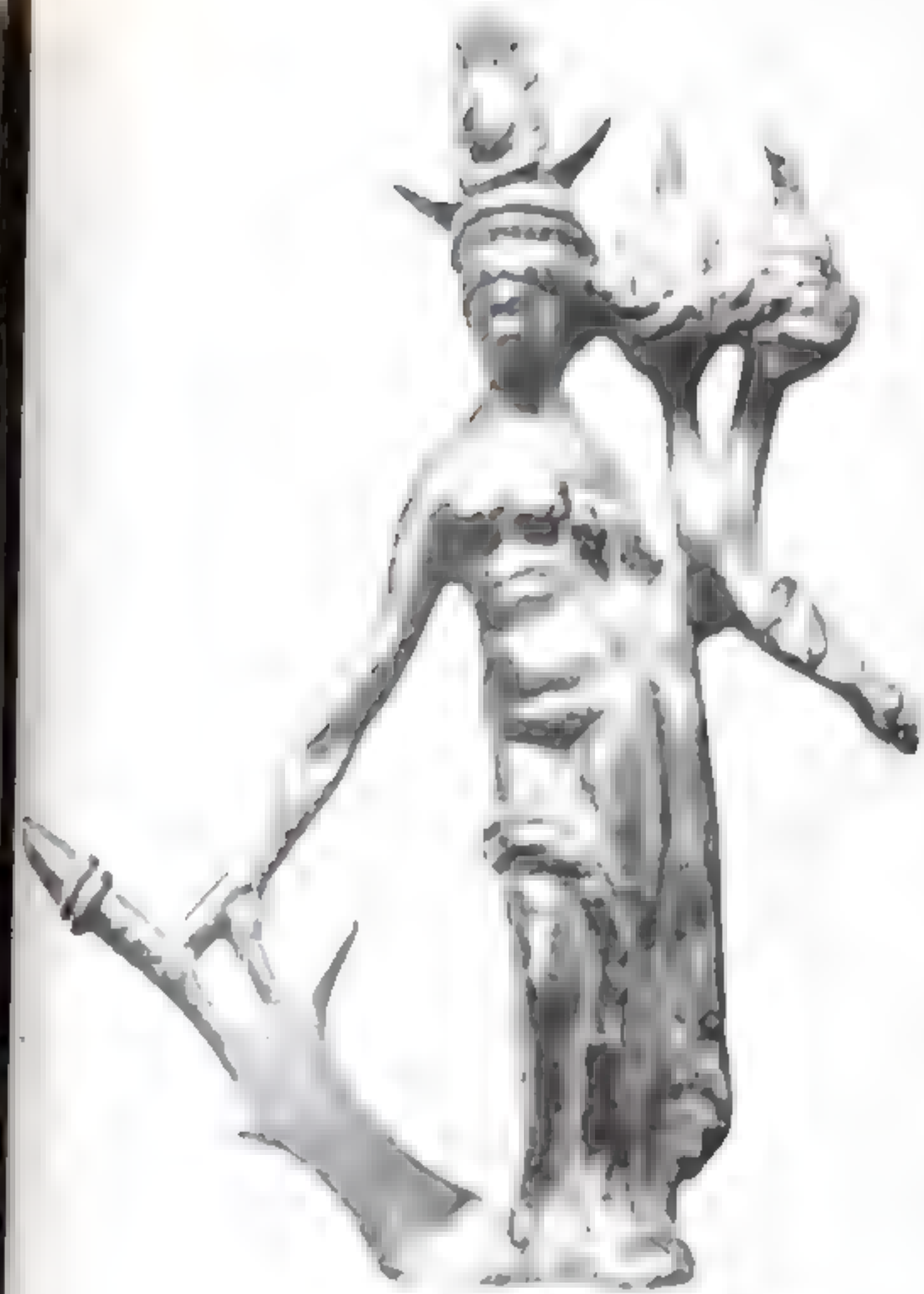
قد يبين هذا التمثال بوضوح تام مدى الرعاية والاهتمام التي توليها الملكة الأرملة والوهية على العرش لابنها، بيبي، الأول.



صورة لتمثالين يمثلان الملك خفرع وزوجته، وفيها تبدو قوة الرحلة الديناميكية للملك وقد تقدم بقدمه اليسرى. وبحواره ساما، وينفس حجمه، وينفس الوضع، وقفت مكملته الملكة معبرة عن الدور الجوهرى الأساسى الذى تقوم به بجوار الملك.



كانوا الملوك يشعرون بكل الفخر والإعزاز لظهورهم، فى التماثيل والرسوم، بجوار أمهاتهم. فقد كانوا يولونهم عظيم احترامهم وتبجيلهم. وهماو تحلمن الرابع جالسا، بكل فخرو، بجوار والدته الملكة الأم.



بعد أن احتل الرومان مصر، أعتبرت إيزيس أيضا ربة البحارة، وهى تبدو فى هذا التمثال وهى ممسكة بهلب السفينة.



هذا التمثال ذو الرأس الأنسية عشر عليه ضمن «كنوز» معابد «نندرة» ومن المعروف أنه كان يتلقى فى بداية العام الجديد أول شعاع للشمس لتدب فيه روح الآلهة «حتحور».



قامت إيزيس بجمع أجزاء جسد زوجها المنفردة فى النهر وكرنت منها أول مومياء فى التاريخ. ولكى تتجنب منه وريثا، أرجعت إليه الحياة لتضمه لحظات. وأعادت إليه تكررت المنفردة تدب فيه ثانيا. وتم بيلهما جماع. وحملت منه ابنا «حورس»، وهى تبدو هنا فى «مصر» برفرف فرقه.





ضمن آثار معبد «امتحنوب» الثالث، وجد هذان التمثالان الممלאان، للفرعون وزوجته، وحولهما بناتهما. ويبدو واضحاً هنا، ما تتمتع به «الزوجة الملكية المعظمة» من مساواة كاملة مع زوجها الفرعون، وما ينطق به محياها من سمو ورفعة واعتزاز.



تمثال نصفي للملكة «نيتي» - شيري، اسم «حامل أمان» ومدمج أنثوية رقيقة. وكان هذا هو المصير الذي لحق بالملوك خلال الدولة الثامنة عشرة.



الملكة «نيتي» أم تحتمس الرابع وزوجة أمتحنوب الثاني، وهي نموذج للجمال المصري الكلاسيكي لنهيلات الأسرة المالكة.



الصورة تبين الحلية التي على شكل رأس غزالة صغيرة، والتي تزين كليلًا مصنوعًا من الذهب ومزيج الأحجار الكريمة. وكانت محظيات الملك هن اللاتي يرتدين هذا الشكل فوق شعورهن المستعمرة. وكان هذا الأكليل يزين بمدة أفرع من زهور اللوتس.







كانت نفرتيتي أو بمعنى آخر الجميلة - القادمة، هي التي كان تعتمس بعبيرها أروع وأجمل مثال للجمال الأنثوي (وله الحق في ذلك). وخاصة أنه كان يرأس كبرى مصانع إعداد التماثيل في تلك العمارنة.



خلال حكم الفرعون أمنمحيب الثالث، كانت تسمى، تشجع الفنانين على أن يظهرها في رسوماتهم وتمثالهم بصورة بها كثير من الواقعية، وتبدو هنا واضحة للغاية ملامح اللحية.



للمصريتين تملان الملكة حتشبسوت، وتعبيران عن جمال وجهها، بعبيرها الواحة المسحوبة إلى أعلى، وحاجبيها الطويلين المقوسين، وأنفها الرفيع الدقيق، وهذا الوجه بالذات تأثر به جميع رسامو ومثالو عصرها، بل ومن جاءوا بعد ذلك، أي في عصر تعتمس الثالث.



مثال مبسط للشكل الأنثوي في العصور المصرية القديمة، وهو النموذج المثال لشكل المرأة المصرية خلال الحضارة المصرية القديمة: خصر رفيع، صدر رفيع مرتفع خطوط إنسيابية.

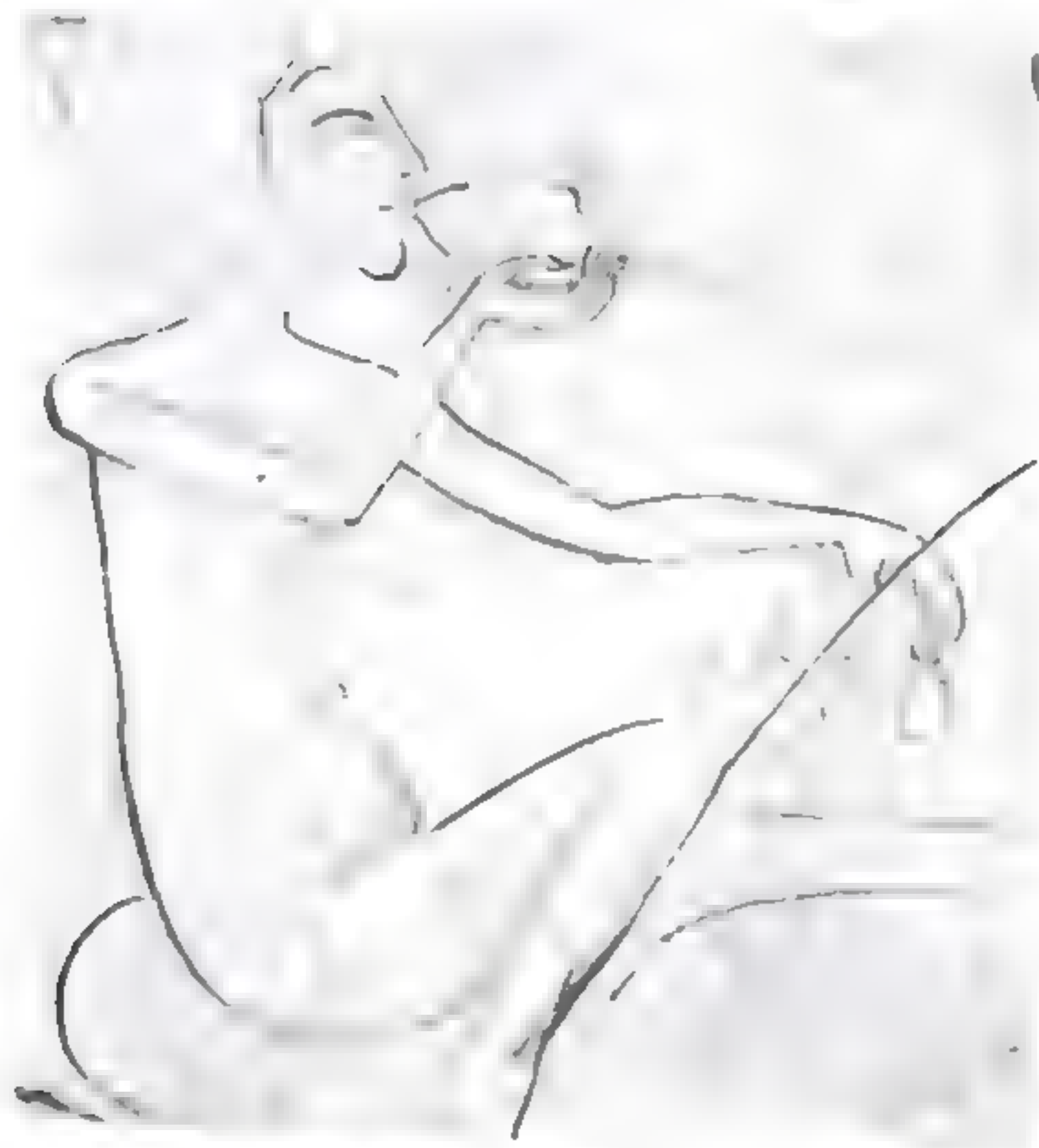




المشهد بين قريبات الشخص المتوفى وهن يطلقن صرخات الحزن والأسى لحزنهم عليه. وعادة كانت تصاحبهن في ذلك مجموعات من الناحات أو الندابات اللاتي كن يتقاضين أجراً على هذا العمل.



نموذج لمنسج حيث نرى العاملات يفزلن وينسجن القماش.



لم يكن من المعتاد مطلقاً تصوير الأشخاص أثناء تناولهم الطعام (ولكن تناول الشراب كان مسموحاً به). وانمحي هذا التقليد تماماً في عصر الممارة وهذا ما يوضحه المثال هنا، وهو يصور إحدى الأميرات أثناء تناولها لبطخة محمرة.

التمثال يمثل إحدى النساء أثناء قيامها باعداد عجينة الخبز. أما الخبيز في الأفران فكان يقوم به الرجال بصفة خاصة، ولما تقوم النساء بذلك.



مجموعة من الفلاحات الفقراء يذهبون إلى الحقول بعد الحصاد يجمعون الحبوب المتبقية.



بعض العاملات في صناعة المطور يقطعن الزهور لاستخلاص زيوتها.





- الدولة الوسطى.

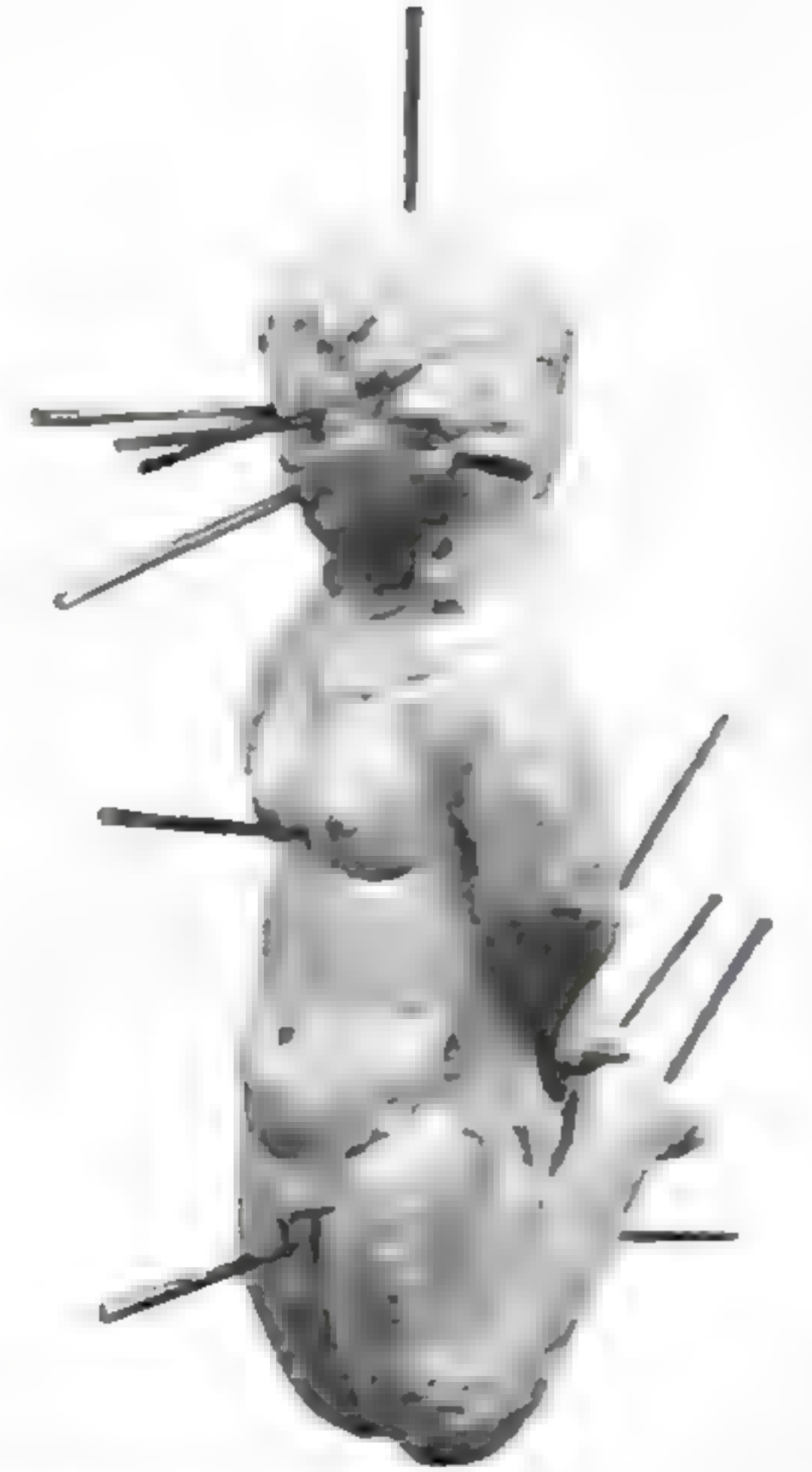
١- الدولة القديمة.



٢- الدولة الحديثة.



هذه السيدة تدعى «ميريت - نيببيس» وهي من أوائل المتحيدات. وواضح جداً أن هذه الكاتبة كانت على قدر كبير من الجمال والأنوثة الطاغية، فمن أعم وظائفها تأجيح طاقة وحيوية الرب. ويلاحظ أيضاً رقتها اللطيفة الذي يبين من خلاله جسداً متأهلاً للرشاقة والجمال.



كانت هذه التعويذة تستعمل لاستمالة المحبوب ولتخلص من أي غريزة أو مذاقسة. ويلاحظ «الديابول» السحرية التي تخترق بعض الأماكن المحيطة من جسم التمثال الصغير الذي يبدو على شكل امرأة عارية راكضة على ركبتيها.

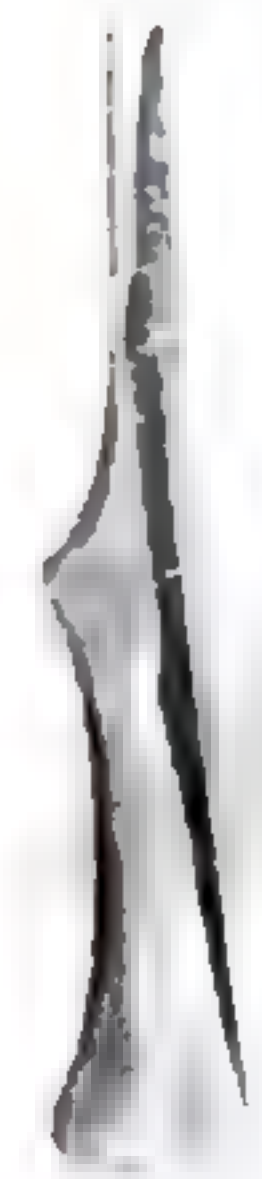
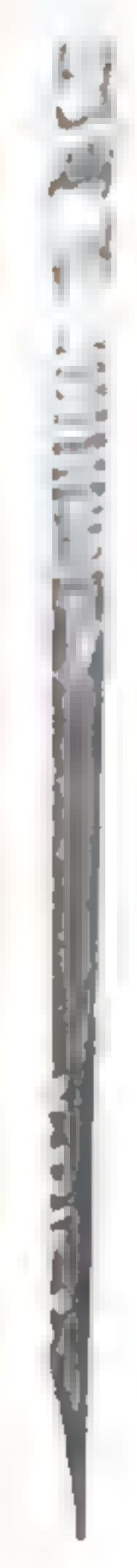




يرجع هذا المشهد إلى الدولة الحديثة، وفيه تبدو الأميرة كا. او رايت. وقد إنهمكت وصيفتها في تصفيف شعرها. بينما انهمكت هي في احتساء بعض الشراب، وامسكت مرآتها الصغيرة بآنيث الأخرى.

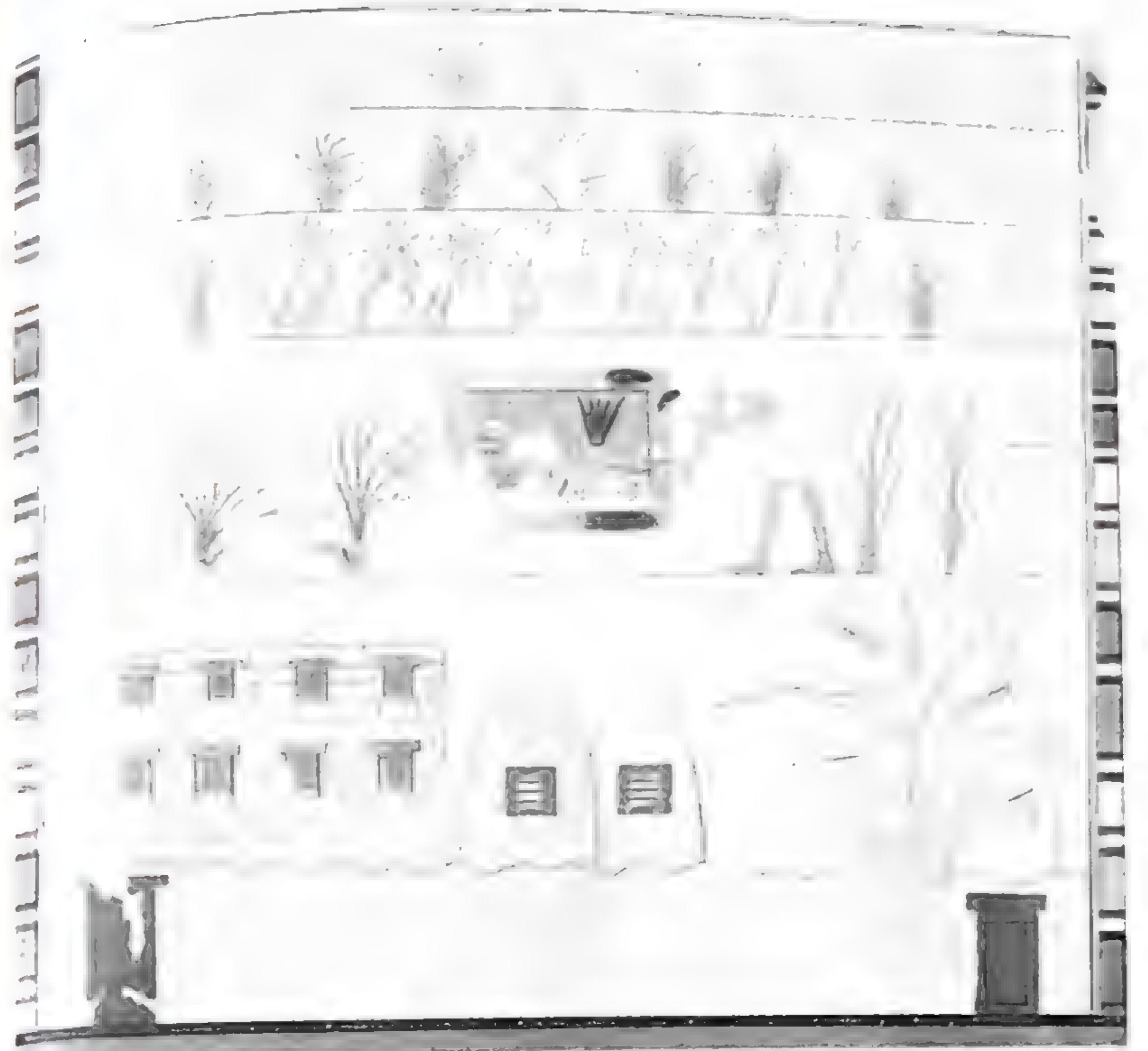


مجموعة نادرة من أدوات الزينة التي كانت تستعين بها المرأة في تجميلها. ومنها نجد المرأة المصنوعة من البرونز المطلي، وفي وعاء لوضع الدهانات المعطرة، وقادور للحلي كما كان النساء أثناء طلاء شفيتها بالثون الأحمر.



بعض أدوات الزينة التي كانت تنزين بها المصرية، ومنها: المرأة، وقوارير العطور، والامشاط، والأمواس، ودبابيس الشعر.

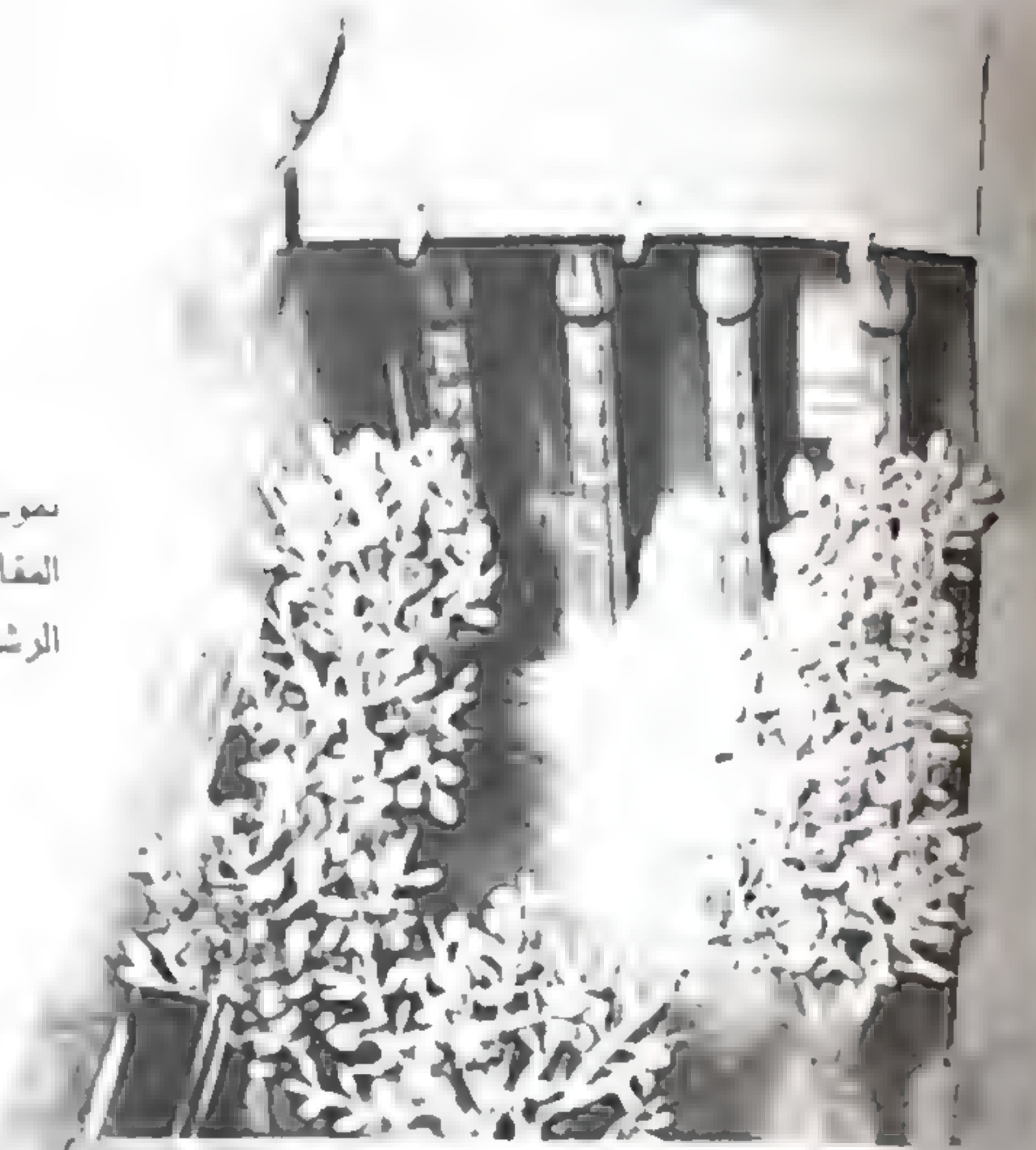




شكل مبسط للمنزل الريفي الكبير. ويلاحظ الحديقة المترامية الأطراف، وحوض المياه والأشجار المتعددة الأنواع، وكذلك بعض الملحقات الخاصة بالخدم والعاملين بالضيفة. وبعض مخازن الفلال.



في حوش حديقة المنزل المترامية وتحت ظلال الأشجار الوارفة، كانت ربة البيت وزوجها يجدان الكثير من الراحة والاسترخاء بالسباحة في حوض المياه التي ترفرف فوق مياهها الطيور الجميلة، وتطفو فوقها زهور اللوتس، وتخرج في جنباته الأسماك الصغيرة العاجية اللون.



موضح لسيت مصري قديم عثر عليه في إحدى المقابر ويصور حديقة البيت وصفة من الأعمدة الرشيقة تتقدم الواجهة.



وعاء سحري للاحتفاظ ببعض العقاقير وهو يمثل إحدى السابحات وهي تدفع أمامها ببطء عائمة في النهر. وكان من المعتقد أن العفار بداخل هذا الوعاء، يحفظ سحريا، من أي عطش أو أذى. فالفتاة تمسك جيدا بجسم البطة التي لا تستطيع الهرب مطلقاً.





لم تأنف هذه الأميرة الجميلة مطلقاً الزواج من هذا القزم المسمى «سنب»، وهو من عليه القوم. وقد أنجبا أطفالاً طبيعيين.  
المرأة الفرعونية.



بعض الأواني الخاصة بالتماويذ السحرية وللمفاقيير، والتي كانت تحتوي أيضاً على لبن الأم، وعلى بعض المياه السحرية، أو السوائل الخاصة بعلاج بعض أمراض النساء. وبعضها يساعد "أمة على الانجاب.





بنات الملك رمسيس الثانى يوزدين طقسه معينة فى العيد اليوبيلى - لاحظ خصلة الشعر المميزة التى تميز الأطفال الملكية والتى تندل على الحبيين.



رقصة طقسية تؤدىها مجموعة من الراقصات ويعبرن بحركات الرشيقة عن بعض الأحداث الأسطورية ويبدو من رداءهن الغريب أنهن من بنات الواحات.



يلاحظ أن كافة الأعياد سواء الدينية أو الجنائزية أو الشعبية، كانت تضم العديد من الرقصات والأغاني. يقوم بها مجموعات من الراقصات والمغنيات، اللاتى يستعين بمختلف الآلات الموسيقية. وكانت الراقصات والمغنيات يقمن بالتصفيق المنتظم أثناء غناءهن ورقصهن تماما، كما يحدث فى يومنا هذا.







مجموعة من اللذات المحترفات. وهن يرتدين ملابس من الكتان الأبيض. ولكن يلاحظ أن أهم علامات العزن كانت تتمثل في إيهالتهن التراب فوق رؤوسهم ولذا يلاحظ أن بعض ملابسهن قد تحولت إلى اللون الرمادي الغامق.



تربين العائلات، خادمت صغيرات، عاريات الجسد ويحطن خصورهن بأحزمة من الصوامع الصغيرة، وتتدلى من أعناقهن عقود من الورود. وتقوم هؤلاء الخادمت بتقديم الشرب للمدعوات، ويساعدنهن في اصلاح زينتهن، وتعديل وضع شعورهن المستعارة وعقود الورد التي تعلو صدورهن. كما يلاحظ في الصورة أيضاً وجود عدة أواني مليئة بالخمر، ومزينة بالورود.



كانت أماكن إحتساء الجمعة تعج بالراقصات وفتيات الهوى. وتُرى في الصورة الأولى إحدى هؤلاء الفتيات وهي تؤدي إحدى رقصاتها. وفي الصورة الثانية نرى أحد الشباب السوريين وقد أفقته الخمر توازنه، فسقط على الأرض، وأخذت إحدى هؤلاء الفتيات تداعبه وتهزأ به.







الملكة نفرتاري تلعب الضامة - منظر من مقبرتها بوادي الملكات بالبر الغربي بالاقصر - الأسرة التاسعة عشرة



مائدة في احدي الاحتفالات حيث نرى أحد النبلاء يجلس بصحبة زوجته ويتسم النقش بالبراعة والرشاقة والفخامة وهي سمات خاصة بنقوش نهاية عصر الامبراطورية. وقد حرص الفنان علي إبراز جمال المرأة وأناقة ثيابها كما نرى في الصورة السفلي.



الإلهة «ماعت» - مقبرة الملكة نفرتاري - وادي الملكات - الأسرة التاسعة عشرة.





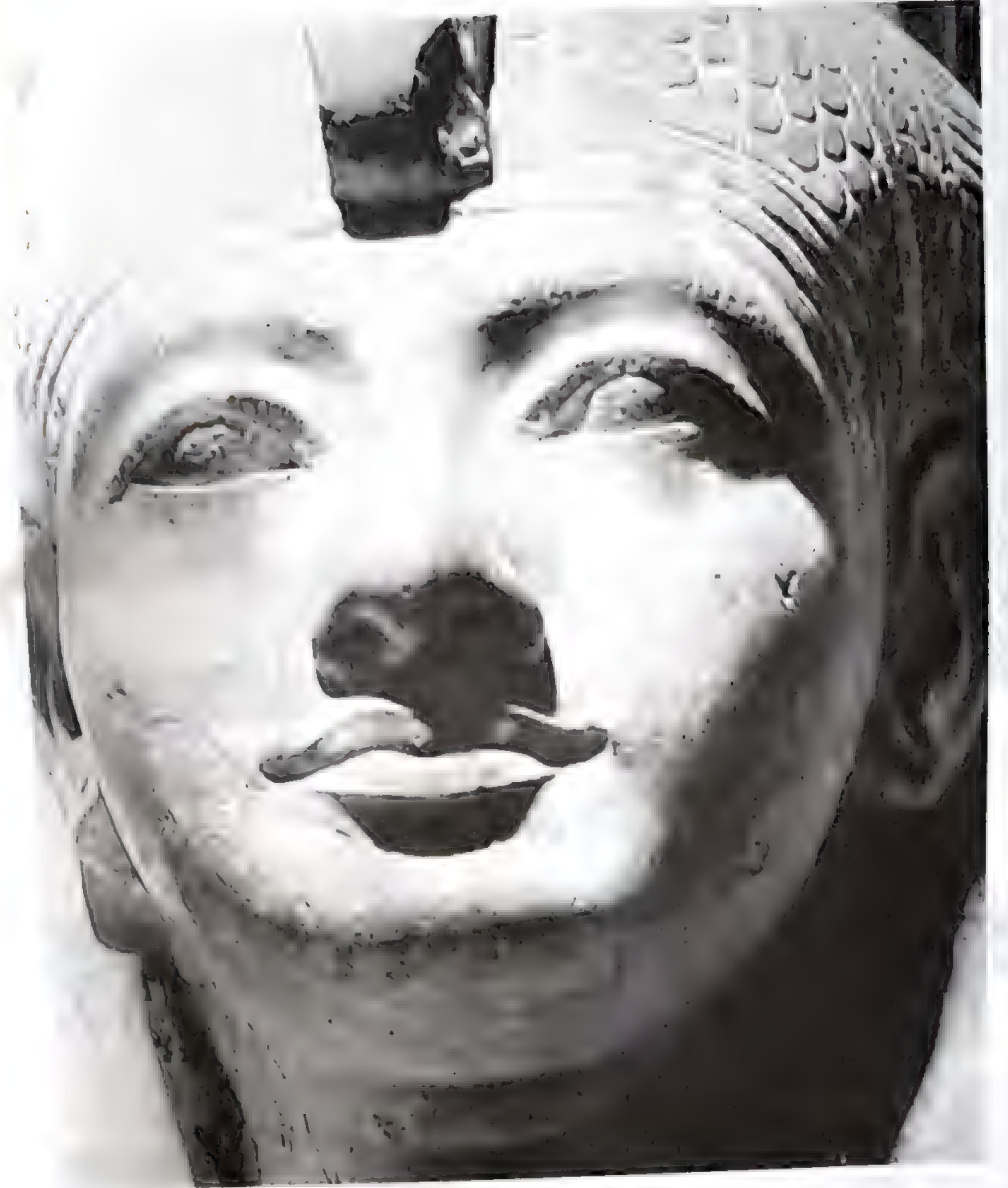
## منشآت الملكة

قام سننموت بوضع تصميمات العديد من المنشآت الدينية : ومن المؤكد أن الملكة قد كلفتها أيضا بمهمة ترميم وإصلاح المعابد الخاصة بمصر الوسطى ، التي كانت قد أهملت - بل وخربت ومرت إلى حد ما في عصر الهكسوس . ويؤيد ذلك ، بعض الكتابات التي أمرت بنقشها . على جدران الكهف الذي كرس للالهة « باخت » ، والذي عرف بعد ذلك باسم معبد ارتيميدروس ( اسطبل عنتر ) . ويبدو أن أسلافها الذين كانوا يركزون كل اهتمامهم ووقتهم في طرد الغزاة ، وإعادة النظام إلى بلاد دمر وخرب جزئيا ، وإعادة إصلاح الأحوال الاقتصادية للدولة ، لم يكن لديهم الامكانيات ليقوموا من جديد بتشجيع الحرفيين والفنانين بالبلاد ، أو لجذبهم نحو مصر العليا . كما أن العاصمة خلال حكم الأسرة السابقة أى فى خلال الدولة الوسطى ، كانت قد اقيمت قديما بالفيوم ، على بعد ٥٠٠ كم شمال طيبة .

وبمساعدة سننموت استطاعت حتشبسوت أن تنشئ فى طيبة تلك العاصمة التى لم تعمل بها بالفعل أية ورشة فنية ملكية قبل ذلك ، وبالرغم من أن الكثير من مظاهر الثراء والفخامة والسلام قد بدأت تعود إليها . واستطاعت أن تنشئ فيها مدرسة فعلية للمثاليين والنحاتين اتخذت من صورة الملكة مثالا ونموذجا أصليا . وكان هذا النموذج الأنثوى الذى يتمتع بسحر خاص للغاية ، وعيون واسعة مسحوبة إلى أعلى عند مؤخرتها ، تشع ضياءا ولمعانا بشيء من السكر والدهاء فى وجه يعيل إلى الاستطالة قليلا ، قد أثر فى نهاية الأمر على فن صناعة التماثيل فى تلك الحقبة . بدليل أن جميع أشكال تحتمس ، بعد ذلك ، والذى أصبح الفرعون المحارب الغازى ، قد أظهرته فى كافة الصور خلال حكمه كجندى قوى ، وقد شاب تقاطيع وجهه بعض من رقة ولطافة صور عمته ذائعة الصيت .

وبداية من هذه الفترة البارزة التى ساد فيها الهدوء ، والتى يمكن تحديدها فيما بين العام الثالث والسادس من الحكم المشترك بين الملك الشاب والوصية عليه ، لوحظ أن سننموت قد اختار من أجل منشآت ونصب مليكته ، الأساطين الأنيقة المحزومة على شكل أوراق البردى ، ذات التيجان المقلدة ، والتى يمكن مشاهدة أحدث نموذج منها فى البهو الأول فى الأقصر ( مقصورة المراكب ) .

وتسمح لنا الدلائل التى ترجع إلى العاميين الثالث والرابع ، بأن نتصور مشاريع البناء الأولى من أجل إقامة معبد الدير البحرى الذى



الآلهة موت سيدة عظيمة وجليلة. إنها الأم المقدسة. كانت تسمى «نسر» لأنه من المعتقد أنها فى الأصل الهة نسرية من طيبة. لهذا قالوا إنها ملكة الآلهة. وكانت ثيابها من الريش.



أطلق عليه اسم « جسر جسر » ، « قدس الأقداس » ، وكانت الملكة قد اختارت مكانا مترامى الأطراف أمام منخفض صخري متدرج بشكل دائري بجبل طيبة يطل على وادي الضفة الغربية في مواجهة الكرنك بالناحية الأخرى للنهر . لقد حددت حتشبسوت هذا المكان ، في شمال الموقع الذي مازال يوجد به معبد منتوحتب والسراديب الجنائزية للأسرة المالكة . وكانت تعتقد أنها بذلك ، تزداد قربا من الأسلاف الطيبين العظام ، الذين حكموا في أوائل الدولة الوسطى ، وتزيد من تدعيم حقوقها في وراثة العرش . ومن إحدى لوحات سننموت ، التي عثر عليها ، بمعبد « مونتو » الشمالي بالكرنك ، تبين وجود مخازن لمعبد « قدس الأقداس » خلال العام الرابع من الحكم ( الشهر الأول من فصل الشمو ، في اليوم السادس عشر ) .



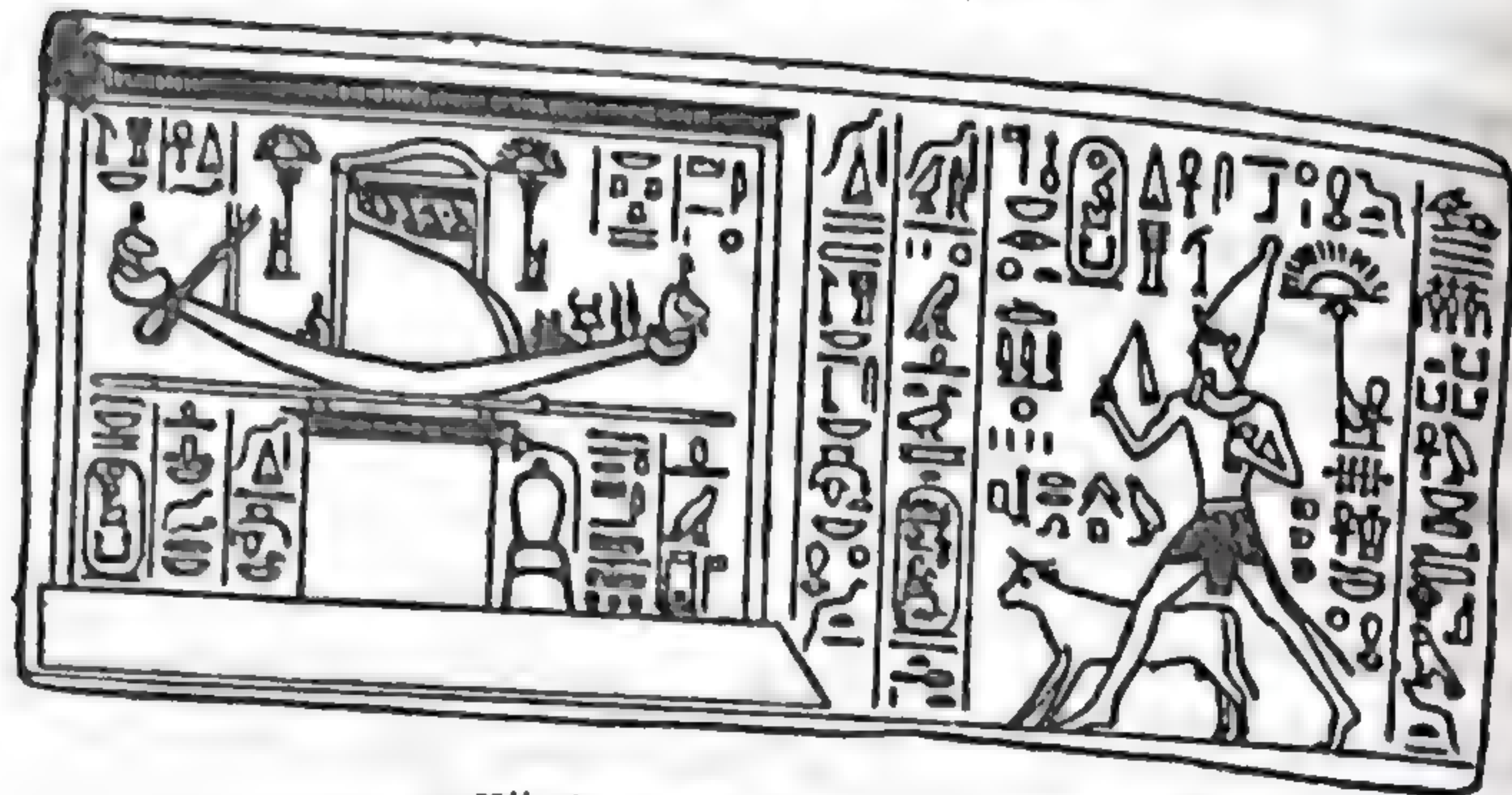
شكل (٢١) حتشبسوت

- ٧ -

حتشبسوت - ماعت كارع

فرعون

الحكم بداية من العام السابع



شكل (٢٢) الجرية المقدسة عند التنويج

لا شك أن العام السابع ، يعد مرحلة فاصلة من الحكم . وهو بدون ريب العام الذي تجسد من خلال نص وسيط آمون : « لقد تركت تاج زوجة الاله ، لكي تعبد وتعظم بزيينة رع » . وفي كافة الكتابات التي نتحدث عنها اتخذت الملكة بصفة نهائية لقب « ملك مصر العليا والسفلى » . وسادت مظاهر ضخمة من النشاط والعمل في البلاد التي تمتعت بالتنظيم والازدهار . وقد انعمت حتشبسوت على أبوى سننموت بمقبرة تقع في نطاق الضياع الملكية ( في الشهر الرابع من موسم بذر الحبوب ، في اليوم الثاني منه ) ، كما أمرته بزخرفة مقصورة في شرق معبد الكرنك ، بجوار المسلتين الأوليين اللتين استخرجتا من محاجر اسوان . وكذلك المعبد الذي يضم في داخله ناووسا كبيرا مشيدا من المرمر ( تسكنه تماثيل الملكة و آمون ) ، وكان يجب أن يواجه شروق الشمس من سلسلة جبال الصحراء الشرقية ، استولى عليه بعد ذلك تحتمس الثالث ، ثم قام رمسيس الثاني بتغيير معالمه . ولا شك أن الآثار المتبقية منه تبين ما كانت تتمتع به الملكة من ارادة ورغبة في التجديد



والتطوير لكي تقيم بذلك من أجل رعاياها ، أول همزة وصل بينها وبين  
أمون ، حتى يستطيعوا الحضور الى هذا المكان المفتوح من المحراب  
لكي يستمعوا لاستعطافهم واسترحامهم .

### معبد الديـر البحري

كرست الملثة اهتمامها لتشييد المعبد اليوبيلي الرائع ، الذي قام  
بوضع تصميماته سننموت ، وبدأ في ارساء أساساته تحت اشرافه ،  
منظرا ان نفتح الأعمال الكبرى رسميا . وابتداء من العام السابع الى  
العام الحادى عشر من الحكم ، تمت تعبئة كل الجهود لكي يشيد في  
الصخور الجيرية فائقة النعومة ، البناء الذي اعتبر عن جدارة مجدا  
وقхра لحكم حتشيسوت ، وللتذكير بالخطوط العظيمة للشخصية  
الملكية وبأوجه نشاطها . وكان آمون هو الرب المبجل للمعبد مع انوبيس  
وحتحور . وفي القمة الشمالية لهذا البناء ذى الدرجات المتتالية امام  
الصخور ، كانت حتشيسوت قد امرت باعداد هيكل شمسي في الهواء  
الطلق . ولا شك ان هذا البناء الذي شيد من أجل الفرعونة ومن أجل  
حالقها ، كان يعد انشودة حقيقية تتغنى بجمال الفن المعماري وقتئذ  
وكان يتكون من قاعدة مهيبة عظيمة ذات ثلاثة مسطحات كبيرة من  
الحجر الجيري اتخذت شكل الشرفات يعلو احدها الآخر ويليه ، ونشرف  
عليه « قمة » جبل طيبة المقدسة ، ومن خلال ثلاثة طوابق متتالية ، كانت  
الابنية تؤدي الى السطح الاخير الذي كانت كواته المحفورة في الصخور  
في العام العاشر ، تحتوي على سبعة وعشرين تمثالا شعائريا للملكة ،  
معظمها منحوت من الجرانيت الوردي ومن ضمنها ثمانية كانت تمثل  
الملكة وهي راكعة . وفي الناحية الجنوبية اقيمت مقصورة لكي تقام بها  
شعائرها وشعائريها ، واسرتها ، بل وشعائرها تحتمس الثالث أيضا .  
ولاشك ان تمثال الملكة ، الذي يمثلها وهي جالسة والذي صنع من المرمر  
السميك ، ربما جاء من هذه المقصورة (١) .

اما الشرفتان السنليتان ، فقد اتصلتا ببعضهما بطريق صاعد  
يتوسط واجهتهما ، يبلور انسجام عمودية الواجهات . بل ان اناقة  
وروعة ابتكار وفراة المجمع بأكمله ، مندمجا بكل توفيق وتوازن داخل  
اطار الموقع الرائع المهيب ، توضح أيضا وبشكل مدهش معالم حكم  
ملكة عظيمة . وكما يلاحظ انها قد خصصت مكانا شرقيا للملك الشاب  
تحتمس . ولقد ساهم الكثير من المعماريين وكبار المسئولين بجزوار  
سننموت في اقامة هذا العمل العملاق ، مثل ثوتى و بوى ام رع ، وكان

حابو سننموت رئيس الأعمال يصاحبه نحسى ، ومين موسى ، وأوجرنبتوت ،  
وباحكا من المعروف باسم بنيا ، ونب آمون ، وأمنمحات ، وبنياتى ،  
ودراى ار نصح . اما العمالة فقد كانت تتضمن العديد من الأفراد أو  
الجماعات . وأقبل كثير من الوجهاء والشخصيات المرموقة على وضع  
قوالب من الحجر الجيري في البناء ، كانوا قد كرسوها وغطوها  
باسمائهم ، حتى يحظوا بالاهتمام والعناية الملكية والالهية .

كما رصت عشرات التماثيل على هيئة ابي الهول ، لها وجهه  
حتشيسوت ، ومطلية باللون الأصفر على جانبي الطريق ، ابتداء من  
القناة المتفرعة من النيل وحتى الفناء الداخلى . ويجب الاقرار بان طريق  
الانتصار هذا الذى كان الاغريق يطلقون عليه اسم « طريق الكباش » ،  
Dromos ، هو ابتكار وتجديد ، اتبعه بعد ذلك خلفاؤها دون  
استثناء . وكان هناك أيضا سبعة أزواج من تماثيل ابي الهول لها  
معرفة الأسد ، على جانبي الممر الرئيسى للفناء ، الذى زين بأشجار  
اللبخ Persca ، وأشجار الأثل Tamaris ، والنخيل ،  
وحفرت في انحنائه بعض الأحواض من أجل أن تصب فيها ، وفقا لبعض  
الطقوس ، كميات من الألبان كقرايين . وكان هذا هو المكان الذى خصصته  
الملكة لزراعة اشجار البخور القيمة التى جلبت من بلاد بونت . وعلى  
جدران الأروقة تتابع تدوين الحوليات الدينية والتاريخية ، بنقوش  
ملونة . وكان يمكن أيضا ضمن العديد من المشاهد ، تأمل صور « المولد  
الالهى » ، والتوبيخ ، وعملية نقل المسلتين في أوائل فترة حكمها ،  
والحملة الكبرى الى بلاد بونت ، ومناظر دينية تبين بعثة الفرعونة .

وامام الأعمدة اقام سننموت تماثيل أوزيرية لمليكة ، تبدو فيها  
فى هيئة اله الموتى فى صورة المومياء ، وقد توجت بتاجى الملك الأحمر  
والأبيض ، وذراعاها متصلبتان فوق صدرها ، وممسكة صولجان الملك  
بيديها . وهذه هى صورة الملك ، خلال يوبيله السنوى ، الذى يحتفل  
به من أجل تجديد كل كيانه واعادة تجديد سطوته . ورغم ذلك ، فإن  
سننموت لم يكتف باظهار صولجان الاله المتوفى فى يدي « الملكة -  
أوزير » . بل اضاف الى العصا المعقوفة « الحقا Heka » والسوط  
« النخ Nekhaka » وهما رمزان متصلان بأوزير ، الشارة  
المعروفة باسم « الواس » ومعها شارة « العنخ » ، وهما شعاران للحياة  
الدافقة المشعة التى توفرها الشمس ، وقد ظهرتا بعد ذلك فى الأيدي  
التي تنتهى بها اشعة « قرص » آتون الشمس . وبذا ، فإن هذا  
المعماري البارع ، والعالم المحنك قد اتفق أيضا مع مليكته على الاستعانة  
ببعض الرموز من أجل توضيح إحدى الحقائق الأساسية فى الديانة



المصرية المتصلة بالقوانين العظمى اللانهائية الكونية ، التى يعبر عنها وتطورها فوق الأرض مناظر الاحتفال البيوبلى للفرعون . كما أن أوزير ورع ، كانا مظهرين يمثلان نفس القوى ، القوى الخادمة (الموت) والقوى النشطة ( الحياة ) . وبذا ، يتضح لنا تماما مغزى العبارة المذكورة بالفصل السابع عشر ، فى كتاب الموتى : « أما عن أوزير فهو أمس ، وأما عن رع فهو الغد » .

وعند هيكل أنوبيس ، شمالا ، أقيمت مجموعة من الأعمدة السورية. يوضح تناسقها الهادئ والمتالىق عن حيوية تؤلف مزجها من الظلال والأصواء . وفى الداخل ، بدت تماثيل الملكة وهى مازالت شابة ترندى ثوبا بسيطا ، وبدا واضحا أنها لم تتعرض لمعاول التدمير . وفى الناحية الجنوبية ، وكما أرادت الملكة ، أقيمت مقصورة حتحور ، مأوى البقرة المقدسة . . التى تستقبل جميع الموتى ، وتجهزهم من أجل الحياة الأبدية . لأنها كانت تعد بالفعل مقر الاحتفال بالعيد السنوى البهيم للوادي ، الذى كان يستمر أحد عشر يوما وكانت الفرعونة والملك الصغير ( أو تماثيلهما الخاصة ) يذهبان عند ظهور الهلال فى صفحة موكب نجم مهيّب ، نحو « قدس الأقداس » .

### مقبرة وادى الملوك

ابتداء من نفس هذا العام السابع ، رغبت حتشبسوت أن تتحرك فوراً وتثبت سيادتها ، فتخلت عن المشروع الذى كان يهدف الى استعمال المقبرة التى كانت قد أمرت بحفرها عند أحد الوديان النائية بجبل طية . وبصفتها ملكة « مطقة » لمصر ، فقد كانت ترمى الى أن يدفن جثمانها فى « وادى الملوك » . وقد كلف كبير كهنتها حابر سنب تنفيذ رغبتها هذه ، وأمر فعلا بالبدا فى حفر مقبرة ( رقم ٧٠ فى وادى الملوك ) خلف الجرف الواقع خلف المعبد ، وقد استمر العمل فيها حتى العام السادس عشر من حكمها دون أن ينتهى تماما . ولذا ، فهى لا تتضمن أية زخارف ، أو أية نصوص أو كتابات . أما مسار دهليز الدخول فهو عبارة عن ممر مقوس طوله حوالى ٢١٢ مترا . ويبدو أن المعمارى الذى صممه قد حاول دون جدوى بواسطة هذا الممر أن يصل الى الناحية الخلفية لمعبد الدير البحرى . أما حجرة الدفن ، فهى مستطيلة الشكل ، ويبلغ طولها حوالى ٩٧ مترا . عثر بداخلها على تابوتين مصنوعين من المرمر أعدا من أجل الملكة ، ولكن يبدو أن أحدهما قد جرى تعديله ليضم جثمان تحتمس الأول . واعتمادا على هذه المعلومات ، أراد بعض الكتاب

أن يستخلصوا أن حتشبسوت قد أمرت ربما بعد عمليات الملب والنهب بنقل مومياء والدها الى مقبرتها الشخصية . ولكن هذا غير مؤكد تماما .

### الأنشطة الأخرى بالبلاد

لم يهمل أى أمر من الأمور فى البرنامج الضخم ، من أجل النهضة السلمية بأفحاء البلاد . هذا ما ذكرته حتشبسوت بكل المغالة والتشويق اللغوى التى تتصف بها الألفاظ الفرعونية ، فى نصوصها الشهيرة بمعبد اسطبل عنتر ( سبيوس ارتميدوس ) . فقد عملت على تالوق وازدهار كل ما كان مضمحلا أو متهاكما منذ حكم الأسويين فى أفاريص شمال الدلتا ، والذين طردهم أسلافها الأمجاد : « كان هذا واجب أباء أبائنا ، الذين كان ظهورهم مناسبا تماما فى عصرهم » . ولقد لاحظنا ، أنها كانت شديدة الاهتمام بتشييد المنشآت والنصب الكبرى الباقية على الدوام ، وكذلك اصلاح وترميم وتوسيع المعابد . ولقد لاحظت أنه حتى يتمتع بلدها بالاهتمام الواجب وتعيش فى سلام أن تعمل على تجديد عتاد وسلاح جيشها الذى كان كل من تحتمس الأول والثانى قد أرمقاه واستغلاه دون أن يهتما ، على الأرجح ، بتجديد شبابه . هذا ما تنبئنه على الأقل من مضمون الكتابات بنفس المعبد الذى كرس من أجل الالهة « باخت » : « أن جيشى الذى لم يكن يملك عتادا ، قد أصبح يتمتع بكافة مستلزماته وعتاده منذ أن أصبحت ملكا » . أن مجرد ذكرها لهذا الأمر يبين مدى استيعابها لأهميته وضروريته . كما يبين ما كانت تتمتع به هذه الملكة من حكمة ، ومدى اهتمامها بأن توفر الاحترام الواجب لبلادها .

### السياسة الخارجية

خلال فترة حكمها ، لم يحدث أى خلاف مع أى بلد أجنبى . ولكن حدثت عملية تدخل واحدة فقط فى بلاد النوبة ، فى بداية حكمها ، يبينها هذا النص المنقوش فوق صخور جزيرة سهيل : « لقد تبعنا الاله ( الفرعون ) ( ..... ) ، ورايته وهو يقهر أهل البادية ، ويقتاد زعيمهم كاسير » . وربما أن هذه الحملة التى قادها ضابط يدعى « تبي » قد انتهت بجزيرة « ساي » السودانية حيث أقيم بالفعل تمثال للملكة .



كما أن الحروب التي أراد البعض نسبها إلى الملكة في أواخر عهد ما كان تحتتمس هو الذي قام بها فعلا . وبداية من العام الثامن . ازدادت مصر في تأكيد وتثبيت معالم ازدهارها الفعلي تحت السيادة السلمية لحثشبسوت التي كانت تتصرف بحذق بالغ ودراية فائقة لدرجة أنها لم تفقد مطلقا مزايا وفوائد أي واحدة من الفتوحات ، أو حملات اخماد الفتن التي سبق أن قام بها والدها تحتتمس الأول . فلم يكن هناك متمردون في الجنوب ، ولا أعداء في الشمال .

واستعان سننموت بسلطته الحكيمة الفطنة ، ليتمكن من تحويل الضرائب ، بشكل منتظم ، في خزائن أمون ، كما كان يقوم بجباية الرسوم بشكل عادي دون أي التزامات مغالى فيها أو التجساء إلى العنف ، ودون أن يشك أحد في قوة الملكة وخطوتها . وكانت الصورة التي قدمتها إدارة حكم الملكة ، فيما وراء مصر ، لا تسمح بأن يعارض أحد سلطتها كفرعون . ولذا ، استطاعت أن تعلن جهرا : « أن حدودي الجنوبية ، تمتد حتى شواطئ » بونت « ، وحدودي الشرقية إلى تخوم آسيا ( ..... ) ، أما في الغرب فقد قمت بحكم ليبيا » .

وأرسلت حثشبسوت حملات تجارية نحو « مرافئ الشرق » ( أو « الدرجات » كما كان يقال ) ، وضمن هذا المزيج من الخلق ، فمعهم من جاء من داخل آسيا ، الذين يحضرون المنتجات النائية عن طريق القوافل ، ومنهم تجار السواحل . وكان يوجد أيضا سكان الجزر ، كجزيرة قبرص ، وجزيرة كريت النائية للغاية ، الذين كانوا يبحرون ويأخذون طريقهم نحو مصر . ويصلون غالبا عن طريق البحر - الأكثر أمنا - وكان سكان طيبة يحضرون ، وهم متعجبون للغاية - لهذا العرض المكون من أشخاص يتميزون بالأناقة والمظهر الفريد ، يرتدون تنورات مزركشة ، ومزينة بالكرات ، ويضمون وسطهم ضمنا شديدا بأحزمة عريضة قصيرة ، ويرتدون في أقدامهم أحذية نصفية ذات شرائط صغيرة . أما شعورهم فهي طويلة إلى حد ما صفت على هيئة خصلات متفرقة ، منتصبة الأطراف . وكانوا يحملون فوق اكتافهم أكثر المنتجات طرافة وغرابة ، والتي صنعها الحرفيون : كنوس ذهبية مرصعة ومنقوشة ، ذات مماسك مزينة بالورود والطيور المختلفة الأنواع والأشكال ، والـ Rhytons الضخمة ذات الرؤوس الحيوانية . وكان الخفتيو Kheftiou الكريتيون (٢) يصطحبون أحيانا في أيديهم بعض الأطفال الصغار . ولا شك أنهم كانوا يرددون عرض بضاعتهم للبيع ، والإقامة في مصر ، حيث يستطيعون مزاولة تجارتهم . وبذا ، دخل نوع من الخزف الفخاري ، ذي الأشكال القبل الهيلينية ،

والزخرفة التي على هيئة الأخطبوط . وقد احتفظت جدران المقبرة الأولى لسننموت ، وكذلك جدران مقابر بعض كبار الموظفين في ذلك الحين ، بصورة لها ( في حوالي العام السابع أو التاسع من الحكم ) .

وبداية من العام الخامس ، عادت الملكة القيام بالحملات إلى سيناء ، حتى تستطيع الحصول على أحجار الفيروز ، من منطقة « سرابيت الخادم » و« وادي » المغارة . وتعددت تلك الحملات بشكل « سرابيت الخادم » و« وادي » المغارة . وتعددت تلك الحملات بشكل منتظم ولم تكن الملكة تستعين بالعبيد أو بأسرى الحرب لكي يعملوا تحت إمرة مهندسي المناجم لديها ، ولكن لجأت إلى المتطوعين المصريين وإلى بعض البدو من نفس موقع العمل من أجل تكملة مجموعة رؤساء العمال ، والكتبة ، وأمناء المخازن ، والأطباء - السحرة ( مروضي الثعابين ) وبالحرس الصغير المسلح ، المكلف بحماية واسترداد الحجر الأزرق ( الفيروز ) من السالبيين والناهبين . ولا شك أن أجدادهم هم الذين حاولوا منذ بداية الدولة الوسطى أن يقتبسوا بعض الكتابات الهيروغليفية التي كان الكتبة المصريون يكتبونها أو يحضرونها أمامهم . على الجدران الصخرية ، لكي يضعوا الخطوط الأولى لكتابة مبسطة انتشرت مبادئها وأسسها عن طريق التداخل والتحريف المتتالي . في الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط . ثم قام الفينيقيون بإعادة تنظيم العلامات والرموز التي اقتبسها الاغريقيون ، ونقلوا أشكالها النائية إليها ثم ظهرت ثانية في أبجديتنا ( الأوربية ) .

وفي مثل هذه الأحوال نعرف سبب عدم وجود مناظر أسرى الحرب لا فوق جدران المعابد ، ولا فوق حوائط مقاصير المقابر ، والتي كانت قد أصبحت من المناظر التقليدية خلال العهود الأخرى . بل على العكس من ذلك فقد ارتفع عدد أبناء الأمراء الأجانب الذين تربوا ونشأوا في البلاط الملكي ، وعلى ما يبدو فقد تم سن أحكام وقوانين فائقة الانسانية ، من أجل المهاجرين ، ومن كانوا يحتجزون في حالة عبودية .

### الحملة إلى بلاد بونت

#### الاستعدادات :

ظهرت سياسة حثشبسوت الخارجية ، والتي تركز على اتخاذ موقف السلام الدفاعي ، بوجه خاص في هيئة عمليات ماهرة لعقد ارتباطات وعلاقات تجارية متزايدة ، وللانفتاح على بلاد ذات عادات كانت لا تزال مجهولة وتتمتع بثروات ومنتجات طبيعية يعود استيرادها بنفع كبير على أوسع مستوى .



نفى أوائل العام الثامن كان كل شيء معدا ، لكي تقوم السفن  
برحلتها الى بلاد بونت الاسطورية ، ارض الاله التي كان رجساها  
الاصليون الاكثر نبلا المنحدرون من الاصل الحامى ، قد قاطلوا لحامهم  
على نفس طريقة اوزير . ولذا ، عرفوا باسم « الخبستيو » Khebestyou  
( أو الأشخاص ذوو اللحي Khebeset ) حقيقة ان المصريين ، منذ  
العصور المتأخرة ، كانوا مرتبطين بعلاقات عريقة مع هؤلاء الموردين  
للبحور ، ولكن ، الأمر الآن يتعلق بحملة ضخمة ، واسعة النطاق ،  
وكلت مسئوليتها للوزير النوبى « نيسى Nehesy » وبصفة رسمية ،  
ولكى تتماشى مع المفهوم السائد فى عصرها ، كان من المفروض ان الملك  
قد اطاعت وسيطا جديدا لآمون أمرها ان تذهب الى بلاد بونت لاحضار  
اشجار البخور والصمغ والعطور . ولكن هذه العملية - وهى من أهم  
اعمالها - لم تكن على الأرجح ، تنحصر فى مجرد هذه المكاسب السيه  
والنافعة ، كما كانت تبدو ظاهريا . ولم تصد النصوص المصرية  
تحديدا واضحا مكان « ارض الاله » هذه ، بالرغم من ان نفس تسميتها  
تبين مدى تقديرها وتمجيدها لها ، واعتبارها قريبة من الأصول والمنشأ .  
وقد ذكرت بعض الكتابات المعاصرة لحتشبسوت ان هذه الأرض كانت  
توجد على الجانبين شديدي الخضار ، ويعتقد الكثيرون انها نفس  
مكان « اريتريا » و « حضروت » ، وأرض الـ Labèens وبلد افيير  
Ophir ، بل واليمن ، و « Corne d'Opone » أما البعض الآخر ، فيعتقدون  
انها منطقة جنوب السودان ، والبلاد الواقعة عند اعلى النيل ،  
وشرق المنطقة الدارية .

وسوف نتوقف عند هذه المنطقة مفترضين ان الملكة لم تضم فقط  
الى اعضاء الحملة المختصين بعلم الحيوان ، والمهندسين ، وعلماء  
النبات ، بل ويبدو انها قد ضمت اليهم كذلك بعض الكهنة - العلماء  
المختصين بدراسة النيل ( والعلماء المختصين بعلوم المياه ، جملة  
القول المختصين بشئون الري ، وكانوا من المرموقين الماهرين ، على مدى  
كافة العصور بمصر ) . وقد كلفوا بدراسة نظام هطول الأمطار  
الاستوائية المرسل من العناية الالهية والتي كانوا يستشعرون انها  
تكيف فيضانات هذا النهر ، المنظم والضابط الصارم المتصلب لكل  
مظاهر الحياة بمصر . وكانت المجازفة على درجة كبيرة من الجدية ،  
لكى لا تتوانى ملكة على قدر كاف من العظمة والذكاء كحتشبسوت ، التى  
كانت نصائح عالم مثل ستنموت تسيطر عليها ، أمام ظاهرة على مثل  
هذه الدرجة من الأهمية . ولكن ، بالرغم من ان « زخميسرع » ابن أخ  
وزير الملكة ، والمعاون المقبل لثتمس الثالث ، قد أعلن انه مهتم بدراسة  
مصدر ونظام الأمطار التى تغذى الفيضان السنوى (؟) ، فلا شك ان

الوقت قد حان بعد ، للميل « صراحة وجهرا » ناحية الظواهر التى كانت  
ترجع حتى ذاك الحين ، الى عناية واهتمام الاله .

واذا كانت مظاهر المبالغة والاغراق ، تبدو واضحة جلية فى  
الأدب المصرى ، من أجل تمجيد وتعظيم الآلهة ، وتكريظ وتملق الفرعون  
رسميا ، ومدح الأعمال الانسانية الطيبة ، فان التحفظ يبدو شديدا  
والنفاصيل عن الجهود المادية الفعلية تنعدم تماما ، عندما يتعلق  
الأمر بمعالجة موضوع بناء هرم ، واستخلاص مسلة من المحاجر ، أو  
الصعوبات والعوائق التى تلاقيها حملة نحو ارض البخور ، لقد اكتفت  
حتشبسوت فى هذا المجال بأن تصور على إحدى جدران معبدها مشاهد  
بداية التحرك من طيبة ، والوصول الى « بونت » ، حيث عاودت السفن  
ابحارها . ثم اكتفت ايضا ، باستعراض حصر الموارد فى العاصمة  
أمام صورة آمون . ولكن ، ترى أى الطرق سلكته السفن ؟ فلقد أعدت  
خمس سفن ضخمة رائعة ، يبلغ طول كل منها حوالى ٢١ر٥٠ مترا ،  
وعرضها ٥٠ مترا ، وهى ذات شراع كبير ، وصارية مركزية يعتمد  
ارتفاعها الى ما يزيد قليلا عن ٧ر٥٠ م . ولقد بلغ عدد ما بها حوالى  
٢١٠ رجال ، منهم ٣٠ جديفا لكل سفينة من السفن .

حقيقة ان الاقلاع قد بدأ من طيبة ، ولكن أى طريق تراها اتخذته  
بعد ذلك ؟ فالوصول الى البلد عن طريق البحر كان الأمر يتطلب اما أن  
تنزل السفن عبر النهر حتى « منف » ، ثم تسلك طريقها عبر قناة المياه  
العذبة ، التى كانت تربط ، خلال الدولة الوسطى ، ما بين النيل والبحر  
الأحمر ، وبين بحيرة التماساح ، والبحيرات المرة ، واما أن تعبر  
الصحراء الشرقية على مستوى طيبة ، من خلال « وادى الحمامات » .  
وكان الأمر يستلزم إذن ، أن تقطع هذه المسافة بواسطة قافلة تمضى  
حتى ميناء « القصير » ، الخاص ببناء السفن .

وخلاف ذلك ، فللوصول الى هذا البلد عن طريق النيل ، كان الأمر  
يستلزم أن تسير السفن صاعدة النهر حتى المناطق القريبة من عطبرة ،  
حيث تواجهها بالضرورة مشكلة عبور الشلالات . وكان الحل يتطلب  
الدوران حول الشلالات بجر السفن بالحبال على طريق مغطى بطمي  
النيل الرطب الذى قد يمكن تزليق السفن فوقه .

الوصول الى بونت :

لقد اكتشف الدليل الذى يؤكد وجود ذلك على مقربة من قلعة  
مرجيسا الحامية للشلال الثانى . واعتقد بالنسبة للحملة التى نظمتها



حتشيسوت ان هذه هي انسب الحلول ، وخاصة ان حجم السفن المستعملة لهذه الحملة ، كان اقل من حجم السفن التى يستعان بها لعبور البحار . حوالى ٥٢ مترا طولا ، بداية من الاسرة الثالثة .

ومهما كان الامر ، فاننا نستطيع ان نشاهد على جدران ، الديبر البحرى ، المنظر الرائع الذى يمثل الوصول الى بلاد بونت . فمياه الشاطئ تبدو ، وهى تعج بالاسماك - وخاصة نوع معين من القشريات يعتقد الاخصائيون انها يمكن ان تعيش فى البحار ، وايضا بالنهر - ويرى المستشار نحسى وهو ينزل من سفينة القيادة ، وقد استند على عصر طويلة ، وهو يقدم الى زعيم بلاد بونت هدايا التى تعبر عن النوايا السلمية لقدمه ، واحاط بهذا الوزير ، مجرد مجموعة من حرس الشرف ، نرى منهم ثمانية جنود فقط . ورصت فوق الصناديق الموضوعة على الأرض بعض المصنوعات ، والاسلحة ، وخاصة المصنوعات الزجاجية المتضمنة عقودا وقلائد واساور ، والتى اعتبرت فى عيون اهل بونت ، بالوانها البراقة المتوهجة ، وكأنها كنوز فعلية . ويبدو فى هذا المنظر ايضا الذى يمثل زعيم البلد « بارحو » بقامته المديدة الرشيقة ، وهو يتلقى تلك الهدايا فى جلال ووقار شديد ، لا تشوبه شائبة القذال او الخضوع ، ووراءه يبدو مخلوق سمين ، مصاب بمرض التشحيم الحاد ، والسدى لا يبدو انه يقلقه بتاتا . انها زوجته الملكة « اتي Ity » . وقد اصطحبت الحمار الذى تمتطيه . اما نتائج المبادلة التجارية ، التى عرضت بوضوح عند الرجوع الى طيبة : فهى تبدو ظاهرة جزئيا حول وفوق السفن ، خلال شحنها بالبضائع عند موانئ بونت : فهناك تبدو الاجولة الحملة بالصمغ المعطر والبخور ، واللبان ، وزكائب الذهب ، والالكتروم ، والفضة ، وجلود الفهود ، واعلانا لما سوف يحبه المصريون فى ذاك البلد . ولكن ، لكى يستقبل « بارحو » مبعوث الملكة العظيمة ، نشاهده بدوره واقفا امام « نحسى » فى نبل وشموع ، ويقدم له اكياس الصمغ المعطر ، وحلقات وصررا مملوءة بالذهب والالكتروم ، وقد رصت بنظام تام بجوار لوحة منظمة من العاج ، وخشب الأبنوس . وقد شحنت احدى سفن الحملة بتمثال مصنوع من الجرانيت الوردى اللون يمثل حتشيسوت بجوار آمون . وقد قدم للأمير ، لكى يقام على نفس الشاطئ الذى رست عليه سفن الاسطول البحرى الصغير .

ولقد استطاع « علماء اصول السلالات البشرية ومميزاتها » فى عصر حتشيسوت ان يدونوا ملاحظاتهم على أوراق البردى ، لكى تنتقل على جدران « الديبر البحرى » لمختلف مظاهر حضارة بلاد بونت ، حيث اكتشفوا ان اهلها هم خليط من الحاميين الاصليين - قد يرجعون وفقا

لاعتقادنا الى نموذج اثيوبي - ومن بعض المخلطين والسود . وكانوا يعيشون فى اكواخ تقام فوق ركائز واوتاد ، ويتم الصعود اليها بواسطة سلالم متحركة . اما القرى ، حيث يكثر بغزارة نخيل الدوم - كان قد ظهر من قبل فى النوبة - فهى الى حد ما قرى نيلية . ولكن تنمو بها اشجار البخور واللبان التى تنتج الدهانات والصمغ اللازم لتعطير معابد آمون .



شكل (٢٢) ملكة بونت وزوجها

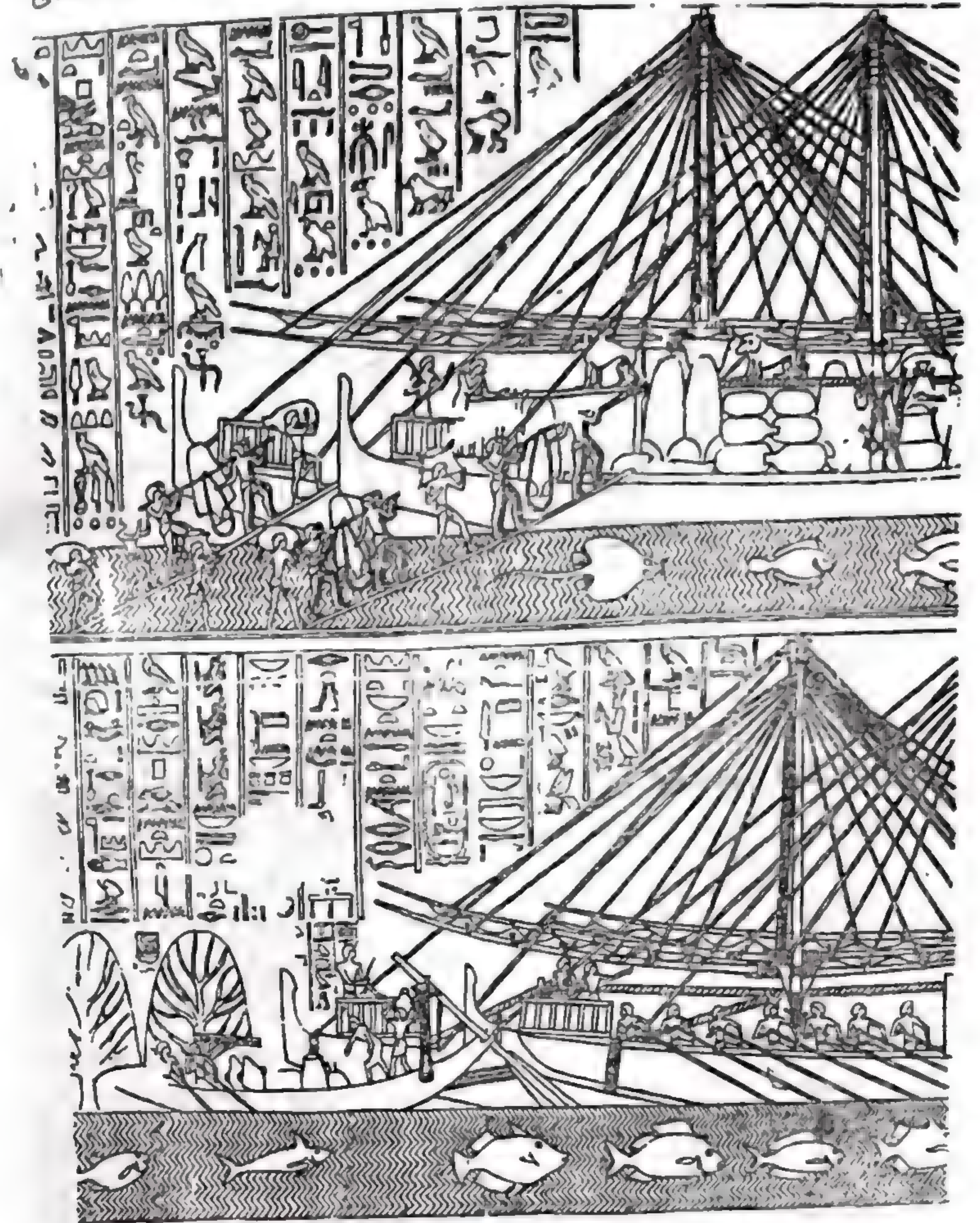
### العودة الى مصر :

واصبحت المنطقة المتاخمة للميناء شعلة من النشاط والحركة . وفى الوقت الذى كان فيه العلماء الملاحظون الذين اوفدتهم الملكة ، ينتشرون فى انحاء المنطقة ، كانت الأوامر قد صدرت للبحارة بتجميع كافة المنتجات التى كانت ستشحن على الفور : مختلف انواع العطور ، والمعادن ، وأنواع من خليط المعادن الثمينة ، منها الالكتروم ، الذى كان كيميائيو الملكة سيقومون بتحليله عند رجوعهم الى معاملهم وانتاجه صناعيا بعد ذلك . وضمن البضائع كان يوجد ايضا ، اذياب الفيلة ، « وعصى » رقيقة من الأبنوس ، وجلود فهود الجنوب ، والفهود الحية وقد امسك بزمامها ، وزرافة ، ونمور ، وقرود الرباح ( نوع يعيش فى السودان والحبشة ) التى كانت تقوم بالعابها الغريبة فى اركان السفن ، وبعض الأبقار ، واحجار المالاخيت ( الدهنيج ) ، والتوابل وقشور الاشجار المعطرة مثل القرفة . وتم وضع كل ذلك فوق ظهر السفن ، حيث كان يصعد ، بكل حرية ، بعض اهل بونت الذين يتشوقون لأرض الفرعون ،



ومنهم : النساء ، والرجال والأطفال . وكان هناك أيضا ، ذاك الشيء المبهر : احدى وثلاثون شجرة بخور ، غذيت جذورها ، بكل عناية بقدر من تربتها ، ووضعت لحمايتها داخل سلال كبيرة .

تري هل كان من الممكن أن تعود مثل هذه الحملة الى طيبة عن طريق البحر الأحمر ، في حين أن الأمر كان يستلزم تغذية وارواء اعداد من البشر والحيوانات ، وتوفير مياه عذبة لرى الاشجار التي كانت عملية تأقلمها تعد بدون ريب ، من الاهتمامات الرسمية ؟ عموما ، فإن احدى



شكل (٢٤) منظران لسفن الحملة الى بونت أثناء شحنها

كتابات اسوان التي ترجع الى الأسرة الثامنة عشرة ، قد ذكر بها اخبار استكشاف بلاد بونت : وفيها ذكرت النمرور والفهود ، والقروود التي وجدت بهذا البلد ، وكذلك الروائح والعمطور . . . . . فهل هناك لزوم أن نذكر بأن اسوان والشلال الاول يقعان بمصر عند مدخل النيل ، القادم من اعماق افريقيا ؟

في العام التاسع ، اقيمت في طيبة مظاهر الابتهاج والفرح الكبرى . حيث قامت الملكة ، ويجوارها ، تحتمس ، بالاشادة جهرا وعلنا امام « سننموت » و « نحسى » ، بما حققته الحملة من نتائج . واقام عرض لكل ما جلب من بونت ، وتم احصاؤه ووزنه وقياسه ، اما الاشجار التي كانت تلقى كل العناية فقد تم غرسها ثانيا في الحديقة المقدسة بالدير البحري . وكذلك منح « نحسى » قلادة ذات اربعة صفوف ، ( وسام رفيع ) ، واسلحة ذهبية . ولا شك مطلقا ان حالة الازدهار والامان التي كانت تعم البلاد ، قد عملت على تحقيق وتنفيذ الحملة التجارية الاولى الكبرى ، وعملت على تقوية سبل العلاقات والتبادلات السلمية بين مصر وبلاد اقصى الجنوب .

### نفرو رع

كانت الاميرة نفرو رع التي ورثت عن أمها وظيفة « زوجة الاله » ، تحمل ايضا القاب « الابنة الملكية » التي يحبها والدها ( تحتمس الثاني ) ، « سيدة القطرين » و « الوصية على الجنوب والشمال » . ويلاحظ أن هذه الألقاب كانت تخلع على بنات الملك قبل نفرو رع وبعدها ، وهي لم تتزوج مطلقا . ممن كان سيصبح تحتمس الثالث ، الذي كانت تناديه بأخيها . . . وهي تبدو في شيء من التحفظ ، على جدران الدير البحري ، وكذلك في معبد « بطن البقرة » المحفور في الجبل بمصر الوسطى . ولكنها شوهدت مرارا خلال فترة صباها ، حيث كان من الممكن أن يلاحظ فوق تماثيل مربيها سننموت ، وجهها الشبيه بوجه القطة وهو ينبثق من بين أحضانها ، وهو يدثرها بمعطفه ، أو يجلسها فوق ركبتيه ، أو حتى يأخذها للتزده وهي بين ذراعيه . ولا شك أن خيال سننموت بأن يمثل في أوضاع متباينة ومختلفة ، غير مألوفة ولا تتطابق مع « النماذج » التقليدية ، لم يكن يقف عند حد . ولا شك أن تماثيله الكبيرة والصغيرة ، كانت لا تعد ولا تحصى ، فبالرغم مما تعرضت له من تدمير منظم ، فما زال يوجد منها حتى الآن خمسة وعشرون تمثالا .



وأمر أخيرة ، نستطيع أن نشاهد نفرو رع ، فوق إحدى لوحات  
سيناء ( بسرايط الخادم ) ، التى ترجع الى العام الحادى عشر من  
الحكم ، وهى تقدم القرابين للالهة حتحور . وتبدو مرتدية رداء طويل  
ملتصقا تماما بجسدها . على الطراز السائد فى هذا العصر ، والحيسة  
المقدسة فوق جبينها ، وقد اعتلت رأسها الريشتان المرتفعتان الخاصتان  
بوظيفتها الكهنوتية . أما سننموت المسئول عنها والمشرف على أمورهما  
فيبدو واقفا خلفها وممسكا بمروحة كبيرة . وهذا المنظر الذى يصور  
الأميرة الصغيرة وقد أصبحت فتاة شابة ، هى الصورة الأخيرة التى  
احتفظت لنا بها الآثار عنها ، ولقد توفيت نفرو رع ، فى حوالى العام  
الرابع عشر . وربما دفنت على مقربة من المقبرة الأولى التى حُفرت  
لأمها ، على جانب شق صخرى بوادى « جبانات القروء » ، خلف  
« وادى الملكات » .

### امتيازات سننموت

فى تلك الفترة ، كان سننموت قد تلقى تصريحاً ملكياً بأن يحفر  
لنفسه مقبرة أخرى للدفن ، داخل نطاق الدير البحرى ، على شمال  
المعبد ، حيث تؤدى بعض الدرجات وأحد الممرات القائمة تحته ، الى  
الحجرة الجنائزية . ويبدو أن الغرف الثلاث التى تتكون منها هذه المقبرة  
الجديدة ، لم تتم تماماً ولكننا نستطيع أن نشاهد فوق أحد الجدران  
سننموت وهو يقف فى نبجل واحترام منحنياً أمام أسماء حتشبسوت .  
وفى السقف ، وعلى بعد خطوتين من القاعة الثانية كان يساعد الملكة  
ووكيلها الأول قد أمر بنقش ملخص لبعض النصوص والمعطيات الخاصة  
بالعلوم الفلكية ، التى كان يجيدها اعادة فائقة ، بالإضافة لمنظر للسماء  
فى طيبة ، فى عصره : والناظر لهذا الرسم الذى يبين مجموعة الأبراج  
السماوية ، كثور الدب الأكبر ، وفرس النهر والدب الأصغر ( احدى  
رجليه الخلفيتين هى النجمة القطبية ) ، والملاحظ للاثنتى عشرة دائرة الكبرى  
التي توضح تقسيم السنة الى ثلاثة اقسام موسمية ، كل منها يتكون من  
اربعة أشهر ، والمحقق فى الدرجات العشر من دائرة البروج ، الموضحة  
فوق الجزء الجنوبي من السقف ، وفى صورة « سوتيس Sothis »  
أكثر النجوم تالوا وضياء ، ضمن برج الكلب ، الذى يعاود الظهور فى  
السماء ، للاعلان عن موعد الفيضان ، يتبعه دائماً « Orian »  
الذى لا يستطيع أبدا اللحاق به ، والمتعرف على رمز المجرة ، سيتبين  
تماماً مدى غزارة وعمق علم وثقافة سننموت ، صاحب هذه المقبرة .  
وضمن بقايا وانقاض هذه المقبرة ، كانت بعثة « متحف المتروبوليتان »  
للتنقيب التى كانت تتفحص كافة أنحاء الموقع ، قد عثرت على جرة

للنبيل ، عليها تحديد العام السادس عشر ( الشهر الأول من موسم  
الآخت ، اليوم الثامن ) . ولا شك أن هذا هو العام الذى توفى فيه  
سننموت .



شكل (٢٥) سنموت

وقبل وفاته بفترة قصيرة ، سمحت له الملكة ، كنوع من التكرم  
والتشريف ، بأن يدون اسمه على جدران معبد الدير البحرى ، ( حيث  
حصر عالم المصريين الأمريكى ونلوك تكرار اسم سننموت ، حوالى ٧٠  
مرة ) وكذلك بالمعابد الأخرى . ولا شك أن الذين كانوا يطاردون الملكة ،  
قد قاموا بطبيعة الحال ، بمحو كل ما يتعلق بآثار نائبها ومساعدتها .  
ومع ذلك ، فإن سننموت كان يعرف قطعاً ، مزايا النقوش والناظر  
المستترة لتكون بمنأى عن الحيل والأعمال التى ترمى الى محوها  
وازالتها ، لتدمر مفعولها وتأثيرها . وبذا ، فقد قام برسم صورة  
شخصية له بالحبر متخفية وراء فتحات الأبواب ، بالمقصورات العليا  
بالدير البحرى . وقد بقيت الصورة فعلاً ، محتفظة بالشكل الجنائزى  
( بروفيل ) لوجه شخصيته وما زالت تفرض نفسها حتى الآن . وكان  
وجهه مستطيلاً الى حد ما ، ويعطو رأسه شعر قصير مستعار على نمط  
سكان الثوبة ، وأنفه عظيماً ، وتحمل وجنتيه آثاراً تشريط ، عند مستوى  
قاعدة الأنف ، لحزين من مميزات سكان هذه المنطقة . وحتى الآن ،  
نرى آثار هذا التشريط على وجه الكثير من النوبيين المسنين .



لقد صاحب سننموت الملكة ، دون توقف ، طوال الستة عشر عاما الأولى من حكمها : كما ارتبط بوريتها « نفرو رع » ، فى الرقت الذى كانت فيه حتشبسوت مجرد « الزوجة الملكية العظمى » ، لتحتمس الثانى . ان هذا المساعد والمعاون البارح النابغة ، والمرشد ، وحامى العرش ، والمجدد القدير ، والحريص فى تعقل ، لا يستحق ، بكل تأكيد ، ان يطلق عليه لقب حظى الملكة ، الذى اراد البعض احيانا ان ينسبوه اليه ، والذي لم يقم بدوره ابدا . لقد كان سننموت ذا قيمة استثنائية وغير عادية ، وكان مستشارا لا نظير له . ترى ، هل كان له فى قلب المسحة مكانة خاصة ؟ عموما . ليس لدينا اى دليل على ذلك ، ولكن قد يكون ذلك غير مستحيل ، وبصفة عامة ، فبعد موته ، تفتقت قريحة بعض المغتابين ، كما سنرى بعد ، لكى يستمدوا من ذلك موضوعا للنقد والهجاء . وبما انه لا توجد اية أدلة مقنعة للاثبات ، فهذه اذن مجرد افتراءات وتكهانات . ومن ناحيتى ، ومع كل القيود والتحفظات التى تفرض نفسها ، فاننى اقدم فى السطور التالية ، نظرية ، قد تكون معقولة ومحتملة .

### وليد الحـب

منذ حوالى قرن مضى ، ظهرت فى « وادى الملوك » مقبرة لأحد الأشخاص القلائل الذين كانوا يقربون فقط من العرش ، ومع ذلك حظى بشرف الحصول على أحد القبور ، فى هذا الموقع المخصص للملوك فقط . وهذا القبر كان لشخص يدعى « ماى حر برعا » ، « حامل المروحة على يمين الملك » . ولقد ظهر هذا اللقب ، خلال حكم تحتمس الاول ، ولم يخلع الا على الشخصيات الشابة ، الوثيقة الصلة بالفرعون . وقد انعم هذا اللقب على سننموت ، خلال فترة شبابه ، التى يبدو انه قد استهلها فى العمل العسكرى : وكان « ماى حر برعا » هذا ، أحد أبناء « الكب » ، وتم تعليمه وتربيته بمدرسة القصر . وكان ، بكل تأكيد ، نوبى الاصل . فان البردية الجنائزية الرائعة التى صاحبته ، كهدية ملكية فعلية وضعت بسقبرته تبينه ببشرة ابنوسية وقد اعتلى رأسه الشعر المستعار القصير المجدد على طريقة اهل الجنوب . ولا شك ان هذا المستند يعد على درجة قصوى من الاهمية : ويمكن مشاهدته فى الطابق الاول بالمتحف المصرى ، حيث يعرض على طول أحد الجدران الكبيرة . وقد بينت مومياء هذا الشخص ما هو أكثر من ذلك : ففوق تابوته الذى كان هو الآخر هدية من الفرعون ، ظهر كل من الخرطوش واللقب الملكى لـ « معات كا رع » . ان هذا الشاب كان « ثمرة زيجة غير متكافئة » ، وتمت اعالته وتربيته فى نوع من السرية بالقصر .

### اعبياد « الأوبت Opet » الكبرى

يتميز العام السادس عشر من الحكم ، بأهمية الاحتفالات التى اقيمت فى انحاء المملكة . ففي هذا الحين حاول سننموت الذى كان على وشك التوارى ان يحضر هذه الاحتفالات . وولت الى امنحنب الوكيل الجديد للملكة مهمة الاعداد لأعياد العام الجديد الذى يتوافق مع ظهور النجمة سوتيس Sothis معلنة عن بداية الفيضان . وعلى جدران مقبرته فى طيبة (٦) ، نرى رسوما تمثل منظر الهدايا الفاخرة التى قدمت الى الملكة فى هذه المناسبة ، وفى هذه الفترة قررت الملكة ان تحيي ذكرى يوبيلها الكبير ، لان مظاهره الفخمة الباذخة كانت ستعمر على تأكيد تنويعها : وكانت الضرورة تستلزم ان تزيد من تدعيم السمات الأساسية للاحتفالات الدينية . وقد اختارت التوقيت الذى يتم فيه الحج نحو الاقصر ، لكى تعد ، او تعيد اعداد احتفال فريد من نوعه لعيد يشاهد خلاله ثالوث آمون وهو يفادر الكرنك فى موكب عظيم متوجها نحو « حريم » الاقصر (٧) . وكان هذا هو عيد « الأوبت » : ومن اجل حتشبسوت ، وفى نطاق « حريم الجنوب » هذا ، اقيمت ثلاث مقاصير مشتركة ، كان الغرض منها استقبال مراكب كل من أعضاء الثالوث المقيم بالكرنك : آمون ، وموت ، وخنسو .

وتكون كافة المناظر التى سنشير اليها زخرفة المقصورة الخاصة بموكب آمون ، التى شيدت بناء على أوامرها ، فى الفترة الواقعة ما بين العام السادس عشر ، والسابع عشر من الحكم : وفيها تطالعنا قواعد رقيقة الشكل ، مستطيلة ، من الحجر الكوارتزيت الوردى اللون ، ومخضبة باللون الأحمر ، ولا يزيد ارتفاعها عن ذراع واحد ، وهى تركز على ركيزة سوداء يبلغ ارتفاعها حوالى ذراعين عليها نقوش « محفورة » مخضبة باللون الأصفر . اما المعبد الذى كان يسبقه بهو ، فقد كانت تقع على جانبية حجرتان صغيرتان . وفى تلك الفترة ، كانت هذه المجموعة تقع فى فناء الكرنك أمام الصرح الرابع الذى كان حينئذ بمثابة الواجهة الغربية للمعبد . وبعد ذلك قام تحتمس الثالث



بفك أجزائه ، لرغبته فى أن يستغل المساحة كلها لاقامة « قاعة الحويلات » الخاصة به ، وفى وسطها أقام مقصورته الخاصة « بالركب » من الجرانيت الأحمر . ومن حسن الحظ ، أن جزءا من هذه القطع الحجرية الرائعة ، قد أدمج كمواد بناء لحشو الصرح الكبير الذى أقامه أمنحتب الثالث ، أمام منشآت من سبقه من الملوك . ولهذا ، فإن حوالى ٢٩٦ من أحجارها - والتي ما زال ينقص منها الكثير - قد استمدت من هذا النصب ومن العديد غيره بالكرنك عام ١٨٩٩ بواسطة المعماريين العاملين بإدارة أعمال الإصلاح والترميم بمصلحة الآثار .

وبالرغم من أن نقوشاتها ذات قيمة فنية نادرة ، فإنها ولسوء الحظ ، لا تسمح بإعادة ترميم زخارفها كاملة . ولكن ما بقى منها يعد ثريا جدا بالمعلومات ، حيث حفظ بفضل إعادة استعماله فى منشآت لاحقة ، وهو يتضمن مجموعة من المناظر السليمة الكاملة .

ولقد عثر على النص الكامل الذى يتحدث عن المراحل الأولى من حياة حتشبسوت ووحى آمون رغم الدمار الذى لحق بمعبد الديسر البحرى ، وعثر كذلك معه على مشاهد تقديم القرابين ، والطقوس المرتبطة بمراسم التقديس . كما أن حوارها وعناقها مع الإله آمون مين الخالق ، « كاموت اف » ، التى كانت تستمد منه القوة وأمامه الطيب والعطور والذهب الوارد من بلاد بونت ( لتذهيب المباني ) ، صورت جميعها للتذكير بالحملة الكبرى . وتشاهد حتشبسوت أيضا ، وهى تؤدى الطقوس من أجل انشاء المعابد ، وانشاء الأعياد الكبرى التى كان يتم خلالها انعاش واحياء التماثيل الملكية . وقبل كل شيء ، كان عيد الأوبت يتصدر كافة المناسبات فى العام السادس عشر ، حيث كانت قد قررت الاحتفال باليوبيل الأكبر لحكمها . ويبدو تحتس حاضرا فى هذا الاحتفال ، ولكنه كان يقف خلفها ، ولقد أشير إليه كملك : « الإله الحى ، سيد القطرين » . أما الملكة فقد كانت تحمل المقاب : « ملك الجنوب والشمال ، والسيد المتصرف » .

وبذا ، تبين لنا لأول مرة ، مختلف مراحل هذا العيد ، الذى كانت مظاهره الشعبية تشاهد فيما بين الكرنك والأقصر . حقيقة أنه قد عرف سياقه وخطواته ، المثيرة للعجاب ، بفضل النقوش البارزة التى حملتها وخبائتها مجموعة الأساطين الضخمة للملك توت عنخ آمون بالأقصر ، ولكن تبين أن حتشبسوت هى التى قامت قبل ذلك ، بتحديد مراحل الأساسية ، والرقصات المقدسة حيث تقوم الراقصات بتأدية المنظر الشعائرى الممثل لتمارين بهلوانية على أنغام آلة الصلاصل الصاخبة التى تعزف عليها الكاهنات . وكان يتم استقبال مركب آمون

المقدسة ، على الطريق المؤدى الى الأقصر فى عدة مقاصير (استراحات) ابتكرتها الملكة ، حيث يتوقف المركب عندها . ولقد اتفق على وجود ستة منها (٨) . وصورت أشكالها على جدران المقصورة الحمراء ، وهى على شكل جوسق ذى درجين متقابلين ، من أجل دخول وخروج المركب المقدسة .

وابوابها كانت محاطة بصور حتشبسوت وهى فى هيئة الإله أوزير . وفى مثل هذا الوضع اليوبيلى ، كانت الفرعونة تستعد لتدعيم وتقوية طاقتها الإلهية ، بواسطة تجديد الكا الخاصة بها ، بداخل معبد « الحريم » : الأوبت ( الأقصر ) ، وكان هذا يؤهلها ، بدون شك ، لأن تحتفظ فى المراسيم الملكية بلقب « صاحبة الصفات القوية » ، بدلا من لقب « الثور القوى » ، الذى كان يحمله الملوك الآخرون ، والذى لم يكن يلائمها . ولا شك أن تلك المبادرة لهذا الاحياء ، من جانب الملكة ، قد سار على نهجها الكثيرون من الملوك أمثال حور محب ، حتى يعاوا على التصديق على تتويجهم فى مناسبة عيد الأوبت . وخلاف ذلك ، وفيما يختص بالمذابح التى أقيمت من أجل هذه الاحتفالات ، فالجدير بالذكر ، أنه قد عثر على آثار مبنى على هذا النمط ، أمام المعبد الصغير الخاص بالتحامسة فى مدينة هابو ، كما عثر على بقايا مبنيين آخرين مماثلين على جانبى طريق الكباش المؤدى للمنطقة المقدسة بالدير البحرى .

### المسلقان المكسوتان بالالكثروم

لقد ساعد الاعداد لكافة الاحتفالات منذ العام الخامس عشر من الحكم على أن تقوم حتشبسوت وهى فى قصرها الهادى ، بالتخطيط لعمل ضخيم يمكن أن يرضى أباه آمون . لقد أوحى لها أبوها آمون ، بأن تقيم مسلتين جديدتين ، تكرسهما له فى قلب ردهة تحتس الأول ، بين البوابتين الرابعة والخامسة بالكرنك . ولقد سرد هذا العمل ، على قاعدة المسلة التى مازالت متبقية فى مكانها حتى الآن ، والتى يبلغ ارتفاعها ٢٨ مترا .

« ( ..... ) هانا جالسة فى قصرى ، وأفكر فىمن خلتنى ( آمون ) . لقد دلتنى قلبى أن أقيم من أجله مسلتين من الالكثروم ( ..... ) ، وهنا بدأت أفكر ، فيما سوف يقوله البشر الذين سيرون هذا الصرح ، بعد سنوات عديدة ويتحدثون عما أنجزته » .

ولكن عندما بدأت الملكة تستشير « حابو سنب » ، وسننموت ، وبوى أم رع ) ، الذين كلفوا بتطريق المعدن على شكل المسلات الحجرية ،



عامت أن الالكتروم الذى استورد من بلاد بونت والذهب الذى كان يمكن وقتئذ تصنيع المسلمين منه ، والمخزون فى خزانة آمون لا تكفى كميته ، لتنفيذ رغباتها . ولذلك قررت الملكة ، وهى لا تتخلى تماما عن مشروعها أن تضى على هاتين المسلتين الجديدتين ، لمعانا وبريقا ، لم تكن تغطى به ، حتى ذاك الحين ، سوى قمم الأهرامات ، وأن تغطى سطحيهما تماما بالالكتروم :

« فيما يختص بالمسلتين اللتين أمرت جلالتي بأن تكسوا بالالكتروم ، من أجل أبى آمون ، من أجل أن يدوم اسمى ويخلد فى هذا المعبد حتى نهاية القرون : لقد صنعت كلا منهما من كتلة واحدة من الحجر الجرانيتى الصلب دون وصل ( ٠٠٠٠ ) لقد فعلت ذلك من أجل آمون كدليل لتعلقى وحبى الشديد له ، وكما يفعل أى ملك حيال ربه . اقد كنت أرغب رغبة شديدة فى أن تصهرا من مادة الالكتروم ( وبما أن هذا كان مستحيلا ، فقد عملت على الأقل ، على أن يغطى سطح المسلتين ( بالالكتروم ) » .

وتفيدنا الملكة علما ، بأن هذا العمل قد تم تنفيذه خلال سبعة أشهر فقط ، ابتداء من اقتلاع المسلتين من محجر أسوان ، حتى نقلهما الى مكان اقامتهما بالكرنك : وقد تم ذلك فى اليوم الأخير من الشهر الرابع من موسم الفيضان ، وقام « بوى ام رع » بتغطية المسلتين بالالكتروم بمساعدة أحد المتخصصين فى صناعة المعادن النفيسة ويدعى « نوتى » ، وما زالت الخطوط الجانبية التى تثبت بداخلها رقائق الالكتروم واضحة حتى الآن ، فوق سطح إحدى المسلتين التى ما زالت قائمة فى مكانها . أما مثيلاتها ، المحطمة ، التى وجدت على طريق البحيرة المقدسة ، فما زالت باقية من خلال قممتها الهرمية الرائعة ، التى احتفظت لنا بمنظر الملكة وهى راكعة عارية الجذع تماما وكأنها ملك شاب ، وقد أدارت ظهرها لصورة آمون الكريمة ، الجالس على عرشه ، وهو يحاول أن يثبت تاج الملك « خبرش » فوق رأس من اصطفاهما . ولقد بلغ حجم هاتين الكتلتين الطويلتين ، الرشيقتين ، المصنوعتين من الجرانيت الوردى ، حوالى ١٤٠ مترا مكعبا ، وبلغ وزنهما حوالى ٣٢٠ طنا . أما السفن العشر اللازمة لنقلهما بمحاذاة النهر ، والتى زودت كل منهما بـ ٢٢ بحارا وعاملا ، فقد انسابت هابطة نهر النيل تحت اشراف الضابط « نتي ام رع » ، والامير « ستب تاو » وكيل كهنة مدينة « ثنى » ، وكذلك « مين موسى » .

وحقيقة أن حتشبسوت لم تحضر بالفعل مراحل تلك المغامرة ، ولكن الاهتمام الشخصى الذى كانت توليه لها ، قد بينه وجود عرشها

ومروحتها الملكية الكبرى ، فوق سطح سفينة القيادة . ولقد بلغ طول سفينة النقل حوالى ٨٢ مترا . وتم انجاز هذا العمل تحت ادارة ومسئولية خليفة « سننموت » الذى يعتقد انه كان مريضا فى ذاك الحين . انه امنحبت الذى كان يشغل وظيفة مدير الأعمال ، ويقوم ايضا بوظيفة مدير البيت الملكى ، والذى كانت الملكة قد قلده اياها منذ وقت قريب ، ولكنها كانت قد طلبت منه عملا يتطلب الكثير من الجلد والقوة . الا وهو ادخال هاتين المسلتين فى بهو الاساطين الخاص بأبيها . ولقد استلزم هذا الأمر ، أن يتم فتح ثغرة كبيرة فى أحد الجدران بل وهدم سقف البهو نفسه ، بالإضافة الى الاطاحة بأربعة اساطين بنفس البهو جهة الشمال ، وكذلك اسطونين آخرين جهة الجنوب . ومن المحتمل أن الاتجاه المضاد لازاحة المسلتين من البهو ( بعد حكم حتشبسوت ) لم يكن من الأمور الهينة . ولذا فعندما أراد تحتس الثالث أن يخفى هذين الشعاعين الشمسيين المتحجرين اللذين جرذا من غطائهما المصنوع من الالكتروم ، استدعى الأمر اقامة حائط كبير أمامهما ، يبلغ طوله ٢٢ مترا . ولقد بينت بعض الحسابات ، أنه يجب الوقوف بعيدا عن المسلتين بما يزيد عن مائة متر ، حتى يمكن تمييز المنظر الأخير عليهما .



## نهاية حكم حتشبسوت

### وبداية

### حكم تحتمس الثالث

تنقصنا معلومات كثيرة خاصة بالفترة الواقعة ما بين العمام السابع عشر ، والعام الثانی والعشرين ، أى الفترة التى انمحت فيها تماما ، آثار حتشبسوت . ويبدو أن مصر كانت لا تزال تتمتع بالاستقرار والهدوء اللذين ميزا الفترة السابقة . وفى العمام الثامن عشر ، تم الانتهاء من نقوش جدران الدير البحرى ، بالرغم من أن المبنى نفسه لم يتم الانتهاء منه تماما . وكانت الملكة قد أمرت أيضا ، بإقامة الصرح الثامن بالكرنك ، والذي كانت ستمر منه المواكب ، يتلوها ممر انتصارى . ولكن تحتمس الثالث قام بأجراء تغييرات فى هذا الموقع . فأقام جدراناً عالية لتحديد هذا الممر من ناحية الشرق ( وقام أمنحيب الثانى بتزيين الواجهة الجنوبية للبوابة الثامنة بأخبار مآثره وبطولاته ) . ومع تزايد سلطة وسلطان تحتمس خلال العام السادس عشر ، ثم بصفة خاصة خلال العام العشرين قام باسم الفرعونة وباسمه هو أيضا بقيادة حملة إلى « سيناء » تركت الكثير من الآثار « بوادى المغارة » . فهناك ، مثل المكان ، لآخر مرة معا : ماعت كارع وهى ترتدى تاج الخبرش الذى يرمز للملك ، أمام الإله أنوريس وتحتمس الثالث ، وهو يضع على رأسه تاج الوجهين ، ويتعبد للإلهة حتحور . ومنذ العمام الحادى والعشرين ، لم تعد حتشبسوت تظهر فى التماثيل والنقوش ، حتى نستطيع أن نجزم بأنها كانت ما تزال باقية حينئذ ، على قيد الحياة . وعلى العكس ، فيبدو أن تحتمس قد أمسك نهائيا - وبمفرده - بالسلطة العليا منذ العام الثانى والعشرين ، واستولى على المتصورة الحمراء بالكرنك ، وأمر بأن تحفر عليها نقوش خاصة به فوق الأماكن الخالية من أى مناظر . وبعد فترة وجيزة أمر بأن تنزع عنها الكسوة المصنوعة من الالكتروم من أجل إعادة استعمالها فى أعماله الخاصة وربما يكون قد أطاح ببعض صور وأشكال الملكة . ثم أمر بعد ذلك بهدم المبنى ليقيم مكانه منشآت أخرى ، كرسست من أجل التذكير ببطولاته وإنجازاته الكبرى بهذا الجزء من المعبد ، الذى كان بفضل أجداد الأسرة .

ونفس الكتل الحجرية الخاصة بالمقصورة الحمراء تحمل اشارات عن معبد ( جسر أخت ) الذى كان ابن أخى الملكة ، قد بدأ قبل ذلك ، بمباركتها وموافقتها فى تشييده . جنوب « جسر جسر » ، مهيمنا على المعبد المهيبن الخاصين بـ « مندوحتب » ، والفرعونة . ولمرات عديدة لوحظ أن الملكة ، منذ بداية « وصايتها » ، الغربية من نوعها ، لم تكن تتوقف عن إشراك الشاب تحتمس فى كافة المنشآت خلال فترة الحكم . والدليل على ذلك ، يوجد سواء فى النوبة ( مقصورة قصر ابريم ) ، أو فى مصر نفسها ، بالكرنك ، والدير البحرى على سبيل المثال ، حيث كان الاثنان يتعمدان للإله آمون خلال « عيد الوادى الجميل » ، وكالات مركبهما تنسابان معا فوق مياه النيل . وشوهدا متجاورين أيضا ، فى المقصورة الحمراء بالكرنك ، وفى المعابد المحفورة فى الجبل فى منطقة مصر الوسطى وحتى سيناء ، وأيضا فوق بعض التماثيل وبعضها خاص بسننموت ، كما شوهدت صورهما كمعاصرين ، فوق بعض الزخارف المعمارية والحلى والجعارين .

ولقد أراد البعض على التوالى أرجاع السبب المجهول لاختفاء سننموت ، إلى انتقام مزعوم من جانب الملكة ، التى أقالته من مناصبه . ثم اتهم تحتمس أيضا ، بأنه لكى ينتقم من عمته قام بتدمير أعمالها وإنجازاتها الأساسية . وبدوره ، فمن المحتمل أن يكون سننموت كان ضحية انتقام ابن الأخ الذى كان يضم حقدًا وغلا فعليا ضد الشخص المفضل لدى حتشبسوت . ولكن كل هذه النظريات لا تركز على أساس الفرض لدى حتشبسوت . ففيمما يختص بوكيل حتشبسوت ومساعدتها الأول فعلى . وعموما ، ففيمما يختص بوكيل حتشبسوت ومساعدتها الأول سننموت ، فإن بعض هذه التكهينات المذكورة قد انهارت من أساسها من تلقاء نفسها ، فقد عثر فى معبد تحتمس الثالث ، المطل على الدير البحرى على تمثال لسننموت منقوش على ذراعه الأيمن الخرطوش الخاص بتحتمس الثالث . والمجموعة الموجودة بمتحف القاهرة التى تمثل سننموت وهو يحمل فوق ركبتيه الصغيرة « نفرو رع » ، عليها نقوش تبين بدون أى غموض أو إبهام أن من حق هذا التمثال الاستفادة من القرابين المقدمة أولا إلى تحتمس الثالث . ومثل هذه الاشارات والتوضيحات ، تساعد على الاعتقاد ، بأن سننموت المستشار الملكى الأول الذى كان يدين بالولاء الشديد للملكة قد أثبت ولاءه نحو الملك الشاب أيضا . ويستلزم الأمر إذن ، أن نساو الرجوع إلى كافة النظريات والتكهينات المقدمة فى هذا المجال ، وأن نتساءل عن حقيقة الخلافات والمشاكل التى عارضت ما بين الشريكين فى الحكم و « الأوفياء » لهما ، لا « المشايخين » لآى منهما .



امسك تحتس الثالث بمقاليد الحكم كاملة فى العام الثانى والعشرين ، اى فى اليوم العاشر من الشهر الثانى من فصل ، البوت ، ( فصل البذور وبدء الزراعة ) فهل كان حكم عمته يمثل هذا الشؤم والنحس ؟ فبعد مرور شهرين على هذا التاريخ اى فى الشهر الرابع من نفس الموسم ، استطاع تحتس على رأس جيش كامل الاستعداد فائق القوة ، ان يقوم باولى غزواته السبع عشرة المنتصرة فى قسار اسيا ، ويبدو ان الوقت كان قد حان لكى تؤكد وتدعم هناك بالموقع ذاته قوة وسيطرة الفرعون واخماد اية حركة من حركات التمرد المحتملة. ولم يكن كل ما قامت به حتشبسوت الملكة من اعمال ضارا او مجعنا بالبلاد ، او يفوق مقدرة ومسئوليات ملكة مصر ، بل العكس هو الصحيح .

### مضطهد الفرعوننة

لم يعثر حتى الآن على مومياء حتشبسوت ، ولم يوجد لها اى اثر فى الخبيثتين الملكيتين . ترى ، هل دفنت حقا ، فى القبر الفسيح الخالى من اى زخارف - الذى كان قد اعد من اجلها فى وادى الملوك ؟ حيث لم نعثر لها على اى اثر ، سوى نقشين من المخريشات المرسومة بالحبر وعلى درجة كاملة من الاباحية والفجور ، قد عثر عليهما فى مقصورة صخرية صغيرة باعلى معبدها بالدير البحرى ، ويبدو ان الفكرة من هذين الرسمين هو الابعاء بوجود علاقة مشينة مخزية بين شخصين هما حتشبسوت وسننموت وتفصح عن مواضع اثيرة ومرغوبة خلال عصر الرعامسة ، فخلال تلك الفترة ، اصدر بعض المعاصرين البرديات ، الماجنة ، الشهيرة ، والمحفوظة حاليا بمتحف « تورين » ، والى نفس هذه الفترة ، يجب ان تنسب عمليات التدمير الرئيسية لاشكال وتمائيل حتشبسوت - وكذلك صور وتمائيل امنحتب الرابع / اخناتون - والتي قام رمسيس الثانى بمحو كافة الاشارات والتنويهات الخاصة بها فى القوائم الملكية . وباعادته لاسماء آمون التى كانت قد هُشمت خلال البدعة الدينية الآتونية ، فمن المؤكد انه قام بمحو كل ذكرى للملكة . وبالفعل ، نشاهد على جدران الدير البحرى بعض الجمل القصيرة المضافة الى الكتابات الاصلية بأمر الملك ، والتي تقول ان : « اوسر ماعت رع » ( اسم التنويج الخاص برمسيس الثانى ) قد قام « بتجديد » هذا الصرح من اجل ابيه آمون ، وخلاف ذلك ، فمن الملاحظ ان تحتس الثالث نادرا ما كان يقوم باحلال اسمه مكان اسم الملكة ، كما ان ذلك لم يحدث مطلقا قبل العام الثانى والاربعين . ويحتمل ان

رمسيس هو الذى استبدل كل ما ذكر عن الملكة ، بالتنويهات والاشارات الخاصة باخيها غير الشقيق وزوجها تحتس الثانى ، وابيها تحتس الاول . وهذا التصرف الذى بقى غير معلل وموضح لفترة طويلة قد ساعد كثيرا على جعل اية محاولة للاقتراب من الشخصية الفريدة من نوعها التى تتميز بها الفرعوننة حتشبسوت ، امرا معقدا وشائكا .

### حتشبسوت ، ملكة عظيمة ومجسدة

لا شك ان حتشبسوت كانت المحركة والمحرضة على دفع حركة التجديد والابتكار التى استوحى منها تحتس الثالث الكثير . فهو لم يكتف فقط باستكمال تشييد معبدها فى الدير البحرى ، بل واكمل ايضا البوابة الثامنة بالكرنك . وفى العام الثالث من حكمه المنفرد ، تلقى من حاكم بلاد بونت اربع اشجار جديدة من اشجار البخور ، صورت ايضا بمقبرة « بوى ام رع » ، احد كبار موظفى الملكة السابقين الذى استمر فى خدمة تحتس بكل الولاء والاخلاص اللذين كان يكتنهما للملكة . وعندما امتلات خزائن آمون على اثر فتوحات الفرعون الفازى ، وباتت قادرة على بذل المعدن النفيس بوفرة ، صنع « بوى ام رع » نفسه لتحتس الثالث مسلتين من الالكتروم المصمت كان قد عجز عن تنفيذهما فى عصر حتشبسوت . ولقد ورد ذكر هاتين المسلتين على اسطوانة مغطاة بكتابات مسمارية باسم « آشور بانيبال » (٩) . ووفقا للنص الآشورى ، فان كلا منهما كانت تزن ١٢٥٠ تالنتا ، اى ٢٧٨٧٥ كيلو جرام ( حوالى ٢٨ طنا ) : وقد حملها « آشور بانيبال » غنيمة الى بلده . واضحى الكثير من اعمال الملكة السابقة مدرسة يحتذى بها . فقد استلهم تحتس من اهتمامها بالحيوانات ونباتات البلاد الغربية ، فاحضر بدوره عند رجوعه من غزواته بآسيا نماذج منها كون بها حديقة نباتاته الشهيرة بالكرنك او على ما صور به هذه الحديقة . اما الهيكل الشمسى المفتوح للسماء بالدير البحرى فهو الاصل والنموذج الذى نهج عليه عند اقامة الهيكل الشمسى فى شمال صرحه المسمى بالآخ منو Akh-Menou بالكرنك . كما اقسم صورته بالمعبد الشرقى ، حيث صورت الملكة بصحبة آمون . وكانت حتشبسوت قد اقامت نوعا من المعابد الصغيرة يبتهل فيها رعاياها الى الارباب .

ولقد اغتصب رمسيس الثانى هاتين المقصورتين ، واحتفظ بهما فى نفس موضعهما ، واقام على مقربة منهما معبدا او مقصورة لآمون



باسم ، آمون مجيب الدعاء ، . كما يوجد أيضا في أبي سمبل ، على  
يسار الداخل الى المعبد الكبير ، الهيكل الشمسى الذى كان قد اقامه  
قبل ذلك من اجل ابيه سيتى الاول ، والذى كان قد استوحى نموذج  
من معبد القرنة .

وقد اتمت حتشبسوت ، وربما سنموت ، بالعقيدة الأوزيرية اهتماما  
كبيرا سابقا لعصرهما ، وقد احتذى امنتب الرابع حذوهما من بعدهما ،  
ولكن في صورة رمزية تعبر عن رسالة اوزير الخفية التى يحملها للارحبال  
التالية ، وكانت حتشبسوت قد تجاسرت على تصوير نفسها في يوبيلها  
في هيئة اوزير المتوفى بضمائماته وهو يمسك بصولجانيه ولكنها امسكت  
برمزين لتجدد الحياة كل يوم وهما ، العنخ ، و ، الواس ، اللذان  
يرمزان للشمس وربها رب الحياة . ولا ريب أن الكهنة لم يستطيعوا ان  
يغفروا لها مطلقا هذا التصوير الصريح الذى بدا يجرد السر القديم  
الخفى من غموضه الذى اكسبه القداسة ، وهو الغموض الذى استطاعوا  
أن يحيطوا به الاسطورة والشعائر الأوزيرية احاطة تامة .

جلبت حتشبسوت على نفسها ، مثلها كمثلى امنتب الرابع  
( اخناتون ) الخزى والعار من وجهة النظر الدينية الرسمية . اذ تنم  
نقوش الكثير من منشآت ، وكذلك منشآت معاصريها المقربين عن  
ارهاصات بالوحدانية الكامنة . التى استوحى منها ، باحرى ، امير  
الكاب El-Kab ، والرعى على اخوى الملكة ، باحرى ، امير  
أشار في نصوص مقبرته الى أن مآل الموتى بجوار الاله الواحد .  
« الكامن بداخل البشر » ، « رب الحكماء » ( ١٠ ) .

« ليتك تلحق بمكانك في رب الحياة ( . . . . ) » وبذا ، سوف  
تأمل « رع » عند أفق السماء . وسوف ترى آمون ، عندما يشرق  
( . . . . ) ، وسوف تطرد عن نفسك كل مساوىء الأرض ، وسوف  
تمضى الى الأبد في طمأنينة وسكينة القلب ، فتتال خطوة الرب الكامن  
بداخلك .

كما أن كامن الملكة الكبير ، المدعو « حابو سنب » ، لم يتوان  
عن تقديم الدليل على تصوفه ، اذ قال :

« لقد انطلقت نحو موضعى السرمدى ، وحلقت روى فى السماء ،  
بينما بقى جسدى مسجى فى قبرى : لقد لحقت بربى » .

ولا شك أن هذا التحرر الذى قد ينزلق الى المساس بعقيدة عتيقة ،  
لم يغفر مطلقا للملكة ، ولم يقبل لفترة طويلة خلال حكم اخناتون الذى  
اراد أن يجعل منه منهاج حياته . وبذا ، يجب أن ننسب مثلا ، الى كل

من سيتى الاول ، ورمسيس الثانى أعمال العنف والقسوة الفعلية حيال  
هذين الملكين . لقد استعاننا بكل السبل والوسائل ، لمحاولة محو كل  
من اخناتون وحتشبسوت من التاريخ .

ومع ذلك ، فمن المؤكد ، أن روح وصحة وصواب ذلك الاصلاح  
الدينى ، قد أيقظ فى رمسيس الثانى ، حاسة الانتهازية . فادانه صراحة  
« علنا » . ثم بعد ذلك كآى مغتصب محنك ، أخذ يعبر عنه بلغة  
رمزية كفيلة بالآ تصدم الشاعر التقليدية : ففي نفس الوقت الذى يبدو  
فيه من أكثر الثالبيين ( العائبين ) المغتابين قسوة وشراسة للثانين ،  
عمل بشكل ما على تكملة اعمالها ، ولذلك فإن رسالة حتشبسوت  
الآخيرة بدلا من أن تختفى وتنمى من الوجود أصبحت حقيقة واقعة .



## الجزء الثالث

# المرأة في مصر



## المرأة الحرة والأمة

### المصرية

#### مكانتها في المجتمع

يبدأ تاريخنا على مدى آلاف السنين في حضارة النيل المصري ، وفي الوقت الذي بدأت فيه الظروف تغير بالتفكير - أو بالتشكيل - عن استخدامات معيشتها وأحوال حياتها ، تطالعتا صورة الرجل أو المرأة ، من في الأمر والمثل الذي اختارته من أجل الطبيعة ، وفي هذا الإطار صور الرجل كمحارب ، وصالح ، وربما ملحق أيضا ، أما الصورة الأنثوية ، فهي تغير عن الحب ، والخصب أو الضاركة الوجدانية ، أي الحسية ، والأم ، والبلابية الناعمة ( أو اللينة ) ، والتي تثير الحب والرجية ، والتي تعطي الحياة للولود أو تعني باليت الرامل تحسوا لبيت وظلوه ، ودخلت إطار نفس هذه الأمور الأساسية قبل المرأة مرغوبة ومشتية ، محترمة وعالية ، ومهما كان الأمر ، فهي تجسد نوعا من الجاذبية ، والضرورة ، والتعزية .

ولهذا ، نجد أن الصورة الأولى للمرأة المصرية في صور ما قبل التاريخ ، تبين لنا أجساما ذات تقاطيع منتظمة وموضحة في ثوب من الكتان غير الشدة عظام الوشيز ، وغالبا ما يحصلن على الترحيب على اعتبارا - في حين أن الفتيات أو الرقصات الجذائيات ، يتميزن بأوراق مائلة للاستدارة والامتلاء ، وخصور وألية نحيلة ، ونهوض صغيرة ، يسود دائما وقد دفن الزعن الرشيق الاستدارة فوق رؤوسهن في حركة دائمة مستمرة على آلاف السنين .

ويختلكت بعض التماثيل الصغيرة المصنوعة من العظام والجماع ، ببعض الصور الخاصة بأواخر العصر المصري الحديث ،



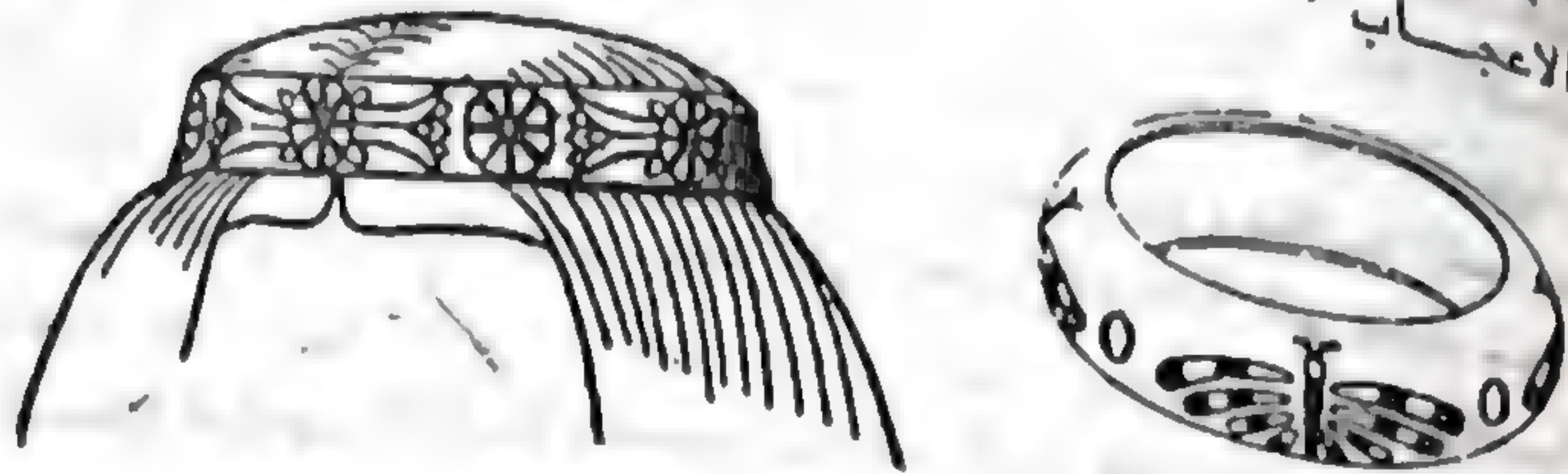
يمكن أن نلاحظ ، أنه منذ تلك العصور ، من عصور التاريخ ، كانت النساء تتدثرن بما يشبه المعطف ، تحلى إحدى كتفيه هذب من القماش على شكل ثنيات ، أو أن تتأمل بأعجاب تشكيل جسم دقيق التكوين كنموذج أنثوى : جسم ذو سيقان طويلة رشيقة ، وحوض متسع ، وخصر نحيف ، وصدر ناهد مرتفع . وبالنسبة للنموذجين المذكورين - المرأة العارية أو المرأة المرتدية ملابسها - يلاحظ الشعر البديع الساحر ، الطويل الى حد ما ، ذو الخصلات المنسقة ، التى تربط من الخلف بشريط أنيق معقود . ومنذ ذلك الحين ، لم تتخل المرأة المصرية عن هذا التائق والدلال الواضح للعيان الذى استمر خلال عدة قرون . ترى ، ما هو شعور وانطباع السائح وهو يتأمل صور هذه المخلوقة الساحرة التى تظهر بكثرة من خلال النقوش البارزة والرسومات على جدران المنشآت التاريخية ، أو فى المتاحف الكبرى للآثار ؟ ويداية من الدلائل الأولى وحتى آخر الآثار قبل مجيء الاسكندر ، توقف دائما نظر الزائر عند منظر السيدة الجالسة فى وقار وجلال أمام مائدة قرابين والندور ، أحيانا أمام زوجها ، وهما يتناولان القرابين معا من أجل راحتهم الأبدية . وهى تتجول بحرية كاملة فى ثيابها البسيطة أو المتأنقة وفقا للظروف ، فى الحقل ، أو فى المصنع أو الورشة ، أو من خلف مشاغل أمومتها فى بيتها ، أو وهى متزينة خلال إحدى حفلات الاستقبال ، أو الأعياد : انها تتساوى تماما مع زوجها . وفى هذا المنظر ، تكون بجوار زوجها - وقد أحاط بهما أحيانا ابناؤهما - تلك المجموعات الرائعة المنحوتة من قطعة واحدة من الحجر والموضوعة فى مقاصير المقابر . ولقد أراد البعض ، دون جدوى ، أن يفسروا التباين فى طول القامة أو وضع هذا الثنائى أو حتى وضع أذرعتهم بمثابة علامة من علامات العبودية أو اللامساواة : وبالتحليل تنهار هذه النظرية من تلقاء نفسها . فسواء أكان الرجل جالسا أم المرأة واقفة ( والعكس قائم أيضا ) وحجم الرجل يفرق ، فى معظم الأحيان ، حجم زوجته ، فإن ذلك يبين أن جسم الزوج يعتبر أكثر ضخامة وقوة من جسم زوجته الأقل ضخامة .

نموذج جسدى ، تائق واسلوب العصر :

أن تلك المجموعات تبين فعلا الشغل الشاغل والرغبة لدى كل مصرى فى : توافر الارتباط الوثيق بين الزوجين ، وارتباطهما بالخلية الأسرية .

أن كافة آثار مصر القديمة تبرز بوضوح هذا الجمال الخامى - السامى - شبه الأوروبى فى أغلب الأحيان - وتلك الرشاقة والأناقة

الطبيعية التى يتمتع بها أهلها ، والتى تزداد جمالا بالنسبة للمرأة خاصة التى تتميز عادة بلون بشرة أفتح من بشرة الرجل وبأناقة فى ملابسها وتائق وفطنة ودلال تبين عن رغبة أكيدة فى الاستحواذ على الإعجاب .



شكل (٢٦) اكليل وسوار

انها بكل تأكيد ، صورة للمرأة المثالية فى المجتمع الراقى ، ولكنه مثال يشد الانتباه ، ويجعل من يراه يحاول الاقتراب منه بقدر الامكان : قامة رشيقة ممشوقة ، نهذان صغيران ، قد ممشوق ، ساقان طويلتان ، وكلها نسب جسدية وضحت من خلال حقبة ما قبل التاريخ . وما يذكر أن البدانة وزيادة الوزن كانتا من الأمور غير المرغوبة تماما . فلم يعثر فى مقابر سيدات المجتمع الراقى ، على تلك الأواني الخاصة بنبات « شعر الأرض » وسيقان النباتات المائية ، وزهور اللوتس التى تعمل على اصفاء الاستدارة والامتلاء ، التى كان يفضلها بعض صغار الوجهاء والأعيان . أما الفلاحات فلأنهن كن أكثر تعرضا للهواء الطلق والشمس من سيدات المجتمع ، فقد كن يتميزن بلون أسمر يختلف تماما عن البشرة شبه العاجية التى كانت تتمتع بها معظم نبيلات طيبة .

وكانت أوضح علامات الاهتمام تركيز أولا على تصفيف الشعر ، فكانت تلجأ الى التلاعب بتشكيله على هيئة خصلات مضفرة أو متموجة . وقد اختلف تصفيف الشعر وفقا لاختلاف الحقب التاريخية وتباين الطبقات الاجتماعية ، فكانت الشعور المستعارة تحيط بالوجوه فى هيئة كتلة قصيرة ، ولكن جذابة وجذيلة ، أو تحيط بها أيضا فى هيئة حرمة ضخمة تنسدل الى ما بعد الثديين . وكانت الشرائط والورود تكمّل هذا التزين الأساسى من أجل السحر والاغراء والفطنة . وتطورت الثياب أيضا ، بداية من أكثرها تحشما الى أكثرها تكلفا وتصنعا ، وبداية من الرداء البسيط للغاية ، الى الثوب المنانق المصنوع من الكتان فى شكل كسرات ، تطورت دائما وفقا لنفس مبادئ الخطوط السليمة والترف والأبهة الذى لا يتضمن مطلقا أى اثر للمغالاة والافراط . ولكن



الاهتمام الدائم بأن تبرز معالم الجسم الانثوى دون أى تحشم مزيف ،  
كان هو القاعدة السائدة . ففي الدولتين القديمة والوسطى ، كانت  
هناك حاملتان عريضتان تمسكان غالبا برداء المرأة المصنوع من الكتان  
الابيض ، مبينة بذلك فتحة عميقة عند الصدر (Décolte)  
على هيئة حرف (V) . وبالنسبة للخادومات ، وبعد ذلك بالنسبة  
للناحبات الماجورات ، كانت هذه الفتحة ، العميقة التى على هيئة حرف  
(V) تترك الثديين عاريين أحيانا . أما المجوهرات واللآلئ الضخمة  
المعلقة بالعنق فى هيئة صف واحد ، أو العقود العريضة التى تحيط تماما  
بالعنق فقد كانت تكملها الأساور ذات الطراز الهندسى . أما بالنسبة  
لعصابة الرأس ، الخاصة بالسيدات النبيلات ، فكانت تصنع من الذهب  
وتزخرف بأشكال زهرية . ومنذ أن دخل الغزاة الهكسوس شاع استعمال  
بعض أدوات الزينة الأخرى ، وفضل على الفور استعمال الأثرط .  
وفى بداية الدولة الحديثة أيضا ، وبعد الغزوات الأولى فى المناطق  
الآسيوية المجاورة ، حيث وجد المصريون ترفا وبذخا ، ووفرة فى الثراء ،  
لم يعتادوا عليها من قبل ، ويلاحظ فى كافة المجالات تغيير وتطوير فى  
طراز الأزياء ، تبلور فى تزايد مظاهر الدقة المتناهية فى استعمال  
خامات الأزياء وأشكالها . ولكن لم يكن هناك مطلقا أية ظاهرة من  
مظاهر المغالة والتطرف فى التفاصيل ، أو فظاظة الأسلوب .

ويكشف تصنيف شعر النساء عن تكوينات واقعية ، وفى بعض  
المناسبات الكبرى ، نرى الشرائط تعود للظهور ثانيا ، والصفائر  
المتنوعة كانت تكون غطاء أنيقا للرأس ، حيث يعمل تلاعب الأضواء  
على إبراز تأنق وجمال الخصلات المضفرة تضفيرات متباينة ، والتى  
كان يعتليها غالبا فرع لين من زهور اللوتس التى تتدلى مفتحة فوق  
الجبين . وكان اللون الأسود للشعر المستعار يتضاد مع اللون الأبيض  
للتهدلات الرقيقة المصنوعة من الكتان ذى الكسرات الشفاف غالبا  
لأثواب طويلة ذات اكمام عريضة صممت على هيئة « شال » ، ينتهى  
« بأهداب » ، معقود تحت الثديين ، وتختلط أهدابه هذه مع أهداب  
الجزء الأسفل من الثوب ، الذى يتسع عند الذيل . وبلغ الترف والبذخ  
أوجه ، خلال حكم كل من أمنحتب الثالث وأمنحتب الرابع ، تلك الفترة  
التي كان ثوب المرأة يبدو فعلا وكأنه « ملاء مبللة » ، التصقت كسراتها  
المتعددة بالجسم .

ولقد استمر هذا الثوب الفاخر الذى كان يغطى دائما بمعطف من  
نفس الطراز ، حتى أواخر عهد الرعامسة . ولكن لم تتعد المرأة المصرية  
أبدا الحدود اللائقة فى أى وقت من الأوقات ، الا خلال الاحتفالات

والأعياد والمآدب ، حيث كانت العطور والدهانات العطرية تنثر بكميات  
غزيرة على المدعوين . وهنا ، كان الجزء الأعلى من الأثواب الجميلة  
الناصعة البياض ، يتخذ اللون العنبري للزيوت العطرية ، وكانت هناك  
أيضا القطع المخروطية الشكل المكونة من دهون عطرية ، وكان الغرض  
منها أن تذوب ببطء شديد من قمة الشعر المستعار الى بقية الجسد :

( ها هو ) رداء أبيض ،

وطيب من أجل كتفك ،

واكليل من الورود لعنقك

( فاملئى ) أنفك بأريج الصحة والمرح

( وعلى رأسك ) ضعى العطور ( ..... )

ولتعضى يوما فى الاحتفال والمرح .

وتبعنا للمظهر غير اللائق الذى تسببه الدهانات العطرية التى كانت  
تتلخ وتقع الأثواب الرقيقة الشفافة خلال كل احتفال ، فان هذا الوصف  
قد يفسر بأنه يشير للنساء اللاتى يحضرن « الوليمة الجنائزية » . ومع  
ذلك ، فان الكتابات الشعرية قد أشارت مرات عديدة الى هذه الدهون  
العطرية التى كانت تتخلل أنسجة قماش الأثواب التى ترتديها النساء  
فى مختلف المناسبات :

« سوف أجعلك ترى جمالى ،

وأنا فى رداء من الكتان الملكى الرقيق للغاية ،

المضمع بخلاصة العطور المنعشة الشافية الشذية ،

والزيوت العطرية » .

وها هى أيضا بعض الأمانيات التى ذكرها أحد العاشقين :

« ليتنى فحسب اغسل ملابسها .

لشهر واحد فقط .

وهنا ستكون سعادتى ونشوتى فى أن أقوم بإزالة الزيوت

والـ « مورينجا Moringa » التى اشربت ثوبها الشفاف » .

وبذا ، نجد أن أثواب السيدات كانت دائما من الكتان الأبيض .

ولم تدخل الألوان ، الا فى الزخرفة بالأحزمة ، المنسوجة على ما يبدو .

ولم تر المرأة المصرية فى أية حال من الأحوال ، وهى مقزينة بأحد

هذه الأثواب ذات الدوائر (Volants) ، والمطرزة والمجملة بألوان

عديدة والتى كانت ترتديها نساء الشرق الأدنى . ولكن هذه الأثواب  
الأجنبية قد شددت بالرغم من ذلك انتباه رعايا الفرعون ، الذين جنحوا



الى تصويرها في رسوماتهم الزخرفية منذ فترة مبكرة ، ولقد امر احد حكام (٢) ، بنى حسن ، في عصر الدولة الوسطى ، بان يرسم في مقصورة مقبرته الحفورة في الصخر ، منظراً يمثل عرضاً لمجموعة من البهائم اللاتي كن قد جئن لزيارته بمصاحبة ازواجهن . وكن يرتدين اثواباً مستقيمة ، لا يتعدى طولها منتصف ، سماعة ، الساق ، وقد طرزت اطرافها بما يشبه « الفوستون » ، وكانت تترك احدى الكتفين مكشوفة ، وزين الرداء كله بما يشبه النقطة الصغيرة ، والشبك ، ومختلف الاشكال الهندسية ، التي لا يعتقد مطلقاً ان المصريين قد زينوا ملابسهم بها ، بل منافسهم وبسطهم فقط . وخلال نفس تلك الفترة - وربما رداً على ذلك - نرى ان الاثواب الملتصقة بالجسم التي كانت ترتديها ، حاملات القرايين ، بها زخارف شبكية ، مطرزة او ملونة على قدر كبير من الطرافة والاناقة .

كما ان النعال البسيطة ، التي تربط بواسطة سيور قصيرة ، كانت ترتديها احياناً ، اكثر النساء يسراً واثراً . وخلال الدولة الحديثة أصبح استعمال مثل هذه « الضنادل » أمراً شائعاً ، وفي عصر الرعامسة أصبح شكلها يتميز بالمقدمة لأعلى وفقاً لطراز « الجيزوم » . وكانت تصنع من الجلد الأبيض ، وقد يضاف اليها لتزيينها ، بعض الترسيع من الجلد الملون ، او حتى بعض الزهور الذهبية .

ولن تكون الصورة المختصرة لسيدة النيل كاملة ، لو اننا لم نشر الى مساحيق التجميل ، التي كانت خضراء في البداية ، ثم سوداء ، لزيادة تحديد عمق العيون الواسعة المتألقة كالجمر ، والتي كانت قزحياتها ترتفع قليلاً نحو قمة قرنياتها ، مما يضفي على النظرة سحراً متراخياً ناعماً . وسوف نتأمل على مهل ، كافة أوعية العطور والطيب والدهانات الخاصة بالسيدة المصرية ، عندما ندخل معا الى بيتها .

### القانون العام للمرأة

#### المساواة بين الرجل والمرأة :

هكذا ، كانت تبدو ، وفقاً للمظاهر ، المرأة المصرية كمواطنة سعيدة في بلد يبدو ان المساواة بين الجنسين فيه كانت منذ القدم أمراً طبيعياً تماماً وتمتد جذورها الى اعماق الأعماق ، فلم تثر هذه المشكلة مطلقاً في يوم من الأيام . ولقد بين « مريكار » ، ذلك منذ وقت مبكر ، في « تعاليمه » عند قوله ان الأديمين « قطع الآله » ، يتمتعون بمصير يحسدون عليه ، « فلقد خلق الخالق السماء والأرض من أجلهم ، ودفع

بعبداً باخطار الفيضانات من أجلهم . وخلق النسيم لأنفاسهم ، لأنهم على شاكلته خرجوا من بين أعضائه . ومن أجلهم يتألق في السماء ، ومن أجلهم خلق أيضاً النباتات ، والحيوانات ، والأسماك ، لاطعامهم . فالأديميون كالآرياب يتمتعون بهذه المساواة والتكافؤ في الخلق ، وهي فكرة تمتد جذورها الى اعماق أعماق المعتقدات الدينية المصرية . ولم يكن من الممكن ان ينتظر أقل من ذلك من شعب جعل من الآلهة ايزيس ، سيدة الجنس البشري ، والاخت اليقظة الحريصة ، والزوجة الوفية المخلصة ، والمحبة الودود التي تحولت الى ساحرة ليتفتق ذهنها ، بفضل مهارتها ، عن السبل التي كفلت دوام واستمرار وفحولة أوزير بعد وفاته وضمان نقل خلافة الى ابنه . لقد رسخت جذور هذه المساواة بين الجنسين في العادات والتقاليد السائدة بين أهالي وادي النيل ، حتى ان نفس الاسم العلم كان من الممكن ان يطلق على المرأة أو الرجل على حد سواء ، دون أي تمييز .

وبذا ، كانت مصر ، في نطاق العصور القديمة ، البلد الوحيد الذي خصص فعلاً للمرأة وضعاً قانونياً ، يتساوى مع الرجل . ويبدو هذا واضحاً ، دون أي غموض ، طوال فترة حكم الدولة القديمة كلها ، ويتألق بوضوح ساطع ، خلال الدولة الحديثة . ترى ، هل كان الأمر كذلك خلال الدولة الوسطى ، تلك الحقبة العظيمة التي تضمنت إصلاحاً وتقويماً وطنياً فيما بين فترتين مظلمتين سادتهما القلاقل والاضطرابات؟ هناك بعض الدلائل التي تشير الى بعض الانحسار الطفيف في بعض الحقوق المقر بها للمرأة ، ولكن ليس هناك شيء مؤكد تماماً ، كما ان نقص المستندات المهمة ، يعتبر من العوامل الأساسية التي تساعد على التردد والشك في هذا الشأن . ولذا ، فإن الدراسة الدقيقة للسلسلة التاريخية للأحداث يمكن ان تكون احياناً عسيرة وعويصة . واخيراً ، فإن الدلائل التي تم العثور عليها ، وجميعها متفرقة ومتشتتة ، لا تسمح حالياً بتقديم سيرة ذاتية كاملة لسيدة مصرية معروفة . ومع ذلك ، فإن نوعية النصوص تكفي للتأكيد برؤية شاملة من الامتيازات التي كانت تتمتع بها المرأة المصرية . وبداية من القرن التاسع عشر ، حاول « رفيون » Revillon ، و « باتوري » Paturet ، ومهما من العلماء المتخصصين في القانون المصري من خلال الكتابات الديموطيقية ( الشعبية ) في العصور المصرية المتأخرة ، ان يحددوا الخطوط الرئيسية للوضع القانوني للمرأة على ضفاف النيل ( ثم تنابعت الدراسات عن الحقب السابقة ، وان كانت تبدو أقل اسهاباً واطناباً ، وخاصة ما قام به كل من تيودوريس Thiodoris ، و « شفيق » علام ، و « يستمان » Pestman ، ولكن كل الدلائل تؤكد ان المرأة المصرية ،



كانت تتساوى تماما مع الرجل من الناحية القانونية ، وتعامل مثله على قدم المساواة . وكذلك كان الحال ، فيما بين الأبناء والبنات . وكانت المرأة تستطيع ان تكون صاحبة املاك ، وان تبرم عقودا ، وان تلتزم بكامل حريتها . ولا شك ان الام كانت بمثابة المحور الاساسى للعائلة ، ولكنها لم تكن تستمد من ذلك هذا الاستقلال . فكانت تمتلك كافة الحقوق منذ ولادتها ، ولا يطرأ اى تغيير على وضعها القانونى بسبب زواجها او امومتها . وكانت اهليتها كاملة ومطلقة ، حالما تبلغ سن الرشد وتتزوج ، ويبدو ان الفئاة غير المتزوجة كان يمكنها ابرام أية عقود ذات صيغة قانونية حالما تستطيع فهم كنهها وتقدير مداها .

### حرية المرأة :

لم تعرف المرأة المصرية الوصاية التى خضعت اليها المرأة الرومانية . كما ان « سلطة الأبوين » وخاصة سلطة الأب - كانت قبل كل شىء نوعا من الرعاية . وفى مجال الميراث والتركة كانت الابلولة تتطابق بين الرجل والمرأة . ويبدو ايضا ان المرأة المصرية - فى اطار بعض القواعد والاسس ، ومن ضمنها طبعها موافقة الأب - كانت حرة نسبيا فى اختيار زوجها المقبل . ولا ريب ان هذا الاستقلال قد بلغ مداه خلال الاسرات الوطنية المتأخرة لدرجة ان سوفوكليس ويوريديس قد بلغا فى الكثير من اعمالهما فى الحط من شأن الرجال المصريين قصورا فى صورة : « من يقعون فى ركن من الدار بينما الزوجة تدير كافة شئون الاسرة بنفسها » : بعد ذلك حدث رد فعل معاكس عندما سن بطلميوس فيلو باتور Ptolémée Philopator قوانين « Prostagna » الشهيرة ، التى أعادت النظر فى مفهوم المساواة بين الجنسين .

### الكفاءة القانونية للمرأة الحرة

#### فضائل المرأة :

يبدو ان المفهوم « الطبقى » لم يكن له اثر فى المجتمع المصرى ، واذا نحينا جانبا نظام الاماء ، فافتنا سنجد ان كافة الامتيازات قد اقر بها للمرأة مثلها مثل الرجل ، فكانت المرأة تتساوى باسمها ، الذى كان يسبق منذ الدولة الوسطى ، اذا كانت متزوجة ، بلقب « نبت - نبت » Nébet-per « أى « ربة البيت » . ولا شك ان هذا هو اللقب الذى تشتهيه وترغب فى الحصول عليه فتاة شابة : وهذا هو ما تقوله تلك الشابة الصغيرة العاقلة :

« انت ، اكثير الرجال وسامة ،  
اننى ارجب ( فى رعاية ) شئون ممتلكاتك  
عندما ( اصبغ ) ربة بيتك .  
ويرقد ذراعك فوق ذراعى

و ( بدا ) يساعدك ويعاونك حبى ،  
اما ( البرجوازية ) الصغيرة القاطنة فى نطاق بعض الضواحي  
السكانية ، او القرى المهمة ، فكان يطلق عليها غالبا لقب : « عنخ ان  
نيوت » . أى « من تعيش بالمدينة » . وكانت المواطنة الحرة التى تملك  
الاملاك والأموال ، تعرف بلقب « نمحيت » . واذا رغبت كما كان يحدث  
أحيانا ، فى تبني أبناء احدى الاماء ومنحهم بعض املاكها ، فان هؤلاء  
المعتقين يصبحون بدورهم « نمحو » némehou .  
ولقد ادعى البعض ان المرأة فى عصر الاهرامات ، لم تكن تتمتع  
بهذا القدر من الحقوق التى كانت تتمتع بها فى عصر الغزوات الكبرى  
لتحتتمس ورمسيس . ولكن يبدو ان وضعها لم يكن ، اقل ارضاء عما  
كان عليه فى الأزمنة الاولى . فان امتيازاتها كانت هائلة وتتوافق مع  
ما كانت تستحقه من احترام .

وسوف نرى بعد ذلك ، الاحوال القضائية والعاطفية ، التى كان  
يتم فى اجوائها زواج المصرية . ولكن علينا ان نبين ، انه اذا كان وضع  
المرأة القانونى ، منذ الدولة القديمة يتساوى مع وضع الرجل ، فقد  
كانت هناك ضرورة يتحتم توافرها من أجل اتمام زواجها : أولا ، ان  
تكون عذراء . وبعد ذلك ، ولكى تحتفظ بوضعها كسيدة متزوجة ،  
عليها الا تقترب جريمة الزنا والا عوقبت بالموت . وان لم يستدل على دلائل  
فعلية تبين تطبيق مثل هذا الحكم ومثل هذه العقوبة القاسية ، سوى  
الحكايات والقصص الشعبية التى تهيب بالزوجات المتقلبات ان يتبعن  
طريق الحكمة والتعقل . فمثلا ، قصة « الزوج المخدوع » ( ٤ ) التى  
قصت على مسامع الملك خوفو ، للتسرية عنه ، كانت نوعا من التحذير  
الجاد . وهى قصة زوجة احد السحرة ( كاهن قارى ) يدعى « أوبا أوني  
Oubaône » ، التى اتفقت على موعد غرامى مع احد القرويين من  
الاحياء المجاورة ، وكانت قد شغفت به حبا ( وهذا يبين انها كانت  
حرة التصرف ) . ولكن البستانى الذى يعمل لدى زوجها وشى بها  
اليه ، فقام هذا الزوج بصنع تمساح يبلغ طوله ٧ بوصات من الشمع  
ويث فيه الحياة بسحره . وبعد ان انتهى العاشقان من لقائهما المحرم  
بالبنى الصغير الملحق بالحديقة ، وعندما أسدل الليل ستاره اتجه  
العاشق الى البركة ليغتسل ، وهنالقى البستانى وراءه فى المياه



التمساح المصنوع من الشمع ، الذى تحول الى تمساح حقيقى يبلغ طوله سبعة أذرع ، وانقض على القروى ، ثم جره الى أعماق المياه . أما زوجة الكاهن الساحر فقد أمر الملك بأن تساق الى أرض فضاء شمال القصر ، لتحرق وينثر رمادها بالنهر .

ولا شك أن هذه العقوبة المثالية قد ذكرت على سبيل الارشاد والتوجيه ، ولم يكن هذا فى عهد الدولة القديمة فقط . ففي عهد الرعامسة ، تضمنت قصة « الأخوين » مغامرات لا يصدقها عقل ، بطلتها زوجة كانت تضر نوايا واضحة لخيانة زوجها مع أخيه الأصغر الذى صدها ، وكانت قد حاولت اغواءه على نسق امرأة العزيز . أما الأخ الأكبر ، فعندما علم بالحقيقة فى نهاية الأمر ، قتل المرأة الخائنة ولا شك أن الهدف الأساسى من وراء كل ذلك هو توضيح أن الوفاء والاخلاص ، كان يعد من الأمور المطلوبة عامة من الزوجة ، وأن انتهاك أو خرقه ، كان اثماً فادحاً (٥) .

### الأملاك الحرة ، والموارث والوصايا

استقلال دائم ، أم خسوف ؟

منذ الأسرة الثالثة ، كان للسيدة « نب سنت » ، والددة « متن » ، أحد كبار مرافق الدولة ، مطلق الحرية فى ملكية واستخدام ميراثها . وكتبت هذه السيدة وصية لصالح ابنائها ( كان نصيب ابنها متن منها خمسين أرورا ) . فمن الواضح ، أن كل عضو من أعضاء أى أسرة : الأب ، والأم ، والأبناء ، كان يملك ثروته الخاصة به ، وله الحرية فى التصرف فيها كيفما شاء . ولم تكن الزوجة تخضع لسلطة زوجها ، أو لسلطة ابنها الأكبر . كما لم تكن تخضع لأية وصاية أو وكالة ، فقد كانت تتساوى معها سواء فى المكانة أو فى الحقوق . وكان يمكنها أن تترك زوجها كما يرثه ابنائه . ولا شك أن المساواة الميراثية بين الأبناء والبنات تؤكد التكافؤ القانونى بين الجنسين . ومن هذا المنطلق ، يصبح للمرأة مطلق الأهلية لى تقتنى وتمتلك ، مثلها مثل الرجل ، أملاكاً عقارية .

أما فى أواخر الدولة القديمة ، فيبدو أن الزوجة لم تكن تكلف بالوصاية على الأبناء القصر فى حالة وفاة الأب فى بعض الأحوال . وفى الدولة الوسطى ، بينت إحدى برديات « كاهون » ، أن الزوج قبل أن تواتيه المنية يستطيع أن يفرض زوجته وصياً على أولاده الذين لم يبلغوا سن الرشد . ويضيف النص : « أما عن مقبرتى ، فإننى أوصى بأن أدفن بها مع زوجتى ، وأمنع أى شخص من معارضة ذلك » .

أما البنات ، فيستطعن ، إذا لم يكن هناك أولاد ، أن يقمن بالطقوس الجنائزية لأبويهما ، وبذا ، يعملن على أحياء اسميهما ، وكان من الممكن للابنة أن تكرر لوحاً جنازياً لروح أمها (١) .

ولقد اعتقد الكثير من المؤرخين (٧) أن هناك بعض الانحسار فى حقوق المرأة خلال الدولة الوسطى ولكن هذا أمر غير مقبول ، إلا فى أحوال نادرة . وتقدم لنا إحدى برديات « كاهون » ، التى تتناول وصية يرجع تاريخها الى العام التاسع والثلاثين من حكم الملك أمنمحات الثالث ، الدليل على الغاء ارث كان أحد الأشخاص قد أوصى به فى البداية لصالح زوجته . وبعد أن انفصل عنها بالطلاق ، ألغى هذا العقد وأبرمه ثانياً لصالح زوجته الجديدة :

« اننى انتقل وظيفتى كرئيس للجماعة الى ابنى ايمحتب بن مرى المعروف باسم ايرسنب ، بشرط أن يكون « عكاز شيخوختى » ، فقد أصبحت عاجزاً ( ..... ) ، أما عن عقود نقل الملكية التى كانت قد أبرمتها سابقاً لصالح أمه ، فقد فسختها . وأما عن منزلى القائم فى منطقة حات مات ( ؟ ) ، فهو من أجل الأبناء الذين أنجبته من سات نيت - نينيسو ، ابنة حارس مجلس المقاطعة ، بكل ما يحتويه ( ..... ) » .

وخلاف ذلك ، يلاحظ أنه فى أوائل عصر الأسرة الثالثة عشرة ( حوالى ١٧٨٥ قبل الميلاد ) ، فإن المرأة المتزوجة كانت تتمتع باستقلال قانونى كامل ، لدرجة أنها كانت تستطيع أن تقاضى أبيها أمام المحاكم حتى تتمكن من حماية أملاكها الخاصة . وبذا ، فإن السيدة « تحنوت Tehenout » كانت قد قدمت شكوى ضد أبيها أمام القضاء الذى فضل زوجته الثانية ، على حساب ابنائه من زوجته الأولى ( أمها ) قائلة :

« لقد اقترب أبى عملاً غير شرعى (؟) . فإن لديه فى حوزته متعلقات خاصة بى كان زوجى قد قدمها لى من قبل . ولكن ( أبى ) نقل ملكيتها الى زوجته ( الثانية ) سنب تيسى ، فهل أستطيع أن استرد متعلقاتى ؟ » (٨) .

### الارث :

فى حالة الوفاة ، كانت ممتلكات المتوفى ، وهذا أمر مثبت ، تؤول طبيعياً الى من يخلفه من أفراد عائلته الذين على قيد الحياة : الأبناء الشرعيون يحصلون على حصص متساوية ، بدون أى تمييز لكونهم أنثاء أو ذكورا ، كما سبق أن ذكرنا . وإن لم يكن للمتوفى أولاد أو بنات فإن كل شئ يؤول الى الزوجة .



وقد يحدث أيضا أن « يوصى أحد الآباء بجزء من أملاكه . ويترك للقانون مهمة تحديد الباقي بالتساوي » . وهذا ما تبينه لنا إحدى لوحات المتحف المصري (٩) ، التي ذكر بها أن أحد الآباء « أراد أن يميز ابنته المفضلة ، وكانت طيبة وبارة به ، بمنحها حصة خاصة . وفي نفس الوقت لا يحرمها من الحصة التي ستحصل عليها من تقسيم الميراث بينها وبين أخوتها وأخواتها » . ولكي تبين المنفعة صحة وشرعية هذا السخاء من جانب والدها ، نسبته في شيء من البراءة المصطنعة إلى صنف الهوى ، قالت متسائلة :

« من هو الإله ، ليس هو الأبوين ؟ » .

كما أن الزوجة كانت تستطيع أن تحرم بعض أبنائها من الميراث متصرفة بذلك في أملاكها الخاصة التي تكون قد ورثتها أو حصلت عليها من خارج نطاق حصتها من الممتلكات في حياتها الزوجية . وهذا هو عين ما فعلته امرأة متوسطة الحال ، تدعى « ناونختي » ، زوجة أحد عمال جبانة طيبة (١٠) . ومنحت أرثها خاصة لأحدى بناتها ، وحرمت ثلاثة من أبنائها الآخرين ، وهذه هي الحجج التي قدمتها هذه السيدة في وصيتها :

« لقد قمت بتربيته وتنشئة هؤلاء ( الأبناء ) الثمانية ، خدمكم هؤلاء ، وقدمت لهم كل ما يلزمهم كي يستطيعوا أن يؤسسوا بيتا من كافة الأشياء التي تكون من أجل من هم في مثل حالتهم . ولكن انظر ، ها أنا قد أصبحت هرمة ، وانظروا ، انهم لا يعنون بي بدورهم ، أما كل من وضع منهم يديه على يدي ، فأنني أمنحه بعض أملاكي ، وأما من لم يعطني شيئا ، فلن أمنحه شيئا من أملاكي ، ( بعد ذلك تأتي قائمة بالشهود ) .

ولكن ، يبدو أن الأمثلة على مظاهر الجحود ونكران الجميل لم تكن متعددة أو متكررة .

إجراءات قضائية :

وفي نفس تلك الفترة ، وفي بلاد ما بين النهرين ( العراق القديم ) كانت حقوق المرأة في مجال الارث ، محدودة للغاية ، في حين أنها في مصر ، كانت قد أصبحت رسمية ، والحالة الشهيرة التي وصلت اليها والتي بدت فيها نساء ذوات أهلية للحصول على ارث ، هي قضية « مس » الشهيرة ، المتعلقة ببعض المزايا العسكرية التي كان قد منحها في الماضي الملك أحمدس ( أوائل الأسرة الثامنة عشرة ) . وكانت مثل هذه الثروة المكونة من ملكية مشتركة ، لا تورث (١١) . ولكن بالرغم من هذا الشرط ، فقد طالب الورثة المتتالون المستحقون بحصصهم الشخصية

سريعا . وأمرت المحكمة التي كان يرأسها الوزير خلال حكم الملك حور محب ( أواخر حكم الأسرة الثامنة عشرة ) ، بالرغم من الشرط المذكور ، بأن يحصل كل منهم على حصته في هذا الارث . واستمرت القضية حتى حكم رمسيس الثاني ، واستمرت الدعوى معلقة في « محكمة » العدل العليا طوال سنوات عديدة . وفي نطاقها كان يتصارع عدد كبير من النساء ، ومن بنات أول مالك للأملاك العقارية ، وعينت المحكمة واحدة منهن كمديرة لتلك الأملاك موضع الخلاف ، وهي السيدة « أوريرو » وكانت هؤلاء النسوة يتمتعن بكامل الأهلية في الحصول على نصيبهن من الميراث ، بل والترافع أمام القضاء . وهذا ما فعلته والد « مس » ، ولقد الشهيرة ، التي اعتبرت أنها قد سلبت نصيبها المستحق لها . ولقد لوحظ فعلا بعض المخالفات القانونية في الإجراءات . بل تبين أنه قد حدث تزوير في « الأرشيف » عند التسجيل بالادارة المركزية ، وخلال نظر القضية هاجمت الأخوات المختلفات قرارات التقسيم . ولم يلزمهن مطلقا من أجل ذلك ، أن تحصل كل واحدة منهن على موافقة زوجها .

اذن ، ففي مصر الفرعونية ، كانت المرأة بكل تأكيد تتصرف بكامل مسئوليتها ، ولا تنتظر مطلقا موافقة الغير ، إذا كانت متزوجة فلا تنتظر موافقة زوجها .

اذن ، كان لها مطلق الحرية في أن تعقد أي اتفاق مع أي طرف آخر ، سواء أكان رجلا أم امرأة . وهناك موضوع معروف ، يفيد بأن إحدى النساء قد عقدت اتفاقا مع أحد المواطنين ، لكن تؤجر له إحدى خادماتها طوال عشرة أيام ، في مقابل عشر وحدات مالية في اليوم الواحد . . . . . وأعطته ايصالا قانونيا عليه توقيعها . وقد حدث هذا في اليوم الخامس والعشرين من الشهر الرابع بالسنة الخامسة خلال حكم اخناتون .

الجنح والمخالفات :

عندما ترتكب المرأة جنحة ، تقوم السلطات العامة بمقاضاتها ، دون اللجوء لوساطة أية وكالة أو وصاية عليها . . . لدينا هذه الحالة الخاصة بإحدى القرويات التي عثر في بيتها على بعض المسروقات ، وبالرغم من ذلك نفت أقرافها ذلك سرقة . وعرض الأمر على السلطة العليا التي استندت في حكمها إلى عقوبة كانت قد طبقت في الماضي في أحوال مشابهة على زوجة أحد الموظفين .

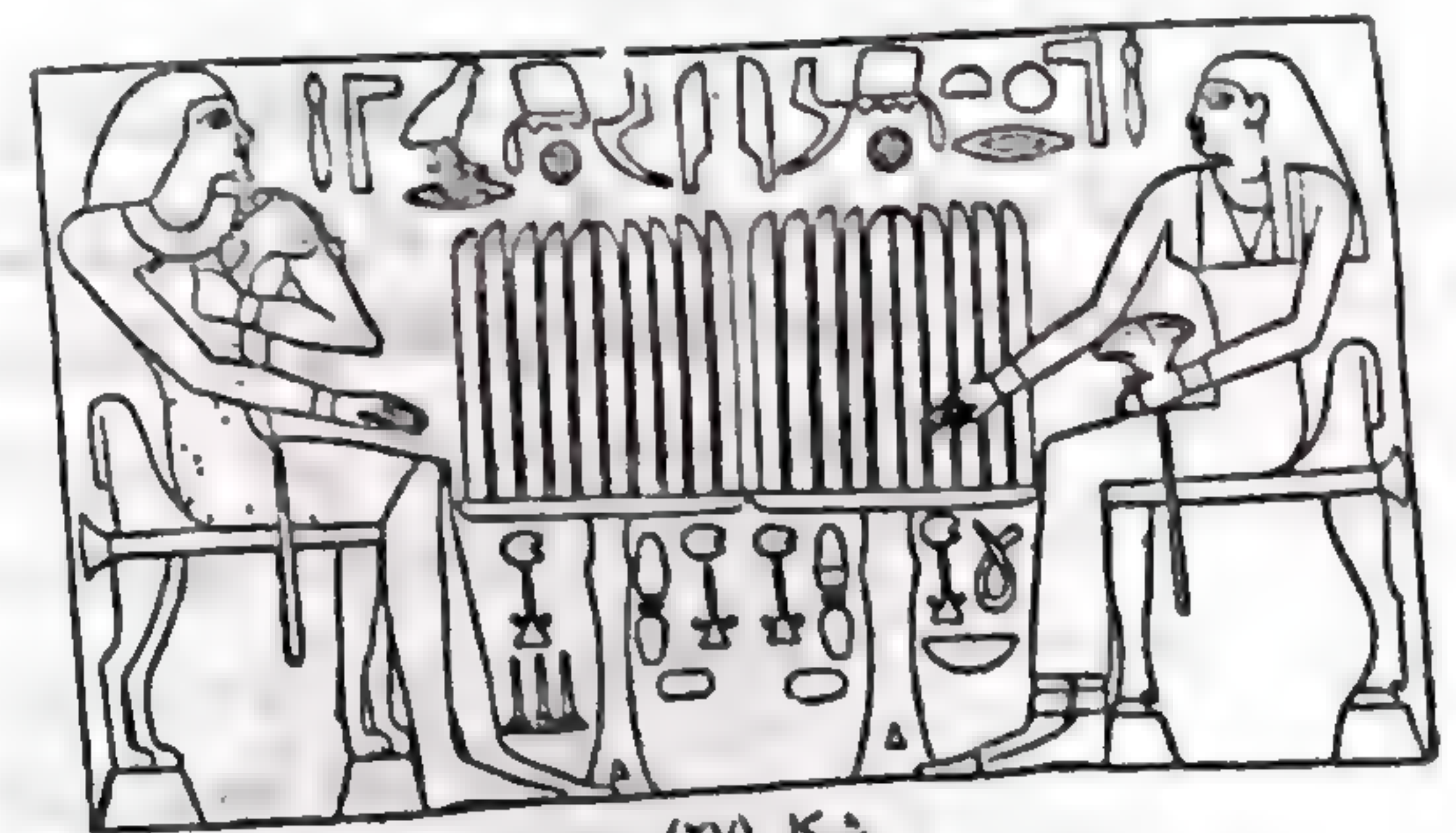
أما عن التشنيع والقتل والتشهير ، فكان يعد بمثابة جنحة تنظر فيها محاكم الريف . ولقد وجد أحد الأشخاص المرموقين نفسه ذات



يوم هدفا لمثل هذا التشجيع والتشهير من جانب امرأة وثلاثة رجال . وفرضت عليهم جميعا عقوبة الضرب بالعصا ، ولم تستثن المرأة من ذلك مطلقا . وبالمثل ، وبعد فترة ما ، فى نفس تلك الحقبة من عصر الرعامسة ، وخلال المحاكمة القضائية التى تمت بعد عمليات سلب ونهب المقابر الملكية ، عومل المتهمون ، من الذكور والاناث ، على حـد سواء .... واهينوا بنفس الطريقة .

ومع ذلك ، فهناك ما يبين أن بعض العقوبات التى كانت تفرض على النساء ، من بنات الطبقة الوسطى على الأقل كانت أقل قسوة من المفروضة على الرجال . فمثلا ، جريمة الشهادة الزور ، كانت عوبتها غالبا نفى الرجل الذى اقترفها ، الى مدينة توشكا او عنيفة بالنوبة . اما المرأة ، فقد كان يحكم عليها - ولنفس هذا الخطا - بالعبودية ( لتقيم بين الخادمت ) .

واذا كانت المرأة ، بصفة عامة ، تتصرف بكامل حريتها ، وبدون موافقة أى ممثل او وكيل من الأسرة ، فان بعض الكتابات تجعلنا نعتقد - على الأقل فى نطاق الطبقات الدنيا بالمجتمع - أن الزوجة يمكن أن تكون متضامنة ومشاركة مع زوجها فى حالة ارتفاقه جنحة او مخالفة تقع تحت طائلة القانون . وعموما ، يبدو ذلك تهديدا حاول المسك . سيتى الاول ، أن يرهب به المتهمين بسلب المواشى الخاصة بمعبد ابيدوس : فالجاني سيلقى العقوبة التى تفرض على اللصوص - جـدع الأنف وقطع الأذنين - ثم يجبر على العمل كمزارع فى أملاك المعبد ، بينما تسرق زوجته وابناؤه . ولا شك أن مثل هذه التهديدات كانت تعمل على إبعاد الغواية والاغراء عن مخيلة المصرى ، لأنه كان يضع فى المرتبة الاولى من اهتماماته ورعايته وجود جن ومحيط أسرى متناسق ومنسجم ، وكان يكن لأفراد أسرته حبا حقيقيا وعميقا للغاية .



شكل (٢٧)

المساواة بين الرجل والمرأة : الزوجان يجلسان متقابلين على مائدة القرابين

## المرأة فى العبودية

الخاتمة : لا شك أن قراءة القصص الشعبية ، وتأمل مناظر الحياة اليومية التى صورت بأسهاب شديد على جدران المقصورات الجنائزية ، تبين عظم الثروة العقارية التى كان الملاك فى الريف والحضر يكتنزونها ، وكانت الدور مزودة بالعديد من الخدم . ومع ذلك ، فليس من السهل التفريق ، أحيانا ، بين الخادمة التى تعيش بين أفراد أسرة سيدها ، وبين الأمة . وبما أن ذلك كان يحدث فى مصر منذ آلاف السنين . فان أسر العبيد وابناءهم ، كانت تكون تقريبا جزءا من أسر ساداتهم ويبقون دائما على ارتباطهم بهم . وكانت الخلافات والاشتباكات بين الخدم تكثر بالفناء الخلفى للمنزل . وكانت تمتد أحيانا الى أجنحة سيده البيت ، التى كانت فى بعض الأحيان تشكو من عدوانية وخشونة او كثرة مطالب واحدة او أخرى من خادمتها المتمردات ، ولكن هذا لا يمنع أن الواحدة منهن كانت عند الضرورة تلقى عقوبة جسدية .

وكان هناك الكثير من العوامل التى تتضمن مفهوم العبودية بمصر . وأولها « السخرة » التى لم يكن يعفى منها أحد مطلقا . فكانت بعض أعمال التكليف ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام الجغرافى الذى يعيشه هذا البلد : فهناك مثلا الفيضان السنوى ، الذى كانت الضرورة تحتم أن تجهز من أجله الأراضي تجهيزا ملائما ، وكان الأمر يستلزم أيضا العمل على أن تكون القنوات فى حالة جيدة ، ثم بعد ذلك مكافحة ما يسببه من خسائر وأضرار . ولذا ، فان التضامن والتضافر المطلقين ، خلال فترات محددة ، من كافة المواطنين ، من أجل الأعمال الضخمة ، ومنها بطبيعة الحال بناء النصب والصروح الملكية ، وأولها الأهرامات ، كان يجب أن يطبق اجباريا خلال بعض المواسم . وحقيقة أن هذا التضامن والتضافر كانا يواجهان أحيانا ببعض التمرد : وطبيعى أن الفارين كانوا يعتقلون ، سواء اكانوا رجالا أم نساء . وكان المجرمون يسخرون أيضا فى تلك الأعمال .

## شراء الأمه

وأخيرا ، فقد كانت هذه العبودية تطبق غالبا ، على الأجانب الذين جلبوا الى مصر ، كآسرى حرب ، مع عائلاتهم . وعندما كان المقاتلون المصريون لا يحصلون على بعض أسرى الحرب الذين كان الفرعون



يقدمهم لهم كمكافأة لهم على شجاعتهم واقدامهم في القتال ، كانوا يلجأون الى تجار الشام والذين كانوا - خاصة في الدولة الحديثة - يحضرون الى مصر ليعرضوا الخدم الذين حصلوا عليهم بأسعار زهيدة من بلادهم . وبشكل عام ، يبدو ان الأجانب كانوا يلقون معاملة أفضل من تلك الفئات الثلاث ، وكان مصير هؤلاء يتشابه نسبيا ، مع مصير المصريين القلائل الذين كانوا يبيعون أنفسهم ، ويدخلون بذلك في نطاق نوع من « نظام المرتزقة » الاختياري ، وفي أغلب الأحيان كانوا يفعلون ذلك بهدف تصديق ديونهم . وعندما يتعلق الأمر بامرأة ، فإنها توضح تماما في عقد البيع ان هذا الواجب يقع أيضا على الابناء الذين قد تنجبهم من زوجها . . . . . من سيد البيت الذي ارتبطت به وفقا لقرارها .

وللحصول على امرأة مستعبدة ( أو رجل ) ، كان الأمر يستلزم أن يسجل ذلك رسميا بأحد المكاتب الحكومية . وأغلب النساء منهن كن يلحقن بالنازل ، والبعض الآخر كن يقمن بخدمة الحوانيت التابعة للمعابد - ويدمجن بذلك في إطار فئة « المريت Meryt » ، والحنوت hénout ، وكن حليقات الرأس تماما باستثناء خصلة واحدة من شعورهن تترك متدلية في هيئة « ذيل الخنزير » .

أما النساء الأجنبية ، اللاتي كن يجلبن في وقت مبكر الى مصر ، أثر الغزوات الحربية ، فقد تكونت منهن كذلك مجموعة لا يستهان بها من الاماء . ولذا ، فقد أصبح من الأمور التقليدية ، أن نرى في العاصمة طوابير من نساء واطفال الزعماء الليبيين الأسرى ، وهم يسوقون الخراف والماعز ، ونرى هذه المناظر منقوشة على جدران معبد الملك « ساحورع » ، من الأسرة الخامسة ، حيث نشاهد الالهة سشات وهي تدون قوائم احصائية بهم .

ومن نصوص التعااليم والنصائح التي ترجع الى عصر الانتقال الاول في أواخر الدولة القديمة ، نتعرف على شيء من حياة هؤلاء الخادmates والاماء ، ففي النصوص نقرا :

« انظر لهذا الرجل النبيل الأصل ،

انك لا تكاد تعرفه ،

فالابن الذي أنجبه من زوجته

يعامل مثل الابن الذي أنجبه من خادمتها .

وتتحدث للنصوص عن واحدة من « محدثات النعمة » ، لا تبدي أي احترام أو تبجيل لاسيادها القدامى :

« انظر ، الخادmates وقد أصبحن الآن يتحدثن بأسلوب متحرر . عندما تتحدث السيدة ، فإن الخدم لا يبالون بذلك انظر ، الى من كانت لا تملك حتى علبة ما ، ومن كانت لا تستطيع أن تنظر الا لصفحة المياه ، فهي تملك الآن مراة ( ..... ) » .

### السخرة ، و « السجن الكبير » :

وبانتهاء الثورة الاجتماعية استعاد الفراعنة المؤسسون وزعماء الدولة الوسطى السيطرة مرة أخرى في حزم متزايد على مقاليد الأمور بالبلاد ، وأصبحت القسوة والصرامة هي القاعدة السائدة في أنحاء البلاد . وتبين لنا إحدى البرديات (١٢) ان المحكوم عليهم بالعبودية ، كانوا قبل كل شيء ، في « السجن الكبير » ، وهو عبارة عن معسكر عمل ، يتساوى فيه النزلاء من مصريين وأجانب : ويصبحون هناك ، عمالا بدون أجر ، ومن الممكن أن تنتقل حالة عبيديتهم هذه من جيل الى آخر . ومن المعروف أن النساء - مع عدم اجبارهن على العمل المرهق بالحقول - كن يخضعن « للسخرة » الاجبارية . ويشير دفتر الحجز بأحد السجون الى فتاة تدعى « تنى » ، كانت ابنة فلاح يسمى « سيان حور » تقوم بالعمل في حقول مدينة « ثنى » ، والتي لم تنجز العمل الذي كلفت به وفرت هاربة . وكانت الوسيلة التي اتبعتها الادارة في غاية البساطة : فلكي تتأكد من عودة المذنبة ، أودع جميع أفراد عائلتها في غياهب السجن ، بكل بساطة . وهنا ، ضعفت الهاربة أمام نداء التضامن والترابط العائلي ، فسلمت نفسها . وبذا ، تم الافراج عن جميع أفراد عائلتها ، ولنامل في الا تكون عقوبة «تنى» ثقيلة الوطأة .

وفي نفس هذه الوثيقة ، سجل حدث آخر نموذجي للغاية ، يتصل بالموضوع الذي نتناوله ، فلقد اشترى « حاعنخ اف » مدير مزارع طيبة ٩٥ خادمة وخادما ( خلال الأسرة الثالثة عشرة ) في العام الاول من حكم الملك « سبك حتب الثالث » ، وفي العام التالي ، تنازل عنهم لزوجته « سنبت تيس » ، وبذا ، فقد نقلوا من مالك الى آخر . شأن أي ممتلكات أخرى . وضمن القائمة التي ترفق بحق ملكية هؤلاء الخدم ، ذكرت الكثير من الاسماء الأجنبية . وبالإضافة لذلك ، ففي دفتر التسجيل ذكرت عبارة « ساميين من سوريا - أو من فلسطين » . كما حددت أيضا تخصصاتهم المختلفة . ومن الممكن اذن ملاحظة ، أن الخادmates المصريات اللاتي ذكرت اسمائهن بالقائمة لم يحصلن على أي تدريب أو تأهيل ، ويحملن أسماء



« عامية » دون أية شفاعة أو رعاية ربانية . أما الأجنيبيات اللاتي كن من مستوى اعلى من ذلك ، فقد كان لهن مهن مؤكدة ، وكن يلقين غالبا معاملة افضل من المعاملة التي كانت تلقاها المصريات لهذا السبب ، وخاصة انهن لم يكن ضمن السجينات اللاتي يقعن تحت طائلة القانون العام .

### اجنبيات واسيرات حروب :

لقد اشار عالم الآثار « W. Hayes » الذي نشر هذه البرديات النادرة ، الى عدم ذكر اية حرب معاصرة لهذه الوثيقة ، ويتساءل ، ان كان هؤلاء الآسيويون - ومنهم يوسف الذي باعه اخوته - قد جلبوا الى مصر ، عن طريق التجار الذين كانوا ينتشرون بكثرة خلال تلك الفترة . وكان هذا النوع من الخدمات ، حالما يقمن في املاك النبلاء والامراء ، يدمجن عادة بأعضاء الأسرة . ولم يكن يفرق مطلقا ما بين الأطفال وامهاتهم ، ومن الناحية العملية ، فان هؤلاء النساء لم يكن ينعمن ببعض الحرية فحسب ، بل بالاضافة لذلك ، لم يكن من المسموح به مطلقا تشغيلهن في ايام القبط الشديد .

وخلال الدولة الوسطى وبطريقة مشابهة لما ذكر آنفا ، التحت بعض مواطنات بلاد بونت أيضا ، بحريم « الميور Miour » العظيم ، بصفتن زوجات « حموت » او « محبوبات مريت » بصفة خاصة ، او « ازويو Isouou » و « باكوت bakout » أيضا ، كلها تسميات لا تسمح لنا ان نقدر أو نحدد بدقة درجة عبوديتهن بالضبط .

ولا شك أن الوثائق والكتابات الأكثر اسهابا وثراء في عهد الدولة الحديثة عما كانت عليه في الحقب السابقة ، تسمح بشكل أوضح ، بتوضيح هذه الحال ، التي كانت حدودها ما تزال غير واضحة تماما . وبذا ، يلاحظ أن هذه الفئة الخاصة من « الخدم » ، ينحدر معظمهم ، من اصل اجنبى . كما أن الحروب التي شنها الفراعنة كانت بمثابة الممول الكبير لهم . وتبين لنا حوليات امنحتب الثانى ، أكثر ملوك مصر جميعا قسوة وغلظة ، انه بعد غزوة واحدة فقط من غزواته الآسيوية ، جلب الى بلده ٨٢٨ امرأة ضمن غنائم الحرب : « محاربون » maryanou مع زوجاتهم الـ ٢٤٠ ( ٠٠٠٠٠ ) ، و « أطفال اناث » من أبناء الامراء ، ٢٢٨ ، ومغنيات الامراء من كافة البلاد الاجنبية ، ٢٧٠ . ولقد تحدد بوضوح أن هؤلاء النساء قد أحضرن معهن مقتنياتهن الثمينة جدا ، أى مجوهراتهن وحليهن ، وكان الفرعون يأمر بالعناية بهن وتعهدهن ، حالما يتم اسرهن ، لأن الحسن والجمال الشرقي كان يذوق كثيرا على ضفاف النيل . أما الأقل سحرا وجمالا منهن فلا يخصصن للقصر الملكى ،

ولا لاملاك كبار القوم ، ولكن كن يلحقن غالبا بالمؤسسات الدينية كمغنيات ، وراقصات وخادومات . وهكذا كان يفعل كل من حور محب ، وسيتى الاول ، ثم بعد ذلك رمسيس الثانى الذى تمادى فى عذائته واهتمامه بهن الى درجة « وشمهن » باسمه . أما عن صناعة الأقمشة من اجل النساء ، وأعمال الحرث ، وتربية الماشية ، وزراعة القمح ، وصناعة الطوب ، والبناء ، فكان من نصيب الرجال . ولكن حالما يتم أسر هؤلاء النساء ، كان يوفر لهن الأمن على الدوام . فمثلا ، عندما كان يلاحظ أن أحدهن قد أصابها الارهاق بعد سيرها لمسافات طويلة ، وتبدو متعبة ومرمقة للغاية ، « هنا تحمل فوق كتف أحد الجنود المشاة ، لدرجة انه يلزم بترك عتاده نهبا للآخرين . أما هو فيبقى مكلفا بالأسيرة ، وكانت أسيرة الحرب تعرف بصفتها السامية : « سرتى Serti » ( من اللغة الاشورية : « اسرتو esirtu » ) .

### التجار واسعار المستعبدات :

ويبدو واضحا أن عدد « الأسيرات » اللاتي كان يتم بيعهن ( فالفرعون كان يبيع جزءا من غنائمه ) ، قد ارتفع وتزايد بشكل ملحوظ خلال الدولة الحديثة ، وبذا كان التجار السوريون - « الشوتيو Shoutyou » - يقومون بتجارة مثمرة رابحة ويعتبرون بمثابة اكبر الموردين « لفتيات اللهب والرح في منازل احتساء الجعة » ، هؤلاء الفتيات كن يدخلن البهجة والسعادة على نفوس الطلبة الشبان الذين كانوا يوبخون ويؤنبون بدون جدوى ، من جانب كتبة التعاليم الوقورين .

ومع ذلك ، فان هؤلاء الموردين كانوا يتعاملون أيضا مع ربوات البيوت الراغبات فيمن يقمن بخدمتهن . لقد علمنا فى هذا الصدد بقصة السيدة المدعوة « ابرى نفرت » التي كانت تعيش فى بيت رئيس إحدى المقاطعات ( وكان يدعى ساموت ) ، منذ سبع سنوات ، وجاءها التاجر المدعو « رعيا » يقترح عليها أن تشتري عبدة سورية شابة ، كان قد أطلق عليها اسم : جمنى - حر امننت ( ومعناه : « لقد وجدتتها فى الغرب » ) . قال لى ! « خذى هذه الصبية ( أو البنت الصغيرة ) واعطينى ثمنها » . وثمنها كان عبارة عن أربعة دبن ، وكيلى واحد من الفضة ، وكانت تعادل ستة أطباق من البرونز ، وعشرة دبن من النحاس ، وخمسة عشر ثوبا من الكتان ، وغلالة وملاءة ووعاء من العسل ( ١٤ ) . ولكى تستطيع السيدة ابرى نفرت Iberfret أن تسدد ثمن ما اشترته ، اضطرت أن تقتترض بعض المال من جارتها . ولم تستطع أن تسدد لها دينها ، فقامت الجارة برفع دعواها للقضاء ، وكان أخو زوجها ضمن شهود الاثبات . أما الزوج فقد رأى أن الأمر برمته لا يخصه مطلقا ،



فبقى بعيدا تماما عن المشكلة ، . ومما هو جدير بالذكر ، أن « الدين débèn الواحد يعادل ٩١ جراما ، وأن الكسيتي ٥٨ الدين ٩١ جرام . ويبدو أن ثمن العبيد من الرجال كان أقل سعرا من ثمن الجاريات ( تقريبا النصف ) فى نفس تلك الفترة . وهذا ما بينته برديتان موجودتان حاليا باللوfer (١٥) : ثمن العبد القادم من الشمال ، حوالى ٢٥ دين فضى ، وفى بردية المتحف البريطانى (١٦) نجد أن ثمن العبد « باى عنخ » Paineekh يعادل ٢ دين فضى . وقد لوحظ أيضا فى تلك الفترة أن « العمال » كانوا يسجلون مع الاشارة للاماكن التى وفدوا منها ، بالإضافة الى ذكر أسماء أبويهم .

### تأجير « الخادومات » :

كانت توجد أيضا فئة من الخدم الذين كانوا يؤجرون للعمل فى بعض التجمعات أو المؤسسات والادارات ، أو حتى لدى بعض الأفراد . وفى عهد الأسرة الثامنة عشرة ، استلزم الأمر تقديم عجل بقر واحد مقابل عمل الخادمة طوال أربعة أيام ، وهذا يبدو ثمنا باهظا ، وكذلك كان الأمر فى عهد الملك اخناتون - بالنسبة للوحدات الفضية العشر التى طالبت بها السيدة ، التى أجرت خادمتها بهذا الثمن ، لفترة عشرة أيام من العمل ، والتى تناولناها آنفا :

وكان فى استطاعة بعض المزارعين استئجار بعض الجوارى لعدة أيام من بعض التجمعات التى كانت تضعهن تحت أمر جموع الشعب . وبذا ، أصبحت إحدى « الجوارى » ملكا لمدينة الفنتين . وكان يوجد كذلك فى ضيعة عمال مدينة القبور « بدير المدينة » خدم على هذا النمط من النساء والأطفال الذين كانوا يعملون لدى بعض السيدات الكبيرات اللاتى كن يملكنهم . وفى نطاق بعض الأسر الأخرى ، يلاحظ الاستعانة بهذه الأيدي العاملة المجانية التى تقدم لعمال مدينة القبور ، مثلها كمثل كافة أنواع الغلال التى كانت تقدم لهم لاستعمالها فى المعيشة ، وكان على هؤلاء النساء أن يقمن بطحن الحبوب فى كل بيت يعملن به . ومع ذلك ، فإن زوجات العمال كن يقمن بعجن الدقيق ، فقد كان دورهن الأساسى قبل كل شيء ، هو اعداد الخبز اللازم يوميا لأهل البيت جميعهم .

ولا شك أن هؤلاء الخادومات المتواضعات ، وهن يتنقلن من بيت الى آخر ، ويتعاملن مع مختلف الأنماط من البشر ، قد اكتسبن على ( الطريقة الشرقية ) ، نوعا من الحكمة الهادئة الرصينة . لذا ، قال عنهم الحكيم بتاح حتب (١٧) :

« ان الحكمة الحقيقية لاكثر ندرة من الحجر الأخضر ، ولكن ( أحيانا ) نجدها لدى الخادومات اللاتى يعملن على حجر الرخى ، .

### تحرير « الجارية » وتبنيها :

لم يكن مصير العبيد والجوارى فى أرض الفرعون مصيرا قاسيا أو اليسا : فلم يعثر حتى الآن على أى عقد يقر العلاقة فيما بينهم ، ولكنهم كانوا يعيشون معا فى حالة معايشة مشتركة . وعلى عكس ذلك ، فمن المعروف أن أى رجل حر يستطيع أن يتزوج أية جارية ولدت فى نطاق أسرة مصرية ، بعد موافقة ربة البيت ( وفى بعض الأحيان كانت ربة البيت هى التى تختار الزوج لجارياتها ) . والجارية عندما تتزوج برجل حر تصبح طبيعيا حرة مستقلة ، وكذلك الحال بالنسبة لابنائها منه : ولقد ألغى هذا القانون فى عصر البطالمة . وبمناسبة الزواج ، كان أسيادهم يرتبون « مهرا » مناسبيا « للجارية » .

ولزيادة تفهم مضمون هذه الزيجات « المختلطة » ، التى يتولد عنها تحرير الجوارى ، علينا أن نرجع الى النصوص نفسها .

فى البداية ( بردية التبنى ) ، وفيها تذكر قصة إحدى السيدات التى تزوج أخوها « باديو » من جارياتها الشابة : « أنا ( سيدتها ) اقبله أى « باديو » من أجلها ( الجارية ) . إذن فسيكون معها ( منذ ) هذا اليوم . والآن ، انظروا ، لقد جعلت منها امرأة حرة فى أرض الفرعون . وإذا حملت ولدا أو بنتا ، فسيصبحان هما أيضا أحرارا فى أرض الفرعون ، وفقا لنفس السياق ، ( لأنهم ) سوف يعيشون مع رئيس الاسطبل ، باديو ، شقيقى الأصغر . ( وتنتى بعد ذلك قائمة بأسماء الشهود ) .

وكان من الممكن أيضا حدوث عكس هذه الحالة ، وفقا لما بينته لنا أحد النصوص المحفوظة بمتحف « اللوفر » . والموضوع خاص بامرأة حرة تزوجت أحد « عبيد » عمها أو خالها ، وهو أسير حرب من حروب تحتمس الثالث :

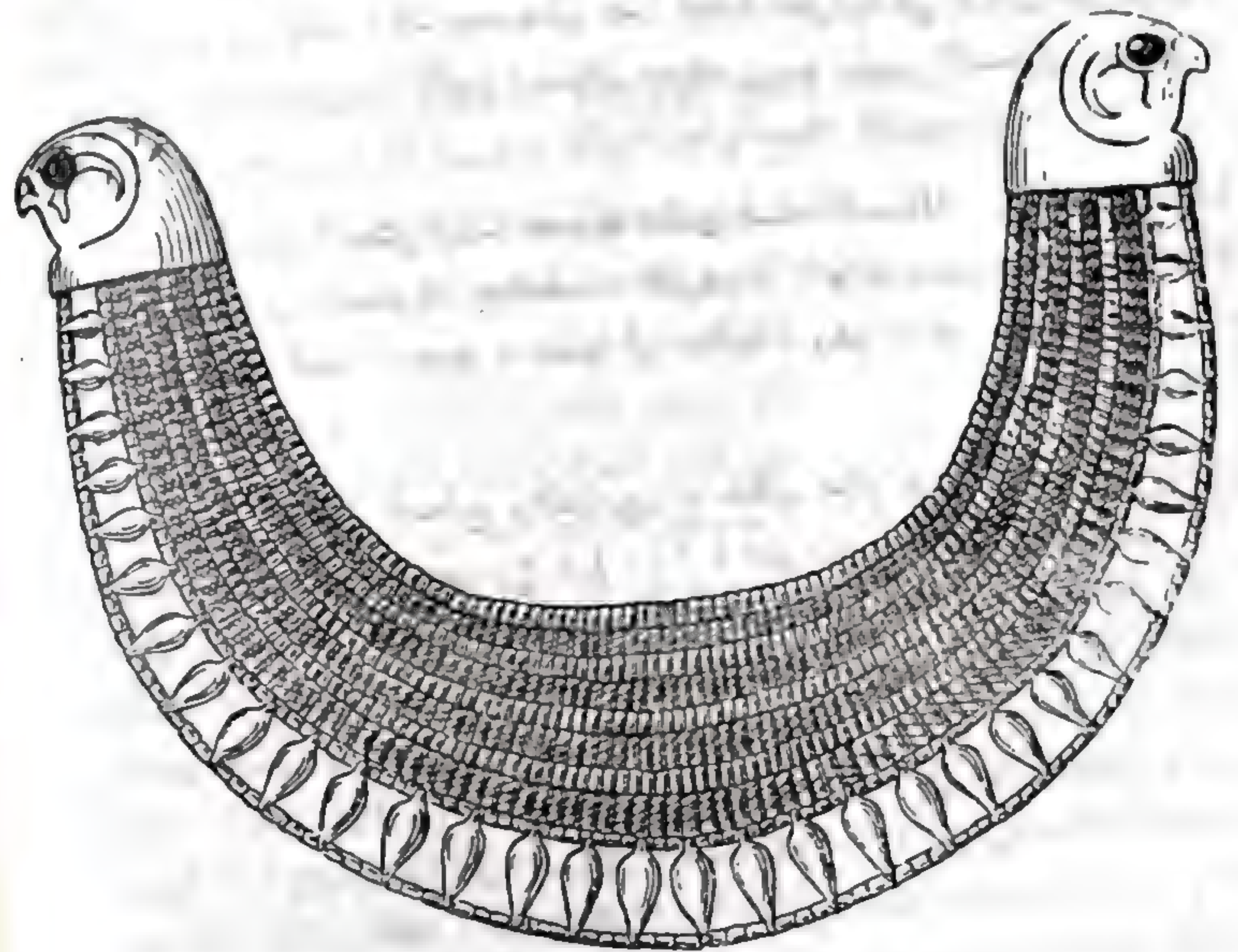
« فى العام السابع والعشرين ، خلال حكم جلالة ملك الجنوب والشمال « من خبر رع » ( ٠٠٠ ) ابن رع ، تحتمس ( ٠٠٠٠٠ ) مثل كحلاق الملكى « سابا ست » أمام « أبناء كب » بالقصر الملكى ، ليعلن : « أن العبد الذى منح لى ، كمنحة خاصة ، والذى يدعى « أمين يويو » ، قد كسبته بقوة ذراعى ، خلال مصاحبتى للملك : فاسمعوا من معبد باستت هذا ، « سيدة تل بوباستيس ( تل بسطة ) » ونياية عن أبى الحلاق نب ساحنو ، انه لن يوقف أبدا أمام أى باب من أبواب الملك . لقد أعطيته ابنة أختى « نيتا » كزوجة له ، وتدعى « تا كمنت » . ولقد أجريت تقسيما لصالحه مع زوجتى وأختى أيضا . وبذا ، فلم يعد فقيرا أو معدما .



« وقد كتب هذا النص ( الكاتب الملكى نى ) بحضور الحارس  
امنمحات ، والكاتب الملكى احمس ، وكاتب ( الاقطاعات ) الملكية باكى  
Baki ، والكاتب الملكى امنمس ، ورئيس البوابة امنا (٠٠٠٠) » .

والامر المثير للاهتمام هنا : هو ان مواطنة مصرية قد ربطت حياتها  
بحياة احد اسرى الحرب ، بموافقة جميع افراد اسرتها . وهى تقسم  
لزوجها بعض الاملاك بل ومركز سيده السابق ، الذى كان على استعداد  
ان يورثه لقبه كحلاق للمعبد الذى ورثه عن جده ، ولا ريب ان هذا الاسير  
كان نوبى الجنسية ، وقد تم تحريره امام « ابناء كب » الذين كانوا ينحدرون  
غالبا من العنصر النوبى (١٨) . وكانوا بالنسبة له بمثابة الوكلاء .  
ولا شك ان ، ان المصريين لم يكن لديهم اى تعصب عنصري .

وخلاف ذلك ، فان كافة طبقات المجتمع ، كانت تستطيع تبني  
« الرقيق » . وهناك بعض الحالات التى بينت بعض السيدات المرموقات  
الثريات وقد تبنين ابناء بعض جواريهن ، ومنحوهن هبات قيمة . ومن  
ناحية الميراث ، فان الجوارى كان من الممكن توريثهن للورثة ، مع بقية  
الممتلكات الأخرى . وخلاف ذلك ، فتحت حماية وبموافقة سيدهم ، كان



شكل (٢٨) قلادة مزينة براس حورس

هؤلاء « الأرقاء » يستطيعون ان يمتاكو اية املاك ، او ارض يتوارثونها  
انما عن اب (١٩) . وكان من الممكن ايضا ان يملكو مقادير من الكيتى  
الفضة ( بل وان يكون لهم خدمهم الخصوصيون ) . وكل  
Kite هذه الملكيات يجب ان يحترمها السيد .

وجملة القول ، فاننا نستطيع ان نقول انهم كانوا ، بشكل ما ،  
مخلوقات حرة ، ولكن بموافقة « السيد » . وفى بعض الاحيان ، كان  
الرجال والنساء ، كما رأينا سابقا ، يمنحون حريتهم واستقلالهم كنوع  
من المكافأة . وبذا ، يصبح الاعتراف بكرامتهم وحسن تقديرهم للأمور ،  
أمرا مسلما به ، ولذا ، فهناك مثال يبين ان بعض النساء الخادومات ، قد  
طلبن ليمثلن كشاهدات امام القضاء ، او يقر لهن بالاهلية الكاملة للشهادة  
ضد سيدهن . ومثل هذه الأمثلة ، لا شك انها ستكفى لى تبين ان المرأة  
« الجارية » فى مصر القديمة كانت تحظى بمكانة ، قد تحسدها عليه  
« الجوارى » فى عصورنا الوسطى .



## طفولة ، وتعليم ، وحب وخطوبة

### الطفولة

عندما نحيط بالظروف التى تم بها زواج احدى بنات الحرفيين ، او بعض افراد الطبقة المتوسطة ، او بعض النبلاء والأمراء ، يمكننا بعد ذلك ان نرافق العروس الشابة الى عش الزوجية ، ونشاهد حياتها العائلية . ولكن اعتقد ان الواجب يستلزم قبل ذلك ، ان نبين ونشرح ، كيف كانت تمر السنوات الاولى من حياة صبية ما قادرة على السير ، والتحدث ، وعلى الانغماس فى ألعاب الطفولة . فمن الملاحظ ان الطفلة حتى العام الثالث من عمرها على الأقل ، كانت تستمر فى الرضاعة جزئيا من لبن أمها ، أو مرضعتها . وفى فصل الصيف ، اذا كانت تعيش مع أسرته فى مصر السفلى ، وخلال فصلين من فصول السنة الثلاثة فى مصر العليا ، حيث الجو أكثر دفئا ، فانها كانت تتجول عارية تماما فى بيت أبويها أو خارجه ، ولكنها كانت لا تزال تعلق فى رقبتها بخيط رفيع خرزة زرقاء من الفيروز ، التى يفترض أنها تقيها من شر العين الشريرة ( وما زال هذا التقليد سائدا حتى يومنا هذا ) . ومثلها كمثل كافة اطفال القرية والشعوب التى تعيش فى الهواء الطلق ، كان يربط ما بينها وما بين الحيوانات المحيطة بها نوع من التفاهم واللفة فهناك مثلا الماعز الصغيرة ، والبط ، والأوز ، والحمام ، وطيور القنبرة الأليفة ، والقطط ، وكلاب البيت التى كانت تعرف كيف تبعد الثعابين والعقارب . وكان هناك أيضا ، فى بعض الأحيان القروء ذات الفراء الأخضر اللون . هذا الحيوان المازح المسلى المتردد كثيرا على البيت ، والذى كان يتنازع معها ، خلال الفصول المثمرة على ثمار التين من شجرة التين . أما عن اللعب ، فكانت فى معظم الأحيان ، تتكون من بعض بقايا الأدوات المنزلية التى تقع تحت يدها ، ولكن عثر أيضا فى الحفائر ، على الشكل الحيوانى الأزلى المشكل من الخشب ، ومزود بعجلة صغيرة ، ويجر بواسطة حبل رفيع ، وكذلك الحافلات الصغيرة المصنوعة من الطين النضج ، ممثلة لعربة الفرعون ، ولكن من يركبونها كانوا بعض القروء ، أما عن العروسة



## التثقيف والتثذيب

منذ وقت مبكر ، وبداية من العام الرابع ، وطوال سنوات عديدة ، كان يمكن قبول بعض الفتيات الصغيرات لتلقى التعليم المقرر للأبناء الذين يعدهم أبائهم لكي يكونوا موظفين بالدولة . وكانت الضرورة تستلزم قبل كل شيء الحصول على مهنة « كاتب » ، ولم يكن هذا يحدث كثيرا بالنسبة للفتيات ، ولكنه كان أمرا قائما فعلا ، لأن بعض الوظائف كانت تفتح أبوابها للنساء . ومثلن كمثال زملائهن ، وقد ملاهن الزهو والفخر لانتمائهن الى ربة الكتابة والأرشييف ، الالهة العظيمة الساحرة « سشات Séchat » فكان يذهبن الى المدرسة ، حيث كان النظام صارما حازما ، وحيث كانت العقوبات الجسدية تطبق وفقا لحكمة ومنطق سليم :

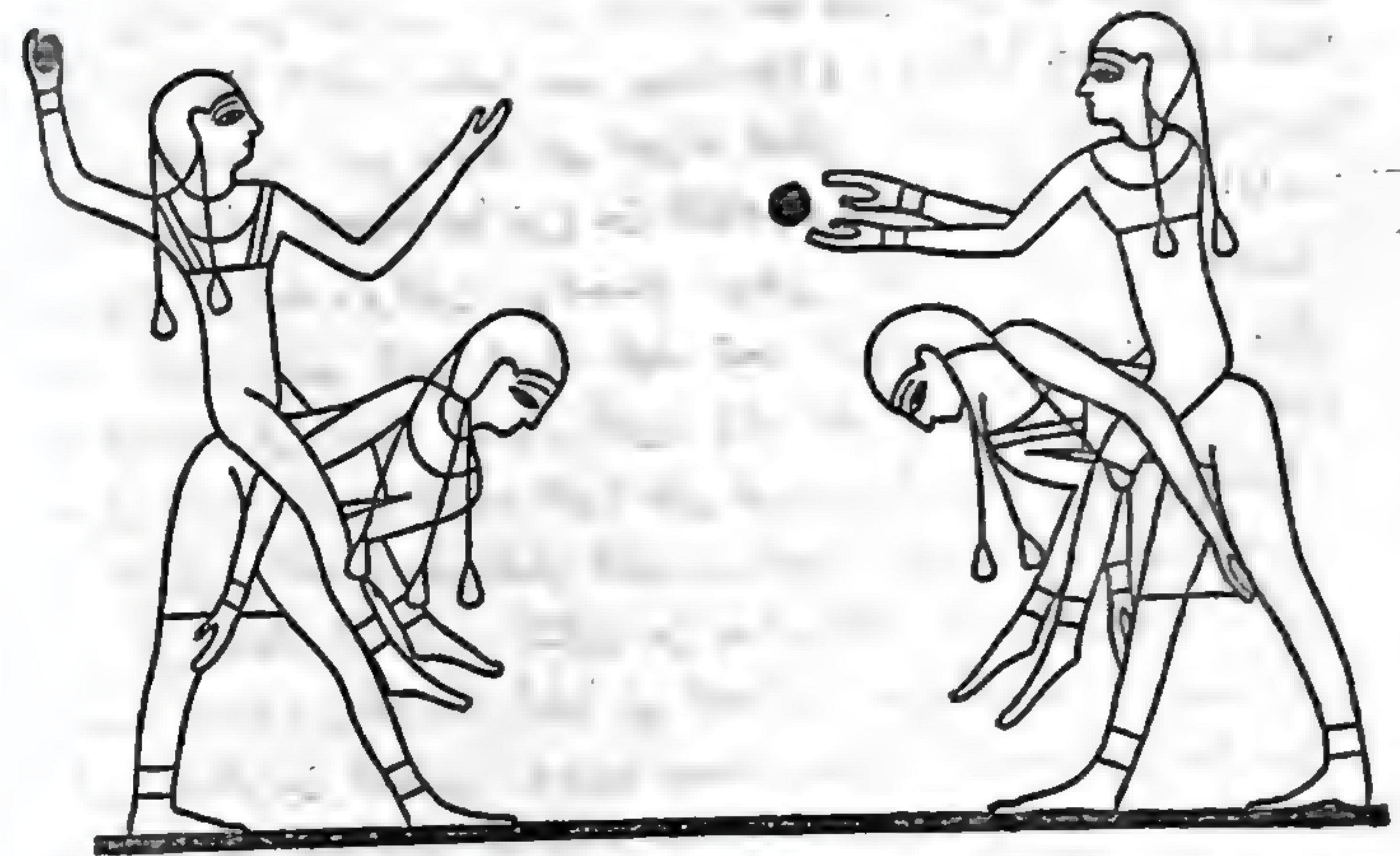
( ..... ) لا تضرب من أجل أخطاء سابقة . فالعقوبة الطفيفة التي توقعها على الفور ، أفضل كثيرا من عقوبة شديدة ، ولكن متأخرة .

وكان أول عمل يركز على الإمام بالتعقيدات والتركيبات الخاصة بالكتابة الهيروغليفية التي تعبر عن لغة قديمة مهجورة لم تكن تستعمل إلا من وقت بعيد في اللغة الدارجة . ولذا ، كان الأمر يستوجب ، من البداية ، الإمام بقوائم العلامات والإشارات ، المقسمة الى فئات ومعها طريقة نطقها ومعانيها . بعد ذلك ، يلزم الأمر الإمام بقوائم الكلمات المجتمعة معا بواسطة المعنى ، ثم أداء بعض التمارين التي يقمن خلالها بنقل نصوص قصيرة تقليدية بالكتابة « المختصرة » ، والتي نطلق عليها نحن ، لفظ « الهيروغليفية » ، والتي كانت تعبر عن اللغة الدارجة في تلك الحقبة . ووجدت أيضا التمرينات الخاصة بقواعد اللغة ، ولم يكن ينسى أبدا نصريف الأفعال . وكان الطلبة يقومون بعد ذلك بتأدية واجبات الانشاء تحت إشراف وتدريب دقيق حازم من جانب المعلم . وكل يوم ، يؤرخ الطالب ما ينسخه ، وبذا ، تتسلل « العلوم الأدبية » رويدا رويدا الى عقله ، ومن هذه العلوم : النصوص الأدبية ، بعض بحوث الحكمة والأعمال الخيالية ، والحكايات والقصص ، التي تركز غالبا على أسس أسطورية .

كما أن بعض مفاهيم الحساب ، والرياضيات والهندسة كانت ترسخ في عقولهم في أواخر الدورة الأولى التي تعطيههم الحق في حمل لقب : كاتب حائز على المحبرة ، أما عن الأم ، فكان عليها ، كل يوم وطوال فترة دراسة ابنها أو ابنتها ، أن تحضر لمعلم المدرسة ثلاثة أرغفة من الخبز وجرتين من الجعة . وبالنسبة للفتيات الصغيرات القلائل اللاتي قبلن للتعلم في أي علم من العلوم ، فإن تخصصهن كان يتم إما في بعض

المصنوعة من الخشب ، ذات الأعضاء المفصلية ، فكانت موجودة أيضا ، على الأقل في العصر المتأخر . وكانت أجمل مكافأة بكل تأكيد هي امتلاك غزاة صغيرة يتم اقتناصها من الصحراء ، والتي كانت أكثر صبيات المجتمع ، سعادة يستطعن الاحتفاظ بها في أحضانهن ، مثلها كممثل كنز ثمين للغاية .

وكانت الفتيات الصغيرات يمارسن التمرينات الرياضية ، مثلن كمثال الأولاد الصغار ، كما كن يشاركنهم في ألعابهم . فكانوا يشاهدون دائما وهم يجرون معا ، بل ويقفزون ، فيما يشبه لعبة « الحطة - نطة » ، حيث لا يعرض اللاعب « الجلود » ( أو اللاعب « الجلود » ) ظهره ، ولكنه يجلس على الأرض ، وكانت ذراعه أو ذراعاها ويداه أو يداها المفتوحتان الواحدة فوق الأخرى ، مما اللتان يجب على الشركاء في اللعبة تخطيها دون لمسهما ( ما زالت هذه اللعبة تمارس حتى أيامنا هذه في الريف المصري ، وتعرف باسم غزة اوزه Khazza-Lawizza ) . وكانت الفتيات الصغيرات يتلقين دروسا فعلية في الحركات الأكروباتية ، التي تؤهلن للقيام بالاستعراضات الخاصة بالطقوس الدينية في مناسبات التابين ، أو الطقوس الجنائزية ، أو حتى للمساهمة في مناسبات الاحتفالات الشعبية . وإلى جانب حركات الليمونة والرشاقة ، كانت تضاف ألعاب البراعة والمهارة حيث كان يستعان غالبا ، بكرات جلدية .



شكل (٢٩) أطفال يلعبون



المؤسسات أو المنشآت الادارية تحت رعاية « طالب من القدماء » ليقيم بتوجيههم ، واما في « بيوت الحياة » التي كانت الاملاك الدينية الكبرى تتضمنها في رحابها .

وبصفة عامة ، فإن التعليم في المدرسة ، بل وفي نطاق العائلة ايضا ، كان واجبا أساسيا بالنسبة للأباء الذين يعلمون أبناءهم احترام مبدا « الماعت » ، أي الخضوع لقواعد التصرف الذي يحمي من المخالفة التي تعوق المجرى الطبيعي للأمور : « انه تمثال من الحجر ، هذا الغبي الصغير الذي لم يحم أبوه بتعليمه وتقويمه » . وكانت الضرورة تحتم ان يعد البالغ المقبل لحياة سعيدة واجتماعية ، أي باختصار لحياة « من يصمت للماعت » ، والذي يسلك سلوكا طيبا مع الآخرين ومع الاله ، والذي وصفه عالم المصريات « برورنر H. Brunner » قائلا : « الشاب المصري البالغ ، الصورة المثالية للانسان الذي يتقبل العناية الالهية من يد الرب ، والذي يندمج فيما يحيط به ، ويكون حلوا المعشر ، هادئا ، متواضعا ، منظما ، مخلصا ووفيا ، لا تجتاحه أبدا ثورة الانفعال ، ولا يكون أبدا متهورا بدون تعقل » .

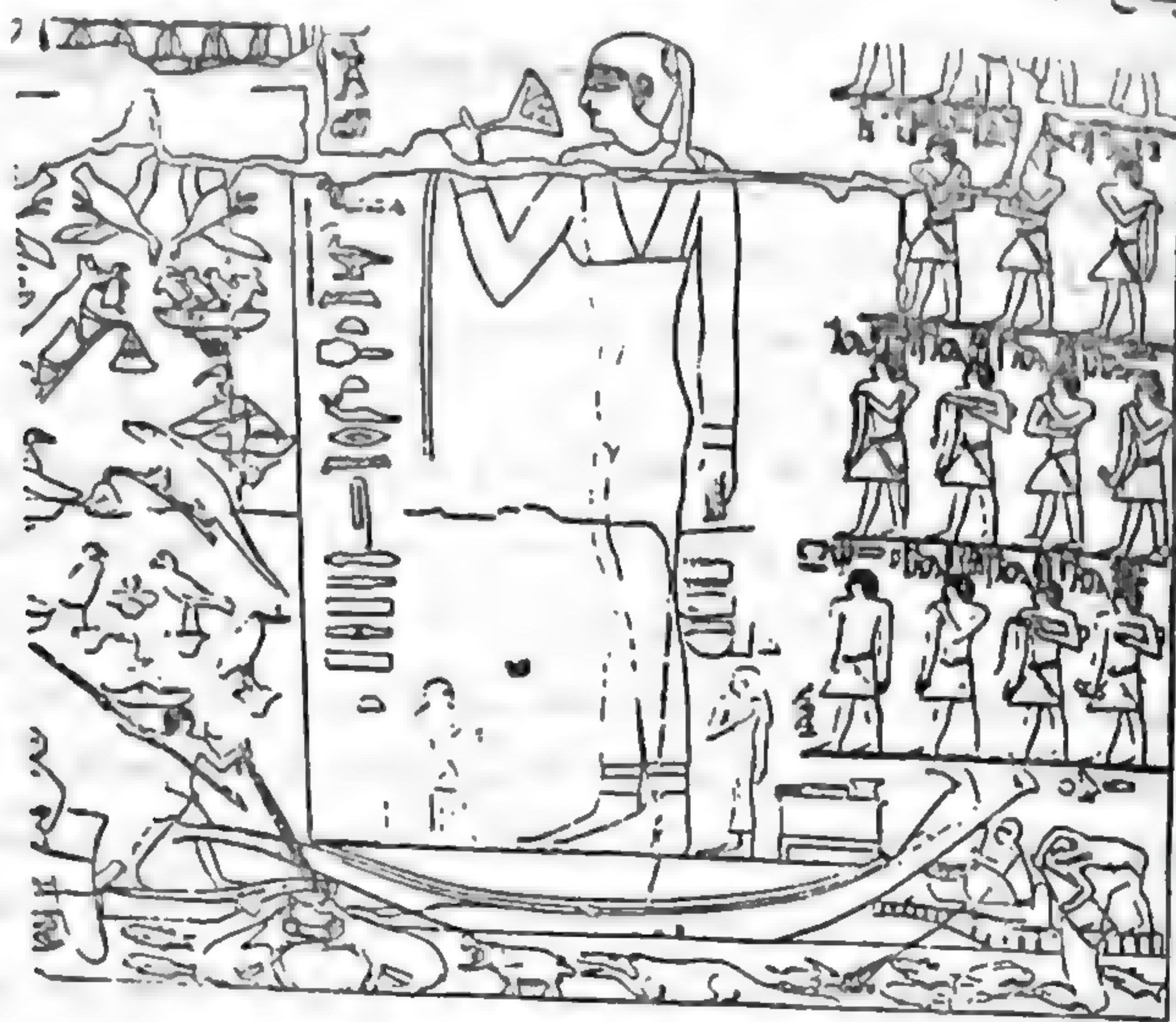
ولا ريب مطلقا ، ان هذا التأهيل ، كان يتصف ايضا بالحزم بالنسبة للنبات ، ويعطى شعارا طيبة ، وبذا ، ففي أواخر عهد الاسر الوطنية ، أعلن « بتوزيريس Petosiris » كبير كهنة الاله تحوت ، في الأشمونين Hermopolis ، قائلا بخصوص زوجته ، بأنها قد نهجت تماما على نهج هذه القاعدة :

« زوجته ، حبيته ، ربة الحسن والجمال ، الرقيقة بحبها ، ذات الكلمة الفصيحة ، والأحاديث الطيبة ، والنصائح النافعة في كتاباتها . ان كل ما تنطق به شفاها يتشابه تماما مع أعمال « الماعت » . انها زوجة كاملة ، لها مكانة مرموقة في بلدها ، تمتد يدها الى الجميع ، وتتكلم كلاما طيبا ، وتردد ما يستحب ، تسعد كل واحدة ، ولا يخرج من بين شفيتها كلام سيئ » ، مفعمة بالحب للجميع ، « طنبت نفرت » ابنة كبير الأعضاء الخمسة ، رئيس الحكمة « بفتا أونيت » ، التي ولدتها السيدة « سات ورت » .

ولا شك ان أوائل المنتفعات بمثل هذه الثقافة والتربية ، كن ، بطبيعة الحال ، بنات النبلاء والأمراء ، اللاتي يتيسر لهن الالتحاق بمدرسة القصر الملكي مع أبناء وبنات الأسرة المالكة . ولذا ، فليس من المستغرب مطلقا ، ان نرى ذلك المنظر الذي يرجع الى الدولة القديمة ، والذي يمثل الأميرة « ادوت Idout » ، في مقصورتها بسقارة ، أثناء تنزهها بمركبها ، وقد أخذت معها كل مفادتها اللازمة لها ككاتبة ،

ووضعتها بكل عناية على ظهر مركبها . ومن خلفها وقفت معلمتها وموذبها « سش سشت Sèchsèchèt » .

ولم يكن يشوب مخيلة أو تفكير المصري شائبة أي تفكير طائفي أو طبقي . وكان عليه فقط ان يذكر جيدا ان الرب قد خلق البشر كلهم سواسية ، كما كان يؤكد ذلك الحكيم . ولذا ، فإن الفتاة التي كانت تولد في أسرة متوسطة الحال ، ولكن في نفس الوقت ، تبدو منذ حداثة سنّها على الصفات المطلوبة ، فإنها كانت تستطيع ان تأمل يوما ما في ان قطعة البوص التي تكتب بها سوف تقودها الى المشول عند قضي الفرعون : وهناك بعض التعاليم التي ذكرها الحكيم « بتاح حتب Ptahhotep » ( ١٧٥ - ١٨٤ ) ، والتي تبين هذا الترقى الاجتماعي المؤكد الذي يفتح الباب على مصراعيه للجميع :



شكل (٣٠) نزهة بحرية

« اذا كنت متواضع النشأة ، واذا كنت من أتباع أحد الأشخاص المرموقين ، فلتنس أن هذا الرجل كان متواضع النشأة قبل ذلك ، فلا تكن وقحا معه ، بسبب ما تعرفه عن ماضيه . ولتحترمه ، بسبب ما قدر له ، فالثراء والرفعة لا تأتي إلينا من تلقاء نفسها ، فان « الرب » هو الذي يمنحنا إياها » .

تعليم المهين :

كانت المصريات المنحدرات من أكثر البيئات بساطة ، ولكن تلقين



تعليميا مناسباً متخصصاً ، يستطيع التطلع الى الوصول الى بعض الوظائف التي يمكن أن يقمن بممارستها من أو الرجال على حد سواء ، بالرغم من أن نسبتين فيها كانت أقل . ولكن المعلومات في هذا الصدد ، تعتبر لسوء الحظ ، قليلة .

ومع ذلك ، فقد وصل الى علمنا مثال عن السيدة التي شغلت منصب قاض ومنصب وزير ، وتدعى « نبت » Nebet . وهي الحماسة الثانية للملك بيبي Pepi الأول ، من الأسرة السادسة . ومن المحتمل جداً أنها تعتبر بمثابة استثناء فعلى ، وأنها قد احتلت هذا المنصب لكونها تنتمي الى أسرة قوية للغاية بأبيدوس ، ويبدو أن هذه الأسرة قد قامت بحماية الملك عند وقوع مؤامرة الحريم . وتكرر التعيين في هذا المنصب خلال الأسرة السادسة والعشرين .

مهن حرة ، وكتبة ، وموظفون :

منذ عهد الدولة القديمة ، كانت بعض الفتيات يستطيعن تماماً أن يسلكن مجال تعلم الطب والجراحة ، منذ وقت مبكر في نطاق التاريخ ، بما أننا نعرف أن إحدى السيدات وتدعى « بسشت » Peseshet ، التي دفنت في إحدى مصاطب ، والتي ترجع الى الأسرة الرابعة ، حملت لقب « رئيسة الطبيبات ومن المعتقد أن هذه المهنة كانت تتطلب ممن يمارسها أن يعالجن أساساً النساء والأطفال ، وقبل كل شيء سيدات الأسرة المالكة . وهذا هو المثال الأول في العالم للمرأة الطبية .

أما عن مهنة المرضعة فقد كانت قطعاً لا تتطلب اعداداً خاصاً إذا كانت المرضعة تقدم خدماتها للأسرة المتوسطة ، والمرضعات الملكيات ، ومن كبار سيدات المجتمع ، اللاتي يقمن برعاية بنات الملك بل والأمراء الصغار أيضاً ، فقد كان يلزم بأن يكن على المام بالتعليم اللازم الذي يسمح لهن بمتابعة دراسات أسياذهن النبلاء الصغار ، ومنهن « سش سشت » Seshseshet معلمة ومهذبة الأميرة « ادوت » Idout . وتختلف عن ذلك تماماً فئة المولدات ، وأكثرهن استحساناً وتقديراً في نطاق البلاط الملكي ، كن قد تلقين بعض مبادئ العلوم الطبية . وفي معظم الأحيان ، كن يكملن مهنتهن بمهنة الغناء والموسيقى .

وغالباً ، كانت عضوات الحريم الملكي يعين رئيسات لورش النسيج بالقصر الملكي . كما أن سيدات المجتمع الراقى كن يستطيعن إدارة مصانع النسيج الكبرى المحلية . والبعض الآخر منهن ، كن يبدون على مقدرة تؤهلن ليكن مديرات لقاعة الشعور المستعارة ، وكان عليهن إذن ، أن يشرفن على صناعة هذه العناصر المهمة لتزيين سيدات البلاط الملكي ، بل والفراغة أيضاً ، خاصة بداية من الدولة الحديثة .

أما النساء اللاتي كن يتلقين التعليم الذي يؤهلن لشغل وظيفة « كاتب » ، فقد استطعن الالتحاق « بالادارة » . ولا شك أن الألقاب التي كن يحملنها ، تترك أي مجال للشك ، في هذا الموضوع (١) . ولقد قام عالم المصريات « فيشر » H. Fischer بجمع أكثر من خمسة وعشرين لقباً منبأيناً من هذه الألقاب منها : المديرة ، رئيسة المخازن ، مراقبة المخازن الملكية ، مفتشة غرفة الطعام ، مفتشة الخزنة ، أمينة الخزنة ، المشرفة على الملابس ، مديرة قطاع الأقمشة ، مديرة الكهنة الجنائزيين ، مديرة الناحيات ، المسئولة عن الضياع الجنائزية ، المشرفة ( قهرمانه ) على الأجنحة السكنية الملكية . . . . ولم يلاحظ أبداً في أي عهد من العهود ، كما لوحظ في عهد الدولة القديمة ، وجود هذا العدد الضخم من الوظائف التي تقلصت وتضاءلت الى حد ما ، خلال الدولة الوسطى ، عندما بدأت وظيفة الـ « نبت بر » Nebet-Per أي « ربة البيت » ، تجتذب بشكل مذهل معظم أوجه النشاط الأنثوية . وعموماً ، يلاحظ ، بالنسبة لهذه الحقبة ، أنه مهما كان عمر أو جنس الموظفين ، في عمل ما ، فإنهم كانوا يحصلون على أجور متساوية .

أما في الدولة الحديثة ، فقد أمسك الرجال بكافة مقاليد الجهاز الإداري . ولكن ، أحياناً ، كان بعض الموظفين الذين ينقلون الى أماكن عمل أخرى ، يستطيعون أن يحلوا زوجاتهم بأماكنهم ، وكمثال على ذلك هذا الوكيل بخزانة الدولة الذي أوكل لزوجته سلطة تمثيله في عمله ، وأن تواتيه تقارير مفصلة .

ومن خلال الوثائق المتبقية من الدولة الوسطى ، نرى أن هناك وظائف للنساء كانت ذات صلة بتنظيم الجهاز الإداري . وللوصول اليها ، كان الأمر يستلزم التدرج بمهنة الكاتب ، وكمثال على ذلك إحدى مديرات مخزن الكتان الملكي (٢) الذي يقدم كقربان للاله .

وبالإضافة لذلك ، كانت تكثر أيضاً مهنة « مدير إدارة » ، مثل « إدارة الأختام » ، في عهد الدولة الوسطى ، وأكثر حاملات هذه الوظيفة شهرة هي السيدة « تشات » ، وكيلا أملاك الحاكم « حنوم حتب الثاني » ، ببنى حسن ، « مديرة خزائن ( سد جواتيت ) » ، والمسئولة عن جميع أملاك سيدما . . . وسوف نتناول هذا الموضوع بإسهاب أكثر في الفصل الخاص « بالمحظيات » . ويلاحظ أيضاً وجود آثار لمهنة رئيسة الخدم الاناث ، وكانت مهنتهن على درجة كافية من الأهمية ، لكي يتمكن من تكريس لوحات خاصة بهن « بأبيدوس » . أما النساء اللاتي كن يعملن كسكرتيرات ، في إطار الأسرة الثالثة عشرة ، فقد كن يستطيعن الحصول على العمل حتى في البلاط الملكي نفسه .



وهناك مهنة خاصة ، استطاعت النساء أن يزاولنها ، ألا وهي مهنة « امرأة الأعمال » الفعلية ، وكمثال على ذلك ، السيدة « نينوفر » Nénofér . وهي صاحبة أراض شاسعة ، وأملاك وعقارات مهمة ، في عهد الدولة الحديثة . وكانت هذه السيدة توكل لوكلائها التجاريين ( شوتيو Shou-tyou ) بمهمة ترويج المنتجات التي ترغب في بيعها ( وهؤلاء الشوتيو ، كانوا دائما على اتصال بنظرائهم السوريين ) . أو أنهم هم أنفسهم كانوا من السوريين .

وكانت الاحتفالات ، في مصر ، تحتل مكانة مهمة . ولم تكن تمر أية مناسبة من المناسبات ، مهما كان مستواها ، دون أن تتضمن رقصا أو موسيقا . وعلينا أن نتصور المباح التي كان يمكن أن تدور في جنبات القصر الملكي ، أو في المساكن الفخمة : لقد تركت لنا المناظر العديدة التي تصور المآدب الجنائزية ، ذكرى بعيدة . وكانت النساء ، الموظفات بالقصر ، ورئيسات الحريم ، والقائمات بتنظيم أعياد ومباح وممتع الملك ، ورئيسات راقصات الملك ، ومديرات المغنيات ، والمفتشات ، يقمن بمهمة الانضباط والمراقبة ، ويتكفلن بمسئولية حفلات الاستقبال الموسيقية التي كن يزينها بالزهور بأذواق خاصة ، وبالحفلات الراحية والترفيه الملكية . وكانت المساكن الفخمة تتضمن كل هؤلاء المستخدمين من الإناث اللاتي كن يشاركن بخدماتهن مع بنات الأسرة . ولكن ، كان هناك أيضا نوع من الجمعيات الخاصة بالموسيقى والراقصات ، والمكونة وفقا للقانون ، والتي كانت تؤجر خدماتها . وكانت تنقل أحيانا من بلد إلى آخر ، يصاحبها بعض مجموعات الأكروبات من أجل الترفيه الخاص ، وحفلات الزواج ، بل وأيضا من أجل بعض الأعياد الدينية الواسعة الانتشار .

#### المهن الصغيرة :

لم تكن المهن الصغيرة والتي كانت تتعلق بحرفة ما - وكلها تقريبا مقصورة على النساء - تتطلب تعليما مدرسيا . وكانت تنحصر في نطاق فن النسيج والغزل ، وصناعة الملابس ، وصناعة الزيوت المعطرة والدهانات العطرية ، وكل ما كان يتعلق بزينة السيدة ويتطلب المساهمة الأنثوية : مصفقات الشعر ، عاملات للعناية باليدين والقدمين والأظافر ، وعاملات للتدليك . أما عن أغلبية الحرف الأخرى ، فقد كانت تقتصر على الرجال . حتى عملية غسل الملابس نفسها ، فكانت توكل في أغلب الأحيان إلى الرجال .

حقيقة أن المرأة التي كانت تتسوجه يوميا ، عندما تتطلب ذلك مواسم العمل ، لتحضر إلى الحقول غذاء رجال العائلة ، لا يبدو أنها

كانت تشارك المزارعين أعمالهم . فمن النادر جدا أن نعثر على منظر للفلاحة وهي تحلب بقرة . نراها أكثر وهي تذر الحبوب ، أو تقوم بدور جامعة بقايا الحصاد . ولذا ، فإننا عندما نرى فوق جدران بعض المعابد ، أو على بعض البرديات الجنائزية ، مشهدا يمثل ملكا وملكة وهما يقدان محراثا ، فيمكننا أن نتأكد أن الأمر لا يعدو أن يكون هنا ، سوى مجرد تعبير عن السخرة الملقاة مؤقتا فوق عاتق المتوفى في العالم الآخر . وهناك ظروف مشابهة وأحوال مطابقة عبر عنها بتمثيل زوجين من الطبقة الوسطى أو النبلاء ، وهما منهما كان في عملية الحصاد ، وفي اقتلاع نبات الكتان من الأرض .

ولكن الأمر يختلف بالنسبة لجمع العنب وصناعة النبيذ . فقد كان هناك تحريم ، ولا شك أنه يرجع إلى طبيعة المرأة نفسها ، يمنعها من المساهمة في عملية جمع العنب وعصره . ولم نعرف سوى ثلاثة استثناءات فقط خلال ما يزيد عن ثلاثة آلاف عام في نطاق تطبيق هذا التحريم ، مع أن واحدة منها تخص بعملية جمع العنب « الكهنوتية » ، التي تقوم بها كاهنات الآلهة « نيت » . ولعلنا لا نستغرب مطلقا من هذه التفرقة ، عندما نفكر في بعض التقاليد في منطقة برغونيا بفرنسا التي حرمت على النساء ، منذ وقت غير بعيد ، الدخول إلى مكان عصر العنب ، بحجة أن وجودهن قد يخلل الخمر ، ولكن كان يوكل اليهن بصناعة الجعة .

وكانت عملية تجفيف وتمليح اللحوم والطيور والأسماك موكلة إلى الجزارين والصيادين ، أما عمليات العجن والخبز فكانت من الأعمال المنزلية ، وكانت أعمال الطهي موكلة إلى الخدم من الرجال ومنها كذلك عمليات إعداد الطعام . وتظهر صور القصور الخدم من الرجال وهم يقومون بعمليات التنظيف ، ويبدو أن عمليات التنظيف وتقديم الوجبات كانت تعهد إلى الخدم من الرجال .

#### الكهنوت النسائي :

كانت أبواب الالتحاق بسلك الكهنوت مفتوحة أمام المرأة بعد أن تتلقى قسطا من التعليم الديني ، وأغلب الألقاب الكهنوتية تعود إلى العصور المتأخرة ، وكان معظمها مختص بالربة « حتحور » ، ربة النساء ، وأحيانا إلى عبادة الآلهة « نيت » ربة سايس . ومثلما كانت حتحور يكرمها ويجلها الكهنة الرجال ، فإن الكاهنات القائمات بالطقس ، كن يستطعن أن يقمن بخدمة الأشكال الزبانية المذكورة ، للآلهة « تحوت » ، « وبتاح » ، وكذلك « مين » و « خنسو » ،



وبصفة خاصة فى الدولة الوسطى للاله سوبك الذى يبدو فى هيئة تمساح ( ولقد أصبحت إحدى ملكات الدولة الوسطى كبيرة كهنة الاله سوبك Sobek ) . وبما أن الكاهنات كن يمارسن الطقوس مثلهن مثل الرجال ، فقد كن يحصلن على أجور مساوية لأجورهم ، وكن يحصلن مثلهم على لقب « كاهنة » أو خادمة الاله : حمت نثر . أما أفراد الكهنوت المرؤسون والمساعدون ، فقد كان يتم اختيارهم بالطبع من النساء . ومنهن : المحضرات - المتطهرات « وعبوت » ، والمراقبات الساهرات ، والمشرفات « ورشوت » ، والمغنيات « مروت » ، والعازقات على آلة الزهر ( الصلاصل ) . وكان من الممكن أيضا أن يوكل اليهن مهمة الكاهنة الجنائزية : « حموت كا » ، تحيط بهن مساعداتهن ، ومنهن الناحبات « جروت » . وكان لهن الحق ، وفقا لبعض الشروط ، فى شغل بعض الوظائف بإدارة المعابد ، وكمثال على ذلك هاتان الشقيقتان لأحد كبار كهنة بتاح خلال الأسرة الثانية عشرة ، اللتان عينتا كمديرتين لأعمال ممتلكات الاله . وظهرت كذلك وخلال الدولة الوسطى وظيفة « زوجة الاله » أو « المتعبدة الربانية » ، وهى وظيفة أنثوية تماما . وقد شغلت هذه الوظيفة سيدات ، يبدو أنهن فى تلك الحقبة ، لم يكن قد انتسبن بعد إلى القصر الملكى . وقد عرف أن هذا النوع الخاص من الكاهنات ، كان مكلفا بانعاش الرغبة والشهوة لدى الآلهة ، أمثال مين وأمون أو بناح . وأحد التابهن ، كن لقب « يد الاله » الذى يشير إشارة شبه مستترة لعملية الخلق ، عن طريق الاستمناء التى نسبت إلى رب الأرباب « اتوم » . ويتضمن متحف ليدن تمثالا صغيرا رائعا ، لواحدة من أوائل زوجات الاله ، وهى السيدة « امست نيس » ( وتعنى : « التى يرغبها سيدها » ) ، وهى تبدو بشعر مستعار كثيف قابل للخلع ، وتضع فى قدمها صندلا ذهبيا ، وهذا التمثال من أكثر الأمثلة ابرازا للمفاتيح الأنثوية فى مصر القديمة .

وخلال الدولة الحديثة باكملها ، لوحظ انحصار شبه كامل لظاهرة اشتراك النساء فى أوجه النشاط بالمعابد ، إلا فى نطاق طيبة ، حيث تبين وجود بعض الكاهنات الثانويات . كما أن مهمة « رئيسة » حريم الاله ، قد خصصت ، كما شاهدنا ، لسيدات المجتمع ، وكانت سيدات الطبقة الراقية الصغيرة والكبيرة يستطعن شغل وظيفة مغنية آمون ، خاصة أن وظيفة « زوجة الاله » ، وكانت بمثابة وظيفة ملكية بحتة . ولم تكن مغنيات آمون يحظين بالأرباح التى تدرها خزانة المعبد فحسب ، بل كن يتمتعن أيضا ، بحرية واستقلال استثنائي . ويمكننا ذكر مثال خاص بأحدى مغنيات الاله تحوت ، التى قامت بالمبادرة بطلاق زوجها ... لمجرد أن عشيقها قد طالب بذلك (٢) . كما يبدو أن مغنيات آمون ،

كن يكونن الطائفة الوحيدة التى كانت تستطيع أن تدخل فى نطاقها ، بعض المنتسبات اللاتى ينحدرن من أوساط متواضعة للغاية ، ومنهن زوجات النساجين أو حتى زوجات الاسكافيين ، اللاتى كن يلحقن بأدنى درجات هذا الجمع .

ومن المعروف ، أنه فى أعقاب الدولة الحديثة ، بدت قوة رجال كهنة آمون فى شكل اخطبوطى ، لدرجة أن الملك لجأوا مرة أخرى إلى النساء ، حتى يمكن ازاحة كبار الكهنة ازاحة شبه كاملة ، لياخذن مكانهم ، فى فجر العصر الصاوى . وتضخم دورهن حتى فى مجال المراسم الجنائزية ، حيث حلت « ساكبات خمور القرابين » ، فى أغلب الأحيان محل « القائمين بطقوس الكا » ، فى المعابد القديمة ، فى حين كانت مجموعات العذارى الصغيرات ذوات البشرة الخالية من الشعيرات يؤدين بعض الرقصات خلال بعض الطقوس الأوزيرية .

### الحب

عندما تصل الفتاة الصغيرة فى المجتمع المدنى إلى سن المراهقة ، وسواء اكانت قد حصلت أم لا على تأهيل يمكنها - من الحصول على أية مهنة فعلية ، حتى اذا كانت هذه المهنة هى الانخراط فى سلك الخدمة بأحد المعابد التى لم تكن تتطلب أن تظل الفتاة دون زواج ، لم يكن هناك أى عائق يحول بينها وبين تحقيق أعز أمنيتها : أن تصبح زوجة ، وأن يكون لها بيتها الخاص ، وتتجب أطفالا . ولندكر هنا أمنية هذه الشابة العذراء :

« انت يا أكثر الرجال وسامة ،

ان رغبتى هى فى ( السهر على ممتلكاتك )

كرية بيت .

وأن تستريح ذراعك فوق ذراعى

وأن يغمرك حبى :

اننى أسر الى قلبى

برغبة العاشقة :

« هل يمكن أن احصل عليه كزوج هذه الليلة ،

فبدونه ، انا كائن فى مقبرة

الست انت العافية والحياة ؟



ولكن ، قبل ذلك ، كانت الفتاة تمر بمراحل فترة رومانسية فعلية  
تتضح معالمها لنا بكل سهولة من خلال قصائد الغزل ، التي وصلت  
اليها ، وقد نطالع فيها أولى خلجات العاطفة والعشق ، ومشاعر  
التحفظ والاحتشام ، والقلق والتلهف ، جملة القول ، نجد في سطورها  
كل نضارة ورونق المشاعر العاطفية المنتعشة بشيء من العشق الحسني  
الذي يبدو خجولا ، وكل تاجج واحتدام العاطفة لدى مخلوقة شابة  
تتكشف الحب بكل خف وحياء :

لقد اثار حبيبي قلبي بصوته

وتركني فريسة لقلاتي وتلهفي .

انه يسكن قريبا من بيت والدتي .

ومع ذلك ، فلا اعرف كيف اذهب نحوه ،

ربما تستطيع امي ان تتصرف حيال ذلك

وعلى ان اذهب لاحدثها في ( ذلك ) ( لرؤيتها )

انه لا يعلم برغبتى في ان اخذه بين ذراعي

ولا يعرف بما دفعني للانفصاح بسرى لامي

فيا حبيبي فلتعمل ربة النساء ،

الذهبية ، على ان تجعلني من نصيبك ،

( ..... )

ان قلبي يسرع في دقاته

عندما افكر في حبي ،

انه لا يتركني اتصرف كما يجب

انه ينتفض في مكانه

لقد اصبحت لا اعرف كيف ارتدى ملابسى

واهملت مراوحى

ولا اضع المساحيق حول عيني

ولا اتعطر ابدا بالروائح الزكية .

لا تنسحبي ، لقد كدت ان تصلى الى الهدف ،

هذا ما يقوله قلبي عندما افكر فيه

فيا قلبي ، لا تتركني للاسى ،

ولماذا تتصرف كمجنون ؟

انتظر ، بدون وجل او خوف ، ان الحبيب لقادم نحوك ،

ولكن ( احترس ) من عيون الآخرين .  
لا تتصرف بحيث يقولون على :  
هذه المرأة اصبحت عاشقة ،  
هذه تستطيع ان تبقى هادئة ، عندما تتذكره  
والا تدق بهذه الكيفية ، ايا قلبي ، ( ٣ ) .

وكما هو الحال بالنسبة لكل العاشقين في العالم ، فان الطبيعة  
الجميلة المخادعة والمتواطئة تعد شاهدا على الحب الوليد ، كما تشارك  
اشجار الحديقة في اللقاءات وفي اللهو والمرح :

شجرة ( الرمان ) تقول :

ان حباتنا تتشابه مع اسنانها

وشمارنا تتشابه مع نهديها .

وفي الحديقة كلها انا اجمل الاشجار

لاننى في كل الفصول ابقى ابدا .

ان العاشقة وصديقتها

تحت ( ظلالى يتنزهان )

وتحت تأثير الخمر والشراب ،

يتعطران بالزيوت والدهانات العطرية

ويدونى انا ، تهلك جميع نباتات القرية .

اننى اعبر الشهور الاثنى عشر ،

من كل عام ، وما زلت باقية

وحالما تذبل وردة

سرعان ما ( تنبثق ) زهرة جديدة من داخلى :

ولذا ، فانا اول شجرة

ولكن ، اذا اعتبرت الثانية ،

في هذه الحال ، فعليهم الا يكرروا ذلك ابدا ،

لاننى لن اصمت ابدا .

ولن اخبئها ابدا ،

وسوف يعرف دهاؤها ومكرها .

وسوف يكشف امر العاشقة



ولن تحمى أبدا صديقها

( ..... )

( وتقول العاشقة الصغيرة لحبيبها ) :

« انظر ، ان شجرة الرمان على حق

وعليها ان نمتدحها ،

فلتصدر اوامرها كما تشاء ، طوال اليوم

لأنها هي التي تخفيها عن الأنظار ، »

ويبدو ان شجرة التين قد اشتركت هي الأخرى في مشاعر  
الانسجام ، ولكن ليس هناك ما يماثل اجتدام مشاعر شجرة الجيميز  
الشابة التي زرعتها الفتاة بيديها :

« ان همسات ( اوراقها )

الشبيهة برائحة العسل الزكية .

انها تجيش بالسحر والجمال : فروعها الرقيقة

تصبح ( خضراء ونضرة ) .

انها مثقلة بالثمار الناضجة

اكثر احمرارا من حجر اليشب ( حجر كريم )

واوراقها شبيهة بالفيروز ،

وقشرتها تشبه الخزف

( ..... )

انه يضع رسالة في يد فتاة صغيرة ،

انها ابنة البستاني الذي يعمل عنده .

( ..... )

كانت تحت ظلال نزهة الحبيبة .

واننى لكتومة

ولن تفصح كلمة ما عما اراه ، »

ولا شك ان العاشقة سوف تمر بلحظات من الحيرة والقلق :

« بينما افكر فى حبي ،

يتوقف قلبي بداخلي .

واذا رايت قطعة من الحلوى المسكرة

خلتها ملحاً .

اما الخمر اللذيذ الحلو ،

فيبدو لى فعلا وكأنه مر علقم ، »

ولكن سرعان ما تعرف المصرية الشابة كيف تكون مرغوبة :

« ان المحبوبة تعرف تماما كيف ترمى بالحبل ذى الانشطة ،

دون ان الجأ الى عد القطعان

وبشعرها ، اطلقت نحوى احبوباتها ،

وبعينها ، جعلتنى اسيرا ،

وبزينة امسكت بزمامى واخضعتنى ،

وبلسانها وشمتهنى بالحديد الملهب ، »

ثم سرعان ما تستسلم المحبوبة لحبها :

« عندما اخذها بين ذراعى

وتطسوقنى ذراعاها

فكأننا فى « بلاد بونت ،

وكان الجسد مخضب بزيت معطر .

وعندما اقبلها

فتصبح شفيتها منفرجتين

اشعر باننى نشوان

دون ان اشرب جعة

فيا ايها الخادم ، اننى اقول لك ،

اسرع باعداد الفراش ،

ولتاخذ كتانا رقيقا لغطية جسدها ،

ولتفرش السرير من اجلها بملاءة ،

اياك ان تستعين بقماش بسيط خشن :

بل ضع على مخدعها ملاءات معطرة ..... »

آه .. ياليتنى كنت خادمتها السوداء ،

التي تقوم بغسل قدميها ،

لاننى عندئذ ، سأستطيع ان ارى بشرة

جسدها ياكمله ، ( ٤ ) .

ولكى نستطيع ان نتفهم موقف الانسان المصرى حيال عاطفة  
الحب ، علينا ان نعرف لمن تشير النصوص الشعرية التي ذكرناها هنا ،



هذا اذا كانت أصلا متطابق مع الحياة الواقعية . هل نحن امام عاشقين يتستران في لقاءاتهما تمام التستر ، ولماذا ؟ هل يخشى تدخل احد افراد الأسرة الذي يحرص كل الحرص على الحفاظ على عذرية فتاة العائلة ؟ هل العاشقة هي زوجة خائنة تريد الافلات من جريمة الزنا ولا يبدو ، والحال هكذا ، أن الأمر يتعلق ببعض فتيات الهوى اللاتي كن يتناثرن ، على الأقل في عهد الدولة الحديثة ، في أجواء الحانات بالمضفة الغربية لطيفة ، التي كان معظمها يزخر ، بجوارى ، سوريات قديمات .

ومهما كان الأمر ، فأننا نستطيع أن نجزم من خلال ذلك ، أن المرأة المصرية اذا كانت تبدو أكثر تحفظا وحياء من الرجل في افصاحتها العاطفية ، فهي أيضا عاشقة فعلية ، تستطيع أن تشعر مبكرا جدا بالاحساسات الجسدية التي تتعارض مع وحشية الاستئصال التي كانت تجرى في انحاء افريقيا السوداء ، حيث ما زالت تنبم في بعض قرى مصر العليا .

ومع ذلك ، فهناك بعض الفقرات القليلة في النصوص ، تشير الى بعض الفتيات الصغيرات اللاتي لم يجز لهن الاستئصال ، وتجعلنا نعتقد أن نوعا من الاستئصال كان يتم بالنسبة للبنات ، كعمل مواز لعملية الختان للفتيان ، كطقوس شعائرية تشير الى العادة ، التي تنتشر بقارة افريقيا ، في غياهب العصور ، وهدفها هو تأكيد نوعية الجنس وتمييز الرجل والمرأة عن الطبيعة الالهية التي كانت تتصف بانها مزدوجة .

ومهما يكن الأمر ، فإن العواطف الجياشة التي نرى وصفها في قصائد الحب ، تبدو - إذ لم تكن من بنات افكارها - متعارضة تماما مع فكرة الختان ، التام لامرأة متحصرة ، كالمصرية في العصور الفرعونية .

ولنعد مرة أخرى لعاشقتنا الشابة التي تحتاجها أحيانا مشاعر الغيرة اذا ما غازل صديقها الحنون فتاة أخرى . وهنا ، كانت تلجأ أحيانا الى السحر . فكانت تبدأ بمهاجمة ما كان يعد بالنسبة للمصرية مفعما بقوة جنسية مؤكدة : الشعر الجميل المنسق أجمل تنسيق والذي كانت النساء يتفنن في تصفيفه . ولقد عثرنا على وصفات سحرية تهدف الى اسقاط شعر رأس أي مخلوق تضرر له الكراهية ، أو أي غريمة : ففي إحدى هذه الوصفات تظهر الديدان « انارت » Onaret في زيت اليسر « ben » ويدلك بهذا الخليط رأس المرأة المنافسة (١٩) . أو : « توضع ورقة لوتس محترقة في الزيت ، ويدلك بها رأس من تضرر له ( أولها ) الكراهية » (٥) .

ولكن الطبيب الممارس كان يجابه الساحر ، فالضحية لا يفيدما العلاج الذي يصفه لها طبييها . فكان الأمر يستلزم للقضاء على الصلع الذي حدث بسبب ذلك ، دهن الجمجمة بدهان مكون من ذيل السلحفاة ومن بعض الدهن المأخوذ من شحم إحدى قوائم حيوان فرس النهر ( سيد قشطة ) (٦) .

وأكثر ما كان يخشى في مجال الحب والعشق ، هو الغريم الخفي الذي لا يمكن رؤيته ، ويستعمل إحدى ، التعاويذ ، للعمل على استمالة حبيب غير مبال : والكلمات الموجهة لها كان يجب أن تكون حاسمة ومحددة وقاطعة : « انهض ، واجعل هذا الذي انظر اليه ليكن حبيبي ( بما انني ) أعيد وجهه (٧) » . وعلى هذه الأساليب الانثوية ، كان العاشق المرفوض من ناحيته أن يجيب بكل فعالية ، بل ويتمادي الى درجة تهديد الآلهة ، إذ لم يستطع الحصول على مساعدتهم له لاقتناع المرأة المرغوبة لكي تستجيب لتهديداته :

« سلام عليك ، يا رع حور أختي ، أبو الآلهة

سلام عليكم ، يا سبعة حثورات

يا من تتحلين بشرائط حمراء !

سلام عليكم أيتها الآلهة

يا أمياد السماء والأرض !

اعملوا على أن تتبعني « فلانة » ، ابنة فلان

كما يتبع الثور علفه ،

وكما تتبع الخادمة أطفالها

وكما يتبع الراعي قطيعه !

وإذ لم يعملوا على أن تتبعني

فسوف ألقى ( بالنيران ) يوزيريس

وسوف أحرقها ! » .

وكان يلجأ البعض الى تمثال صغير من الطين المحروق أو الشمع ، فمثلا ، المرأة التي يراد الاستحواذ على حبها كلية ، وقد عثر على مثال مقنع يرجع الى العصر المتأخر : ويبدو أن هذا الشكل العاري ، الراكع على ركبتيه كان قد اخترق بثلاث عشرة ابرة غرزت باعماق جميع المراكز الحساسة الحيوية من الجسم ، ثم يصاحبه النص السحري : ويوضع بمقبرة أي انسان توفي قبل الأوان ، أو لقي حتفه مقتولا (٨) . ولا شك أنه كان يوجد نوع من الترياق لازالة السحر عن تلك البائسة التي يؤديها حاليا القرويون المصريون ، والمسماة « بالذكر » .



عندما كانت الفتاة الشابة لا تقابل رجلا أحلامها ، فأنهسا كانت تلجأ لاحتور الجميلة ، التي نستمع الى دعاء والتماسات كل فتاة شابة ، تبكى ، متعشمة فيها ، وكانت الفتيات عادة يستطعن الزواج بداية من العام الثانى عشر أو الرابع عشر من عمرهن ، أما الفتيان ، فيبسنر ، عشر من عمرهم ، ولكن ليس هناك تحديد واضح فى هذا المجال ، ولذا فان سن الزواج كانت تختلف وفقا للظروف والامكانات المادية للزوجين المقبلين . وعموما ، كان الرجل ينصح بان يتزوج مبكرا وهو لم يزل شابا لكي ينجب أبناء . ولندكر مرة أخرى ، فى هذا المجال ، كلمات الحكيم : « كون أسرة ، وأحب زوجتك ، التى فى بيتك كما يجب . واتخذ زوجة وأنت مازلت شابا حتى تستطيع أن تنجب لك أبناء ، فالرجل يعد ذا قيمة ومنزلة بنسبة عدد أبنائه » .

وفى عصر مصر القديمة ، كانت موافقة والد الفتاة ضرورية بدون شك . وفى أغلب الأحيان ، كان الأب يختار رجلا طيبا ، لابنته ، فها هو مثلا ، أحد الأجداد ينصح ابنه بان يختار لابنته : « رجلا حريصا ورزينا ، ( ولا يستلزم ) أن يكون من يختاره لها غنيا » . ولذا ، فان الموتى الذين كانوا يحاولون أن يدافعوا عن أنفسهم أمام المحكمة الالهية ، كانوا يصرحون قائلين : « لم اخذ فتاة من أبيها ، ( بدون موافقته ) » . ومع ذلك ، فان هذه الموافقة وهذا الاختيار الذى يقوم به الآباء عند الضرورة ، لا يمنع الأبناء منعا اجباريا ، من البحث عن شريكة الحياة المناسبة : وكان الأمر يستلزم فقط ، قبل قرار الزواج ، أن يتم الحصول على موافقة الأبوين : وبذا كان هناك نوع من الحرية ، بصفة عامة فى نطاق الدولة الحديثة التى توضحها « قصائد الحب » .

ونجد فى الدولة الوسطى ملامح الدور الذى كان يقوم به كبار الملاك الزراعيين عند الضرورة حين كانوا يسهلون زواج فتيات اطفالهم ومقاطعاتهم ، من الرجال غير المتزوجين الباحثين عن « ربة البيت » .

واذا كان الملوك يستطيعون الزواج من شقيقاتهم لأسباب سلالية ، وإذا كان الفرعون من أجل ضرورات التبنى الريانى يعقد قرانه على بعض بناته ، فان هذا النوع من زواج المحارم ، أو زواج المتحصدين ، لا يبدو انه قد وجد فى النطاق المدنى العام . وكان المحبون ، والأزواج ، ينادون بعضهم بعضا عادة بقولهم : « أخى » أو « أختى » . ولكن عالم المصريين « تشرنى » قد أثبت تماما ، أن هذه العبارات لم

تكن سوى عبارات للتعبير عن المحبة والاعزاز ، وكانت تستعملها كافة طبقات المجتمع . وقد لوحظ بعض حالات قليلة من الزواج بين بعض الأخوة والأخوات غير الأشقاء المنحدرين من آباء وأمهات مختلفين ، وخلال عصر الاحتلال الفارسى ، ربما ، قد وجد مثال لحالة زواج « واحدة » من الزواج بين المحارم بين أب يدعى « جد حر » وابنته ، ولكن لم تعرف بعد مبررات هذا الزواج .

ووفقا لبعض النصوص الخاصة بعقود الزواج يبدو أن عذرية الفتاة كانت من الأشياء المطلوبة ، وكان ذلك الأمر يعتبر من الأمور المهمة للغاية على المستوى الاجتماعى ، ولوحظ وجوده أيضا سواء فى نطاق العالم الشرقى لدى اليهود أو وفقا لمتباين العصور فى الغرب . ترى ، هل كانت هناك بعض الاستثناءات ؟ أن بعض قصائد الغزل التى تفصح لنا عن « علاقات غرامية » ، لا تخص سوى النساء « غير المتزوجات » أو « المتحدرات » ، أو قد تكون هذه القصائد مجرد نسج خيال ؟

ونحن لا نملك أى دليل على أن الوقت الذى يستهل بما نعتبره بمثابة زواج ، كان يسبقه فترة زمنية اجبارية تتطابق مع فترة الخطوبة المعروفة لدينا . حقيقة أن الأميرات الأجنبية المخطوبات للفرعون ، كن يتلقين ، عن طريق سفراء « جلالته » ، دهان الزيوت الخاصة بالزواج . وربما يتبين لنا ، فى يوم ما ، تقليد يشبه ذلك ، على المستوى الخاص ، بأحد النصوص الذى لم يصل إلينا حتى يومنا هذا .

وكذلك ، فنحن لا نعرف عما إذا كان الزواج المنتظر يحتفظ من أجل « خطيبته » ، بهدية ما تعبيرا عن حبه لها . ولكن علينا أن نذكر هذا المفهوم المتعلق بالتشريح الذى ذكر فى أحد النصوص القديمة . والذى اكتشفه عالم المصريات « سونيرو » : لاعداد شراب للمحبة ، يكفى الحصول على كمية صغيرة من دم الاصبع الثانية المجاورة للخنصر باليد اليسرى ، والذى كان يتطابق أحيانا مع الطحال ، ولكن كانت تسمى « باصبع القلب » ، وعرفت فى اللغة القبطية تحت اسم « سيلويين » . وبناء على ذلك يتضح لنا حاليا سبب وضعنا دجلة الخطوبة والمصاهرة فى الاصبع « البنصر » باليد اليسرى .



## الزواج ، وتعدد الزوجات ، وتعدد الأزواج

### والطلاق والغيانة الزوجية

#### عقد الزواج

من المستحسن قبل أن نتحدث عن الزواج نفسه أن نتكلم عن الوثائق القانونية والعرف والعادات التي تتعلق به . وكانت هذه المستندات التي تؤكد الاستقلال والأمان اللذين كانت تملكهما المرأة أن تتمتع بهما . والتي وصلت إلينا ، ترجع إلى الأسرة الثانية والعشرين (١) . وتبين لنا تلك النصوص ، أن العرف الذي كان راسخا في أعماق التقاليد والعادات ، والذي لم يكن يتأثر بالانقلابات السياسية ، كان موجودا دائما وقائما ، ومعبرا عنه في وضع خطوطه منذ عصور أكثر قدما ، بل ربما منذ عصر الأهرامات . وبالنسبة للدولة الحديثة أمكن من خلال النصوص أن نقيس الأنماط الثلاثة الأولى لعقود الزواج . وكانت هذه العقود تعد بمثابة ضمان لحقوق المرأة الزوجية . « فقط في حالة حدوث الطلاق » . وهذا العقد لم يكن إجباريا في بداية الحياة الزوجية : فهناك الدليل الذي يبين أن الأمر كان يستلزم أحيانا ، الانتظار سبعة أعوام ، قبل إبرامه . ومع ذلك ، فقد تيقنا من خلال أحد النصوص الذي يرجع إلى العصور المتأخرة أن سيدة المجتمع ، لم تكن تقبل هذا الارتباط إلا بعد أن يحدد ويوضح لها حقوقها الزوجية (٢) .

ولم يستدل مطلقا على أي دليل قانوني يحتم إبرام عقد الزواج في حد ذاته ، ومع ذلك فهناك مرسوم ملكي يفيدنا بأنه كان يجب إعطاء كل امرأة المهر الخاص بها . وينطق بذلك أمام الوزير ( ولا شك أن الأمر كان يتعلق بأن تضمن لها بعض الأملاك أو الحقوق في ميراث ما . وفي الواقع أن كافة النصوص المتضمنة في العقود كانت تهدف ، من ناحية إلى إمداد الزوجة بأهليتها ، ومن ناحية أخرى إلى توفير الميراث للأبناء ، وذلك في حالة حل الارتباط بين الزوجين ( طلاق الزوجة لا هجرانها ) ، أو موت الزوج . وعادة كانت الأملاك والمقتنيات تقسم

إلى قسمين منفصلين تماما : أولا ما تأتي به الزوجة عند بداية حياتها الزوجية ، وثانيا ما تستحق أن تأخذه ( أو ما يقر لها ) ، وجزء مما اكتسب مشاركة خلال فترة الزواج .

وهنا هي النماذج الثلاثة من العقود التي يمكن أن تشير إليها بداية : أولا ، نص يبدو من خلاله مساهمة الزوج بسهم وافر في تمويل الحياة الزوجية المشتركة . ومن الممكن أن يقوم عدد كبير من الشهود بتوقيع هذا الاتفاق الذي يتعلق به الهدية من أجل الزوجة ، ( أو هدية العذراء ) ومقتنياتها الخاصة : « لقد اتخذتك كزوجة لي ، وقد أعطيتك ( يتبع ذلك قائمة بالعطايا ) . ولو حدث أن نبذتك كزوجة ، أما لأنني أكرهك وأما لأنني أرغب في امرأة أخرى سواك ، فسوف أعطيك ( قائمة بهبات ) ، كما يجب أن أعطيك أيضا ثلث ما نكتسبه معا ، منذ اليوم . أما الأبناء الذين أنجبتهم لي ( إذن فإن العقد قد أبرم بعد مرور وقت ما من العلاقة الزوجية ) . والذين سوف تنجبهم لهم هم الورثة لكل ما أملك أو ما يمكنني أن أحوزه . وابنك البكرى هو ابني البكرى » ( وهنا ينتهي النص بقائمة للمنقولات والمتعلقات التي أحضرتها الزوجة عند الزواج ، مع تحديد ، كما هو الحال دائما ، قيمتها المادية ) .

وهناك عقد آخر ، يبدو أنه ينص على أن الزوجة هي الوحيدة التي تقدم المال ( في حالة كون الزوجة أكثر ثراء من الزوج ، وهنا فإن مثل هذا الزواج قد حذرت منه الحكمة والموعظة الأخلاقية ) . ويحمل هذا العقد العنوان التالي : « المال ، لأجل أن تكون زوجة » : « لقد أعطيتني ( وهنا يذكر المهر من حيث قيمته من الفضة ومن النحاس ) كمال لكي تصبحي زوجتي ( ..... ) . ولقد تلقيته من يدك ، وأن قلبي لراض عن ذلك . والحساب مضبوط تماما . وليس لدى ، بداية من هذا اليوم ، وإلى الأبد ، أي احتجاج أعبر عنه بخصوصه . ( أما أنا ) ، فسوف أوفر لك ( هنا تذكر كمية الغلال والفضة ) من أجل إعالتك كل عام . وإذا لم أرد لك خلال الشهر ( ٣٠ يوما ) المال المطلوب ( من المر ) ، فأنني سوف أستم في دفع ما يجب على نحوك من أجل احتياجاتك المعيشية حتى اليوم الذي أتمكن فيه من رد ( هذا الصداق ) » . وهنا ، يقوم الزوج ، أمام الشهود ، وأمام الكاتب الذي قام بتدوين نصوص العقد ، برهن كل ممتلكاته ، لضمان تسديد هذه المبالغ ويصرح : « ولك الحق في هذه الأقساط من أجل احتياجاتك المعيشية » .

أما النموذج الثالث من العقود ، فهو أيضا مجزئ للغاية للزوجة ، ويتعلق خاصة بالمعاش المتعلق بالماكل والمشرب . ومن يقوم بتوقيعه هو الكاتب فقط ، الذي يعتبر كضامن لأي نزاع بشأنه . ويسمى هذا



العقد بـ ، رأس المال الخاص بالماكل والمشرّب ، : لقد أعطيتنى ( الصداق ) ، بمثابة معاش للغذاء . وأنا من ناحيتى ، أعطيتك ( كفضة وغلل ) ثمنا لغذائك وملبسك . واليك تعود ثلث ممتلكاتى الحالية والنّى قد حصل عليها مستقبلا ، باسم الأبناء الذين أنجبتهم والذين سوف تنجبينهم لى . ولك الحق فى المعاش الذى أسدده بنفسى . ولا يمكن مطلقا أن أقول لك فى يوم من الايام : « انى أرد اليك صداقك ! » . ولا يمكن ذلك ، فإذا كنت ترعين فى استرجاعه ( أى انقسام الارتباط ) ، فسوف أردك اليك . وكل ما أملكه ، أو ما سوف أملكه يضمن ( هذا الوعد ) . . .

وينجم عن ذلك ، قبل كل شيء ، فيما يختص بحق ، الاشتراك المالى القاصر على كسب الزوجين ، ، انه فى حالة الوفاة أو الانفصال فإن الأملاك تؤول مباشرة ، وفقا لبعض احصائى الموصى لهم ، الى الأبناء ، ولكن المكتسبات تؤول الى كلا الزوجين أو الباقى منهما على قيد الحياة ، بنسبة الثلث للزوجة والثلثين للزوج . ولكننا لا نعرف عما اذا كانت الوثائق تتكون من ثلاثة الفصول التى تطبق بالنسبة لعقد واحد ، اما اذا كان الزوجان يختاران وفقا لادكاناتهما الحل الأكثر مناسبة لهما وكما نرى ، يلاحظ ان التعهدات التى يأخذها الرجل على نفسه ، كانت تعد بمثابة اعباء ثقيلة ، وذلك فى حالة رغبته فى الطلاق فقط . وكانت كافة المزايا الأساسية مكفولة للزوجة التى كانت لها هى أيضا حرية التصرف فى طلب الطلاق وان تستعيد اذا لم تكن هى المخطئة ، كل ثروتها وممتلكاتها . وكان من الممكن ان يدير الزوج شئون هذه الأملاك ، ولكن بقدر معلوماتنا حاليا ، يبدو من الصعب ان نحدد ما اذا كانت كافة الأملاك والمنقولات المذكورة فى العقود والاتفاقات التى عثر عليها تتطابق فعلا مع حصة الزوجة . وفى أغلب الأحيان ، كان الزوج يستطيع ان يقر لها بدفعات اعتبارية - بمثابة ضمان لها ما دامت العلاقة قائمة ومستقرة .

وكان من الطبيعى ان يقوم المصرى بتوفير متطلبات زوجته حتى فى حالة انفصالها مؤقتا عنه . أما اذا كان الزوج يعانى من العوز والعسر المادى ( أو أصيب بمرض ما ) ، فإن زوجته وأسرتها ، كانت ملزمة بمساعدته واعانته . وتفيدنا نصوص احدى الشفقات (الأوستراكا) (٣) بما كان يحدث فى مثل هذه الحالات ، فى نطاق وسط متواضع للغاية ، بخصوص زوجة كانت تستنجد بزوجة أخيها لكى تهب لانقاذ حياتها الزوجية : « سوف أبعث اليك بكمية من الشعير ، وأرجو ان تقومى بطبخها من أجلى . وأضيفى إليها بعض الخميرة ، واصنعى لى الخبز ، لأننى أتعارك مع زوجى . فهو يقول انه سوف يطلقنى ، لأنه يتعارك مع

امى بخصوص عدد الأرغفة اللازمة لنا . انه يقول : « ان أمك لا تقوم ابدا بعمل ايجابى كما ان اخوتك واخواتك لا يعنون بأمرك هم ايضا . » . فهذا هو ما يقوله ! وهو يتشاحن معى كل يوم قائلا لى : « انت ترين ما فعلته بى ، منذ ان عشت هنا معك ، فى حين ان كل انسان يبعث كل يوم ، الى ذويه ، بالخبز ، والجعة والسّمك ، جملة القول يجب ان نقول شيئا لأملك ، أو فعليك ان تذهبى . . . »

ولقد تبقى لدينا نوع آخر من الالتزامات ، عند الارتباط الزوجى (٤) . وفيه يقوم الأب بمنح ابنته ، مختلف المتعلقات والأشياء والأدوات ، لمساعدتها على تأسيس عش الزوجية . وبالإضافة لذلك ، فهو يتعهد بان يقدم للزوجين كما من الغلال طوال سبعة أعوام ، ونفس هذه الفترة تتطابق مع فترة نسوع من الزواج يعرف باسم « زواج التجربة » ، أو « الاختبار » ، والذي عثر على بعض معالمة وأثاره (٥) .

### تعدد الزوجات و تعدد الأزواج

من المؤكد ان الاتفاقية الزوجية ، أى العقد ، الذى وضع فقط فى حالة احتمال وقوع الطلاق ، ينفصل تماما عن عملية الزواج فى حد ذاتها ، وحتى وقتنا الحاضر لم يعثر على قانون يحكم هذه العلاقة التى كانت تنبع فقط من العرف المعتاد .

ترى هل كان المصرى يستطيع ان يتزوج بزوجتين فى آن واحد ، أى يكون له « ربة بيت » ، « نبت بر » ، فى نفس الوقت ؟ لقد طرح هذا السؤال أكثر من مرة ، وفى أغلب الأحيان ، كان الجواب : « لا » . ومع ذلك ، فهناك بعض المؤلفين (٦) الذين استطاعوا ان يؤكدوا « ان حقوق المرأة قد تقلصت وتضاءلت خلال الحقبة التى سادت فيها الفوضى والقلق ، والتى تقع ما بين الدولتين القديمة والوسطى » ، وان اضمحلال الأحوال المضانية والقانونية الخاصة بالمرأة ، قد نالت من ظاهرة الزواج الأحادى الذى كان سائدا قبل ذلك . ولم يعد الأمراء فقط يتخذون أكثر من زوجة ، مثلهم كمثل الملوك ، ولكن أصبح الأفراد الأقل رفعة وأهمية يتخذون زوجتين أو ثلاث زوجات فى نفس الحين ، وتكون سلالتهن معترفا بها شرعا ، وبالرغم من أن واحدة فقط منهن هى التى تحتل مكانة « ربة البيت » . وفى الواقع ، فلكى يكون الابن معترفا به من والده ، فيجب ان تكون من أنجبته هى « ربة بيته » ( بعد ذلك سوف نتحدث عن المخطية تشات ) . ومع ذلك فإن الأمر يستدعى ان يكون لدينا الدليل القاطع على وجود ظاهرة تعدد الزوجات فى نطاق الحياة الدنية ، كما كان هذا الأمر سائدا بالنسبة للفرعون (٧) فقط . وتحليل



كافة هذه الحالات التي تمت دراستها ، يبدو واضحا أن بعضها يمكن أن ينطبق على بعض الرجال الأراذل الذين يذكرون على لوحاتهم الجنائزية اسم الزوجة الأولى المتوفاة ، بجوار الزوجة الحديثة . ويمكن أن نفهم هذا الأمر بسهولة أكثر لو عرفنا أن المصريات كن يتوفين غالبا أثناء عملية الوضع ، وأن الضرورة كانت تستلزم احضار أمهات جديرات للأطفال المولودين حديثا . ولكن أمام حالة ذلك الشخص المدعو مري - عا ، الذي صور بصحبة زوجاته « الست » ، فإننا قد نتردد في اعتقادنا بأنه قد تحمل خمس مرات ، بل مر بحالات « خلط ومزج » من الطلاق والتحمل المتتالي . فهذه الحالة تعد في حد ذاتها كنموذج مغالى فيه - وبالنسبة لغيره من النماذج الأقل لفتا للأنظار ، يمكننا أن نقسم البرهان الذي سبق أن أشرنا إليه : التعدد الفائق في وفيات الأمهات أثناء الولادة .

أما فيما يخص بتعدد الأزواج ، فالأمثلة التي تدل عليه مازالت أيضا مشكوكا فيها : فليس من المستطاع التأكيد بأن امرأة ما قد تزوجت برجلين في آن واحد ، فعثلا ، في أطار الدولة الوسطى ، صورت إحدى السيدات وتدعى « منك » على إحدى اللوحات المحفوظة حاليا « بمتحف اللوفر بباريس » (٨) بصحبة زوجها « حر » ، وهي بدون شك نفس السيدة التي صورت على لوحة أخرى في نفس المتحف (٩) ، مع زوج آخر يدعى « نسومنتو » ! وحتى إذا كانت هناك حالات مماثلة لذلك ، يمكن ذكرها ، فإننا لا نرى ما يسمح بأن نجزم بوجود ظاهرة تعدد الأزواج ، أو بأن المثاليين المرموقين المدفونين في دير المدينة ، قد اتخذوا في نفس الفترة ، هما الاثنان زوجة واحدة ، ويحتمل أن السيدة المذكورة قد تزوجت من هذين الفنانين الواحد تلو الآخر ، بدون شك بعد وفاة أولهما .

## الطلاق وحماية المرأة

### أسباب الطلاق :

كان الطلاق يعتمد على العرف السائد مثله كمثل الزواج . فالرجل والمرأة كانا يستطيعان الانفصال بالطلاق ، ولكن أمام العيب الذي كان يقع عموما ، على كامل الزوج ، فإغلبية الزوجات ظلت في حالة استقرار فائق . ومع ذلك ، فقد كانت الخيانة الزوجية من أسباب أكثر حالات الطلاق شيوعا والتي كانت شائعة وكانت تلقى أشد أنواع العقاب . ومع ذلك ، فقد كان هناك الكثير من حالات التسوية للخلافات

في نطاق هذا الموضوع ، الذي أطلقت عليه النصوص عبارة « الجريمة الكبرى » ، أو « الخطأ الفاحش » ، والذي كان يهدد بالقتل بين فكي الأسماح . ولنرجع أولا ، إلى الحكيم بتاح حتب (١٠) :

« إذا أردت أن تكون أعمالك حسنة مستطوية فابتعد وأهرب من كل المساويء والشُرور وهدئ من ملبأك ، وتجنب الشراة والنهم فهي بمثابة المرض الأليم لمن لا علاج له !

( ..... )

فهى تفرق بين الآباء والأمهات  
وأيضا بين الاخوة والاخوات  
انها تفرق بين الزوجة والزوج .

ولم يكن أحد يبعد عن تناول الوشاية والنميمة . وعندما تذكر أحد الأشخاص « المتشائمين » ، في نطاق الأدب خلال عهد الدولة الوسطى ، من عدم حب الناس له ، قال : « الويل ! ان اسمى لأكثر إثارة للكراهية والبغض من امرأة وشى بها البعض لدى زوجها ! » . ولكي تدافع السيدة عن نفسها ، لم يكن عليها سوى أن تقسم قسما وفقا لطلب زوجها ، وأمام بعض الشهود لأن الإله كان يعرف كيف يعاقب بالعمى من يشهد أو يقسم زورا ، عندما يبتهل باسمه دون جدوى . « لم تكن لى أية علاقة ، بخلاف زواجنا . ولم أرتبط بأى شخص (سواك) ، منذ أن ارتبطت بك في العام (.....) وحتى اليوم » . وفور اعلان القسم ، سرعان ما كان يسقط الاتهام ، ولكن الامانة التي لحقت بالزوجة التي اشتبه في شرفها تبقى كما هي . ولذا ، وعلى الأقل وفقا لاحدى الوثائق التي ترجع الى العصر المتأخر ، يتبين أن ترضيتها بالتعويض كانت تتم بتسديد مبلغ ضخم : « في حالة نطقها بالقسم ، لا ينسب اليها أى شيء ، وعليه (الزوج المشتكى) أن يعطيها أربعين تالنت ومائة دين من الفضة » .

### الفوضى الأخلاقية لدى عمال مدينة الموتى الملكية :

قبل أن نتناول بالبحث نظام الطلاق في مختلف طبقات المجتمع ، تستوجب الضرورة أن نتحدث عما كان محتملا أن يحدث في حقبة يسودها الانحلال الأخفى الفعلى في فجر الأسرة العشرين بدير المدينة ، بقرية عمال مدينة القبور الملكية ، غرب طيبة . ولا شك أن الكتابات التي عثر عليها خلال عمليات التنقيب التي قامت بها البعثة تعد وفيرة للغاية ، لكن تسمح بتكوين أفكار بسيطة عن أساليب المعيشة ، وهناك



بعض النصوص التي تناولت أمر الخيانة الزوجية ، فكان هناك أحد العبيد القدامى يدعى « حسي - سونيت » ، تبناه أحد رؤساء العمل بالمقرية المذكورة . وكان قد تزوج بسيدة تدعى « حنور » ، والتي كان يناديها بلقب « الأخت » ، ربة البيت . وعلى ما يبدو كانت تلك السيدة تقيم قبل ذلك علاقة « محرمة بلا زواج » مع أحد العمال وكان يدعى « بن دوار » . ولقد أنجب « حسي سونيت » بعد زواجه من هذه المرأة ، ولدا وبنتين ، وكانت البنت الكبرى « Oubékhet » . ويبدو أن هذا الزوج البائس ، لم يكن قد أحسن الاختيار . فقد اندفعت زوجته الخائنة « حنور » ، بالإضافة الى ابنتها الكبرى ، الواحدة تلو الأخرى ، الى مشاركة المدعو « بانب » ، أكثر فتيان دير المدينة سوءا في فراشه . ابنه ، أي السليل اللائق بأبيه ، فقد قام بدوره باغواء الشابة الصغيرة « أوبخت » ، فور تركها لأخضان « بانب » ، ومما زاد الأمور سوءا أن هذا الأخير كان قد اتهم أيضا باغواء سيدة تدعى « توي » ، زوجة العامل « قننا » . وهنا ، نفهم لماذا اضطرت التيس « حسي سونيت » أن يطلق زوجته (٢) في العام الثاني من حكم الملك « ست نخت » . ومع ذلك ، فقد خصصت حصة شهرية ضئيلة من الحبوب لهذه الزوجة . ولم تمنع كل هذه البلبلة والتعقيد من أن يستمر على علاقة طيبة مع ابنته ، التي تزوجت بعد ذلك من « نخت أم نيوت » ، رئيس العمال .

### اسباب أخرى للطلاق :

بإستثناء الخيانة الزوجية ، التي كانت تقع تحت طائلة عقوبة صارمة ، الا في بعض الطبقات الاجتماعية الشعبية ، كانت الاسباب الأخرى للطلاق ، تدخل في نطاق ما نسميه الآن بعدم توافق الطباع ، أو وقوع أحد الزوجين في غرام طرف آخر ، أو الإصابة بالعقم بصفة خاصة . وهناك حالة تعلق مصطع قدمها أحد الأزواج ، الذي كن قد قابل - « امرأة حياته » بعد أن أمضى ٢٠ عاما من الحياة الزوجية مع زوجته . وقد قيلت هذه الماثورة كمثال لزوجة كان زوجها قد قرر طلاقها بسوء نية وبدون أي خطأ معقول :

« انك في نفس حال الزوجة العوراء التي عاشت في بيت أحد الرجال منذ عشرين عاما ، ولكنه عثر على امرأة غيرها ، ولذا قال ( الأولى ) : « سوف أطلقك ، لأنك عوراء » ، كما يقال « فاجابته : « أهذا هو الاكتشاف الذي اكتشفته طوال هذه الأعوام العشرين التي قضيتها في بيتك ؟ » .

أما عن العقم ، فإن الكاتب الحكيم الذي يبين دائما أفضل الطرق التي يجب سلوكها فهو يسدي النصيح قائلا : « لا تطلق امرأة بيتك لأنها لم تنجب لك أبناء » . فكان الحل الأفضل هو التبني .

### حقوق المطلقة :

لم يكن هناك تحريم ديني يعارض الانفصال بين الزوجين ، ولذا فإن استقرار الحياة الزوجية كان يعتمد على الرغبة الطيبة لذيها . وعلى خشية الزوج من الأعباء التي تنقل كامله في حالة الانفصال ، هذه الأعباء المالية التي كانت تؤدي به أحيانا ، الى الاملاق والفقر التام ، فضلا عن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي كان سائدا في نطاق الأسرة عموما ، والتي كانت تضع دائما نصب أعينها ، قانون التوازن الذي لا يجب مطلقا الاضرار به أو الاخلال بنظامه . وعلى كافة المستويات الاجتماعية ، كان والد الخطيبة ، يراعى تأمين وضمان مستقبل ابنته الى أقصى مدى . وبذا ، فإن الخطيب ، والزوج أيضا ، كان يقسم لحماه ، مؤكدا له حسن نواياه تجاه ابنته : وهذا هو ما أقسم به أحد العمال ، أمام رجال السلطة بالمقرية :

« فليحي آمون ، وليحي الملك ، لو انني فكرت أبدا في نبيد ( أو امانه ) ابنة « تترمنتو » ، فانني سأستحق أن أضرب مائة ضربة ، وسوف أفقد كافة الأموال والأملك التي اكتسبت بالمشاركة بيني وبينها ( اعلان القسم أمام ) ، رئيس العمال ، « خنسو » ، والكاتب « آمون نخت » و « نفرحر » ، و « خع أم نون » ، في العام ٢٢ ، في الشهر الأول من فصل الشتاء ، في اليوم الرابع ( خلال حكم رمسيس الثالث ) . »

ولو حدث أن طلقت إحدى النساء الثريات ، بدون ذنب ، فمن حقها أن تسترد « هدية الزوجة » ، بخلاف « مؤخر الصداق » . وكان يضاف الى ذلك الأملاك الخاصة بالزوجة ( أو قيمتها ) ، و « النفقة » ، بل وأيضا جزء من الميراث الشخصي الخاص بزوجها ( وكان يعرف بعبارة « أملاك الأب والأم » ) ، الا إذا كان هذا الميراث قد خصص من أجل أولاد الزوجة المطاوعة ، التي كانت تحصل أيضا على ثلث الأملاك المشتركة فيما بينهما . وفي بعض الأحيان ، كانت تحصل على كافة هذه الأملاك المكتسبة بالمشاركة ( أي الثلثين الباقيين أيضا الخاصين بالزوج ) ، وعند الاقتضاء ، كانت تحصل على « تعويض عن الطلاق » ( والذي قد يتضاعف في قيمته إذا كان الزوج قد تركها ، من أجل عقد زيجة أخرى ) . وأخيرا ، ففي بعض الأحوال ، كانت المطلقة تستطيع



الاستمرار في البقاء في بيت الزوجية السابق ، وإذا لم يستطع المطلق أن يرجع لها فوراً « مؤخر الصداق » أو « النفقة » التي أمر بها لزوجته من خلال العقد ، فكان عليه ، بطبيعة الحال ، أن يوفر لزوجته السابقة معاشها وقوتها ، حتى اليوم الذي يستطيع فيه أن يرد لها هذه الأموال وتلك الأموال . ولذا ، فيمثل هذه الالتزامات ، كل الزوجان يكادان لا يفرقان عن بعضهما أبداً . ومن حسن حسد ، يمر بن الزواج بأكثر من زوجة ، كان من الأمور الصعبة التحقيق . وبذا ، ساعد ذلك ، إلى أبعد مدى ، على إرساء دعائم نظام الزواج بزوجة واحدة .

لقد رأينا أن الوالد كان يرضى مصالح ابنته ، فبعد أن يحدث طلاق في نطاق أسرة رثيقة الحال ، فإن الأب لم يكن يترك ابنته أبداً ، دون ماوى : فقد وجه أحد الآباء كلامه لابنته قائلاً :

« أنت ابنتي ، وإذا طلقك العامل « باكى » Baki من بيت الزوجية ، فإنك تستطيعين أن تقيمي في بيتي ، بما أننى أنا الذى قمت بينائيه ، ولن يستطيع أحد طردك منه ، وخلاف ذلك ، فإذا تبين أن زوج الابنة قد اقترف أمراً مشيناً ، فمن حق حماته أن تطرده من البيت . وعلى ما يبدو ، لم تكن عملية الطلاق نفسها تتطلب أية إجراءات ، أو كتابة أية وثائق : فالطلاق يصبح سارياً ، حالما يعبر أحد الزوجين عن ذلك شفويًا ، ( وفي عادة ما زالت باقية حتى أيامنا هذه على ضفاف النيل ، منذ فترة قريبة حيث كان يكفي تكرار عبارة : « أنا اطلقك » ثلاث مرات ) .

وبمجرد أن يقدم الزوج لزوجته السابقة مكتوباً للصلاحيات القانونية . وفي « وثيقة الطلاق » هذه ( التى لا تعتبر تأسيسية ولكن مجرد الاعلام فقط ) ، فإنه يتخلّى عن حقه في الحياة الزوجية ، ويعلن زوجته صراحة وجهرًا ، بأنه يترك لها كل الحرية فى أن تتزوج ثانية . وبدون الحصول على هذا النص توصى الحكمة الشعبية بتوخى الحيطة والحذر :

« لا تتزوج من امرأة ما زال زوجها على قيد الحياة ، خوفاً من أن يصبح عدوك ( ..... ) . وسيكون هذا أمراً خطيراً ، بل وقد يعرضك لنهم الخيانة الزوجية » .

#### المطلاق :

تبقى بعد ذلك الحالة الأقل حدوثاً ، ولكنها قائمة ومقبولة أيضاً ، والتي يجد فيها الزوج نفسه مطلقاً من زوجته . وفي هذه الحالة ، إذ

لم يكن هو المخطئ ، كان يستطيع الحصول على نصف « هدية الزوجة » ( التى كان قدمها يوم الزواج ) . ووفقاً للظروف ، كان يمكنه أن يستعيد ، كما هو مقرر ، على الأقل ثلثي ما اكتسب بالمشاركة بينهما . وفى بعض الأحيان ، كان الثلث المخصص عادة للزوجة يعطى له أيضاً .

#### تحذيرات من أجل الزوجين المقبلين :

فى عشية يوم زواجه ، كان الشاب المصرى ، يستمع كثيراً إلى النصائح التى يجزل أبوه فى إسدائها له ، رجوعاً إلى الحكمة السلفية لذائع الصيت « بتاح حطب Ptahhotep » (١٤) ، والتى تناولها بقلمه ثمانية الكاتب « أنى Ani » (١٥) .

« لا تراقب زوجتك مراقبة مستمرة فى بيتها ، إذا كنت تعرف أنها فاضلة . ولا تقل لها : « ذاك الشيء ، أين هو ؟ ، أخضريه لنا » . عندما يكون هذا الشيء موضوعاً فى مكانه المعتاد . لاحظ بعينيك ، وأبق صامتاً . أظهر إعجابك بقيمتها . أن السعادة تتحقق عندما تتحد يدك بيدها . والكثيرون يجهلون ( كيف ) يتفادى الرجل سبب المشاحنات فى بيته . فحالما تبدو بوادر مشاحنة فى البيت ، يجب على القلب أن يثبت على الفور ، ( حكم أنى Ani ٨ و ٤ - ٥ ) .

ولا شك أن مثل هذه العبارات ، كانت قطعاً تستطيع أن تساعد إلى أبعد مدى ، فى الفترة الأولى من التعايش ، التى كان الأمر يستلزم خلالها أن تتوافق المواجهات الحتمية والتصادمات البسيطة خلال الحياة اليومية . ولكن الكاتب « أنى » كان يفكر أيضاً فى الواجب الذى سيتبع سريعاً على كاهل الزوج الجديد أمام ابنائه .

« وأنت مازلت شاباً ، اتخذ زوجة ، وسوف تؤسس بيتك : قم برعاية كل من ستنجبهم ، وكل من ستنطعمهم ، وكانهم خليفة أمك . ولا تجعلها تلومك ، أو ترفع ذراعيها نحو الرب ، أو أن يستمع الرب إلى شكواها » (١٦) .

ولم يكن هناك أى نقص فى النصائح من أجل الإشادة بالتفاهم بين الزوجين ، ووفاء الزوج لزوجته ، التى يجب أن تقوم بمهمة رعاية البيت :

« إذا كنت عاقلاً ، احرص على بيتك ، أحبب زوجتك دون أى مشاركة ، وأطعمها كما يجب ، ووفر لها الملبس المناسب . وداعبها واشبع رغباتها . ولكن ، لا تكن فظاً . فإنك لا تحصل على أكثر مما تريد منها بالمراعاة لا بالعنف . فإن أنت أبعدتها ، فإن زواجك سوف يخفق ويذهب مع التيار . افتح لها ذراعيك ، ونادها ، وعبر لها عن حبك » .



ولكن مازال هناك دائما شك ما ، يجب أن يحصى الزوج الشاب من الاستسلام لطمانينة وسكينة باطلة ، والا يترك سبيلا أبدا في بذل جهوده ومحاولاته :

« لا يمكن أن يعرف قلب الأخ ، إذ لم يستنجد به في وقت الحاجة » .  
« ولا يمكن أن يعرف قلب خادم ما ، قبل اليوم الذي يفقد فيه سيده ثروته » .  
« ولا يمكن أن يعرف قلب امرأة ، مثلما لا يعرف أحد حقيقة السماء » (١٧) .

ولا شك أن نجاح وازدهار البيت ، يتعلق بسعادة « ربة البيت » ، هذا « الحقل الخصب » . كما أن الزوج الشاب ملزم أيضا بالإينس أن « العطور والمساحيق تعتبر بمثابة علاجات سحرية » .

إذن ، فالأسرة المنسجمة المترابطة ، بالإضافة إلى العديد من الأطفال ، وزوجة محبة ، كانت هي في الواقع الأمنية التي يعبر عنها أغلبية المصريين ، والحب بين الزوجين ، كان يعتبر ، بصفة عامة بمثابة المثل الأعلى الذي يتعمنون الوصول إليه . وكان يساعدهم في ذلك ، تطبيق نمط من الأخلاقيات كان يلقي لهم منذ بداية تعليمهم وتنشيطهم ، وكانت هذه الأخلاقيات ، تلعب في مصر ، دورا أكثر أهمية مما هي عليه في أية حضارة أخرى من حضارات العصور القديمة .

أما الفتاة الشابة ، التي تمر بكل كيائها في فرح وغبطة اللحظات التي تحياها ، وهي منهمكة في تكوين « جهازها » ، والثرثرة أكثر من المعتاد مع بعض صديقاتها اللاتي عرفن قبلها مباهج الحب ، فقد تتلقى زيارة السيدات المسنات الوقورات ، المكلفات بإسداء النصائح النافعة اليها ، وأعدادها لحياتها المقبلة كزوجة . وكانت أمها ، تقوم بإكمال هذه اللوحة « البانورامية » الشاملة ، بأن تذكرها بتعاليم العدالة ماعت ، التي تعمل على أن يكبح المرء جماح اندفاع الفاظه وعباراته ، وتسمح من خلال التفكير الهادئ المتروى ، بتوخى الطريق السليم في كافة الأحوال ، وإصدار الحكم المتوازن الجدير بمن سوف تصبح محور الأسرة ، والأم ذات المسؤوليات العديدة . ثم يذكرنها كذلك بإيزيس العظيمة ، النموذج الأسمى للزوجة ، والتي لم يتخاذل حبها ، ووغاؤها ورعايتها أبدا . وكن يذكرنها أيضا ببركات ومعجزات حتحور ، التي تمنح الزوجات أبناء وبنات ، دون أن يمسهن مرض أو فاقة .

ويجب على الزوجة الشابة ألا تنسى أبدا ترقيل بعض الصلوات من أجل الأموات ، لأن حتحور ، سيده الغرب تحصى النساء من العقم ، وتمنع الأزواج من أن يصبحوا عاجزين ومصابين بالعنة .

## شجب الخيانة الزوجية

إذن ، كان الزواج يعتبر مثالا اجتماعيا أعلى ، ولذا ، كان لا يجب أبدا أن يعوق مسيرته المتناغمة أي شيء ، بشرط أن يلتزم طرفا هذا « الاتفاق المتبادل » البسيط ، الطريق الذي حددته العدالة « الماعت » ، أي المعطيات الأساسية للضمير الانساني . ولذا ، فإن عدم الوفاء في إطار هذه العلاقة ، يبدو على قدر من الخطورة ، لدرجة أنه يصور للخطيئين وكأنه « الجريمة الكبرى » . ولكل منهما كان يشار للمصير الذي لاقاه العشيق والزوجة الخائنة ، وما حدث لهما ، عندما علم الزوج بهذا الزلل ، فقد وافق الملك « خوفو » نفسه على عقوبة الموت التي قررها ، « بواسطة التمساح » ( برديات وستكار ) ويبدو أن هذا التهديد والرعي كان لم يزل يخيم على مجتمع الدولة الحديثة - تلك الفترة التي سنحصر خلالها لحظات الارتباط بين الشاب والشابة - ففي إحدى القصص المعاصرة لتلك الحقبة ( الصدق والكذب ) يقوم ابن إحدى النساء التي كانت قد عاشت حياة ماجنة ، بتأنيبها في هذه العبارات :

« هذا أمر يستحق أن يجمع بسببه أفراد العائلة ، واستدعاء التمساح » . وكان على الفتاة الشابة أن تتيقن تماما من فداحة الخطأ عندما تتذكر « قصة الآخرين » ، وكانت بطلتها - زوجة حاولت خيانة زوجها - فلاقت عقوبة الموت ، بيد زوجها . وإلى هذه التوبيخات ، كان يضاف أيضا تحذير المعلم المسن لتلميذه :

« خذ حذرك من المرأة الأجنبية التي لا يعرفها أحد في المدينة .  
( ..... ) . أنها مياه عميقة ، لم يتمكن أحد بعد من سير غورها  
( ..... ) . أنها تتوقف ، وتجمع في شباكها : أنه لجرم يعاقب بالقتل لو عرف بأمره ، لأنها لم تعرف كيف تصون السر » (١٨) .

## الإدانة النظرية :

إذن ، فالموضوع كان يخص كلا الزوجين على حد سواء ، وكانت يد العدالة تستطيع أن تصيب المخطئين الاثنين ، سواء على الأرض ، أو أمام المحكمة الإلهية ، عندما يتحتم المرور نحو ضفة الأبدية :

« لم اقترف الخيانة الزوجية » (١٩) فهذا ما ينطق به لسان الذي - أو التي - يردد « شهادة البراءة » الشهيرة بالفصل ١٢٧ من



كتاب الموتى . وفى الواقع ، إذا كان الزواج وأحيانا الطلاق أيضا ، يعتبران من الأحداث التى يصدق عليها بداخل الاطار الأسرى فقط . بمجرد ارادة الزوجين ورغبتهما ، بدون أى تدخل من جانب الهيئة الادارية ، كما هو الحال بالنسبة لآى « قبول بالمشاركة الشخصية او المالية » ، فان الخيانة الزوجية على عكس ذلك ، تستحق العرض على هيئة القضاء : فالمحاكمة يتبعها فرض عقوبة ، كانت بالنسبة للرجل الذى يعتبر كمغتصب : الاخصاء ، وبالنسبة للمرأة التى وافقته على اقتراف الجرم : قطع الأنف مما يجعلها مشوهة ، ويحرمها الى الابد من كل سحر وجمال . وإذا كانت « الجريمة » قد اقترفت بدون عنف ، كان الرجل يتلقى فقط مائة ضربة بالفصا . . . ولكن ذلك نقله الينا المؤرخ الرحالة « ديودور » ( ٢٠ ) ، ففى نصوص أخرى ، يكون تهديد الرجل بقطع أنفه وأذنيه وبالأشغال الشاقة ، والمرأة بالنفى الى بلاد النوبة .

التطبيق :

ومع ذلك ، كان هناك فارق كبير بين النصوص الموحية والمعبرة والتعقل ، وبين التطبيق الواقعى . فقد سبق أن رأينا مدى الاستهتار الذى كانت تبدو عليه حياة بعض عمال « دير المدينة » ، سواء المتزوجون منهم ، أو الذين كانوا فى معايشة غير شرعية ( الفصل الخاص بالطلاق ) . فقد كان التحرر من التقاليد يمارس على أبعد مدى فى نطاق هذا العالم الصغير . كما كان القضاء متسامحين وعطوفين للغاية : وهذ ايتبين من خلال هذه الأقصوصة التى حدثت أيضا ، بدير المدينة ، وبالرغم من أن ذلك أمر غير شائع ، ولكنه كان يمكن أن يحدث : فقد ارتبط أحد الرجال بامرأة برابطة الزواج ، ومع ذلك ، فلم يكن يقيم معها . فكل واحد من الزوجين كان يعيش فى بيت أبيه . وفى ذات يوم ، فاجأ الزوج زوجته وهى بين أحضان بحار يدعى « مـرى سخميت Méry-Sekhmèt » ابن « منا » . وعندما تقدم الزوج بشكواه للقضاة ، أعلنوا أنه على خطأ ، ولكن العاشقين فوجئا بدورهما بضبطهما بواسطة أحد الشهود وفى نهاية الأمر ، التفت الكاتب نحو البحار الخاطيء ، وطلب منه أن يعد بعدم التحدث الى المرأة . كما حصل أبوه منه على نفس هذا الالتزام ، والا وقع تحت عقوبة الأشغال الشاقة . ولا شك أن مثل هذا الحلم والدمائة من جانب القضاة كان يمكن أن يعطلها أن الزوجين لم يكونا يعيشان معا ، وأن الزواج ربما لم يكن قد تم بينهما .

ومهما يكن الأمر ، فان هذه النهاية لا تثير الدهشة . وفى الواقع أن الخيانة الزوجية ، لم تكن دائما ، تقع تحت العقوبة الصارمة كما

ادعى . الم يوجد ، فى نطاق هذا العالم الميثولوجى الأسطورى المثل والمفهم بالتعاليم والأمثال ، بعض الأمثلة التى تقوم فيها الالهة « نفثيس » وشقيقة وزوجة الاله « ست » ، بخيائته عندما اغتوت « أوزيريس » ؟ . . . . . إذن ، فالأمر لا يتعلق اجباريا بتطبيق العقوبة بالنسبة للمرأة التى كانت تعلن بأنها قد اغريت ، لكى تبرئ نفسها . وفى هذه الحالة كانت تعتبر انها وقعت تحت نوع من الاغتصاب ، وحينذاك ، لم يكن زوجها يضطر أن يقدم شكوى ضدها أمام القضاء : ومع ذلك ، كانت المرأة تحمل فى بعض الأحيان بعد مغامرتها هذه .

و « المحاكم » نفسها كانت تبدو أحيانا على شىء من التخاذل والضعف . فهناك مثلا ، قصة خيانة زوجية ، سويت بأن : طلب من المذنب بأن يقسم بأنه سوف ينتهج بعد ذلك سلوكا مثاليا ، لكى يتلافى عقوبة بتر أنفه وأذنيه . ولكنه كرر فعلته ثانيا ، وتسبب فى حمل « الجميلة » . وجرى محاكمة أخرى عبينة روح التساهل النصوص من جانب هذه « المحاكم التى تعتمد على الشهادة والتحكيم » . لا بصفتها محاكم قادرة على فرض العقوبات : وكل ما فى الأمر ، فرض التزام جديد : أن يكف العاشق عن فعلته ، والا فانه ، سوف يتعرض لعقوبة شديدة .

وفى أحوال أخرى ، كان المذنب يصر على انكار فعلته الجديرة بالعقاب ، على مدى خمس مرات خلال خمس جلسات مختلفة لوسيط الوحى . ولم يعترف فى نهاية الأمر ، الا بعد أن أوسع ضربا . . . . . وتحت ضغط الراى العام ، « الطريقة المثلى » ( ٢١ ) كانت تعتمد دائما على الفصل فى الخلافات بحيث يمضى كل من الطرفين وهو راض تماما ، ولذا ، يراعى ويحسب حساب هذا الراى العام .

وخلاف ذلك ، فان التهديدات بالقتل فى حالة اقتراف الخيانة الزوجية ، تنبع خاصة من روح الانتقام المتوقعة لدى الزوج المخدوع ، والتى جعل ديودور من نفسه هو أيضا صدى لها ، ولكن ليس بالنسبة لأية مقاضاة ، أمام المحاكم . ففى الواقع ، أن « الجرم » كان يتركز على فكرة مهاجمة امرأة « متزوجة » لأن الأمر كان يتضمن شعورا بالامانة والخزى والعار بالنسبة للزوج . والذى حاول الحكيم « عنخ شيشنقى » أن يلقنه ، بعد النصوص الأخلاقية الأولى ، فهذا هو الوضع الذى يعاقب رسميا عن طريق الغضب المباشر من الزوج المخدوع . وحتى من العائلة القريبة : « أما عن الذى يمارس الحب ( . . . . . ) مع امرأة لها زوج ، فهو يقتل أو ( يمكن أن يقتل ) أمام باب بيتها » . ولكن ، يجب أيضا مراعاة نوع آخر من التحذيرات : لا تفعل ما لا تود أن يفعله بك الآخرون ، ثم يباشر كلامه قائلا :



« لا تضاجع امرأة متزوجة » ، فالذى يجامع امرأة متزوجة ،  
فى سريرها ، فإن زوجته نفسها يمكن بدورها ، أن تغتصب على  
الأرض .

وخلال تلك العصور المتأخرة ، حيث أصبحت بعض المبادئ  
الصارمة على شيء من اللين والسهولة ، عمل التساهل الواضح للعيان  
على التخفيف من حدة بعض الأحوال والأوضاع . ولقد حاول « عنق  
شيشنقى » تبرير الضعف الإنسانى أمام العاطفة ، وبدأ التسامح واقعا  
أكثر منه رومانسيا ، ألم يتماد هذا الحكيم الى درجة إبداء النصيح  
للمخدوع التعس الحظ ، بأن يتجاهل الإهانة ، ويكتفى بمجرد الطلاق  
ليتخذ لنفسه زوجة أخرى ، بل ويوصيه أيضا بأن يراجع نفسه ، وأن  
يتساءل قائلا : ألم يكن مهملًا تجاه زوجته ؟ وفى الواقع ، ألا يستحق  
هو بعض اللوم ؟

ولكن ، كانت الضرورة تستلزم أن يستمر دائما أبدا « الخوف من  
الشرطى » ، ولأنك أن نفس هذا القلق المحمود جدا ، هو الذى جعل  
تطبيق العقوبات على ما استمر فى تسميته « بالجريمة الكبرى » ، غير  
واضح أو محدد . والضرورة كانت تحتّم قبل كل شيء أن يسود النظام  
والانضباط العام بالسيهر على أمن كل فرد ، وبالعامل على تلافى الأخذ  
بالتأثر بين جماعة المعتدين ، وجماعة المعتدى عليهم . وبذا ، فإن إحدى  
البرديات الشهيرة التى ترجع الى عصر رمسيس الثالث (٢٢) تحتفظ  
لنا بالتأكيد المثالى لهذا الموضوع وهو : « أن المرأة فى مصر ، كانت  
تستطيع أن تذهب الى أى مكان قريب ، دون أن تلحقها أية مضايقة أو  
ازعاج » . ( فالدولة كانت تضمن لها عدم اغتصابها ) .

## الزواج

لقد سبق أن رأينا أن الزواج لم يكن يخضع لأى قانون ، بل كان  
مجرد اتفاق شخصى تماما بين شخصين معينين ، أى مجرد ميثاق  
اجتماعى . ومنذ حوالى مائة عام (٢٢) ، كانت مثل هذه الجملة :  
« أنتى أحب لك نفسى » ، التى تنطق بها المرأة البالغة للرجل الذى  
سيصبح زوجها - بحضور أو بعدم حضور شهود - تجعل منها زوجة  
شرعية له . وإلى يومنا هذا ، وخاصة فى القرى المصرية ، ما زال  
المصريون الحريصون بشكل رائع على العادات والتقاليد التقليدية ،  
يكتفون بهذه العبارة : « أنتى أقبلك كزوج » ، أمام هذا الوكيل الدينى  
النائم بالتسجيل ، المعروف بالمأذون ، ومعه شاهدان .

## الموافقة :

تدري ، كيف كانت تتم هذه الموافقة فى العصر الفرعونى ؟ اننا  
نعرف فقط أن كل واحد من الزوجين المقبلين ، كان ملزما على التوالى ،  
أن ينطق بالعبارة التى حددها العرف : الزوج : « لقد جعلتك زوجتى » ،  
« لقد جعلت منى زوجتك » .

وفى بادئ الأمر ، كان الشاب يتوجه للحدث مع والد تلك التى  
يرغب فى اتخاذها زوجة له - وفى بعض الأحيان ، وهذا يبدو مؤكدا ،  
كان الأب يتفق مباشرة مع الذى يقع عليه اختياره لكى يحقق السعادة  
لابنته ، ويبرم معه نوعا من التعاهد ، كما رأينا آنفا . وبعد ذلك ،  
كانت تتم المعاشرة بين الزوجين ، التى تجعل كل ارتباط شرعيا بالفعل :  
كانت الفتاة تترك منزل أبويها لكى تدخل بيت زوجها . ولكن ، فى  
بعض الحالات النادرة جدا ، كان الزوج هو الذى يحضر للاقامة لدى  
زوجته ، عندما تكون هذه الزوجة أكثر ثراء منه ، وكان ذلك من الأمور  
التي يحذر منها بشدة .

ويجب علينا أن نحذر من تأويل الحدث بعقليتنا كغربيين عصريين .  
فلم يكن القانون الدينى أو حتى القانون الفردى مقحما فى تلك المناسبة .  
معلينا أن نلقى تماما وراء ظهورنا افتراض وجود ما يعرف « بمباركة  
الزواج » فى نطاق المعبد (٢٤) . فإن أكثر الضمانات متانة وقوة  
للتأكيد الروابط الزوجية كانت « الرغبة » ، فى إعانة الأسرة فى مناخ  
يسوده الأمن ، بفضل توافق وتقامم جيد ، وانجاب أطفال شرعيين وهو  
أمن يزيد من تدعيمه التزامات « عقود الزواج » ، التى كان من الممكن  
إبرامها بعد الزواج ، أحيانا بعد مرور سبع سنوات من « المعاشرة  
الزوجية » ، وهذه العقود ترجع الى الأصل الطبيعى ، وكانت غالبا  
ما تمنع ما قد يجيش فى نفس الزوج من رغبة فى الانفصال عن « ربة  
البيت » .

## الأحوال والشروط :

كانت الضرورة تستلزم أن يتم الزواج بين شخصين متمتعين  
بحريتهما ، ولذا ، فقد سبق أن سردنا قصة أحد أسرى الحرب ، الذى  
كان يود الاقتراح بمصرية ، ابنة أحد حلاقى تحتفى الثالث ، ولزم الأمر  
أن يتم قبل ذلك ، اعتاقه . كما كان الأمر يستلزم أيضا تحرير « الجارية » ،  
حتى تتمكن من الزواج « بمواطن مصرى » .



## محاولة إعادة تكوين الزواج :

لوحظ أن أغلبية الأفراد « العبيد » ، كانوا يعيشون معا « معاشرة حرة » ، وهذا يعنى ، أن المرأة لم تكن تحمل لقب « ربة بيت » ، ونفس هذا النظام كان يطبقه عمال مدينة القبور فى طيبة بدير المدينة . ونفس ذلك ، فى أجواء الطبقة المتواضعة ، كانت توجد أيضا العلاقة الزوجية . فالزوجة كانت تعرف « بالمرأة » ، « حمت hémèt » ، أو « المرتدية ملابسها » . « حبسوه hebésout » (٢٥) ، وفى بعض الأوساط المدققة الفقر ، وجد مثال عن أحد رعاة البط الذى تزوج زوجا فعليا ، ولكن لفترة تسعة أشهر فقط ، وفى نهايتها ، قدم لزوجته مبلغا من المال (٢٦) .

إن الزوجين اللذين سنقوم الآن بتصرير حياتهما معا ، ينحدران من أسرتين ميسورتى الحال ، خلال أبهى مراحل الدولة الحديثة ، والتي تحدد فيما بين الثلث الأخير من الأسرة الثامنة عشرة وعصر رمسيس الثانى

والإشارات التى تتضمنها النصوص الخاصة بالعصر المتأخر (٢٧) ، تجعلنا نعتقد أنه على الأقل خلال تلك الحقبة ، كان والد العروس يقوم فى اليوم المحدد ، وعندما يسدل الليل ستاره ، بتوصيلها عذيا إلى منزل صهره المقبل ، وقد صحبت بعض الهدايا . وبدوره ، كان الشاب يقوم بإقامة حفل كبير ، يدعى إليه عدد من المدعوين ، ومعهم هداياهم . وبعد أن تتم هذه الاحتفالات ، كان العروسان يبدأان حياتهما المشتركة (٢٨) .

ويكفى أن نرجع أولا إلى العبارة المصرية التى تعنى كلمة « زواج » ، بكل أنواعه : *hémès* حمس ، *hémésy* حمسى ، أو *hémèsy-irem* وتعنى حرفيا : « يجلس » أو « يجلس مع » ، ومنها امتد المعنى إلى « عايش » ، و « عاش مع » . واعتقد أنه يمكننا أن نمنع النظر أبعد من ذلك ، بل حتى الوصول لمعنى العبارة الأولى : « يجلس مع » . وهنا ، لمن يسعنا سوى أن نفكر فى احتفالات الزفاف التى تقام حتى أيامنا هذه ، سواء فى القرية أو فى القاهرة ، والتى تتمثل فى تجمع فعلى لأعداد من المدعوين والعديد من أعضاء الأسرة ، وهم يحيطون ، فى بهو فسيح خاص بالاحتفالات ، بالعروسين اللذين يبدوان وكأنهما معروضان فوق منصة ، الرجل والمرأة ، « الواحد » بجوار « الآخر » ، يجلسان على مقعدين يستحسن أن يكونا مذهبيين : اذن ، ويجب أن يبدوا وهما « جالسان » ، وقد ارتدى الشاب بدلة داكنة اللون ، أما « هى » ، فهى تتلألأ وتتألق بالمساحيق ، وقد ارتدت ثوبا من الساتان ، أو « الفاي » « Faille » ( تل ) ، تبرق وتسطع بما ارتدته من مجوهرات

حقيقية أو مقلدة ، وقد أحاطت رأسها طرحة كثيفة من التل ، وأحاطت بكليهما الورود والرياحين . ويتبادل المدعوون التهنة ويمرحون ، أما الزوجان فهما « معروضان » ، ساكنان ، باعتبارهما عناصر أساسية فى استعراض ما ... خارج نطاق الزمن . فلو أننا تغاضينا عن الملابس والحلى المعاصر ، لتصورنا أننا فى الدولة القديمة ، أمام الأمير « رع حتب Rahotep » والأميرة « نفرت Nofrèt » أما فى الدولة الحديثة فقد اكتسبت الأوضاع ، أحيانا ، شيئا من النيونة ، ولا شك أن حركة الذراع مثلا ، واتجاه قدم المرأة ، أو ميل إحدى خصلات شعرها ، يقود العين المدربة فقط ، إلى تفهم الغرض والمرمى الذى يهدف إليه الذنحات ، الذى أراد بذلك ، ووفقا للتحشم والتحفظ المصرى الفائق ، أن يوحى بالجاذبية بين هذين الكائنين ، أو بمجرد حركة اغراء من جانب المرأة ، أو يوحى بالدعوة المستترة للحث على الحب (٢٩) .

ويبدو مؤكدا أن كافة مجموعات المناظر التى عثر عليها بمقصورات المقابر ، تكون العديد من الأسس لهذه العلاقة الأبدية المستمرة التى تمتد إلى ما بعد الموت ، والتى يرغب فيها كل مصرى مجددا بذلك - من أجل تخليده - ما كان خلال حياته سببا لوجوده . وفى أيامنا الحالية ، لا شك أن رقصات البطن ، التى تؤديها الراقصة ، تقليديا ، خلال حفل الزواج ، على أنغام الفرق الموسيقية المحلية ، وعلى أنغام الجلاجل والصاجات المتزايدة فى تأججها ، هى بمثابة انعكاس للحفلات والرقصات التى كانت تعتبر كمواكبة أساسية ، وتعبيرات جسدية عن نشوة الحب . وفى القرى ، وقديما فى النوبة ، كانت الأغاني والرقصات التى تؤديها نساء القرية ، تتم بداخل نطاق نوع من الدوائر السحرية ينب على حدودها أعضاء التسمية . وكانت أغاني الزواج الجميلة للغاية ترتفع فى كل تموجات صوتية عميقة ودافئة نحو الأزرق الداكن لليل المرصع بالنجوم .

وهناك نقطة أخرى لا شك أنها مشتركة بين احتفالات اليوم واحتفالات الأمس فى مصر : موكب « جهاز » العروس الشابة . فهناك سبب مؤكد بين منظر العروسين فى العصور القديمة وهما « جالسان » ، وبين المظهر الحالى للعروسين فى مصر الحديثة ، ويلاحظ التشابه أيضا بين قائمة « جهاز » العروس الذى أشير إليه فى معظم عقود العصور القديمة ( ذكرت مع كل قطعة من الجهاز قيمتها المادية ) ، وبين موكب جهاز عروس اليوم ، فى ضواحي القاهرة أو القرية ، ومن ناحية أخرى بين أثاث المتوفى الذى كان ينقل إلى « المقصورة الأبدية » ، الخاصة به من أجل زواجه بالآلهة حتحور .



ومع احترام كافة النسب ، فهناك بعض العروض المشابهة والتي تكاد تكون متوازنة : صراخ وصياح الناحبات في المعصور القديمة ، والتي حلت محلها حاليا ( زغاريد ) ، وتشاهد أيضا ، معروضة بالطرقات ، وهي تطوف فوق اكتاف الأهل والأصدقاء والخدم ، السرير ومرتبته المريحة ، وقد اعتلته « رأس السرير » ، والمقعد ، والكراسي ، وصناديق الملابس والمجوهرات ( عقود - أساور - خواتم ) وأدوات المنزل ، وقوارير العطور ، وأدوات الزينة ، والملابس ، والنعال الخفيفة المصنوعة من الجلد الأبيض ، وفي قائمة الأشياء المنزلية كان يظهر دائما رداء - أو قطعة كبيرة من القماش - لا تذكر إلا في هذا النوع من القوائم . ولقد تساؤل البعض عما إذا كان الأمر يتعلق بقماش شعائري خاص بالعروس (٣١) . ومن الصعب تشبيهه بالملاءة ، ولكن يبدو من المحتمل الاعتقاد بأن الغرض منه هو وضعه جانبا توقعا لاستعماله المحتمل ككفن ( يمكن مقارنته بقماش القوط ، الذي يقوم كل مسلم ، ولو كان أعلى الناس منزلة ، بلف جسمه به خلال الحج ، لتكون له كفنا في حالة وفاته أثناء سفره الى مكة ) . وهناك توضيح آخر ، قد يكون أكثر قربا من الحقيقة ، لو أننا رجعنا الى شيء أساسي ، كان يذكر في قائمة جهاز سيدات عصر السلاطين ، الممالك في مصر ، والذي يكون عند زواجهن : كان الأمر يتعلق بالناموسية ، ولا يستبعد ذلك مطلقا بالنسبة للمعصور الفرعونية ، بما أنه قد تم العثور على نماذج لها ترجع الى أوائل الدولة القديمة ، بين قطع أثاث أم الملك خوفو ، وبعد ذلك ، ضمن أثاث « توت عنخ آمون » . ولقد أشير الى استعمال مثل هذه القطعة من القماش ، لدى العامة من الناس ، ومن خلال بعض



شكل (٣١) حاملوا الأثاث

الرسومات على جدران بعض المقصورات الجنائزية خلال الدولة القديمة .  
وجملة القول في هذا المجال ، وبالنسبة للزوجة الشابة ، كان يوجد ما تستطيع بواسطته أن تقوم بكل افتخار بالتزاماتها ، وتوثق كلا من حجرة النوم ، وغرفة الخدم والمطبخ ، تأثيثا جيدا : وكان على الجميع أن يعجبوا بالعديد من الممتلكات التي غمرها بها أهلها .  
وليس من المستغرب ، لكن يتبع عرف متعمق الجذور في عقلية أبناء البلد ، عندما يتعلق الأمر باحتفال ما - وهي عادة شعائرية ابتداء حتى في أيامنا هذه ، خاصة عندما نبتعد عن المدن الكبرى - نلاحظ حتى في أياضا هذه ، خلاصة عندما نبتعد عن المدن الكبرى - فالرجل والمرأة اللذان سيحتفى بزواجهما خلال السهرة ، يتوجهن منذ بداية اليوم الى مقبرة العائلة . ولكنهما كانا ، وبالإضافة لذلك ، لكي يقلدا ظاهرة « المولد الإلهي » الملكية ، على المستوى الشعبي ، قد وجها ابتهاالا الى الأب ، أو الجد ، المتوفى منذ وقت قريب ، طالبين منه أن يولد لهما ابن . وبذا ، فإن الجد أو الأب « يوحى » هنا بالحمل في يولك لهما المقبل ، ويسمح بذلك باستمرار السلالة . وبالفعل ، فقد وجدت الوريث المقبل ، ويسمح بذلك باستمرار السلالة . وبالفعل ، فقد وجدت بعض التماثيل الصغيرة بجوار بعض المقابر التي تمثل بعض النساء ذوات الشعور الكثيفة ، حملت كل منهن بين ذراعيها شكلا لطفل وإيد ، وقد رسمت سيقانهم بكتابة بالحبر عبارة عن الابتهاال الموجه للجد ، لكي « يوحى » و « يحث » على انبثاق هذه الحياة الجديدة .  
ولا شك أن الاحتفال بالزواج كان يجب أن يكون احتفالا مشهودا من أجل عقد رابطة تعمل على دوام ، ليس فقط خلية واحدة من الأسرة الكبيرة ، بل وأيضا مجموع الشعب في البلاد . وبالإضافة لذلك ، فإن كلمة « عيد » باللغة المصرية ، أي « حب hep » قد استمرت وبقيت في اللغة النبطية - التي تعتبر بمثابة التعبير الاسمي للغة المصرية المكتوبة بالأحرف الاغريقية - تحت عبارة « هب hop » ، والتي تعني ليس فقط « عيد » ، ولكن « عيد زواج » بصفة خاصة .

الزواج كما ورد في قصة خع ام واس :

هكذا كانت تتم احتفالات الزواج التي اهتم بها الفرعون شخصيا ، والتي وضعت في قصة « خع ام واس » :  
« قال الفرعون لرئيس شئون البيت الملكي : « فلتوصل حورس الى منزل « نينوفر كا بتاح » في نفس هذه الليلة . ولتأخذ معها كل انواع الهدايا الجميلة » . واصطحبوني كزوجة الى منزل « نينوفر كابتاح » ، وقد أمر الفرعون بأن يحضر لي صداقا كبيرا من الذهب والفضة ، تمام بتقديمه لي كل أفراد البيت الملكي » .



« قضى نينوفر كابتاح يوماً سعيداً معي ، واستقبل جميع أفراد البيت الملكي ، ونام معي ، في نفس الليلة . ولدت وجدني عذراء ، وازدادت معرفته بي أكثر وأكثر لأن كل منا كان يحب الآخر . »

« وعندما حان وقت تطهري ، لم يكن هناك داع لأن أتطهر . ولقد ذهب البعض لإعلان الفرعون بذلك ، ولقد سعد قلبه وفرح بذلك كثيراً . وأمر بأخذ كافة أنواع الأشياء الثمينة من ممتلكات البيت الملكي ، وأمر بأن تحضر إلى العديد من الهدايا الرائعة المصنوعة من الذهب ، والمصنوعة من القماش الكتاني الرقيق . »

« وعندما حان وقت ولادتي ، ولدت هذا الولد الصغير المسائل أمامك . ولقد سمي باسم « ماي حت » وأدرج اسمه في سجلات « دار الحياة المزوجة » .

### هوية المرأة المتزوجة :

حالما تتزوج المرأة ، فإنها لم تكن تغير اسمها ، بل لم تكن حتى تقرر اسم زوجها باسمها . فقد كانت هويتها يحددها دائماً تسلسل نسبها الشخصي : ولدتها فلانة ، وأنجبها فلان ( أو من نسل فلان ) . ولكن ، في بعض الأحيان ، كانت تعرف بأنها « زوجة فلان » .

- ٤ -

## البيت والحياة في البيت

### البيت

ما يمثل البيت :

مما يبدو ، فإن المنزل كان من أعز الأشياء إلى قلب كل مصري ، فكان يمزج بينه وبين حبه لعائلته وابتهاجه بالحياة . فعندما يبتعد المصري عن مسكنه ، فإنه كان يفكر فيه دائماً ، ويشغل باله بما كان يحدث في أجوائه ، ويستعلم عن صحة أفراد أسرته ، وعن آلاف التفاصيل التي تملأ أجواء معيشتهم ولو فرض أن طالت رحلته أو فترة انتقاله ، فإن الحزن والأسى كانا يستوليان على مشاعره . ولذا ، فلكي يجد « الثعبان الكبير » الكلمات المعبرة عن المواساة المناسبة لتهدئة « الغريق » ، الذي رمت به أمواج البحر الأخضر للجزيرة المسحورة ، فقد قال له متنبئاً : « سوف تحتضن أبناءك فوق صدرك ، وسوف تقبل زوجتك ، وسترى بيتك ، وهذا يساوي كل شيء ! سوف تعود إلى البيت الذي كنت تعيش فيه بين أخوتك » .

وبعد ذلك ، عندما أوشك البحار على الرجوع إلى مصر بفضل إحدى السفن التي وصلت إلى الجزيرة ، قال له « الثعبان » مؤكداً : « ( ارجع ) في أتم صحة ، أيها الإنسان الصغير ، إلى بيتك - ولتر أولادك ثانياً ! » .

ولكى يكون الزوجان سعيدين ، كان الأمر يستلزم أن يعيشا في بيتهما الخاص بهما وليس عند أبييهما ، والنصيحة تبدو حاسمة وقاطعة في حكمة أنى (١) .

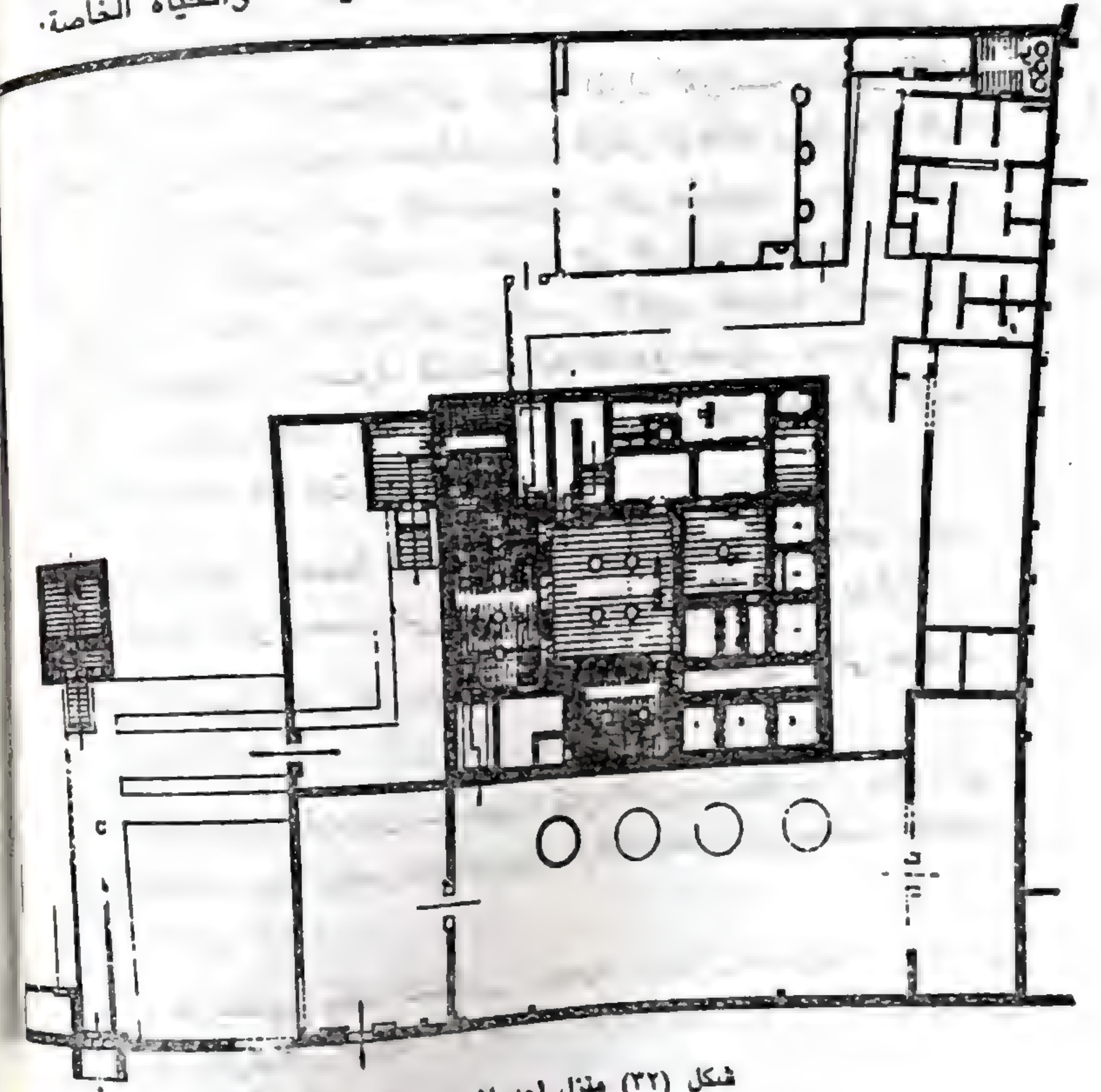
« قم بتشيد بيتك الخاص ، وسوف ترى أن ذلك يبعد عوامل الكراهية والارتباك والبلبل . لا تقل : « يوجد بيت ملك لوالد أبي ويمكن أن يتخذ كمسكن لي » . »



كما ان عبارة « تأسيس مسكن » ومعناها بالمصرية جرج بسر  
gérég per كانت تطابق فعلا عبارة : « تكوين اسرة » .

### الضيعة الريفية :

ان البيت الذى كانت كل عناصره تخضع لحماية بعض الصيغ  
السحرية ، كان يبنى دائما بقوالب من الطوب اللبن ، وهى مواد ما زالت  
طريقها لأن يبطل استخدامها ، فالمسكن كان يتميز بتدفئه شتاء ،  
وبرودته صيفا ، سواء كان بالمدينة فى مكان محدد ، او مقام بين الحقول  
فى قلب ضيعة كبيرة ، وكان يتضمن دائما ثلاثة الاجزاء الاساسية التى  
تكون مسكن الاله فى المعابد وهى الفناء ، وقاعة الاساطين وقدس  
الأقداس ، وكذلك يتضمن مقر المتوفى الفناء ذو الحديقة والمقصورة  
وسرداب الدفن . وكانت هذه الاجزاء الرئيسية تتطابق مع المتطلبات  
الاساسية للحياة المشتركة : الاستقبال ، والضيافة ، والحياة الخاصة.



شكل (٣٢) منزل احد الرياء الريف

وكانت مساكن الطبقة العليا تتكون من العديد من الغرف الملحقه  
ببعضها البعض ، ولكنها تنحصر فى اضييق الحدود بالنسبة لمساكن  
عامه الناس . والأمثلة على ذلك ، واضحة للغاية فى الدولة الوسطى ،  
يفضل ما تبينه لنا الاطلال المتبقية من مدينة « كاهون » ، وتسمح لنا  
بعض الآثار السابقة لتلك الفترة ، بأن نتخيل أن نفس الظاهرة كانت  
سائدة أيضا منذ الدولة القديمة . وفى الدولة الحديثة كانت المنازل  
الصغيرة بالقرى تحاط بجدار يفصلها عما يجاورها . وكانت تقام  
متجاورة ، الواحد بجوار الآخر ، وموزعة على جانبى طريق رئيسى  
يؤدى الى ساحة التجمع . والمطبخ ، الذى كان يعتبر بمثابة الغرفة  
القائنة فى المؤخرة ، فقد كان يكمل غالبا بقبو ، وكان يستر مدخله  
أحيانا حجر الموقد . وطبيعى أن السطح الذى كان يتم الصعود اليه  
بواسطة سلم خارجى ، يؤدى الى فناء الدخول ، هذا السطح كان على  
درجة كبيرة من الأهمية والمنفعة ، سواء من أجل الحياة الأسرية ، او من  
ناحية تخزين الكثير من المهمات غير المتوقعة ، والغلال ، او حتى  
الحيوانات التى يراد تسمينها انتظارا للعيد .

والزوجة الشابة ، موضع اهتمامنا هنا ، كانت قد تزوجت بأحد  
الرجال المرموقين ، ومع ذلك كان ما يزال شابا ، من اعيان الاقليم ،  
ويشغل منصب « حاكم » . وكان قد هيا الأمور تهيئة حسنة ، وبذا  
كانت أملاكه تماثل المسكن الرائع الخاص بـ « اننى » ، « Ineni » .  
الرفيق المسن لتحتسب الأول ، والذى كان يعظ وينصح الملكة الشابة  
حتشبسوت بكل حكمة ، فى بداية حكمها . وكان هذا المسكن يحاط  
بجدار ضخم ، جوانبه مطلية باللون الأبيض ، وحافته العليا تشبه نوعا  
من الحراب المتموجة ، يبين من خلاله الطابقان المكون منهما البيت  
الفسيح الأرجاء ذو النوافذ الصغيرة ذات القضبان ، المنفصل عن مكان  
الخدم وعن أجران ومخازن الحبوب ، والتى كانت عبارة عن ملحقات  
للمبنى . وفى المؤخرة نرى المزرعة الشاسعة المحيية للغاية الى قلب  
صاحبها ، لدرجة أنه قد أحصى كل ما بها ، ذاكرا وموضعا نوع كل  
شجرة من اشجارها . وكان هناك أيضا حوض مياه مستطيل الشكل  
لاكمال هذا المكان الرائع الذى يساعد على الاستراحة والتسلية . ولكن  
هذه الضيعة التى يملكها الزوجان الشبان ، ترجع الى حقبة أكثر قريبا :  
كانت الأسرة الثامنة عشرة قد أوشكت على الانتهاء ، فى الوقت الذى  
كان فيه المعماريون يقومون بتشبيد المدينة الجديدة ( قل العمارنة حاليا )  
التى عهد اليهم بتشبيدها ، والتى أراد اخناتون أن يتقنوا فى جعل افراد  
الشعب يتعمون فيها بالمزيد من الراحة والرفاهية .



## الاستقبال :

تضمنت الجدران المحيطة بالضيفة فتحتين : تؤدي الأولى مباشرة الى مقصورة عبادة قرص الشمس ، في مقدمة الحديقة ثم البوابة الكبيرة الخاصة بمرور العربات والتي تؤدي الى البيت والمباني الملحقة به مباشرة . ومن خلال هذه البوابة الكبيرة ، كانت تستطيع أن تمر بكل سهولة ويسر العربة الخفيفة ذات العجلتين والمظهر الجانبى الرشيق للغاية ، والتي كان يجرها حصانان ، حيث نرى النبلاء والأمراء ، منذ بداية الأسرة وهم يقودونها بكل مهارة ودراية . وبجوار البوابة ، كان يقف الحارس ، المكلف بادخال الدواب الى الحظيرة فى حين أن صاحبها كان يتوجه نحو الحجرة الصغيرة الخاصة ، بالبواب ، أى مدخل المنزل والتي تقع على ارتفاع ثلاث درجات . وبذا ، فإن الزائر ، كان يقوده ، البواب ، (٢) المذكور الى حجرة مستطيلة ، تتطابق غالبا مع كل مساحة المنزل الطولية ، كما كان سقفها يرتكز على عدة أعمدة . وكان المدعوون ينتظرون استقبال رب البيت لهم فى قاعة الاستقبال لادخالهم الى الحجرة الكبيرة ، المربعة الشكل غالبا ، والتي تعتبر بمثابة النقطة المركزية للبناء بأكمله .

## الاستضافة :

كان يتم اجتماع أفراد الأسرة من أجل الاحتفالات مع الأصدقاء ، فى مكان الاستقبال . وعادة ، كان سقف هذا المكان تدعمه أربعة أعمدة ، ويرتفع عاليا ( لضمان توفير البرودة فى فصل الصيف ) ، ويتعدى فى ارتفاعه من ثلاث نواح أسطح الحجرات المجاورة . وبذا ، كان هذا المكان يتلقى الضوء من خلال نوافذه المرتفعة ذات القضبان الحجرية الصغيرة التى كانت تقى من دخول طيور المساء . أما عن الجدار الرابع ، فقد كان بجانب الرواق الخارجى للطابق الأول ، الذى شيد على طول ممر الاستقبال بالدور الأرضى . أما عن الأعمدة وتيجانها فقد زينت بزخارف تمثل بعض النباتات والزهور ذات الألوان الصارخة ، وتختلط بها صور البط البرى المعلق من أرجله ، وأحيانا فوق الجدران ، كانت الرسوم الملونة للآيكات المزهرة ونبات البردى بالمستنقعات تكون الاطار الذى كان يمكن أن تقام به الأعياد والاحتفالات . وغالبا ، كانت الأعمدة والأبواب الواصلة بين الحجرات تطلّى باللون الأحمر . وأمام أحد الجدران كانت تقام ، أرضية بلاطية من أجل التطهير ، محاطة بحاجز صغير ، وتتضمن فى وسطها حجرة جميلة ذات رسوم باللون الأزرق الطيبى ، céruleen حيث تغرف منها المياه المعطرة لرشها على أيدي وأرجل الزائرين ، التى غطتها اترية الطريق . ولكن ، قبل

كل شيء ، كان هذا المكان يكرس من أجل اشاعة السرور والانشراح فى نفس رب البيت عندما يعود الى منزله ، فى أمسية يوم قانظ الحرارة أو تصاعدت خلاله الرياح الرملية لفترة طويلة . وبذا ، نستطيع أن نتفهم تلقى الفلاح فى قصة الشقيقين عندما رجع الى بيته ، ولم تعامله زوجته كالعناد . ولم تسكب الماء على يديه ، كما كان متعودا ، ولم تضىء الأضواء أمامه فقد كان بيته غارقا فى الظلام .

وأمام ذلك ، أقيمت المنصة التى كان يجلس فوقها أصحاب البيت عندما كانوا يستقبلون ضيوفهم . أما الكراسى والمقاعد ذات المسندين ، والكراسى القابلة للمطى ذات الأرجل التى تشبه قوائم الأسد ، فقد كانت فى معظم الأحيان تزخرف بالوسائد المغطاة بقماش ذى رسومات متعددة الألوان أو من جلود ، فهود الجنوب ، ولا شك أن مظهرها من بعيد كان شبيه بأثاثات ذات النمط المعروف بـ « الرجوع من مصر » ، التى أوحى أشكالها الى رسامى حملة بوناپرت ، على ضفاف النيل ( خاصة فيفان دينون ، وكانت المناضد الصغيرة والمناضد العالية ، التى تطوى أحيانا ، ذات القوائم الشبيهة ، بعنق البجعة ، ، توزع على انحاء القاعة الفسيحة ، وتنتظر المدعوين الذين يخصص من أجل كل منهم منضدة صغيرة بقائمة واحدة ، وكان الخدم يضعون فوقها طعام الوجبات ، خلال الاحتفالات . وأعدت مدفأة كبيرة ، ثبت جزء منها بالأرض ، لتسمح بتوفير عوامل الراحة والرفاهية فى ليالى الشتاء . وكانت هناك شمعدانات ، بكل ما تدل عليه الكلمة من معنى ، مكونة من عدة أعمدة صغيرة تعقلها كؤوس واسعة كانت تحتوى على الزيت الذى كان يغذى الشعلة ، التى اعتمدت أساسا على فتيلة أو خصلة من الكتان أو القطن ، أو لب نبات البردى . ولتلافى تصاعد الدخان ، كان يضاف بانتظام قليل من الملح ، أثناء عملية الاشتعال وغالبا ، كانت ربة البيت تضع بعض المشاعل المزخرفة فى كل ركن من أركان الغرفة .

وفى كل جانب من جوانب القاعة المركزية ، وفى أماكن متفرقة ، كان يمكن رؤية مكتب السيد وملحقاته ، حيث كان الكتبة - السكرتاريون ، وكلاء الضيعة ، يحضرون لرص المستندات التى يمسكونها يوما بيوم ، فى داخل صناديق مصنوعة من الخشب المرسوم عليها مناظر ملونة وذات غطاء مزود . وكانوا يكلفون أيضا بمراسلات سيدة البيت وسيدة . وكانت ربة البيت تستعين بهم أيضا ، لكى يقوموا كل عام بوضع قائمة ، لكل ممتلكات البيت . وكان يتم تسجيل كل شيء ، حتى الأواني المصنوعة من الفخار المطلى ، والتى قد تكون مكسورة ولكن تم اصلاحها !



## الرواق الخارجى :

كانت تجاور هذه الأماكن المخازن المجاورة ، أى حجرات التنسيق حيث كانت تجمع قطع الأثاث الزائدة عن الحاجة ، والصناديق التى تحفظ بها بعض الأدوات ، وعلى الجانب الآخر من البهو ذى الأعمدة ، كانت توجد بعض الأماكن الأخرى المجاورة لبئر السلم والمؤدية إلى الرواق الخارجى الذى كان يفضل إقامته ناحية الشمال على السطح (le toit -terrasse)

وكان هذا المكان يزين غالبا بالسناثر ، وبمقاعد مستطيلة مجاورة للمحائط حيث تنتسم الأسرة النسيم العليل خلال أوقات الحر القانط ، وكانت تنام به ، فى أغلب الأحيان ، خلال فصل الصيف .

## الحياة الخاصة :

وأخيرا ، وعند مؤخرة البيت نصل إلى الأماكن الخاصة المفضلة للحياة العائلية . فلم يكن يسمح للغرباء عن الأسرة بدخولها . ومركز هذه المواقع الخاصة ، كان عبارة عن حجرة جلوس صغيرة مربعة الشكل ذات عمود واحد أو أكثر ، حيث كان رب البيت وريته يمضيان فيها أغلب أوقاتها ، أما الأماكن المتفرعة ، فكانت لسد الاحتياجات العديدة لهذه المعيشة ، وعلى سبيل المثال ، إيواء الأشخاص المتعدين المقيمين بالمنزل ، كمكان لمرح ولهو الأطفال - الذين كانوا يلعبون بالخارج - ومن أجل دروس الموسيقى التى كانوا يتلقونها ، ومن أجل ترتيب وتنسيق الملابس . وأخيرا ، فإن أقصى جزء من المبنى كان مخصصا كحجرات نوم الأبوين ، والأبناء ، وكانت تزود غالبا بما يشبه «الدك» لتستخدم كأسرة .

## حجرات الاغتسال :

من ضمن الحجرات التى لا غنى عنها فى هذا « البناء المركب » ، الحقت فى البداية غرفة « التطهر » ، حيث كان يوجد بها مقعدان حجرين صغيران يسمحان للخدم بأن يقوموا على جانبي الحوض ، يصب المياه على الشخص الذى يغتسل . فلم تكن مصر الفرعونية قد عرفت « البانيو » قبل العصر الرومانى ، كما أن أهلها المعتادين على الحركة وعلى الرياضة ، كانوا يستمتعون ويتلذذون بالاغتسال الذى كان يسبب لهم راحة وهناء مفعما بالصحة والشفاء .

وعلى مقربة تماما ، كانت توجد « قاعة المسح بالعطور » ، من أجل أصحاب البيت . فكانوا يتمددون فوق دك حجرية مغطاة بالحصير ،

حيث كانت الخادومات يقمن بتدليكهن ورش أجسامهم بالدهانات والزيوت العطرية ، التى كانت تتنوع وفقا لاختلاف فصول السنة ، وكذلك كان الأمر بالنسبة لمساحيق العيون . وكان هذا هو المكان أيضا الذى يتم فيه إعداد وإصلاح التسيريحات الرائعة التى كان يحل محلها - فى أغلب الأحيان - الشعور المستعارة ، والتى كانت تعتبر بمثابة إحدى الوسائل المحببة لإبراز الأنوثة . فمثلا ، عندما قصت الزوجة المنحرفة الفاسدة فى قصة « الأخوين » مشهد الاغواء والتفريير الكاذب الذى ادعت أنها تعرضت له ، فقد بينت له بالبراهين والأدلة التى استعانت بها من ادعت أنه حرضها على الغواية : « ..... لقد وجدنى جالسة بمفردى تماما ، و ( هنا ) قال لى : « تعالى ، لنمضى (معا) ساعة ، لنضطجع معا . ضعى شعرك المستعار ! » .

وكانت صناديق أدوات الزينة تحتوى على أجمل وأدق أوعية وقوارير العطور . وكانت تصنع من الخشب الثمين المستورد خاصة من النوبة ومن السودان ، أو تصنع من العاج أو من الزجاج المتعدد الألوان ، نصف الشفاف ، وأحيانا الكامل الشفافية . أما المصنوعة منها من المرمر الأبيض والرخام الشفاف ، فهى التى كانت أكثر شيوعا ، فهذه المادة الباردة الملمس ، كانت تناسب حفظ الدهانات والعطور ، وهذا هو نفس ما تحقق منه وأثبتته المؤرخ « بلىنى » ، بعد ذلك . وكانت أوانى الدهانات العطرية هذه تصنع فى أشكال متنوعة ومتباينة للغاية ، فمنها الذى يبدو على شكل الرمانة أو اللقاح ( نبات من الفصيلة الباذنجانية ) الذى كان قد استورد حديثا من الشرق ، ومنها الذى على هيئة عنقود العنب ، أو زهرة اللوتس والبردى بطبيعة الحال ، ومنها ما كان يستوحى من أشكال الحيوانات ، ويط المستنقعات والوعل ذى الأرجل المربوطة ببعضها ، والقردة الأفريقية الصغيرة الطويلة الذيل المثبتة على حافة كوب صغير ، أو المسكة بأيديها بوعاء الكحل . أما المرايا التى صنع مقيضها من العظام على شكل فرع وخيمة نبات البردى ، وأحيانا شكل فتاة صغيرة عارية ، كالللهة حتحور ربة النساء ، فكان القرص الأعلى بها عبارة عن قرص من النحاس روعى إلا يعمل سطحه اللامع المصقول على تشويه الوجوه التى سيعكسها . ولا شك أن أجمل أوانى المساحيق والدهانات العطرية هى التى قد صنعت على هيئة سباحة جميلة عارية تدفع أمامها ببطة يمثل جسمها ذو الجناحين المفصليين ، الوعاء نفسه . أما الأمشاط البسيطة أو المزدوجة منها من أجل تمشيط الشعر ، فكان من الممكن أيضا أن تزخرف مثلها مثل بنس الشعر المعدنية التى كان يستعان بها لرفع خصلات الشعر الثقيلة ، خلال إعداد التسيريحات الفائقة التعقيد ، فكانت تجميل أيضا ببعض



الزخارف ، وأكثرها تقديرا ، خلال عصر الدولة الحديثة ، كانت على شكل فارس يعدو بحصانه • وأعدت خصيصا صناديق دقيقة الصنع من أجل احتواء كل هذه الأدوات الكمالية الفاخرة • وكانت الحوائج الداخلية بها ، والتجويفات المعدة فوق الغطاء ، أو بداخل الأدراج ، تنتظر أن ترص وتنظم بداخلها الأدوات الرقيقة الناعمة .

أما قاعة التطهر ، فمثلا كمثل دورات المياه ، فكانت تتضمن مقعدا ( كان من الممكن الجلوس عليه ، ولم يكن مجرد بلاطة بدائية على الطريقة التركية . وتزود بجهاز للصرف مصنوع من الطين المحروق •

### الملحقات :

كان من الممكن أن تعتبر الأبنية الملحقة بأى منزل ريفى فاخر ، على درجة كبيرة من الأهمية ، لأن مثل هذه المساكن المتسعة كانت تهبأ وتعد لكى تكون بمثابة حوش « صغير خاص » .

وكانت هناك الأحواش التى تحتوى على صوامع فة هيئة قالب السكر حيث تحفظ الغلال من أجل اعداد الدقيق • وعلى امتداد الجدران المسورة للفتاء المقابلة للحديقة ، شيدت الحظائر والمخازن ، والأسطبلات ( بداية من الدولة الحديثة وادخال الجواد الى مصر ) ، والمرايب والزرائب ، والمجازر ، والمطابخ ، والمخيز ، وقبور الخمر ، ومعمل صناعة الجعة • من أجل تصنيع الجعة المسكرة ، وورشة النجارة ، والورش الخاصة بإصلاح الأجهزة والأدوات ، وورش الغزل والنسيج • وبجوار ذلك ، كانت توجد مساكن الخدم والخادومات ، التى تذكر النصوص دائما انها كانت « تقع خلف البيت » • وكانت هناك حديقة تحتوى دائما على عنصرين أساسيين : أولا كرمة العنب ذات العناقيد الممتلئة ، واللون الأزرق المسود ، وثانيا ، - وغالبا بجوارها - كانت تقام المعصرة ، حيث كان يقوم صانعو الخمر بدمس العنب الذى جمع لتوه بأجلهم • وفى الحال كان يتم جمع العصير الناتج من هذه العملية ، قبل تصفيته فى جرار كبيرة ، حيث كان يتم التبخر من خلال السدادات المصنوعة من الطين النضج •

وهذه الخمر النادرة ، المحفوظة بداخل جرارها • والتى حدد اسم مصدرها ، كانت تخرج من الأبنية فى أيام الأعياد والاحتفالات • وكانت الخمر التى تنقل الى زجاجات رشيقة كبيرة مزينة بالزخارف ، وموضوعة فوق مقاعد خشبية ومحاطة بعناقيد العنب ، بقاعة الاحتفالات ، تقدم للمدعوين ، بدون أى حدود • وقبل أن يسكب السائل فى الاقداح

كان يتم تصفيته • وأحيانا ، كان الخدم انفسهم يشجعون الذين كانوا يبينون انهم قد شبعوا واكتفوا :

« فى صحتك ، اشرب حتى الشمالة !  
ولتمض يوما معيدا من أيام العيد !  
واستمع الى ما تقوله صديقتك !  
لملك لا تريد أن تتوقف عن احتساء الخمر ! »

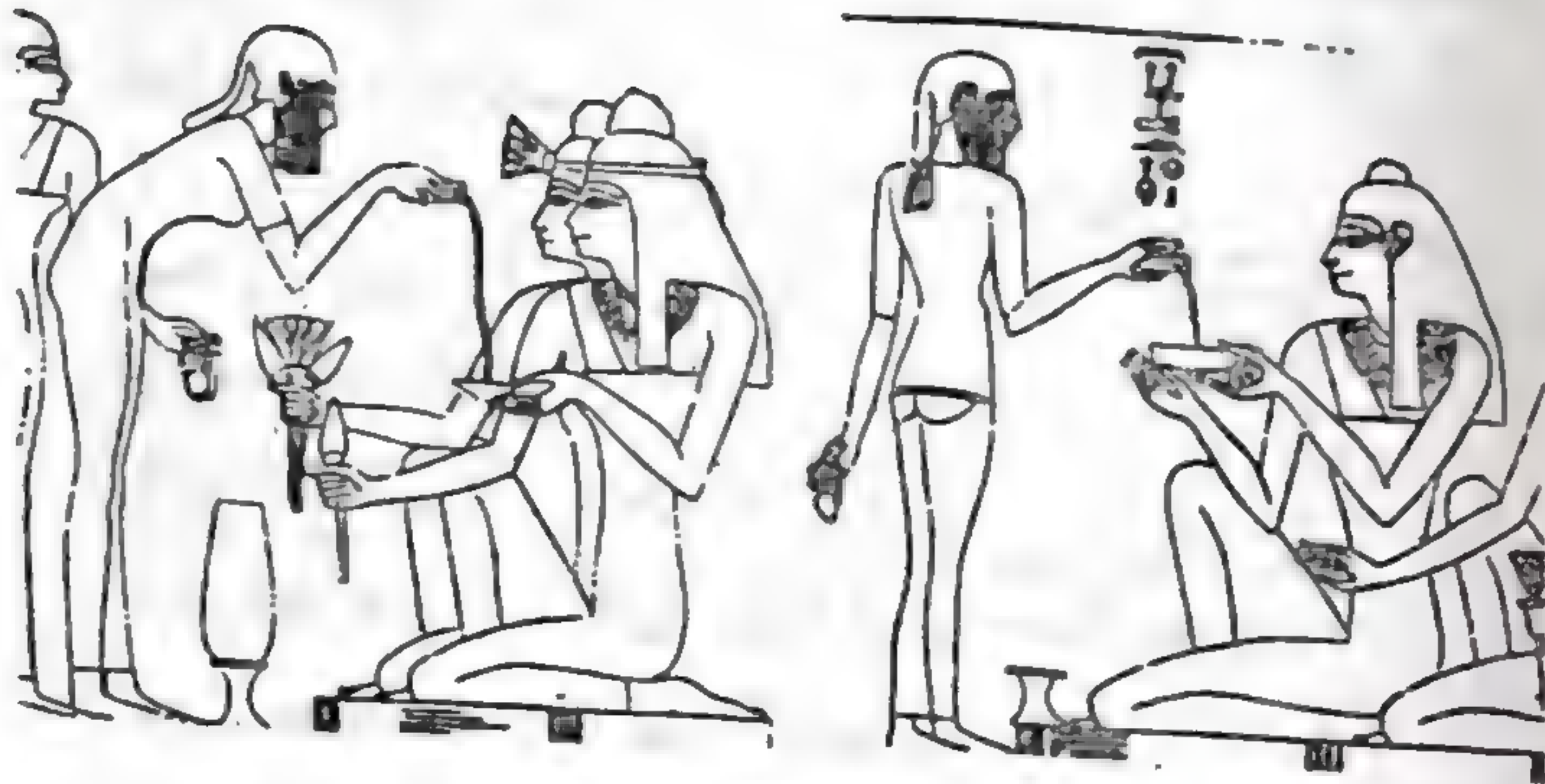
ولكن المدعوين انفسهم لم يكونوا فى حاجة دائما ، الى أى تشجيع ، وما هى عمة النبيل « باحرى » الذى كان قد اعتكف فى الكاب ، بعد حروب التحرير ، لم تكن تخفى ميلها الى ..... الزجاجة :

« احضر الى ثمانى عشرة قدحا من الخمر !

انظر ، اننى أريد أن أنتشى ،

ان داخل جسدى

( جاف ) وكأنه قشة ! »



شكل (٢٣) حفل

أما النبيذ العذب ، الذى كان « ناضجا » ، فقد كانت تستحبه كثير من النساء اللاتى كن يقدمنه لضيوفهن ، بالإضافة الى مشروب آخر ، يعرف باسم « سمرمت » Serémèt . كان يجلب أساسا من « ضياع » الملكات • ولا شك أن هذا المشروب كان يتذوق فى البلاط الملكى ، لأن أطلال عاصمة الفرعون المنتخب الثالث بالمقطة فى غرب طيبة ، لم تقدم - حتى يومنا هذا - أية إشارة عن وجود أية جرة جعة ، ولكن على العكس ، قدمت ما يزيد عن ٢٠٠ قطعة من بقايا البطاقات (étiquette) الخاصة بمشروب السمرمت ، ويتساءل البعض عما اذا كان التمر لم يدخل فى تركيب هذا المشروب المنعش جدا ، بدون شك



أما عن حوض المياه الخاص بهذه المجموعة السكنية ، والذي كان يمكن أن يتطابق أحيانا في أبعاده مع أية بحيرة صغيرة ، فقد كان عادة يزين بشيات اللوتس ، والأسماك السباحة في المياه ، وأصبح المكان المفضل للزوجين الشابين حالما يعود الربيع . وسواء أكانت الانشودة التي ذكرت هنا بعض أبياتها ، تتعلق ، في عبارات رمزية مستترة ، بقضية مقترضة يشعر بها في عالم الآخرة ، أم أنها تتطابق فعلا مع الحياة الدنيا ، فمع ذلك ، يلاحظ من خلالها انعكاس مشاعر قديمة قدم الدهر ، عبر عنها بروح شاعرية مؤكدة :

« يا الهى ! يا زوجى »

لأنه لأمر مستحب ومنع الذهاب الى البحيرة .

إن رغبتك في أن ترائى وأنا أنزل اليها ،

وإن استحم أمامك ،

يفغرنى بالنشوة والسعادة !

سأتركك ترى جمالى

وأنا ارتدى رداء من التيل الملكى ، الغائق الرقة ،

بخلصة العطور اللطيفة الشافية

بالزيت المغطى .

اننى أنزل الى الماء ، لكى أكون بجانبك ،

ومن أجل حبنى لك ، أخرج ، وأنا أمسك بسمكة حمراء .

وهى سعيدة بوجودها بين أصابعى ،

وأضعها ( فوق نهدي ) .

أنت ، يا زوجى ، يا حبيب قلبى ،

تعال وانظر ! ، ( ٤ ) .

وعلى مقربة من حوض المياه ، كان يمكن أن تحتل كرمة العنب التى على شكل عريشة مكان مقصورة الحديقة ، حتى إذا كانت تصنع من مواد خفيفة . وفى أيام الحرارة الشديدة ، كانت الشمس تتسلل من بين الأوراق . والعناقيد إذا كانت الشتلة مازالت شابة . ولذا ، كانت ربة البيت تبطن جزءا من السقف بمسائر متعددة الألوان ذات زخارف هندسية مختلفة ومتباينة ، كالتى نراها اليوم فى مصر ،

وتستعمل من أجل إضافة كافة أنواع الاجتماعات ، وهى تبدو ممثلة بالمقبرة ذات الكرم ، الخاصة بالنيل من نهر بطيبة . ولا ريب أن هذه المقصورة كانت بمثابة مكان مفضل للغاية للالتقاء والراحة .



شكل ( ٢٤ ) زوج يقدم لزوجته باقة الزهور أمام عتبة الدار

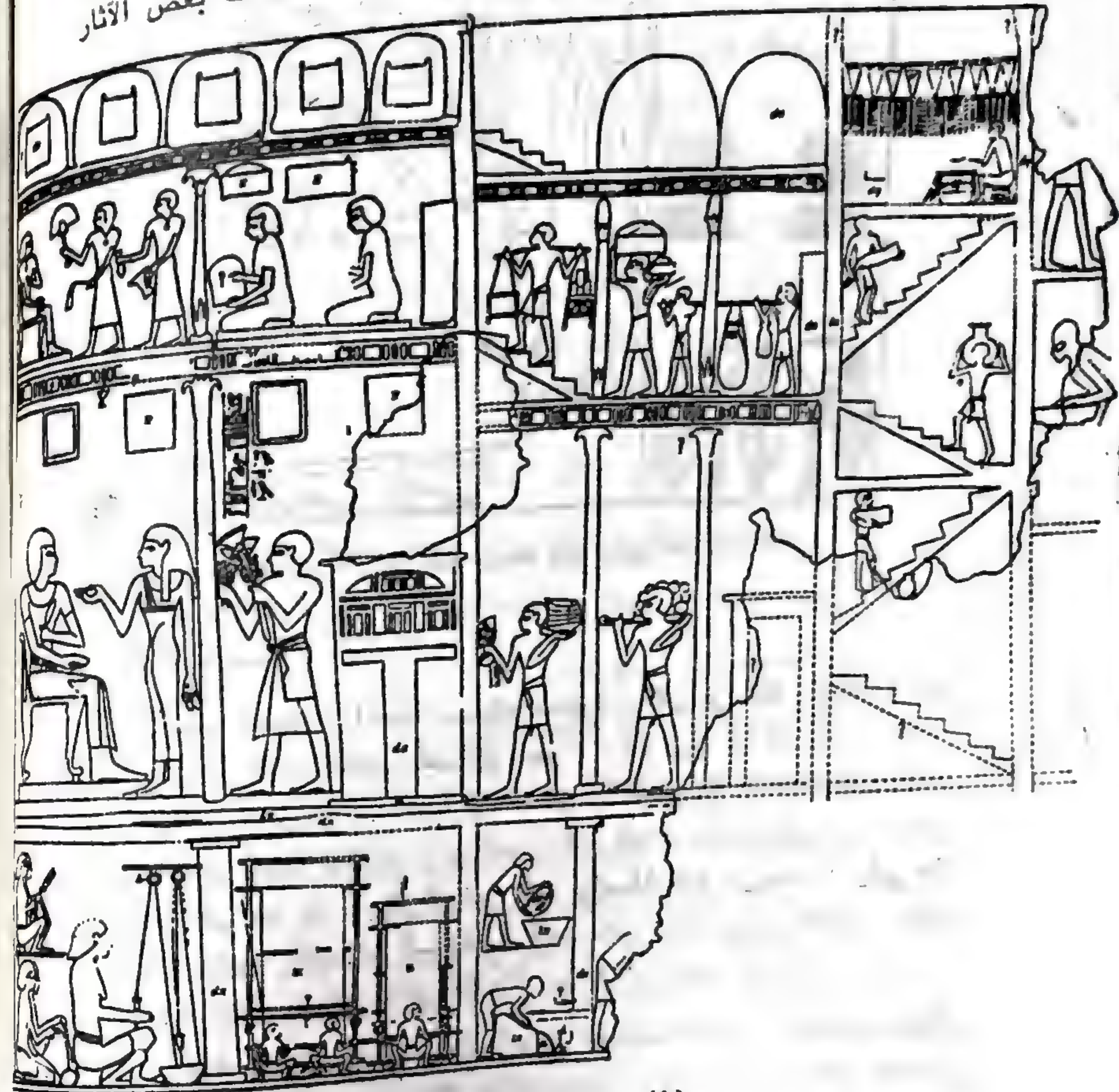
### بيت المدينة :

بيت المدينة ، المحاط بحديقة صغيرة ، كان فى تلك الحقبة ، هو المسكن ذو النمط الطبى الفائق الجودة ، ولا ريب أنه كان أقل حجما ( من المنزل الريفى ) ، كما أن المسكن ذا الطوابق المتعددة كان يزداد حجما من ناحية ارتفاعه . ودائما ، كان البناء يشيد فوق دور أرضى مرتفع الى حد ما ، ويتم الدخول اليه بواسطة عدة درجات . وفى هذا المكان الشبيه بالقبر أو السرداب ، كانت تقام غالبا ورش الغزل ، وكان الضوء يعرف طريقه بداخل القاعات من خلال بعض المنافذ .

أما عن تقسيم الحجرات ، وفقا لطبقات المنزل ، فكان يماثل التقسيم الذى شوهد بعد ذلك بفترة طويلة ، فى بعض خانات العصور



الوسطى بالقاهرة ، حيث يلاحظ أنه بعد مخازن الدور الأرضي ، كان الدور الأول يشغله « قائد القافلة » ، والثاني تشغله النساء ، أما الدور أو الأدوار العليا ، فكانت تخصص للخدمة والقائمين بها . وفي طيبة فان « فيلا » المدعو « جحوتى حتب » ، التي صور مقطع لها على أحد جدران مقصورته ، تبين تماما نفس الترتيب والتنظيم المذكور : ففي الطابق الأول ، يشاهد رب البيت ، وهو جالس في حجرة ذات أعمدة - تتطابق مع القاعة ، المربعة الشكل ، المركزية بالبيت الريفى - وفي الخدم بتقديم الطعام له . وبواسطة نفس بئر السلم ، يصعد هؤلاء الخدم الى الطابق الثانى ، لخدمة سيدة البيت ، التي تقيم فى حجرات ذات سقف أكثر انخفاضا . وأخيرا ، على السطح ، يلاحظ وجسور المطبخ ، وأفران الخبز ، وكذلك سقيفة مائلة علق بغطائها الخفيف ، بعض قطع اللحم التي يراد تجفيفها . ولقد حفظت لنا بعض الآثار



شكل (٣٥) منزل أحد الأثرياء

الرسومة والملونة لهذه المساكن الجميلة ذات الواجهات المطلية باللون الوردى ، والتي يعتليها فتحتا تهوية (٥) ، وتحيط بها الأشجار التي تمت حماية جذوعها وسيقانها من الحيوانات التي كانت تمر بالطرقات ، بواسطة حوائط قصيرة . وأحيانا ، كانت ربة البيت ، تبدو عند باب المنزل ، وزوجها يبدو قادمًا نحوها ، وهو ممسك بيده ، شأنه شأن جميع المحبين بالعالم ، بباقة ورد !

أما مؤخرة البيت فكان من الممكن أن تزين بصف من الأعمدة التي تؤدي الى حوض مائى صغير تحيط به أشجار الجميز . ولا شك أن النموذج الخاص بـ « مكت رع » المحفوظ بمحترف القاهرة ، يقدم ذكرى وإشارة محبة للمنزل الحضرى ، الذى يرجع الى الأسرة الحادية عشرة .

ولكن ، لا ريب أن امتلاك منزل بالمدينة ، لم يكن ليمنع مطلقا من الاستمتاع بضيفة « بوسط الحقول » ، بالنسبة لمن كانوا يستطيعون القيام بواجباتها والتزاماتها ، أو أصبحوا مستحقين لها . وأحيانا ، كانت الإشارة الى مثل هذه الملكية تعتبر بمثابة تقديم الدليل على الاجلال والاعتبار ، الذى استحقه شخص ما ، أو على الرخاء والسعة فى العيش التي حصل عليها . وهذا هو عين ما فعله « سنوهى » عند رجوعه الى مصر ، بعد أن حصل على مغفرة وعفو مليكه ، ولكى يتأكد من استعادته الحظوة لدى سيده ، فقد أعلن سنوهى ، أنه تلقى من مليكه « منزل يليق بابن ملك » ، فائق الفخامة ، مزود بالتجهيزات التي توفر له الراحة والرفاهية الصحية ، وتعمل على تبريد مياه اغتساله ، وهذه رفاهية أكثر استحسانا لمثل هذا الهارب الشارد سابقا ، خلال الدولة الوسطى ، والذى اضطر أن يعيش طويلا فوق الرمال مثله كمثل البدو . وكانت جدران المنزل الفخم قد زخرفت ، وزود البيت بالأثاث والصناديق الكبيرة التي تضمنت كل ما كان يمكن أن يزين ويزخرف الحياة اليومية بنمط من الترف والليذخ المؤكد : ملابس مصنوعة من أرق أنواع الكتان الملكى ، زيوت الملك المعطرة من أجل التزين ، كميات من البخور من أجل تعطير الحجرات وتعبيقها . وبالإضافة لذلك ، « كان جميع الخدم منهمكين فى أعمالهم » ، ولا شك أن هذا المبنى كان مسكنا حضريا ، لأن سنوهى قد أشار قائلا : « انه قد حصل أيضا على بيت من أحد ملاك الأراضى « نب شيبى » neb-shè » ، وكان يملك هذا البيت قبل ذلك صديق ( من الأسرة المالكة ) . وقام العديد من العمال بإعادة بنائه ( كان قد شيد مثله كمثل بقية المنازل والقصر الملكى من قوالب الطين النيء ) ، فى حين أعيد غرس جميع أشجاره من جديد (٦) .



## الحياة اليومية بالمنزل



شكل (٢١) واجهة منزل



شكل (٢٧) الخدم يساعدون سيدهم على ارتداء ملابسه

### رئيسة البيت :

بعد الاحتفالات الكبرى التي اقيمت بمناسبة الزواج ، كانت الزوجة الشابة تبدأ في تكريس كل طاقتها واهتمامها لمزاولة وظيفتها كزوجة وكربة بيت . وربما كانت المهمة تبدو لها ثقيلة الى حد ما ، خاصة ان ضيعة زوجها شاسعة ومترامية الأطراف ولكنها كانت قد تلقت تعاليم

ونصائح طيبة من الكتبة ، ساندتها وعضدتها عاطفة الحب الذي اكتشفته  
انوما :

كم هي جميلة هذه الساعة !

فلنمتد حتى تصبح أبدية !

منذ ان نمت بجوارك ،

فقد اثرت قلبي .

فسواء اكان هذا القلب يشن ام سعيدا

فلا تباعد عني ( ايا قلبي ) !

فبداخله توجد ( لبلابات )

تثير وتحمس

اننى حبيبتك ، بل افضل الحبيبات

اننى ملكك مثل الارض

التي زرعتها بالورود

وبالنباتات المختلفة الأنواع ذات الرائحة الشذية .

وكم هو رائع وساحر المجرى المائى الموجود بهذه الارض ،

والذى قامت يدك بحفره

لكى تتنسم عنده هواء الشمال ،

انه مكان ساحر للترويح والتنزه !

وما هي يدك فوق يدي ،

وجسدى كله تغمره السعادة ،

وقلبي مفعم بالفرح ،

لأننا نسير معا .

ان سماع صوتك ، هو بالنسبة لى خمر عذبة ،

وانا اعيش على سماعه .

وكل نظرة ( منك ) توجه نحوى ،

لاغلى عندى من الماكل والمشرب (٧) .



كما أن لقب « نبت - بر » أى ربة البيت الذى أطلق منذ الدولة الوسطى على السيدة المتزوجة ، يبين تماما مدى اتساع المهام والمسئوليات ، التى كانت تقع على عاتقها ، والتى كان يجب أن يعترف بها الجميع . فقد كانت تسود على كافة أنحاء هذا الكيان الذى يكون المنزل ، بأقصى ما تدل الكلمة من معنى ، وعلى تسلسل وسياق الحياة اليومية ، وعلى كل ما كان يعمل على انتظامها . وعند ظهور هذا اللقب ، منذ الأسرة الحادية عشرة ، بدا أثره على قدر كبير من الأهمية ، لدرجة أن الملكة « نفرو » زوجة الملك « منتوحتب » قد حملته دائما بصفة رسمية ( بل أطلق لقب « نبت - بر » على بعض الرجال خلال نفس الحقبة ) .

ولا يبدو أنه قد خلعت أية وظيفة وراثية على نساء من الطبقة العليا لسن بنات أو زوجات ملك . والاستثناء الوحيد ، على ما يبدو ، هو لقب « حاتيت - عا » ( كونتيسة Pachat ) الذى ظهر خلال الدولة الوسطى أيضا . ولكن ، فى نطاق البيت حيث كانت تسود غالبا على عدد كبير من الخدم ، كانت هى الـ « حنوت hénout » ( السيدة ) المهيمنة على الخادومات ! وهؤلاء الخادومات ، بالرغم من مظاهر الاحترام التى كان يجب عليهن أن يبدوها نحوها ، فقد كن يجابهن بقولهم الصريح ، وينزلن أحيانا إلى التمرد . والعصيان . وبذا ، كان الأمر يتطلب الكثير من التعقل والحكمة من جانب الزوجة الشابة لكى يسود السلام فى أنحاء البيت ، وأن تنقبه جيدا حتى لا تحاول بعض العاملات بالمنزل أن يصبحن عشيقات لزوجها .

ولكى تكتسب الزوجة السلطة والسيادة اللازمة لمواجهة كافة هذه المسئوليات مواجهة حازمة فعالة ، ولتلافى العديد من المكائيد والأحاييل ، التى كانت تتراءى لها من بعيد ، فقد كانت الضرورة تستلزم أن تسارع السيدة الشابة بالحمل وإنجاب الأطفال : قبل كل شيء طفل بكرى ، يدخل السعادة على قلب الأب ، ويقابل بالترحيب .

### الزوجة والطفل :

كانت الزوجة الشابة تنتظر بتلهف ظهور الأعراض الأولى التى تجعلها تأمل فى أن تصبح أما . فحينما كانت شابة مراهقة ، كانت تحلم ، مثلها كممثل الأميرات صديقاتها ، وأيضا كممثل كل من كن يرغبن فى أن يصبحن أمهات فى يوم ما ، بأحزمة يستطعن أن يزين به أردافهن ، صنعت موادها من زخارف مذهبة على هيئة أضداد ترمز للفرج الذى يمكن أن يتمخض عن الجنين . ويبدو أن الصلوات والابتهالات للالهة حتحور قد أصابت مرماها ، كما أن القطعة الجميلة ، الصورة

الطيفة الهادئة ، للالهة البعيدة ، قد استقرت بصفتها ربة البيت الحديث ، والحامية الساهرة على عوامل الانسجام والتوافق به ، وعلى تحقيق النسل الوفير . وكانت صورتها تزخرف الحواجز المزينة لقمة بعض الأبواب بالمنازل .

### العم :

كان العم بالنسبة للزوجة الشابة بمثابة كارثة أو مصيبة تضطرها إلى الالتجاء لتدخل الوسائل السحرية . ولكن ، كان من الطبيعى قبل ذلك استشارة الطبيب الممارس لكى يقدم العقاير التى تعمل على القضاء على هذا النقص . وفى الواقع كان الأطباء يشتهرون بتمكنهم فى علم أمراض النساء ، والدليل على ذلك أن ملك الحيثيين « ماتوشيليش » كتب إلى رمسيس الثانى ، خلال الأسرة التاسعة عشرة ، ليطلب منه بعض العلاج والأدوية التى تساعد على منح الخصوبة لاخته . وبدأ رمسيس حذرا أو حريصا - ورد على مراسله بقدر ضئيل من الرقة والجمالية والكياسة - فأكد له أن اخته التى فاهزت الصتين من عمرها ، لا يمكن مطلقا أن تنجب أطفالا ! ومع ذلك ، فإن كان « ماتوشيليش » يصر على طلبه فإنه كان على استعداد أن يبعث إليه بساحر ماهر وبعالم طبيعة ( طبيب ) قد يستطيعان أن يعدا من أجلها بعض عقاير الانجاب .

ويبدو أن المصرى كان يقر بأن العم يمكن أن يكون من جانبه هو أيضا . وفى هذه الحال ، كان عليه أن يتوجه إلى الهة . وهذا ، على ما يبدو ، فى ذات يوم ، كان حال أحد كبار كهنة منف حيث ابتهل وتضرع للاله ايمحتب لكى يهب له ابنا .

ويبدو أن الجميلة الساحرة حتحور وكذلك السلف الذى وجه إليه الالتماس والتوسل فى صبيحة يوم الزواج ، قد استجابا للدعاء ، فتأكدت السيدة من أن أمانيتها قد تحققت ، وأخذت تتسائل عما إذا كان الطفل الأول الذى كانت تنتظره ، سيكون ابنا . ولكى تتأكد من ذلك ، كان عليها أن تتبع الطريقة التى ذكرت تعليماتها وحفظت فى الكثير من البرديات . وأكثرها شهرة هى التى ترجع إلى الاستعانة التجريبية بنظرية الهرمونات (٨) .

« وهناك وسيلة أخرى لمعرفة عما إذا كانت امرأة ما حاملا أم لا : ( سوف تضع ) بعض القمح والشعير ( فى كيسين من نسيج الكتان ) ، تقوم المرأة بريهما بيولها كل يوم ، وبشكل متواز ستضع بعض البصل وكمية من الرمال فى كيسين آخرين . فإذا نبت كل من ( الشعير والقمح ) معا ، فإنها سوف تحمل . وإذا نبت الشعير ( أولا ) ، فإنها



ستلد ولدا ، وإذا نبت القمح ( أولا ) ، فإنها ستلد بنتا . وإذا لم ينبت  
لا هذا ولا ذاك ، فإنها لن تحمل ، ( ٩ ) .

### الرعاية أثناء الحمل :

خلال فترة الحمل ، كان يستلزم التماس كافة ضروب الرعاية  
والعناية . فقطع « العاج السحرية » ، وهى نمط من الألواح من عاج  
حيوان فرس النهر على هيئة نصل سكين معقوف ، قد ظهرت منذ الدولة  
الوسطى ، وكانت تغطى برسومات تمثل أشكال بعض الجنى ، ومنهم :  
عجا ، سلف ، بس ، حامى النساء والأطفال ، وانثى حيوان فرس  
النهر ، تاورت التى قهرت التماسح . وعلى حافتها ، كان يشاهد  
أحيانا شكل يمثل وجه الكلب الصغير أنوبيس . ومن المحتمل جدا ، أن  
الغرض من وراء هذه الأشياء ، هو نسج شبكة واقية وحامية حصول  
« البويضة الموجودة فى رحم المرأة الحامل » ، والتى يقوم المثل الأعلى  
خنوم بمنحها الحياة . - كما يمنح الحياة للفرخ الصغير ( ١٠ ) -  
طوال شهور الحمل العشرة ، وفقا لما ذكرته نفس الكتابات ( يحتفل ان  
الأمر يتعلق بالشهور القمرية ) . فالشهر الذى يبدأ كان يجب أن يعد  
كشهر كامل ، ولكننا سنترك هذه المسألة للأطباء . وكانت هناك بعض  
الآثار الأخرى التى يرجع مثالها دون شك ، الى الدولة الحديثة ،  
ولكنها استعملت كثيرا خلال العصر المتأخر ، وهى « لوحات حورس  
فوق التماسيح » ، وكانت عبارة عن لوحات صغيرة غطيت بنصوص  
سحرية ، أما واجهتها الأمامية ، فقد زخرفت أساسا ، بصورة الساب  
حورس ، عاريا تماما ، ويمسك بيده بعض الزواحف والوحوش  
الضارية ، ووقف فوق التماسيح التى أمسك بزمامها وقهرها تماما .  
وعلى قمة اللوحة ، تبدو رأس الإله بس . ولقد فسرت هذه الآثار غالبا  
على أنها تنقل قوتها الواقية الحامية لكل من شربوا من المياه التى رشت  
فوقها ، كطريقة فعالة للحماية من لدغات الثعابين السامة للغاية ! ولكن  
يبدو هذا الرأى غير مصدق ، عندما نعرف ما يتمتع به الأطباء البيطريون  
والمختصون بعلم الأفاعى والحيات فى مصر القديمة ، من كفاءة  
ومقدرة . ومنذ وقت غير بعيد اعتقد فى أن تلك اللوحات كانت ذات  
نفع وشافية للأمهات والأطفال من أخطار تلك الحيوانات ، بفضل صورة  
حورس وبعض فقرات النصوص :

« أنت تحمىنى من كل سباع الصحارى ، وكل تماسيح النهر وكل  
الثعابين ، وكل العقارب ، وكافة الحشرات التى تعض بأسنانها وتلدغ  
بذيولها ، وكافة أنواع الزواحف التى تهاجم من داخل جحورها » .

وقد يكون كل ذلك مقبولا ، إذا كانت السباع والتماسيح معتادة  
على اقتحام البيوت فى مصر ، وهذا لم يحدث طبعا ، وكذلك الحال  
بالنسبة لوصل الصحراء أيضا . ولكن ، أحيانا ، كانت العقارب  
والثعابين فقط هى التى تتمكن من دخول المنازل ولذا ، فإن هذه الصور  
الحيوانية ، تعد بمثابة رموز للضرر والأذى ، وكذلك الأمر ، بداخل  
الحيوانية ، ( أو بيت الولادة ) فى جزيرة فيلة على سبيل المثال ،  
ال « ماميزى » ( أو بيت الولادة ) ذكرت بدهليز قاعة ولادة حورس المملوءة بالنباتات  
يلاحظ أن الفترة التى ذكرت بدهليز قاعة ولادة حورس المملوءة بالنباتات  
المائية ، وبأنواع من الزواحف والحيات والجنى « المسكة couliers »  
بأغصان تتمايل فى تمهل بفعل تموجات المياه ، هى الفترة التى كان  
يمكن خلالها أن تعمل الاعتداءات على الأضرار بالجنين فى أحشاء  
إيزيس - فى مياه الأم التى تجسدها بوضوح وجلاء مستنقعات خميس ،  
حيث خبات أرملة أوزير وليدها بعيدا عن الأخطار . كانت تخفيه حتى  
قبل أن يولد : ويدون أن نرغب فى التوغل أكثر من ذلك فى تناول هذا  
الموضوع ، الذى يستلزم مناقشة ومجادلة طويلة يمكننا منذ الآن ، أن  
نعمل القول بأن فترة الإقامة فى تلك المستنقعات الشهيرة تغطى الى  
أبعد مدى فترة الحمل . وكانت « لوحات حورس فوق التماسيح » هذه  
التي زينت بنصوص وأشكال ، تصب عليها المياه التى يجب أن تشربها  
المرأة الحامل ، والتي تنقل بذلك نوعا من الوقاية والحماية للجنين  
وتعمل على الأعداد لوصوله فى عزة وافتخار .

ولو حدث أن ولد قبل الميعاد . فقد كانت هناك صيغ ووصفات  
سحرية يستعان بها لابقائه على قيد الحياة .

### ولادة الطفل ومولد اسمه :

ها هى قد حانت ساعة الخلاص . وكانت أكثر الأمهات ثقافة  
وتعلما يعرفن أن الأمر كان يستلزم فى هذه الحال ، استعمال الإله  
« خنوم » المثال :

« عليك أن تخشين بأس خنوم ، أيتها النساء الحوامل اللاتى  
تعدين موعدا ولادتك ، فانه هو الإله شو المختص بالوضع ( شو هو  
الهواء الذى سوف يستنشقه الجنين الذى أصبح طفلا ) ، والذى يفتح  
شفتى العضو الأنثوى ويضمن ولادته فى صورة آمن » .

وكانت المصرية تلد وهى مستقيمة الجرع ، وعلى ما يبدو علوية  
تماما ، وأحيانا كانت فوق مقعد خاص ، وأحيانا أخرى كانت تجلس  
القرفصاء فوق أربعة قوالب شعائرية من الطوب مسخت ، أو السيدات  
النبيلات الأربع المشرقات على الولادة واللاتى كن ، بعد ذلك يصاحبين



الإنسان إلى قبره من أجل حمايته ، وهي أيضا القوالب الأربعة المثلثة للكرات الأربع بالقبر . ونفس شعائر الوضع هذه ، كانت توجد أيضا في المراسيم الخاصة بإنشاء المعابد ، التي كانت توجه وفقا لمحور ولادة كائن حي ، سوف يخرج من رحم سائل فوق قوالب الطوب الخاصة بالولادة مسخت ، ومن هنا بدأ الدور الرئيسي لعملية صنع قوالب الزوايا ، ثم وضعها في مكانها المحدد ، كرمز لعمل الآلهة المثال خنوم ، الذي يشكل ، في نفس الحين ، بعجلة الفخراي الكائن الصغير القبل (١١) ويمنحه مكانا للإقامة فوق الأرض ، (١٢) .

وهذا ما كانت تفعله القابلة ومساعداتها اللاتي كن يمسكن السعيدة الواضعة من ذراعها :

وهنا رقت ايزيس أمامها ( زوجة كاهن رع ) ، ونفتيس خلفها ، وحكات ( الآلهة - الصفوح ) المختصة بعمليات الولادة ، قامت بدفع مليات الولادة وتنشيطها ( يوجد هنا تلاعب بالكلمات لهدف تكوين اسم المولود الجديد ، والذي يجب أن تتطابق به الآلهة المولدة دون مساوها ) . وانزلق هذا الطفل عندئذ على يديها ، كان طفلا يبلغ طوله فراسا واحدا وعظامه متينة قوية . . . . . وقمن بغسله بعد قطع حبله الصرى وبعد أن وضع فوق أطار من قوالب الطوب (١٣) .

وكان الطفل يتلقى اسمه عند ولادته . أما بالنسبة لآي فرعون مقبل ، فكان من الممكن تكوين اسمه بواسطة الكلمات التي نطقت خلال ممارسة ( الاتصال المقدس ) ، أو عند التوليد الذي تقوم به الربيات .

وفيما يختص بالأم المدنية ، كان الاسم يطلق على وليدها لحظة ولادته . ويبدو أن الأب كان يساهم في تكوين هذا الاسم بتركيبه وفقا للكلمات التي تنطق بها الأم ، خلال عملية الولادة . عموما ، كان ذلك يعتبر ، كاسم الأم ، التي كان يفترض أنها تلد الطفل واسمه في نفس الحين .

وبجوار هذا ، الاسم الحقيقي ، الأصلي ، كان الطفل يستطيع بعد ذلك تلقي اسم ثان ، مألوف ، وشائع .

أما المشيمة أو الخلاص فقد كان ينظر إليه بكل الاحترام والتبجيل ، فقد كان يستعمل ، كما يحدث في أيامنا هذه ، كبداية في المجال الطبي ، في تركيب بعض العقاقير التي تساعد على سهولة التئام الجروح الغائرة .

ولقد تمت هذه الولادة في أحسن الأحوال ، بالنسبة للأم أولا ، التي كان يخشى عليها دائما من حدوث أي حادث ، وبالفعل ، فقد بينت

دراسة الموميئات أن العديد من النساء قد توفين خلال عملية الوضع ( وهذا يفسر إلى مدى بعيد زواج الأرامل من الرجال مرة أخرى ! ) . وكانت الظروف طيبة جدا بالنسبة للموليد الذي بدأ في خير حال . وفي بعض الأحيان ، ولسوء الحظ ، أن بعض المواليد كانوا يولدون بتشوهات جسمية . أو عجز خلقي ، أو يبدون خلال سنواتهم الأولى ، متخلفين عقليا . وفي هذا الحال ، كانوا يقبلون كمن شملتهم عناية الرب ، وكذلك ، فإنهما يكن الأمر ، كانوا يدمجون بالمجتمع ادماجاً طيباً . ولذا ، فإن الحكيم امنموبى كان يحذر رفاقه الشباب قائلا : « لا تسخر من كفيف ، ولا تضايق قزما » .

كان الأمر يستلزم بعد الولادة أن تمضي الأم الأربعة عشر يوما الخاصة ، بالتطهر ، الشعائري في إحدى المقصورات ، بعيدا عن الحياة العامة ، بعد ذلك لم يكن الأمر يستلزم إلا تغذية الطفل تغذية طيبة ، وحمايته من السوء والشر ، مع الاعتبار دائما ، بأنه يوجد ضمن الجنيات الخمس المثلثات لحتحور المشرفة على مصيره ، واحدة كانت تستطيع القيام بدور الجنية « كارابوس Carabosse » الشريرة . وقبل كل شيء أن يمكن اعطاؤه ثدي الأم طوال سنوات عمره الأولى : وكان السحرة والأطباء يتناوبون أو يجتمعون لمساعدة الأم على القيام بهذه المهمة الطبيعية ، وعند الاقتضاء يقومون بعلاج ثديها المريضين . أما الساحر ، في مثل هذه الأحوال فقد كان يقتدى دائما بالأحداث التي قابلت ايزيس . وكانت الوصفة تبدأ بما يلي : « هذا هو الثدي الذي ألم بايزيس وهي في « خميس » ( . . . . . ) تقرأ بعض التعاويذ على قصب صغير ، وبعض من ليف النبات ، وطرف عضو الثنايث في نبات الأسل ومعها أعضاء التذكير في النبات ( . . . . . ) ويحول ذلك إلى قطعة من الحبال الملتوية من ناحية اليسار ، وتوضع على مكان الألم ( ويقال ) « لا تسبب تقرحات ، ولا تسبب اكلاان أو حكة ولا تنزف دماءك » (١٤) .

وكانت توجد ، بطبيعة الحال ، وصفات طبية لادرار لبن الأم ، أو من أجل تنظيم عملية التبول المتدفقة لدى الموليد ، وأيضا لتهديئة بكائه وصراخه المفرط .

#### حماية الموليد :

ولحماية الأم والطفل ، دونت مجموعات من التعاازيم والرقى ، والطلاسم السحرية ، حتى لا يهاجم هذا الموليد أي سوء أو أذى ، وحتى لا ينضب معين لبن الأم ، ولا تصيبه النزلات المعوية والمعدية التي كانت تؤدي غالبا بحياة المواليد . وما هي إحدى البرديات (١٥) التي تسمح لنا بالتعرف على بعض هذه الصيغ الخاصة بالرقى والتعاازيم .



، ان حمايتك هي حماية السماء (.....) والأرض (....) والليل (.....) والنهار .

ان حمايتك هي حماية الحقائق الالهية السبع .

اللاتى نظمن الارض عندما كانت صحراء قاحلة .

اللاتى وضعن القلوب فى المكان المناسب

(.....)

فليحم كل اله من الآلهة اسمك

وكل مكان ستوجد به ،

وكل لبن ستشربه ،

وكل صدر ستؤخذ فوقه

وكل ركبة ستجلس عليها ،

وكل ملابس سترتديها ،

وكل مكان ستمضى به يومك ،

وكل حماية ستلقى عليك ،

وكل شئ سترقد فوقه ،

وكل عقدة ستعقد عليك ،

وكل تيممة او تعريضة ستعلق فى عنقك .

فلتحم بفضلهم ،

ولتبق فى صحة جيدة بفضلهم ،

ولتبق سالما سليما بفضلهم

وأن تشمل بالهدوء والسكينة بفضلهم ،

كل اله وكل الهة .

اما التعاويذ السحرية التى ستذكر هنا فهي توجه الآن لكل « شبح » ، محتمل أن يكون قادرا على ايداء الوليد :

« فلتفنى وتتلشى تلك القادمة فى المظلمات ،

التي تقترب وهي راجعة ،

وقد اتجه انفها الى الوراء ، واستدارت بوجهها .

تلك التى ( يجب ) ان تنسى لماذا هي آتية .

هل حضرت لتقبلى هذا الطفل ؟

انا لا اسمح بأن تقبله !

هل حضرت لتهدئة هذا الطفل ؟

انا لا اسمح بأن تهدئيه !

هل حضرت لايدائه ؟

انا لا اسمح بأن تؤذيه !

هل حضرت لأخذه معك ؟

انا لا اسمح بأن تأخذه ! ، .

ولاطمئنانها بفضل هذه التعازيم والرقى التى تتضمن حماية حقيقية ، لم يكن على الأم عموما ، أن تجعل نفسها فريسة للقلق ، لأن ذلك قد يعود بعواقب وتأثيرات وخيمة على لبنها . ومن أجل إثارة واضطراب ادرار هذا الغذاء النفيس ، يبدو أن النساء ، كن يستعن أحيانا ، بتمثال صغير مجوف على هيئة الالهة « تاورت » ، وتبدو وهي تمسك بأحد ثدييها ، وكأنها تهم بالارضاع ، وقد ثقب هذا الثدى بثقب ، وسد بسدادة صغيرة جدا . ولا شك أن هذا الوعاء الصغير عندما كان يملأ « بماء الحياة » هذا كان يسمح بذلك بانزاله منه نقطة بعد نقطة من خلال الثقب ، ويبعد بواسطة السحر المتعاطف نضوب ادرار اللبن (١٦) .



علم أمراض النساء ، دور ربة البيت ،

والحداد ، والأرملة الوارثة

علم أمراض النساء

ان اللبن - هذا الغذاء الالهى - كان يدخل ضمن غيره فى تركيب العديد من الادوية التى تشرب على جرعات ، والمحاليل اللطيفة من أجل تهدئة سعال الطفل على سبيل المثال بمزجه مع بعض العسل وثمار التمر المسكرة . وكان هذا العلاج القديم يتساوى مع بعض الوصفات الطبية الأخرى التى كانت تشير باستعمال : « لبن الأم التى وضعت لتوها وليدا ذكرا » ، من أجل علاج مرضى الرشح والزكام . . . . . وكذلك أمراض الرمد والتهابات العيون ( وانتقل هذا العلاج الى أوربا عن طريق الطبيب هيبوقراط Hippocrate ) ومن أجل نقل هذا السائل النفيس كانت تعد قوارير صغيرة بديعة الصنع ، على هيئة امرأة جالسة القرفصاء ، حاملة بين ذراعيها وليدا عاريا تماما . وفى متحف اللوفر بباريس نموذج لأول قارورة دواء فى العالم من هذا النوع .

كما أن الزوجة الشابة المثقفة ، كانت تستطيع أن تلجأ بنفسها الى استشارة البرديات الطبية الموجودة بمكتبتها الخاصة ( ١ ) . وترجع هذه البرديات الطبية الى الدولة الوسطى ، والتى بدأ استعمالها فى عصر الأهرام ، وكانت تساعد الكثير من السيدات على علاج الأمراض التى قد تصيب أفراد عائلاتهم « طب القلب ، والعيون ، . . . . . الخ . بل وأيضا مرض سلس البول الطويلة الأمد لدى مواليدهن ) . ولكن هذه البرديات كانت تتضمن فصلا طويلا مخصصا لعلم أمراض النساء والولادة ، ويتعلق بأغلبية الأمراض والمتاعب التى يمكن أن تصيب المرأة . ولا شك أن موسوعة العلاج هذه قد دونت بعد القيام بتجارب طويلة المدى حولت تطبيقها عمليا الى علم فعلى ، وجاء هيبوقراط أيضا للاعتراف منه بكثرة وغزارة : فبعد تحليل الأعراض التى تظهر على المريض ، كان الطبيب يقوم بتشخيص مرضه ويصف علاجاً ، وبمثل



هذا الأسلوب استطاع الأطباء المصريون اكتشاف سرطان الرحم واعتبروه بمثابة مرض يلتهم الأنسجة ، وكانت الأبحاث المتخصصة تفرق بوضوح تام بين التهابات الرحم والتهاب الفرج أو المهبل . وبعد مرور حوالي ستة أعوام على انجاب ابنائها السبعة ،

فان ربة البيت الشابة التي كانت قد بلغت الواحدة والعشرين من عمرها ، بدأت تشعر ببعض الضعف في قواها الجسدية ، وبعض الصداع الذي كان المصريون يسمونه « جس - تب ges-tep » أي « منتصف الرأس » ، والتي ترجمها الاغريق hemi-crania أي نصف الجمجمة ، وبعض المتاعب المتنوعة ، اضطرتها لأن تستشير « موسوعتها الطبية » ، وفي الواقع ، فانها كانت قبل ذلك قد لاحظت أن المقويات والأدوية التي كانت أمها ومريبتها السابقة تصفانها لها ، غير مجدية . ولكي تتيقن من العلاج الفعال ، وخاصة أنها لم تكن تستطيع أن تميز جيدا بين المظاهر المرضية الموصوفة بالموسوعة الطبية ، وبين ما تشعر هي به ، وجدت أن الضرورة تستدعي أن يكشف عليها الطبيب ، وتطلب معاونته وتدخله . وكان يخشى وجود انحراف ما في الرحم ، واستلزم الأمر تثبيت ما يعرف بالفوزجة ( قرص على هيئة كورة تقحم في المهبل لمنع الحمل ولتصحيح وضع الرحم ) . وقبل ذلك ، وبسبب اكتشاف مرض التهاب الرحم المزمن ، أصبحت الضرورة تستدعي أولا ، أن يحقق المهبل بمادة معينة ( كان يستعان بقرون أنثى العجل من أجل هذا الاجراء ، باعتبارها الاداة المناسبة ) وبعد ذلك ، كانت السيدة تعالج بواسطة التبخير ، فينثر بعض من المادة المستعملة للتبخير ، على قالب من الطوب الساخن الى الدرجة التي يتحول فيها الى اللون الأبيض ، وتجلس السيدة في وضع القرفصاء من فوقه باقرب ما يمكنها من السخونة المتصاعدة .

وكان الطبيب قد أمرها بكل تشدد أن تتبع تعليماته بكل دقة ، ان لم تكن تريد أن ترغم على تطبيق وسيلة ما لتحديد النسل وتستعمل أحد الأدوية المضادة للحمل ، التي كانت تعرف بأنها تجعل المرأة عقيما طوال عامين أو ثلاثة ، والا فانه سيكون بدون شك مضطرا الى اجهاضها ، وقطعا ، لم ينظر في ذلك الا لأسباب خطيرة جدا ، وهذا هو العلاج الموصى به لكي لا تنجب المرأة ( ٢ ) : « لكي تتوقف المرأة عن الحمل طوال سنة كاملة ، أو سنتين ، أو ثلاثة : بضعة قرون من السنط ، والحنظل ، والتمر ، يتم طحنها كلها مع ما يعادل نصف ( لتر ) من العسل . وتبلل قطعة من القماش بهذا المزيج وتوضع بداخل المهبل ، ولكن ، كانت هناك سخرية القدر . فان شقيقة هذه السيدة التي كانت قد تزوجت بعدها بفترة ، كانت على ما يبدو عاجزة عن انجاب

طفل ، بالرغم من كافة الوصفات التي ابتلعتها بكثرة ، وكافة عمليات التبخير المهيلى ! ومع ذلك ، فقد استمرت على تناول الادوية اللازمة لعلاج العقم ، والتي كان أساسها الجعة ، اللبن ، والتمر ، وبعض الأعشاب المنتقاة ، تلك الادوية المصاحبة لبعض الوصفات وكلمات السر السحرية . ولا شك أن هذه السيدة كانت تخشى أن يطلقها زوجها ، وقبل أن يظهر الحل في تبني طفل ، كانت ما تزال تأمل في حدوث معجزة .

### دور ربة البيت

وحتى لا تحدث أية مأساة محتملة في بيتها ، فان هذه الزوجة الشابة المريضة عملت على علاج نفسها بكل حمة وحماس . فقد كانت تريد انجاب المزيد من الأطفال لزوجها ، وتريد ايضا بطبيعة الحال ألا تجعله يفكر في اتخاذ خلية من ضمن الخادmates أو العاملات بالبيت . وكان المصري يستطيع أن يصرح قائلا ، مشيرا بكلامه الى منزل بعض اصدقائه : « لم اتصل جنسيا بخادمة بيته ، ولم اضاجع العاملة لديه » ، فقد كان من الأمور المستقبحة اغواء امرأة متزوجة ، أو اتخاذ خلية من منزل يزوره .

ولذا ، نجد أن ربة البيت الشابة هذه كانت تبدو دائما متأنقة متجملة ، وفقا لكل مستحدثات ذوق العصر ، وتولى عناية خاصة بتسريحة شعرها التي كانت تعتبر كما عرفنا من قبل كاحدى عناصر الاغراء والفتنة ، وكانت تتلافى ثورات الغضب ، وتبدو دائما باسمة مرحة ، لأن المرأة المرحمة البشوش هي « منة وهبة ثمينة » ، ومما كان يثير الاعجاب ، الرعاية والاهتمام التي كانت عادة تحيط بها زوجها ، فتعزف له بنفسها على آلة القيثارة لكي تخفف عنه وتريحه من مشاغله ، وكانت تعبق البيت بالعطور والروائح الزكية التي كان زوجها يتأثر بها كثيرا . وكانت تقوم بنفسها ، في الورشة الملحقة بالمنزل ، بالاشراف على نسج أرق انواع الكتان واكثرها بياضا ، والذي كان يتخذ من النبات المسمى بـ « لون السماء » ( الكتان ) . وكانت الضرورة تستلزم أن تكون ملابس السيدة متناسقة مع وقار وعلو مستواه الاجتماعى ، وأن تكون على قدر كبير من الأناقة . وبما انها كانت تعرف مدى تقديس زوجها لأوزيريس ، وتشاطره في ذلك ، فقد كانت تصر على مرافقته في الحج الى أبيدوس ، آملة أن تحصل على الاذن بالمشاركة في الشر العظيم للأسرار الخفية الخاصة بهذا الاله - كمثل السيدة « تانى Tany » التي حصلت على هذا الاذن خلال الدولة الوسطى .



وكانت تبدي من اليقظة والحذر تجاه كل شيء ، وكانت تقف فوق  
على نفسها في اعداد واقامة الولائم للحفلات والاعياد بالبيت حيث  
كان الجميع يشنون على جمالها ورقتها وثقافتها الجيدة ، واهتمامها  
للقائق براحة وغبطة كل واحد من المدعوين ، وكان السيد النبيل يستطيع  
ان يفخر بربة بيته ، ولو حدث ان رأت اثناء الليل كابوسا ما ، او حلم  
مزعجا في منامها ، فانها لم تكن تنظر بزوغ الفجر لكي تطلع على  
كتاب الاحلام ، الخاص بها ، حتى تتيقن من ان زوجها لا يخونها ،  
ولا حتى يرغب في اتخاذ خلية بالمنزل . كل شيء قد اورد في هذا  
الكتاب الذي وصل اليها جزء منه ، وهذه هي بعض فقراته : . اذا راي  
احد في احلامه ، ان رجلا آخر يفكر في زوجته فان ذلك من الامور  
الحسنة . فالشر الكامن بداخله سوف ينمحي . .

واذا راي احدهم في احلامه انه يعبر معبد احدى الربات ، فان  
ذلك لامر سيئ .

واذا راي احدهم في احلامه ان فراشه سوف يحترق . فان ذلك  
لامر سيئ ، ويعنى لقد زوجته .

واذا راي احدهم في احلامه بانه يضع اريكة في مركبه ، فان ذلك  
شؤم ويعنى : انفصالة عن زوجته .

واذا نظر احدهم لوجهه في مرآة ، خلال احلامه فهذا شؤم !  
ويعنى ان امرأة اخرى ( سوف تجيء ) .

### الخليلة :

ان ذكرى ما حدث لاحدى جداتها التي كانت تعيش بمصر الوسطى  
كان يزعجها دائما لان سيدتنا هذه ، كانت تحب زوجها لدرجة العبادة ،  
ولم تكن تريد ان تشاركها فيه احدى المحظيات ، ان كانت غيرتها عليه  
تفوق غيره اى سيدة اخرى في المحيط الذى تقطن به . وقد حدث ذلك  
في عصر الملك « امنمحات الثالث » وخليفته الملك « سنوسرت الثانى » :  
في الفترة ما بين ١٩١٢ ، ١٨٩٢ قبل الميلاد . وكانت البعيدة لصديقتنا  
هذه تدعى خيتى Khety ، وكانت هي الزوجة المهمة لاحد  
حكام بنى حسن النبلاء ويدعى « خنوم حتب الثانى » ، والذي كان  
يحكم كافة انحاء الاقليم الفنى . وكانت قد انجبت من « خنوم حتب  
الثانى » سبعة ابناء ، ولكن على مقربة منها كانت تعيش امينة خزان  
زوجها ، التى يبدو انها قد تفوقت ونجحت في ادارة كافة الضياع التى  
عهد بها اليها ونجحت ايضا في امتلاك قلب سيدها ، واصبحت خليلته ،

وكانت تدعى « تشات » ابنة « تترو » ، وطبيعى ان « خيتى » قد صورت  
فوق جدران المقبرة العائلية ، وقد احاط بها ابناؤها السبعة ، فهي سيدة  
البيت . ومع ذلك ، يبدو انها قد قبلت ان يصور ابناء « تشات » الثلاثة  
بجوار امهم ، وبما ان « تشات » هذه كانت زوجة ثانوية للزوج ، فى  
حين كانت زوجته الفعلية على قيد الحياة ، لذا فلم تكن « تشات » تسمى  
الا بلقبها فقط . امينة الخزان . وفى اكل مكان فوق جدران المقصورة  
الحجرية ، حيث كانت « خيتى » ، تتبوا عرشها بجوار زوجها ، كانت  
« تشات » تبدو جالسة فى مؤخرة المنظر ، واقل حجما . . ولكنها  
كانت موجودة ، ولم يكن احد يستطيع ان يقول شيئا حيال وجودها .  
وبعد فترة وجيزة ، تولى ابنها الاكبر « نصرى Nèhri » وتم دفنه  
بمقبرة متواضعة .

الابن الذى لم يعلن عن ابيه :

كان الامر يستلزم ان ، انتظار وفاة « خيتى » ، لكي تصبح  
« تشات » زوجة ثانية لـ « خنوم حتب Khnom hotep » الثانى .  
وحينئذ ، استطاعت ان تظهر بجوار الحاكم بصفتها ربة بيته ، كما  
خصصت لاولاده الآخرين مقابر لائقة وجديرة بمركزهم وبمركز ابيهم .  
بل ان اصغرهم قد عمل على ان يبنى من اجله قبرا فى الهضبة الشرقية ،  
قريبا من قبر ابيه ، ودون اسمه فى هذه المقبرة تحت عبارة « النبيل  
الامير الوارث » (٤) .

ومن خلال هذه القصة ، يتبين لنا ان حقوق الزوجة الشرعية كانت  
تصان من كل شيء ، وان اولاد الزوجات الثانويات لم يكونوا لميستفيدوا  
بأى قانون يسمح لهم بالمطالبة بالاعتراف بابوة ابيهم لهم . وقد يبدو لنا  
هذا الوضع مجحفا فى الوقت الحالى ، ولكن ، علينا ان نرجع الى  
الطريقة ، التى كانت متبعة منذ خمسين عاما فى معاملة «ابناء المسفاح»  
فى بلادنا الاوربية التى يقال عنها انها متحضرة ! وفى مصر القديمة  
لا شك ان مثل هذا التنظيم كان يبدو بمثابة الوسيلة الاكثر فعالية لتفادى  
مثل هذا النوع من المشاكل ، والحد من عدد العلاقات الجانبية التى  
كانت المعاشرة غير الشرعية تساعد عليها ، وكان هناك ايضا امر  
مقرر : كانت بعض النساء فى نطاق الطبقة العليا ، يعشن حياة منطلقة  
للفاية ، بل ويقدمن فى بعض الاحيان على بعض المناورات والمحاولات  
ال عاطفية . فمثلا ، نجد ان « قصة الاخوين » تعرض لنا كيف قامت  
زوجة احد ملاك الاراضى ، بدون اية موارد ، باثارة واغراء شقيق  
زوجها الشاب . ويبدو ذلك اكثر وضوحا فى القصة المعنونة « بالصدق



والكذب ، حيث نجد أن سيدة من كبيرات الأميرات قد علمت من وصيقتها ، بوجود رجل يدعى « الصدق » ، كان أخوه المدعو « الكذب » قد تسبب لتوه في فقد البصر ، وجعله يقف كحارس على باب بيته ، فأمرت السيدة النبيلة باستدعائه : « عندما رآته السيدة ، رغبت فيه رغبة شديدة ، فقد لاحظت أن جسده كله جميل للغاية ، ونام معها خلال الليل ، واتصل بها كما يتصل الرجل بامرأة . وحملت منه في نفس هذه الليلة في طفل صغير ، وابتغيه يعتبر حاسمة بالنسبة لهذه العاشقة والام غير الجديرة ، التي أهملت على الفور موضوع رغبتها العابرة فعلا ، ولم تقدر العواقب التي كانت ستنتج من وراء ذلك ، بالنسبة للولد الصغير الذي كان جميلا كاله شاب . »

والحق بالمدرسة ، وتعلم اجادة الكتابة ومارس كافة الرياضات الخاصة بالرجال ، لدرجة أنه قد تفوق فيها على أقرانه ( الأكبر ) منه سنا ، الذين كانوا معه بالمدرسة .

وفي ذات يوم ، قال له أقرانه : « ابن من أنت ؟ ليس لك أب . » وأخذوا ( يسبون ) و ( يؤلمونه ) وهم يرددون : « في الواقع ، ليس لك أب . » وهنا قال الولد لأمه : « ما هو اسم أبي حتى أخبر به زملائي ، فهم في الحقيقة يقولون لي ، بكل سوء نية : « ابن هو أبوك ؟ » فهذا ما قالوه لي ، وما ألوني به . »

وهنا ، أجابته الأم قائلة : « هل ترى هذا الرجل الكفيف الجالس بجوار الباب ؟ انه أبوك ! » فهذا ما قالته له . وعندئذ قال لها : « هذا الأمر يستدعي أن يجمع أفراد عائلتك ، وأن يستدعى التمساح ! » .

وتوجه الصبي لاجتماع أبيه ، واجلسه على مقعد ، ووضع منضدة صغيرة عند قدميه ، ووضع أمامه بعض الخبز ، وجعله يأكل ويشرب . وبعد ذلك قال الولد لأبيه : « من الذي تسبب في أن تكون كفيفا لكي أثار لك منه ؟ » .

مسئوليات رئاسة البيت : « شمويتو » و « شمويتو »

اذن ، فباحفاظها بكل هذه الأمثلة في مخيلتها ، كانت ربة البيت الجميلة هذه تبقى متنبهة وحذرة للغاية ، وبدأت صحتها تتحسن باضطراب . ولذا ، قررت أن تقوم بإدارة الممتلكات ، التي كانت تملكها هي وزوجها معا ، وأن تستغني عن . . . . . أية أمينة خزانة . وكانت تشرف على حسن إدارة الأعمال .

وأحيانا ، كانت لا تشارك زوجها في وجهات نظره وقراراته ، ولكن بواسطة ما جبل عليه جنتها من حيل ودهاء ، كانت تعرف كيف تنقذ برأيها . وكان زوجها يولى آراءه عظيم تقديره واهتمامه ، ويتصرف كما تصرف بعد ذلك ( حوالي العام ١٠٠٠ قبل الميلاد ) الضابط الكاتب بالجيش ، المدعو « شدسوخنسو » الذي كان بالاضافة لذلك مالكا لبعض العقارات ، وكان قد فسخ لتوه عقدا ايجاريا مع وكيل مزارعه النوبي ، واضطر أن يكتب له رسالة تتضمن هذه العبارات : « اننى احيطك علما بأننى عدت الى المدينة ( طيبة ) . وقد قلت لك من قبل بأننى لن أجعلك تستثمر الأرض . ولكن ، ها هي زوجتى ، ربة بيتى ، قد قالت لى : « لا تسحب الأرض من « شدسوخنسو » ، أجرها له ثانيا ، واجعله يستمر في زراعتها . وعندما تصلك رسالتى خذ الحقل ولا تهمله ابدا ، ( ٦ ) . »

وكانت تحاول أن تنوب عن زوجها في كل مناسبة ممكنة ، بل وكانت تنجح في أن تكون مطاعة أكثر من زوجة رئيس خزانة الدولة التي كلفت بجبى الدخل وتحصيل الأموال ، خلال فترة غياب زوجها والتي كنا قد ذكرناها ، قبل ذلك ، كمثال . وعندما كان زوجها يمر بظروف صعبة ، فقد كانت تعيشها معه ، محاولة أن تخفف عنه عبئها . ولو فرض أنه كان في حاجة لمن يدافع عنه ، فإنها كانت له بمثابة أفضل مدافع . ولم تكن هذه الحال وليدة وقتها ، ولكن من المعروف أنه بعد ذلك ، خلال تقدم السودانين الى مصر ، أبان الأسرة الثالثة والعشرين ، خلال حكم « نف - نخت » استطاعت إحدى الزوجات ببلاغتها وفصاحتها أن تنقذ حياة زوجها . وقد حدث ذلك عندما حوصرت مدينة هيرموبوليس ( الأشمونين ) حوالي عام ٧٢٠ قبل الميلاد . وكان « نمرود » قد أحس بأنه لم يعد يستطيع المقاومة ، وعندما وجد نفسه مضطرا للاستسلام ، أرسل ببعض المبعوثين الى « بيجنخى » من أجل التفاوض رسميا في شأن استسلام المدينة . وفي نفس الوقت كان قد كلف زوجته « نستنت » بمهمة دبلوماسية فعلية لدى زوجات « بيجنخى » السودانى من أجل انقاذ حياته ، وكانت مهارة « نستنت » ، والحجج والبراهين التي قدمتها مقنعة للدرجة التي استطاعت بها الحصول على العفو عن « نمرود » .

وكان التجار « الشوتيو Shoutyou » يحضرون ليقدموا الى ربة البيت المنتجات التي يجلبونها من التبادل بين القوافل ، والتي كانت تتم عدة مرات كل عام ، وأخيرا ، كانت خادمتها ينبهنها الى قدوم السفن التي تحضر الى طيبة منتجات الجزر ، ودرجات المشرق ، أو للحصول على المشتريات ، كانت تتم مبادلة في البضائع ، أو يدفع ثمن المشتريات بالدين Debene أو الكيتي Kite



الفضة والنحاسية وكان الكيتي يعادل  $\frac{1}{3}$  الدين ، والشناتي *Shenati* يعادل  $\frac{1}{17}$  منه . أما مكاييل الحبوب ، فكانت الخار ( ٧٦٨٨ لثرا ) حتى أصغر تقسيماته وهو القن *Ken* ( ٤٨ ر . لثرا ) . وكانت أكثر المناظر إبهارا بالنسبة للأطفال ، هو منظر تجار الشام ، في ملابسهم الوطنية ، ذات الألوان الصارخة وقد وضعوا على رؤوسهم شعورا مستعارة تختلف كثيرا عن الشعور المستعارة لدى المصريين . وهم ينزلون من السفن ومعهم بعض الجاموس الأسود الجلد ، والذي يبدو بحبة فوق فقار ظهره ! وكانت توجد دائما أداة موسيقية حديثة ، والذي برع الآسيويون في صنعها ، أو بعض الدهانات النادرة ، يمكن الحصول عليها ، كما أن المسيدة كانت قد أمرت بأن يشتري لها « الشفطات » التي كان زوجها يتمكن بواسطتها ، وفقا للأسلوب الشامي الحديث ، أن يغترف ويشرب الجعة مباشرة من الجرة الضخمة حيث تتخمّر .



شكل (٢٩) مغنيات آمون

### حساد في العائلة

#### الظروف :

خلال إحدى تنقلات السيد النبيل ، وبصحبة مجموعة سكرتاريته وهو منهمك للغاية في تفقد أملاكه المترامية الأطراف ، حدثت وفاة أبيه المباغثة . ولقد تبين الطبيب الذي استحضر الى مخدمه ، بأنه أصيب بسكتة قلبية قاتلة . وهذه الحالة ، كانت تتكرر دائما خلال الأيام الخمسة الشؤم ، التي سقط الشيخ صريعا خلالها . وكانت الأيام التي تسبق وصول الفيضان من الأيام التي يخشى بأسها ، وكان يخشى كثيرا من « رسل الالهة سحمت » بداية من اضطرابات الدورة ، وأيضا من الطاعون والمالاريا ، التي اطلق عليها الممارسون المصريون ، منذ ذلك الحين ، اسم « الهواء الرديء » . وكان المصريون يعتبرون أن هذه الأيام الخمسة ، هي أيام « زائدة » ( على العام المكون من اثني عشر شهرا ، وكل شهر يتكون من ثلاثين يوما ) . أما الاغريق فقد أطلقوا عليها « أيام النساء الخمسة » *Epagomenes* . ومن الغريب فعلا في التقويم الثوري الذي وضعه « فابر دى اجلاننتين » *Fabre d'Eglantine* ، أن هذه الأيام الخمسة قد عولجت أيضا على حدة وسميت بـ « المكشوفة » .

أخذت جميع نساء البيت المجتمعات معا ، يطلقن وعويلهن الصاخب ، وكانت الصرخات الحادة تسمع من كل الجهات . وعندما أخطرت سيدتنا النبيلة أسرع على الفور الى بيت حميها ، خاصة



شكل (٢٨) عمليات المقايضة في السوق

ومثلها كمثّل الكثيرات من السيدات بطيبة ، كانت تنتمي الى جماعة مغنيات آمون ، بالطبقة العليا منها ، وبطبيعة الحال وببيديها الرشيقتين الرقيقة ذواتي الأظافر التي كانت تلون أحيانا بالحناء ، كانت تتقن العزف على آلات الزمر ( الصلاصل *Sistres* ) وتلعب بيديها بقلادة المئات *ménat* ذات الحبات المميزة ( تصدر شخلة رقيقة عند تحريكها ) . ولا شك أن صوتها البديع قد شد انتباه الكاهن الكبير . ولذا ، فهي التي كان يسمع غناؤها الذي كان يتصاعد من قلب « الكورس » في أنغام « صولو » ، عذب ساحر ( صوت مقرد ) يتسم بالتعبد والورع .



أنها كانت متزوجة بالابن الأكبر للعائلة ، وأردفت صوتها بالندب الذي كان يملا المحيط بأكمله ، ثم ساد السكون بعد ذلك ، وثقل الصمت ، حينئذ سارع أصغر الأبناء على الفور باخطار الكهنة محنطى الأموات ، فقد كان الأمر يستلزم - كما هو الحال في أيامنا هذه - أن يغادر جسد المتوفى مسكنه قبل غروب الشمس .

### تجهيز المومياء :

كان تجهيز المومياء يبدأ بغسل الجثمان ، ثم ينزع المخ من مكانه ، وكذلك الأحشاء والأمعاء ، حتى يتم معالجتها في حمامات معطرة ، ثم توضع بعد تحنيط كل منها على حدة ، بداخل الأوعية الأربعة الكانوبية التي يبدو تجويفها في هيئة بطن الأنثى وغطاؤها في هيئة ذكرية . وكان القلب والكليتان يعادان إلى مكانهما ثانيا بعد أن يخلصا تماما من انسجتهما الدهنية ، وكان هذا أمرا ضروريا جدا « لأن الإله يسبر غور القلب والكليتين » (٧) . ولا شك أن منزلة المتوفى الرفيعة كانت تستحق العناية الخاصة بموميائه . ولذا ، فقد كانت التجهيزات والتحضيرات تستمر عدة أسابيع . ولا شك أن الابن الأكبر للعائلة سيعود قبل اتمامها . وكانت زوجته قد بعثت إليه على وجه السرعة أحد كتبه ، الذي سافر نحو الشمال على واحدة من أفضل سفنهم ، والتي وصلت إلى منف في أسرع وقت ممكن ، لا سيما أن مياه الفيضان العارمة الآتية في قوة هادرة كانت تجذبها بعنف وشدة . وفي مثل هذه الأحوال كان الصعود ضد التيار للوصول إلى طيبة لا يتناسب أبدا بدون شك ، وبذا انطلق السيد على الفور إلى الجنوب قائدا بنفسه عربته الخفيفة التي يجرها جوادان سريعان . ومنذ أن أعلن الخبر فقد أطلق لحيته كعلامة شعائرية عن الحداد ، كما غطى نفسه بالتراب ، وبوجه لا يكاد أن يتعرف على ملامحه ، وصل إلى بيت أمه ، ثم توجه بعد ذلك إلى المكان الخاص بالمحنطين حيث وجد أخوته ، وابنه الأكبر . ولقد أراد أن توضع أرق وأرقى أنواع الكتان في الصناديق التي أعدت من أجل « الأثاث الجنائزي » ، ولما كانت زوجته من قريبات الأسرة المالكة ، فقد أمر الملك عندما علم بالخبر ، بإرسال الشرائط والضمادات التي نسجت في حريمه الكبير من أجل لف جسم المتوفى بها حالما يخرج من الحمامات التي كانت تخلصه من كافة المواد العفنة والنتنة .

وأمر الفرعون أيضا بأن يقوم كتبه في « بيت الحياة » بأعداد ما يعرف باسم « الخروج بالنهار » والذي نطلق عليه حاليا : « كتاب الموتى » . وكان هذا المخطوط يتضمن مجموعة كبيرة من الفصول -

معظم الـ ١٩٢ فصلا تكون المخطوط بأكمله - والزخارف التي كانت تزينه ، كانت تمثل منظر المنمنمات ذات الألوان الزاهية . وكان المخطوط النادر النفيس المصنوع من البردى يوضع بين ساقى المتوفى ، متضمنا كافة الصيغ والعبارات التي تسمح له بأن يعبر طريق « تطهره » ، وقبل أن يصل إلى الذات الكلية العليا المتألقة .

وكانت الجوهرات والتمائم والتعاويذ توضع بالاماكن الشعائرية فوق الجثمان في أثناء عملية اللف التي تتم من أجل تجهيز المومياء ، وبصفة خاصة كان هناك جعران كبير معد لموضعه مكان القلب ، أو ليعلق في رقبته ، وعلى ظهر هذا الجعران ، كتبت العبارة الشهيرة التالية : « حتى لا يتمرد قلب الإنسان عليه في مملكة الموتى » :

« انت يا قلبي المستمد من أمي ، انت يا قلبي المستمد من أمي ،

يا حشى قلبي ومراحل عمري المختلفة

لا تقف ضدى ، أثناء الشهادة

ولا تعارضنى فى المحكمة

ولا تعادنى

امام الحافظ على الميزان

انت « الكا » الخاصة بى فى جسدى ،

« خنوم » ( الخلاق ) الذى امد اعضاءى بالازدهار

فلتصعد الى المكان المهيأ لنا هناك

ولا تجعل اسمى كريها

امام القضاة الذين يضعون البشر

فى اماكنهم ( الحقيقية ) !

لأن ذلك سيكون حسنا .

وسيكون حسنا بالنسبة للقاضى

وسيكون ذلك أمرا مرضيا لمن يقوم بالمحاكمة .

فلا تختلق اكاذيب ضدى

امام الاله الاعظم سيد الغرب !



انتبه ! فانك عندما تبين عن جدالك ، تدل على فبلك . (٨) .

ولقد تم جمع وتوفيق أروع التجهيزات الجنائزية ، وتم ملء الصناديق الصغيرة ، بالشوابتي ، وهي تماثيل صغيرة باسم المتوفى يذكر عليها قائمة الأعمال الجساعية التي يجب أدائها في العظام الخلى . ووضعت الدهانات المعطرة في أوعية من المرمر من أجل أحياء وانعاش اللحم والعضلات ، وكانت المراكب التقليدية التي تمثل الزورق العريق في القدم والمصنوع من البردي من أجل عبور النيل معلومة بالعمولة ليتم سحبها ، ولكن يبدو أن هذا العبور كان ينذر بأنه غير عادي ، فإن موسم الفيضان لم يكن قد انتهى ، عندما يبدأ المركب في مغادرة الضفة ، حيث يسمح منظر المحاكمة أمام هيئة المحكمة الإلهية للمومياء ، بعبور النهر ، وفي طيبة ، بدأ الفيضان ، حابس ، وكان بحر مغل ، وتنفذ السفن مباشرة من موقع مدينة الأموات بالقرنة ، أما المنطقة المزروعة بالضفة اليسرى ، فقد كانت مغطاة بالمياه .

#### الدفن :

وتوجه المركب الجنائزي ، عندئذ نحو مدخل المقبرة . وكانت النواويس الجنائزية الكبيرة ، المصنوعة من الخشب المسود ، والمزينة بالأشكال الصغيرة ، وشرائط من الكتابات المذهبة ، ذات القاعدة التي تشبه الزلاجة ، ويجرها بعض الأبقار ذات الجلد المرقط ، واللاتي كانت تساهم في الأثين والنواج :

• نحو الغرب ، نحو الغرب !

أيها سيدنا ، نحو الغرب !

هو الذي كان يعطينا العلف ، كما يطيب لقلبه ،

هو الذي كان لا يلتفت إلى أخطائنا ! ،

أما الندابات اللاتي تستخدمن رية البيت واللاتي شوهدن فوق بعض المراكب ، وهن منحنيات فوق غطاء النعش المقوس ، فقد باشرن عملهن طوال مرحلة العبور بأكملها :

• في سلام ، في سلام نحو الغرب ، أيها المحبوب المبجل !  
( ..... )

حزن ! وأمس !

للمنتحبن بدون توقف !

أه ، بالها من خسارة !

لقد مضى الراعي الطيب نحو مقر الأبدية .

انت يا من كنت محاطا بالعديد من الناس ،

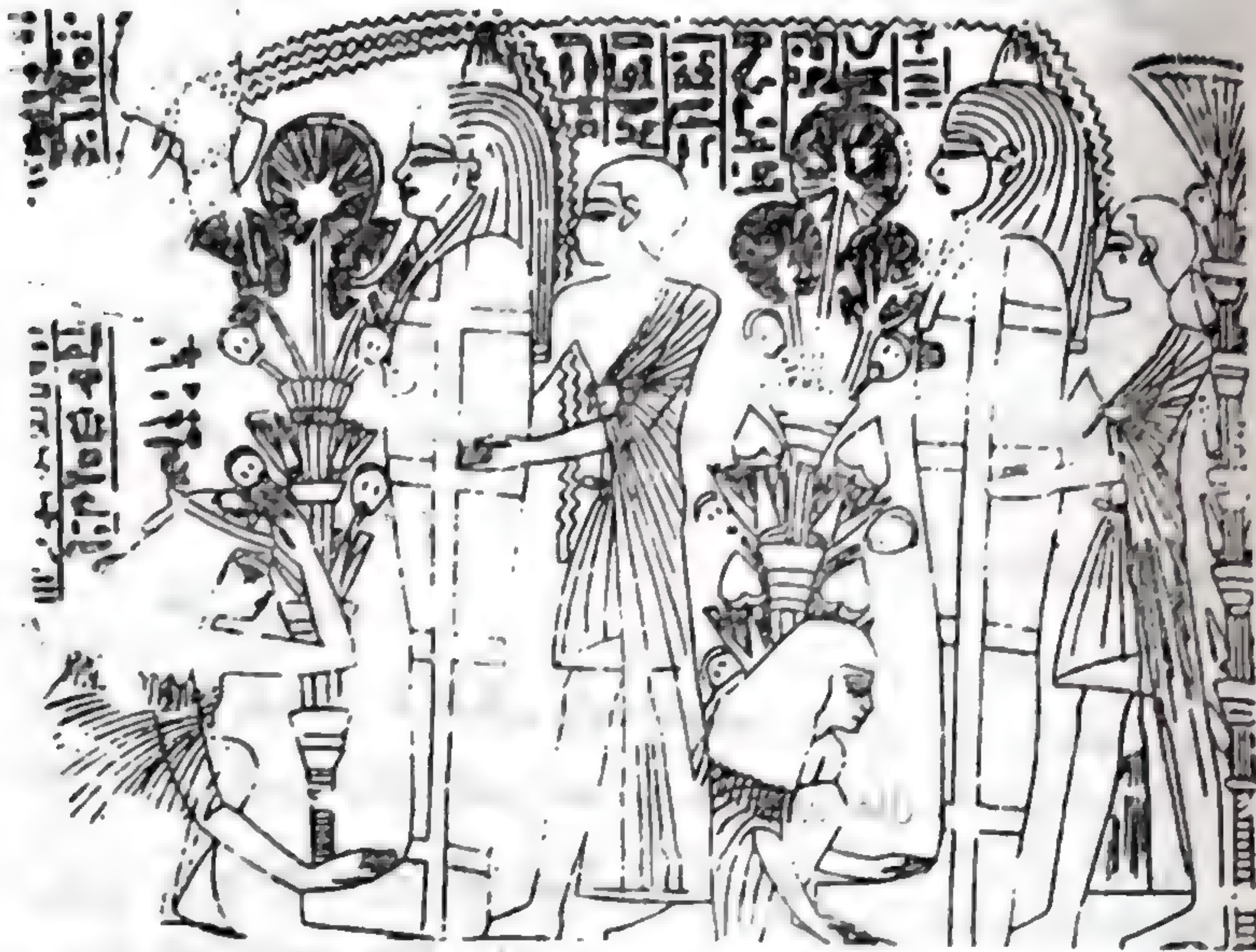
هانت تجد نفسك في بلد يحب الوحدة .

هذا الذي كان يحب تحريك قدميه للسير ،

ما هو مضيدا ، وقعيدا ،

الذي كان يرفل في الأقمشة ويحب ارتداء الملابس .

يرقد وهو مرتد ثوب السهر (٩) .



شكل (٤٠) زوجة تبكي زوجها أمام المقبرة

كانت الندابات في ذلك الوقت يسرن أمام الموكب . وبدان ثانيًا  
في نواحين وكن يتوقفن بشكل منتظم ليعلن بعض التراب على رؤوسهن ،



وكمثل الرجال كن يضمن قبضة اليد اليمنى فى راحة اليد اليسرى  
كعلامة على الحداد . وكانت نساء الأسرة متجمعات بجوار مجموعتين  
أما جميع الرجال ومنهم الأهل والأصدقاء ومعاونو المتوفى ومساعدوه  
فكانوا يكونون معا موكبا ضخما ، يحمل كل واحد من أفرادهم ، فوق رأسه  
أو كتفيه ، بعض قطع الأثاث الجنائزى . وكان الموكب يبدو وكأنه من أجل  
زواج فعلى بالالهة « حتحور » ، فقد كان يحتوى على : السرير بحاشيته  
المسيكة ، والوسائد والمخدات ، والصناديق والجرار والصناديق  
الصغيرة المزخرفة من أجل الحلى ، والمقعد الفاخر والعلب المحتوية  
على المراتب ، وأوعية الدهانات المعطرة ، والنعال المصنوعة من  
الجلد الأبيض .

وأمام مدخل المقصورة ، التى يعتليها هرم صغير ، وضعت المومياء  
المغطاة بالتابوت البشرى الداخلى ذى الألوان الصارخة وصورة المتوفى ،  
حيث قامت الأرملة بعناقها لآخر مرة ، والتى كانت بناتها يصاحبنها  
وينوحن فى هذه العبارات :

« التفت ، قم ، استيقظ ،

أفتح عينيك واسمع صوتى !

( ..... )

أريد أن أرقد هنا !

أريد أن أكون الحقة التى حملتك

( ..... )

اننى زوجتك ،

فيا زوجى ، لا تتركنى وتهجرنى .

فى نفس الوقت الذى كنت فيه على خير حال ،

يا والدى ، أمن العدل أن أبعد عنك ؟

لماذا تركت عالمنا هذا ؟

اننى أسير وحيدة خلفك ، بدلا من أن أكون جوارك .

وانت الذى كنت تحب أن تتسلى فى صحبة الناس ،

تمكث بدون نطق ، ولا تتكلم أبدا ( ١٠ ) ، .

وعندئذ ، خلق الإبن الأكبر ذقنه ، وظهر فى ثوب شعائرى ،  
حيث ارتدى جلد الثهد الخاص بالكاهن ، ستم Stem ، وأخذ يستعد  
للتفويض ، اللمسات السحرية ، لفتح فم وعيني المومياء لاستعادتها  
لحراسها ، بواسطة العديد من الآت الصغيرة ، وبعض العناصر المختلفة  
الموضوعة على مقعد خشبى صغير بجواره

وبعد تخطيط الأمانى الحمراء ، وفقا للشعائر كان جثمان السلف  
يُدخل إلى القبر الجنائزى فى أعماق البئر التى تم حفرها فى الصخور  
الجيرية عند أرض المقصورة مباشرة ، وكان الجثمان قد وضع بداخل  
التوابيت المشكلة على الهيئة الانسانية والموضوعة الواحد داخل الآخر ،  
والمزينة والرسومة بصورته ، ووضعت نفس هذه التوابيت المدمجة فى  
بعضها بداخل الحوض الخشبى الذى كان قد فكك لكى يمكن انزاله عن  
طريق البئر ثم أعيد تركيبه بعد ذلك . وكان الأثاث بأكمله يحيط بالمتوفى ،  
وتكمله أرائيه الكانوبية المحتوية على أمعانه وأحشائه . وعلى مقربة  
تماما من كل ذلك حرص أصدقاء المتوفى على أن يتركوا عصاهم الكبيرة  
كرسالة من أجل الميت ، لحماية مصيره ، وفوق إحدى العصي نقشت  
هذه الأمنية :

« الى ، يا عصاى !

لاتوكا عليك ،

عندما يتوجه قلبى الى مكان الحقيقة ،

حيث بلغت من العمر أزدله ، .

### المأدبة الجنائزية :

جاء الآن موعد إقامة المأدبة الجنائزية ، وتبين المشاهد والزخارف  
على جدران المقصورة كل ما كان يتم خلالها ، وكان على الأحياء أن  
يشتركوا فى هذه المآدب مع الجزء الذى لا يمس الخاص بالميت : وكانت  
الموسيقى والرقص المناسبان يصاحبان هذا « الاتصال الجماعى » وكان  
دورهما أن يدفعوا المتوفى بواسطة السكرة الشعائرية بالخمور المسكرة  
لكى يتوجه نحو ذراعى « حتحور » ، المرحبة ، الخفية ، التى تستقبل  
أحضانها لكى تجعله يولد فى حياته الجديدة .

أما الأرملة التى كانت تعتبر بمثابة انعكاس لحتحور ، فقد حرصت  
على أن تضع ضمن مجموعة الأشياء الثمينة والأثاث والجوهرات  
المحيطة بزوجها ، تمثالا صغيرا من الطين المحروق المطلق الخشن الصنع



الشعائري ، والممثل للمظهر ، المتزلى ، لآلهة الموت والحب . وفى هذه الحقة كانت تبدو فى هيئة امرأة عارية ذات شعر كثيف طويل . محددة فوق مخدع ، ويجوارها شكل وليد صغير فوق الفراش ، ممثلا لظهور الآلهة عنه . ( وفى العصور السابقة لهذه الحقة ، وبفضل رضاء ترفا وفخامة ، كان يكتفى بوضع تمثال صغير لامرأة عارية ، غالبا مكسورة الساقين وفقا للشعائر ، أو حتى يكتفى بمجرد مثلث مصنع من الطين المحروق ، موحيا الى ، العنصر الأنثوى ، ) .

ولذا ، فلكى تتم عملية ، التحويل ، بمصاحبة هذه الأفعال كان على الأرملة أن توجه العبارات التالية للمتوفى :

• خذ لتشرب ،

حتى تمضى يوما سعيدا

فى بيتك الأبدى ،

من يد زوجتك ( ..... )

فى صحتك ، أنت المكرم الميجل ،

( ها هو ) رداء ابيض ،

ومرهم معطر من أجل كتفك ،

واكاليل من الزهور لعنقك ،

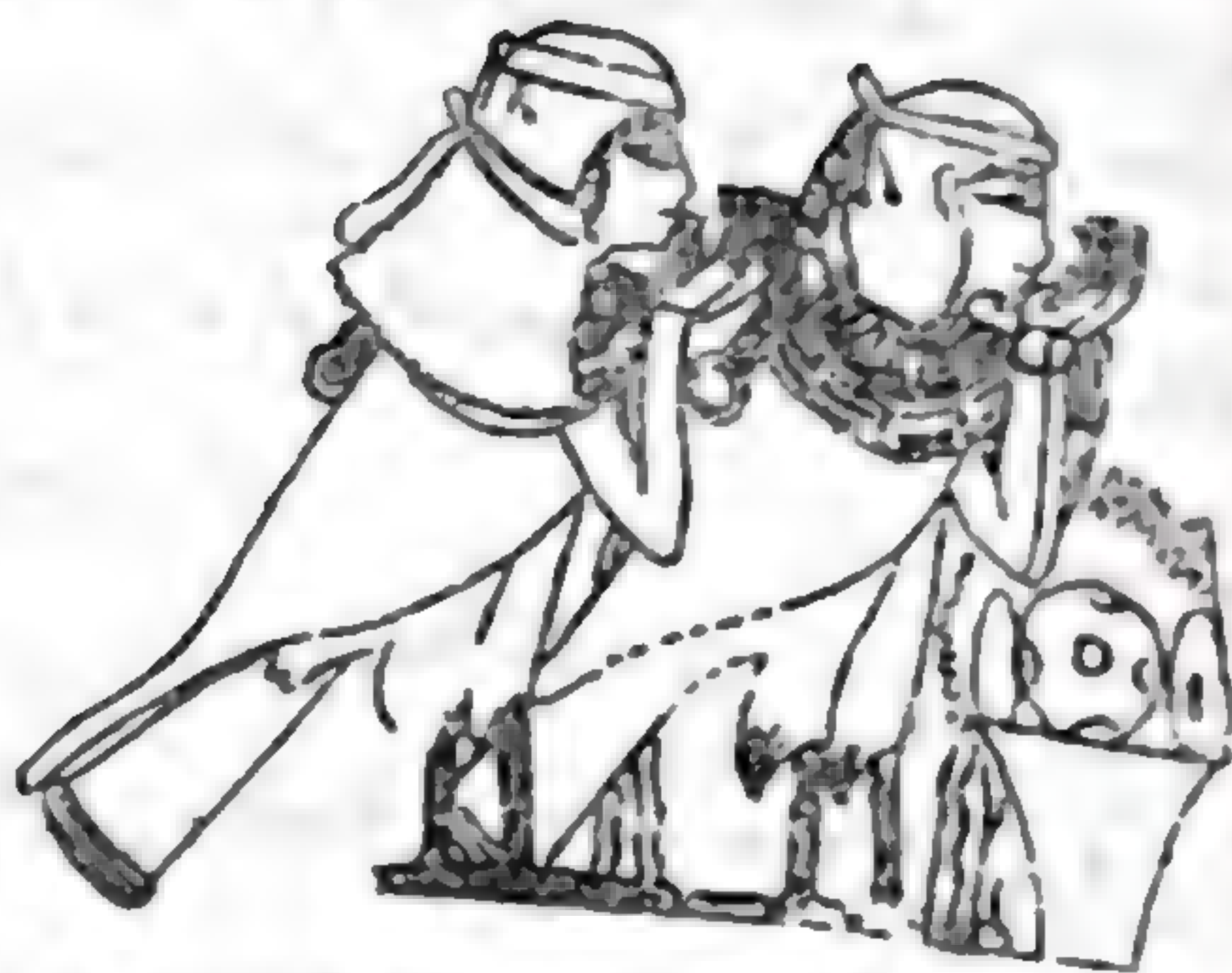
( املا أنفك ) بالصحة والسعادة .

( وفوق رأسك ) ضع العطور

الآتية من ( آمون رع )

فى بيتك الأبدى .

وبعد انتهاء الوجبة الجنائزية ، التى كان الرجال والنساء على ما يبدو يمثلون خلالها كل على حدة ، وكانت الكؤوس الحمراء التى استعملت لاحتياها ، تكسر وفقا للطقوس ، ويتم جمع عقود الورد الطبيعى التى كان يلبسها المشاركون التجمعون ، ويدفن كل ذلك بأحد المخابىء ، بجوار المقبرة . وكانت الأرملة تعرف أنها فى ذات يوم سوف تلحق بزوجها فى هذا ، المسكن الأبدى ، الذى عملا معا ، خلال حياتهما على اعداده بكل عناية واهتمام .



شكل (٤١) طائرا ، البيا ، اللذان يوزان الى ارواح الموتى .

## الأم الأرملة الوارثة

اصبحت سيدتنا النبيلة ذات لقبين بعد وفاة زوجها وهى حماة ( شمت Shemet باللغة المصرية القديمة ) فى ذات الوقت ، محل كل الاهتمام العائلى : فقد كانت أما ، وبالإضافة لذلك ، قد فقدت لتوما زوجها ورفيقها . ومع ذلك فقد كان لها مطلق الحرية فى إدارة املاكها الخاصة ، وبذا ، كان يمكنها تماما أن تكمل حياتها فى بيتها الفسيح الأرجاء الفخم حيث تربطها العديد من الذكريات ، بجوار منازل اولادها الآخرين المتزوجين جميعا . ومع ذلك فإن ابنها الأكبر قد أصر على أن تحضر الى بيته لتمضية بعض الوقت مع أفراد أسرته . وكان هذا التصرف من جانبه يعد أولا بمثابة تعبير عن حبه الفعلى لأن ، الابن البار هدية من الآلهة ، ، وثانيا ، فإن ذلك يعتبر تطبيقا للتعاليم التى ذكرها الكاتب ، آنى ، باعتبارها الواجب الأول الذى يجب أن يؤدى لمن ولدته :

• رد الى أمك ضعف الخبز الذى أعطته لك

وأحملها ، كما حملتك .

لقد كنت بالنسبة لها عبئا مرهقا وثقيلًا

وهى لم تسام أو تضجر عندما أزعج موعد مولدك

وحملتك رقبته ،

ومكث ثدياها فى فمك ، طوال ثلاث سنوات .

ولم تتقزز أو تائف من قاذوراتك ،



ولم تثبط همتها وتوهن عزيمتها قائلة :

ماذا عساي أن أفعل خلاف ذلك ؟

وعندما أوصلتك الى المدرسة ،

حيث تعلمت الكتابة

كانت تعنى كل يوم بطعامك ،

وتحمل الخبز والجة (١١) من بيتها (١٢) .

ولا شك أن هذا الاهتمام والاعتناء الودود كان يتضمن في الواقع في طياته قلقا فعليا بخصوص صحة الأم ، التي كانت تشعر حتى قبل وفاة زوجها بنوع من التقلصات التي تتصاعد الى رقبتها وتمسك بها وكأنها بداخل مقشقة . وازدادت حالتها سوءا ، وأضيف الى ذلك بعض الاضطرابات في الرؤية . وباستقرارها في جو هادئ بجوار زوجة ابنها المجاملة الودود ، التي تمكنت بمهارتها ودرابقتها أن تبعد عنها الخادمة النوبية العجوز بدون أية معارضة عنيفة ، والتي كانت تصف العلاجات غير المجدية التي ترجع الى قريبتها الأصلية ، وهنا استطاعت الأرملة المسنة رفيعة الشأن في النهاية أن تصف المرض الذي ألم بها بطريقة أفضل ، وكانت قد تبينت نوعا من الاعياء والتعب العام حتى قبل الصدمة المهولة التي كانت قد أصابتها منذ حين ، بالإضافة الى هذا النوع من التعقيم الذي كان يقيم الرؤية أمام ناظرها . وفي نهاية الأمر ، قامت السيدة باستدعاء واحد من أشهر أطباء أمراض النساء من منف ، وكان تلميذا للعالم العظيم « ايمحتب » ( الذي أدمجه الاغريق بعد ذلك باسم « اسكليبيوس » اله الطب عندهم ) ، وكان على دراية فائقة بالطب الخاص بالنساء والذي مارسه كثيرا أطباء الدولة الوسطى . ووصل هذا الطبيب الممارس الى الضيعة ، وبصحبه حامل الصندوق أو « باست » ، المحتوى على أدواته الطبية والجراحية ، والنباتات الطبية النادرة للغاية . وعلى الفور بدأ بكل دقة بالتحليل ، التشخيص لما ذكرته المريضة فضلا عن المساعدة المنجدة التي قدمتها زوجة ابنها . ولقد تبين أن هذه الأعراض تتطابق تماما مع ما كان مدونا في مذكرته . التي عثر على نسخة منها بالفيوم (١٣) :

« تعليمات يجب أن تتبع عندما تعاني المرأة من مرض العيون ، لدرجة أنها لا تستطيع الرؤية ، وعندما تشعر ( أيضا ) بالآلام في منطقة خلف الرقبة : وفي هذه الحال عليك أن تقول : « أن هذه هي ( افرازات ) الرحم تبدو في عينيها » . « واليك ما سوف تفعله لعلاج ذلك : أجر

لها عملية تبخير ببعض من راتنج البطم ، مع بعض الزيت النقي الرفيع النوع ، وأجر لها عملية تبخير مهبلى بهذا الخليط . ( وخلاف ذلك ) بخر عينيها « بسيقان - الصفارية » (عصفور ذهبي الريش) . بعد ذلك ، اجعلها تأكل كبدة حمار نيئة .

ومما هو جدير بالذكر ، أن عالم المصريات الفرنسي « جوستاف ليفلر » ذا الأبحاث العظيمة عن الطب المصرى ، أحاط نفسه بمساعدة ومؤازرة بعض الأطباء ، مثل الدكتور « درون » ، والدكتور « بورج » ، والدكتور « دلفس » كانوا أنفسهم متعمقين في علم المصريات . ولقد استطاع بمعاونة الدكتور « دلفس » أن يستكشف هوية المرض الذي ذكرناه آنفا ، باعتباره مرض : التهاب في الرحم ، والذي يصيب النساء خاصة في مرحلة وجود الحيض الشهري . وكانت الحالة تتطابق قطعاً مع حالة السيدة المشار اليها ، فبالرغم من أنها أرملة رزينة إلا أنها لم تكن قد تعدت الأربعين من عمرها .

أى كان ما يزال أمامها طريق طويل سوف تقطعه ، وما زال الأمل يداعبها في أن ترى في أسرتها مولد العديد من الأجيال ، خاصة اذا كانت فضائلها تضمن لها بركة الاله ، وتسمح لها بأن يمتد عمرها الى المائة وعشرة أعوام ، هذا العمر الذي وعد به كل عاقل معتدل .



## الترمل ، زوجة الأب ، تعليم الابن

### وبنات الهوى

وبالرغم من أن التعاليم كانت تتطلب أن يسود التبصر والهدوء ، حتى يتم الحصول على أفضل نتائج للسلوك الانساني ، فمع ذلك كانت ثرثرة النساء - خاصة اذا كانت تبني على أساس - قد تعدت محيط البيت ، وكانت الخادومات يتحدثن لكل من كان يريد سماعهن عن المعجزة التي تمت بفضل زيارة الطبيب « سينو sinou » العظيم الذي جاء من مصر السفلى . ولقد كان لهؤلاء الأطباء المصريين شهرة عالمية ، وشوهدت عائلات بأكملها من السوريين ، تنتقل من موطنها لكي تستشيرهم في مصر ، بل ان الملوك الأجانب كانوا يلتمسون من الفرعون نفسه ، في أغلب الأحيان لكي يحضر اخصائيون لعلاج أفراد العائلات من الأمراء . ولكن عندما كان الأطباء يجدون أنفسهم عاجزين أمام ما قد يصيب الفرعون من أمراض ، فانه كان يلجأ لرجع أخير ، الى أحد الملوك المجاورين لمصر ، لكي يبعث اليه بالتمثال الشافى الخاص بالالهة « عشتار » مثلما حدث بالنسبة للملك « أمنحتب الثالث » .

### الأرملة

#### حماية الأرمال :

لقد أسرت سيدتنا النبيلة بنفسها الى صديقاتها ، بالعلاج الرائع الذي وصف لحمايتها ، والذي شفاها من مرضها ، ولقد بقى الطبيب الممارس بضعة أيام في الضيعة الخاصة بالحاكم ، وبذا ، انهالت عليه طلبات الاستشارة ، من كافة الأرمال اللاتي كن هدفا لأعظم آيات الرعاية والاهتمام من المصريين : وبعض هؤلاء الأرمال كن معدمتات فقيرات للغاية . ومع ذلك ، وحتى اذا كن قد اقترفن بعض السرقات البسيطة من أحد الحقول لطعامهن ، فقد كان يوصى كثيرا بعدم مقاضاتهن على ذلك . وكافة النصوص التي تنادى بالحكمة والتحلى بالأخلاقيات ، تدعو بتعهد المواطنين لهن (١) :



• كن عادلا مادمت فوق الأرض ، وواسى كل مكروب محزون ،  
ولا تظلم أو تضطهد الأرملة ، •

وفى نطاق الطبقات المتوسطة ، يبدو أن الأرامل كن أحيانا يضررون لأن يعشن حياة منعزلة للغاية ، ولكن من المعروف أنه بمناسبة الأعياد الخاصة بتتويج الملك ، كانت الأراامل ، يفحصن بيوتهن للمسافرين ، (٢) •

كما أن أغلبية اللوحات الجنائزية التى دون عليها المتوفسون ، جوازات مرورهم الى الأبدية ، تبين الأعمال الطبية الأساسية التى كان يجب أن ينتهجوها فى حياتهم :

• كنت أسمى من كان ظمآن ،

وكنت أطعم من كان جائع ،

وكنت أحمى الأرملة

وكنت أحمى اليتيم ،

وساعدت على عبور النيل

من كان لا يملك مركبا

وبعبارة أخرى ، فى إحدى القصص ، عندما وجه الفلاح كلامه الى المسئول الكبير ، الذى احتجزه سجيناً لبعض الوقت ، لكى يستمع جيدا الى شكواه ، فإن الفلاح لم ينس - لكى يلين المسئول - أن يلجأ الى أفضل البراهين والحجج والاستدلالات :

• وانت ( مع ذلك ) أب لليتيم

وزوج للأرملة ، وأخ للمرأة المطلقة •

والرداء لكل من فقد أمه •

وفى نفس تلك الحقبة ، كان أحد حكام « بنى حسن » ويسدعى « أمنمحات » ، يفتخر بنفسه فى العبارات المنقوشة على جدران مقبرته ، بأنه « لم تقص ابنة أى مواطن من الطبقة الوسطى ، ولم يقهر أمة أرملة » • وعندما جاءت سنوات القحط والجاعة ، كان يعطى للأرملة مثلما كان يعطيه للمرأة المتزوجة !! •

وفى الواقع ، أنه إذا كان المتوفى ينتمى بأوزير ، فإن أرملة تصبح بمثابة أيزيس فوق الأرض ، وتستحق مساعدة ومساندة الجميع :

وكذلك فإن حورس الطفل كان يسمى « بابن الأرملة » • ولذا فإن الطبيب قد جعل من واجبه أن يفحص عن طبيب خاطر ، أكثر الأراامل أملاقا وفقرا من اللاتى فقدن رب عائلتهن ويتألمن من بعض المتاعب الجسدية • ومن أجل الاستشارات الطبية ، وضعت ربة البيت ، تحت تصرفه الأماكن الخاصة والمساماة « خسرريت Khéréryt » ، ولقد حيث كانت نساء الأسرة يعتزلن ، خلال فترة دورتهن الشهرية • ولقد تبين بالفعل ، وكما لاحظ الطبيب أن أغلب المتاعب التى كانت المريضات تعاني منها ترجع الى تعدد مرات حملهن ، وإلى عدم وجود العناية الراجية بعد الوضع فى الأوساط الريفية • وبذا ، فقد وصف فى كل مرة العلاج المناسب للفلاحات اللاتى كن يشكون من الآلام ، التى يحددن موضعها ، وفقا لطلبه : « تعليمات تتبع ، عندما تشكو المرأة من أوجاع فى الشرج ، وفى أسفل البطن ، وفى أعلى الفخذين » •

فى هذه الحال عليك أن تقول : « هذه هى افرازات الرحم » • وهذا هو ما ستفعله فى هذه الحال : مقدار من الخروب الجاف  $\frac{1}{4}$  ، ومقدار من شاشا « شاشا shasha » ، ومقدار من لبن البقر ، حتى « hénou » واحد ( نصف لتر ) ، يغلى هذا الخليط حتى يركز ويختلط ببعضه تماما ، ويشرب منه كل صباح طوال أربعة أيام متتالية (٣) •

وقد اشتكت كذلك غيرهن من التعب الذى يشعرن به فى سيقانهن عند التحرك - حين يدسن على الأرض - فى حين أنهن فى الماضى لم يكن هناك ما يعوقهن للتوجه الى السوق ، حيث كان من الممكن المقايضة والمبادلة بالعديد من المنتجات فى مقابل الخبز والجعة التى كن يقمن بصناعتها ، أو الأواني والأدوات التى كان ابناؤهن يصنعونها ، والذين كانوا يعملون فى صناعة الخزف أو النجارة • وكان من السهل تحديد العلاج : « تعليمات يجب اتباعها عندما تشعر المرأة بالآلام فى قدميها وساقيها بعد السير » •

• أنها افرازات الرحم • وهذا هو ما ستفعله لذلك : تدهن قدميها وساقيها بالطين ، حتى يتم شفاؤها ، (٤) •

### حقوق الأرملة :

طبعى جدا ألا تكون جميع هؤلاء الأراامل معدمات فقيرات ، بل أن الكثيرات منهن كن يملكن الوسائل التى تسمح لهن بمجابهة متطلباتهن • وكانت صغيرات السن منهن ، ياملن فى الزواج مرة أخرى بفضل مساعدة وعون الآلهة الزهيمية « حتحور » ، التى كانت تستطيع « أن تعطى للعذراء أمة » ، وتعطى أيضا للأرملة زوجا جديدا •



وكربات بيت ، كن يعرفن فى أغلب الأحيان ، كيف يوفرن بأنفسهن الاحترام الواجب لحقوقهن فى الميراث المباشر المقطع من ممتلكات أزواجهن ، بل ويطلبن للحضور أمام محكمة القضاء العليا ، أى من أعضاء عائلتهن البعيدين ، للمعارضة فى شرعية وراثته وتتضمن أية ملكية ريفية ٠٠٠٠ منحها أحد الأسلاف ( كمثل قضية ميس Més ، الشهيرة ، التى استمرت من نزاع الى نزاع طوال ما يزيد عن مائتى عام ) .

### تبني الورثة :

فى بعض الأحيان ، كانت بعض الأرامل الرفيعات الشان ، المتقدّمات فى السن يصبحن بدون ورثة مباشرين . عندئذ ، لم يكن هناك ما يمنعهن أبداً من تبني بعض الأبناء ، فهناك مثلاً ، قصة إحدى السيدات ، التى قامت خلال شيخوختها باعتراق ثلاثة من خدمها وتبنيتهن ، وهبتم جزءاً مهماً من ممتلكاتها . وفى الواقع أنها كانت عند وفاة زوجها تتمتع بشخصية قانونية ولا تخضع لأية وصاية . وبذا ، فإن تلك المرأة المصرية المشار إليها ، قد قامت بتلك الخطوات الثلاث : الاعتراق ، والتبني ، وإعلان الوراثة بدون اللجوء لأى إجراء قانونى ، ولكن بمجرد شهودها فقط ( وسئل هذه الأهلية ، لم تكن تتمتع بها النساء فى مجتمعات العراق القديم ، أو الإغريق ، أو روما ) .

ولقد اشرنا قبل ذلك الى تمتع الأرملة بالأهلية لكى تورث من تريد : حتى وهى فى نفس قرينتها ، وبواسطة قرار عام ، ( ٥ ) كانت المرأة تستطيع أن تمثل أمام المحكمة وتعتبر « شفاعة » عن آخر أمنياتها . وكانت تستطيع أن تضمن وصيتها حقوق بعض الأبناء ، وتلغى منها البعض الآخر : « وهنلاحظ إرادتها الشخصية فى أن تخضع بنفسها كيفية ونمط الوراثة ، كما أن أهليتها كان معترفاً بها اعترافاً كاملاً » ، وهذا يعتبر بمثابة دليل جديد على الفردية القائمة الواضحة .

### نداء الى الزوج المتوفى :

فى بعض الأحيان ، وأمام بعض المشاكل العائلية ، لم يكن أمام الأرملة حل أفضل وأمثل ، مع الدعوى التى كان يمكنها أن تقيمها لتحمي حقوق ورثتها ، سوى أن ترجع الى زوجها المتوفى ، بواسطة التماس موجه اليه كتابة ، على مقطع من الطين النضج متضمناً قرباناً ويوضع بجوار مقصورته الجنائزية . ومثل هذه الوثائق التى تعتبر على

درجة قصوى من الأهمية من أجل دراسة العادات والتقاليد بمصر القديمة ( ٦ ) ، أطلق عليها اسم « خطابات الى الموتى » ، ( وأوائل هذه الخطابات يرجع الى الدولة القديمة ) . وهناك رسالة متضمنة بمجموعة ما نشر من تلك الخطابات ، تتعلق ببعض المشاكل التى واجهتها أرملة من الأوساط الثرية ، تتوجه فيها نحو زوجها المتوفى لتطلب منه أن يحمي ابنه الذى يطمع فيه بعض أقاربه ، المفقررون لأى ضمير أو ذمة . كتبت له قائلة : « هل تنظر الى ذلك بكل برود ( وهو يحدث ) ؟ » ، وقد بينت أنها فى هذه الحالة تفضل أن ترى ابنها ميتاً . ومع ذلك ، وبما أن قرار المحكمة النهائى ، لم يكن قد صدر بعد ، فإن المرأة صيغت على الكفاح حتى النهاية ، وتتضرع الى زوجها ، الذى انتقل الى عالم أوزير بأن يجهز على خصومها :

« ثر عليهم ومعك أبأوك ، واخوتك ، واصدقاؤك الموتى ( ٠٠٠٠٠ )  
وتذكر أنك تطالب ابنك بأن يحافظ على بيت أبيه قائلاً :

« ان بيت الابن ( هو ) بيت الأب ٠٠٠٠٠ » .

( فليتمكن ) ابنك من الاحتفاظ ببيتك ( أو ادامته ) ، كما حافظت  
( أدمت ) منزل أبيك » .

ولا شك أن هذه الأرملة كانت تعنى بذلك أن الضرورة تسنلزم أن يؤمن لابنها ميراثه ، بحيث يستطيع أن ينتفع بالوسائل التى تتيح له التمتع بممتلكات أبيه ، وأن تتم المحافظة على توارث الأملاك العائلية ( يبدو أن الابن كان من أفراد الطبقة البرجوازية العليا ) .

### الأرامل

وخلاف ذلك ، يبدو أن الأرملة كان يتمتع بقدر أقل بكثير من الرعاية وحسن الالتفات ، ٠٠٠٠٠ . وأنه بدون مساعدة المجتمع له ، كان عليه أن يكافح منفرداً فى مجال ما يتعلق بالأحوال الناجمة من وضعه كأرملة . ولن نتحدث هنا عن الأرملة الذى يتزوج مرة أخرى ، فسوف نتناوله بالذكر عندما يتزوج ثانياً بامرأة تصبح « زوجة أب » ، للأبناء الذين أنجبهم من زواجه الأول . ولنكتف فقط أن نعتبر أن الرجل المصري كان فى أغلب الأحيان رجلاً طيباً ، صالحاً ، سليماً ، وفيما لذكرى زوجته ، التى لم تكن بدون شك مفتقرة الى الجمال والفتنة الجسدية ، ولكنها عرفت ، كما هو واضح ، كيف تتمتع بحقوقها وتستغلها ، بل وتتجاوز الحد فى ذلك . ومن اللازم أيضاً ، أن نعكف على تلك الخطابات الشهيرة النادرة جداً المعروفة باسم « خطابات الى الموتى » ، التى يجد المرء



نفسه بفضلها قد انتقل أمام مشكلة انسانية ابوية ، مثارة بشكل معاصر  
تبين الى اى مدى تفسد الطبيعة ثابتة ، مهما اختلفت الحقب او  
القارات .

اضطهاد الارامل :

انها قصة احد كبار الضباط ، ترمل منذ سنوات ، ويبدو تماما ان  
روح زوجته المتوفاة كانت تتعقبه وتطارده ، وينتابه الهم والغم ، وشعر  
بتعب وزعاج بسبب روح زوجته المتوفاة النهممة الشرمة . وبذا ،  
عمل ان يوجه اليها قرار اتهام مطولا فى هيئة خطاب Post mortem (٧) :  
الى الروح السعيدة ، عنخى رع ، : ما هو الضرر الذى فعلته لكى  
اصبح فى هذه الحالة البائسة التى اعيشها ؟ ما الذى اقترفته ضدك ؟  
ان يدك لثقيلة الوطا على ، فى حين اننى لم الحق بك اى اذى منذ ان  
اصبحت زوجك ، وحتى هذا اليوم ! ما الذى فعلته ضدك يحتم على ان  
اتوارى واختبئ ؟ ماذا فعلت لك ؟ سوف اجهر بالشكوى ! ما الذى  
اقترفته ( ضدك ) ؟ سوف ارفع شكواى شفاهة من فمى امام ، تاسوع  
الغرب ، وسوف نحاكم انت وانا على اساس ما جاء بهذا المکتوب .

ما الذى اقترفته فى حقك ؟ لقد اتخذت زوجة لى عندما كنت  
شابا يافعا ( فى سن التجنيد العسكرى ) . وكنت معى عندما قمت بكل  
وظائفى . لقد مكنت معى ولم اتذك ولم اقترف ( مطلقا ) ما قد يحزن  
قلبك . هذا هو ما فعلته حينما كنت زوجا شابا . وعندما شغلت كافة  
انواع المناصب العليا بجوار الفرعون ( فليحيى ، وليوفق ، ويمتع  
بالصحة ) ، ولم املك ( ابدا ) او اتركك ، وكنت اقول لنفسى : يجب  
ان تكونى دائما بجوارى .

ان جميع من كانوا يحضرون الى ، امامك ، لم اكن استقبلهم  
ابدا . لو عارضت انت فى ذلك ، قائلا : ليت الامر وفقا لرغبتك ، !  
والآن ، انظرى ، انك لا تتركين قلبى فى سلام . ( لذا ) سوف  
ارفع عليك دعوى ، حتى يميز الطيب من السي .

لاحظى ، عندما كنت اشغل وظيفة مدرس ضباط صف بفرقة  
المشاة بجيش الفرعون ( فليحيى ، وليوفق ، ويمتع بالقوة ! ) وبفرقة  
مركباته ، كنت استدعيهم واجعلهم يرتمون على الارض امامك ، وكانوا  
يحضرون اليك كافة انواع الاشياء الطبية .

لم اخف عنك شيئا مطلقا خلال فترة حياتك ، ولم اتركك ابدا  
كما يفعل اى سيد ، تفترق الى اى شيء ، او تقاسين باى شكل من

الاشكال ولم تجدى ابدا اننى اغظتك كما يفعل اى فلاح بدخولى بيت  
اخر ( لكى اخونك ) .

ولم اعرض نفسى ابدا للوم بحرمانك مما يجب على نحوك . . .  
وعندما الحقت بالوظيفة التى اشغلها حاليا ، لم اكن استطيع الابتعاد  
ونفا لما تعودته هنا تصرف كما يتصرف اى رجل فى حالتي عندما  
يحتجز فى مكان وظيفته : ان عطرى وزيتى وحاجياتى واقمشتى جميعها  
قد احضرت اليك . ولم آمر بارسالها الى مكان آخر حيث كانت توجد  
امراة اخرى . فاننى لم اخذك ابدا !

ولكنك لا تعترفين بالخير الذى فعلته لك . ولذا ، فاننى اوجه  
اليك هذا المکتوب ، لكى تعرفى كيف تتصرفين . ومع ذلك ، فعندما  
مرضت بهذا المرض الذى تعانين منه ( بعثت اليك ) بأحد كبار الاطباء .  
فقام بمعالجتك ، وفعل كل ما طالبتيه بان يفعله .

وبعد ذلك ، عندما سافرت فى اثر الفرعون ( فليحيى ، وليوفق ،  
ويمتع بالقوة ! ) نحو الجنوب ، وكنت انت فى نفس حالتك حاليا ( اى  
كانت قد توفيت ) ، مكثت ثمانية اشهر ويوما واحدا بدون ان اشرب او  
اكل ( اى صائم ) ، كما ( يفعل ) الجميع . وعندما رجعت الى منف ،  
التمست اذنا من الفرعون ( فليتمتع بالحياة ، وبالصحة ! والعافية ! ) ،  
لكى يسمح لى بان اذهب الى جوارك . وبكى طويلا مع افراد الحى  
الذى اعيش فيه .

ولقد قدمت قماشا من الكتان من مصر العليا ، من اجل اربطتك  
( للتحنيط ) ، وامرت بنسج مقدار كبير من القماش ، فلم اكن لاهمل  
اى شيء طيب من اجلك .

والآن ، ومنذ ثلاث سنوات ، اعيش وحيدا ، ولم ادخل اى بيت  
( بقيت على وفائى لك ) بالرغم من ان التصرف بهذه الكيفية لا يسعد  
اى رجل فى مثل حالتي .

ومع ذلك ، فقد كنت افعل ذلك لحبى لك ، ولكنك عاجزة عن  
التمييز بين الطيب والردى ! .

اذن ، لتتم محاكمة بينك وبينى . ومع ذلك فاننى لم اتزوج باية  
امراة من البيت ! .

ونحن نرى ، انه فى نطاق هذا النظام المتحزن الذى يكون المجتمع  
المصرى ، فان الترقى الاجتماعى كان فى متناول كل من يستحقونه ،  
بفضل مزاياهم وخصالهم . ومكذا كان حال هذا الرجل العسكرى .



الأرمل الحزين الذي بين - والحالة هكذا طوال حياة زوجته وحتى بعد معاتها - عن اغضاء وتسامح وصبر نحو امرأة جاءت من وسط متواضع ، وعجزت عن توفيق تصرفها مع مستوى ترقيات زوجها . وكانسانة وصولية استغفلت الاعتبارات التي كانت تتمتع بها بفضل مركز زوجها بل وتمادت في ذلك ، في أغلب الأحيان الى درجة وضعه في مواقف حرجية ، ويبدو أن الأرمل البائس قد تكيف لدرجة أنه لم يجرؤ حتى على الزواج مرة أخرى ، وعزا الى التأثير الشوم الذي كانت تمارسه عليه زوجته ، عنخى رع ، طوال حياتها كل الألم والقلق والهم والغم والمضايقات ، التي هاجمته فوق الأرض خلال السنوات الثلاث الأخيرة .

### الزوجة المستقلة :

من المحتمل جدا أن الحكيم ، بتاح حتب ، قد كتب هذه الحكمة إشارة الى مثل هذا النوع من النساء ، الذي كان يجب معاملته بحزم ، حتى لا يقابل المرء نفس الأحداث المزعجة التي قابلها أرملنا المذكور .

وهذه الحكمة التي تحمل رقم (٢١) - هي الوحيدة التي تعتبر بمثابة النغمة النشاز في مجموعة المزايا والصفات الطيبة التي اقر بها للمرأة المصرية والتي تتحدث عن المرأة باقتدار واحترام . ولقد أوضح الكاتب هنا بعض الانتقادات الخطيرة بخصوص هؤلاء الزوجات المسيطرات :

« اذا كنت رجلا صالحا يريد الحفاظ على أسرته ، احبب زوجتك في بيتك ، كما يجب ، » .

« واملا بطنها ، واكس ظهرها ، فالزيوت ( العطرية ) تعتبر أيضا ترياقا لجسدها » واجعلها سعيدة ، مادمت حيا ، » .

« انها حفل خصب بالنسبة لصاحبه ، ولا تحاكمها ولكن لا ترفعها ابدا الى مرتبة الرئاسة والقيادة ... فان عينها هي رياح عاصفة عندما تنظر ... » .

« واجعل قلبها يلين بما جرى لك من ( امور سعيدة ) » وبذا ، ستستطيعان أن تكملتا حياتكما معا . ولو انت نبذتها فلن يكون هناك سوى الدموع ، » .

لقد كانت « عنخى رع » فعلا هذا النمط من النساء الذي يستحق مثل هذه المعاملة . ولنتخذها كاستثناء يعمل على تأكيد وتثبيت القاعدة ،

### زوجة الأب

ومع ذلك ، كان الكثير من المصريين ، عند وفاة زوجاتهم قبل الأوان ، يتخذ زوجة ثانية . ولذا ، فهذا هو السبب في أن اللوحات الجفائزية قد كرسست بواسطة الرجل للزوجات اللاتي عاش معهن على التوالي . وعلى ما يبدو ، ففي أغلب الأحيان كان السلام يسود البيت الذي وجد ثانيا بعد الوفاة ، ربة للبيت . وفي أغلب الأحيان كان رب البيت يتزوج بامرأة كانت تعمل بالمنزل ( وكمثال على ذلك ) السيدة « تشات » ، الزوجة الثانية لأحد حكام « بنى حسن » ، والأطفال الذين ينجبون من مثل هذه العلاقة كانوا يصبحون أبناء شرعيين له ، ويستطيعون في النهاية أن يطالبوا بحمل اسم أبيهم بصفة رسمية .

### زوجة الأب والخلافات :

ومع ذلك فقد كان يحدث ألا يرحب أبناء الزوجة الأولى بزوجة الأب ترحيبا طيبا . والقصص الشعبية التي تعكس عامة روح المجتمع ، تضع على لسان « الأمير المدعو منذ الأزل » عبارات تشير الى هذا الخلاف : « اننى ابن أحد ضباط جيش مصر » ولقد توفيت والدتى ، واتخذ أبى زوجة أخرى أخذت تضمر لى الكرامية ، وذهبت هاربا منها ، » .

والحقيقة ان ذلك كان مجرد مبرر مخفلق ومصطنع لتبرير ابتعاد الأمير ، هاربا من « قدره » ، ولكنه كان قد اختار بدون شك موضوعا معروفا تماما يسهل تصديقه .

ولا ريب أن النزاعات والخلافات ، كانت في معظم الأحيان تظهر فجأة عند تداخل المصالح : وبذا ، كان من الممكن أن يحتج الأبناء على بعض التعهدات التي اتخذها أبوم لصالح زوجته الثانية . ولقد رأينا أنه في خلال حكم الملك « سبك حتب الثالث » بالأسرة الثالثة عشرة ، أن أحد الرجال الذي كان قد تزوج للمرة الثانية قد ورث بوصية زوجته الثانية « سنب تيس » وأولاده ، اراضيه وخدمه وحاشيته : ولقد احتجت على ذلك « تحنوت » ابنته من زواجه الأول ، خاصة ان أباها قد تمادى لدرجة منح زوجته الثانية بعض الأملاك التي كانت ملكا لصهره ، من الزواج الأول ، ومن المحتمل جدا ان الأمر لا يد كان يتعلق بصداق الابنة عند زواجها .

ولدينا حاليا خطابان بعث بهما شخص يدعى « حقا نخت » وهو كاهن جفائزى تابع للوزير « ايبى » ، يعبران ابلغ تعبير عن هذا الموضوع



ويرجعان الى حقبة تبعد قليلا عن تلك الفترة ، اى فى فترة حكم الملك  
« منتوحتب » العظيم ( اول حكم الأسرة الحادية عشرة ) .

### زوجة الأب غير المرحب بها :

يبدو ان هذا الرجل الموسر ، قد اضطر خلال احدى الحقب التى  
مرت مصر خلالها ، بأحوال سيئة لنهر النيل ، وبالتالي قلت المحاصيل  
واضطر أن يقيم فى بعض الضياع بجنوب طيبة طوال ما يقرب من عام ،  
وبالتحديد فيما بين اواخر مايو ٢٠٠٢ قبل الميلاد - وهو وقت الحصاد -  
وبين موعد اقتراب الفيضان من العام التالى ( اى فيما بين شهرى  
ابريل ويوليه من عام ٢٠٠١ قبل الميلاد ) . وخلال هذه الفترة يبدو انه كان  
قد أسند الى « مرى سو » ابنه ، مهمة ادارة املاكه بطيبة والبيت  
العائلى . ولم تكن الأخبار التى تصل اليه من بيته مرضية بالمرة : وبذا ،  
فقد أرسل العديد من الخطابات لكى يصدر تعليمات صارمة ، والرسالتان  
الأكثر أهمية فيما يختص بموضوعنا هذا ، هما : أولا ، الرسالة التى  
بعث بها الى اكبر أبنائه « مرى سو » . ثم الرسالة الثانية الموجهة الى  
أمه « ابي » . وهنا يتبين أن قلق وضيق « حقا نخت » لم يكن يتعلق  
فقط بالطريقة السيئة التى تلاحظ وتراقب بها المحاصيل أو حصد  
الحبوب ، والاهمال فى ادارتها ، ولكن تتعلق بالانسجام والتوافق الذى  
كان يجب ان يسود نطاق العائلة .

وكان الأبناء الخمسة « مرى سو » و « ساحتحور » و « سانب  
نوت » ، و « انوب » ، و « سنفر » ، والبنات الثلاث « سانبوت » (٩) ، « نفرت » ،  
و « ساتريت » ، الذين على ما يبدو ، كانوا قد أنجبوا من زواجه الأول  
يمارسون سلطة قاسية على زوجته « حقا نخت » الثانية ، « حبسوت »  
ايوت أم حب ، التى تزوجها بعد ترملة . وعبارة « حبسوت » التى  
كانت تفهم أحيانا بمعنى « رفيقة » ، لأن معناها هو : « المرتدية  
ملابسها » ، يبدو أنه من الأوفق ترجمتها الى عبارة « زوجة الأب » ،  
التي يتزوجها الرجل بعد ترملة (٨) . والأسوأ من ذلك : أن خادمة  
« ايوت أم حب » المدعوة « سمن Semen » قد انحازت الى جانب  
الأبناء والبنات ، وتصرفت بطريقة غير طيبة بالمرّة مع سيديتها الجديدة .  
وعلى الأرجح ، كانت قد أعلنت « حقا نخت » بذلك . ولذا ، وجه  
تهديده ووعيده الى كل اقربائه . ان « حبسوت » التى كانت تستحق  
أن تعامل بصفتها زوجته ( حمت ) ، ويحق لها كل التقدير والاحترام ،  
فى حين أن أفراد العائلة ، كانوا على ما يبدو يعاملونها وكأنها  
مغتصبة . وكان من حقها ان تعامل ، بما يجب أن تعامل به حبسوت

اي رجل ، على حد ما كتبه فى رسالته (٩) . وبعد أن وجه اللوم الى  
ابنه الأكبر ، أعلنه قائلاً : « انت الذى تركت ( الخادمة سمن ) تسيء  
الى « حبسوت » . إذن ، انتبه الى العقاب القاسى الذى سأوقعه بك ،  
ما الذى اقترفته هى فى حقكم انتم الأبناء الخمسة ؟ » (١٠) وأصدر  
أوامره قائلاً : « الآن أطرد الخادمة سمن من بيتى ، وانتبه جيدا لذلك  
حالما يصل اليك ساحتحور ( حامل الرسالة ) ! ولاحظ اذا أمضت ( بعد  
ذلك ) يوما واحدا فى بيتى . . . فانت الذى تركها تسيء الى « حبسوت » .

نرى ، ماذا عساهما كانت فاعلة « ايوت أم حب » ، هذه الشابة  
البائسة أمام كل هذه العائلة المتعددة الأطراف ، التى انضمت اليها  
ايضا العممة « حثب » التى كانت هى الأخرى فى نزاع مع اثنتين من  
« تابعاتها » الأولى خادمة والثانية مصففة الشعر ! ومن المحتمل جدا  
ان الخادمة سمن ، كانت محل ثقة ربة البيت السابقة ، وأن مشاعر  
الغيرة قد تضمنت ، بلا شك فى نطاق كل هذا النزاع .

وغدا « حقا نخت » أكثر حزما وشدة من ذى قبل : « ان من  
يقترف أمرا ، مهما كان فى حق حبسوت ، سأناصبه العداء ، وسأقف  
ضده . انتبه ! انها الـ « حبسوت » . ومن المعروف تماما ، ما يجب  
ان يؤدى لـ « حبسوت » اي رجل ! . . . . . وحقيقة ، أن احدا منكم لا يقبل  
ابدا أن تسب زوجته أمامه ، هل أستطيع أن أتذرع بالصبر أكثر من  
ذلك ؟ كيف عساي أستطيع أن أعيش معكم بعد ذلك بنفس البيت ، اذا  
كنتم لا تولون الاحترام الواجب لـ « حبسوت » اعتبارا وتقديرا لى ؟ » .

وأخيرا كتب « حقا نخت » خطابه الثانى الى أمه « ابي » ، لاجئا  
بذلك الى « السلطة العليا » فى محيط الأسرة ، بما أن خطابه الأول ،  
الذى أرسله مباشرة الى ابنه الأكبر لم يكن له ، على ما يبدو ، أية  
نتيجة . وكان الحل المتوقع الذى اقترحه فى خطابه هذا هو أكثر الحلول  
بساطة ، ان كتب الى أمه قائلاً : « اذا لم تكونى راغبة فى وجودها  
فابعثى الى ايوت أم حب هنا » .

إذن ، فهذا هو ما كان يمكن أن يحدث فى أجواء احدى الضياع  
بطيبة ، فى أوائل الدولة الوسطى ، فى منطقة « بنست » ، خلال فترة  
أدت المجاعة والقحط فيها الى حدوث الدمار والخراب . ولا شك أن  
الفترة المذكورة كانت لا تقارن فى شدة قسوتها عما كانت عليه الحقبة  
الذهبية خلال الدولة الحديثة . كما أن ادخال زوجة أب فى محيط  
عائلة ما - خاصة اذا كان الأبناء والبنات قد وصلوا الى سن البلوغ -  
لم يكن دائما من عوامل السلام والوئام فى أجوائها .



وخلاف ذلك فان الام كانت دائما ذات آذان صاغية تستطيع ان تساعد على تهمة حدة المعارضات والتمردات ، والبعد بالمواقف عن اية ، ماسورية او خطورة ،

تعليم الابن وينيات الهوى :

لقد بلغ الاولاد اشداهم في منزل سيدتنا النبيلة ، كما ان الملاحظة والمراقبة قد تراخت خلال فترة الحداد الذي حدث فجأة ، ثم خلال مرض الأرملة المسنة الرقورة . وجاء اليوم الذي تنبه فيه الوالدان ان الابن الأكبر قد تمادى في تحرره في مجال دراساته ، وكان يتردد على بعض الشوارع ، الساخنة ، بالعاصمة ، وايضا على الحانات بالضفة اليسرى ، حيث تحتسى الخمر والجعة ، وحيث كان التجار السوريون يعرفون كيف يجدون عملاء متاهبين ومستعدين تماما للحصول على جواربهم الجميلات الآتية من بلاد ، أمور ،

ولذا لجأت الام الى المعلم - الكاتب لكي يوجه النصائح الأدبية لابنها نحو المواضيع الأكثر رذعا :

« لقد قيل لى انك أهملت الران على الكتابة ،

وانك تعكف على اللذات والمتع ،

وانك تتمسك من حانة الى اخرى ،

وان الجعة تفقدك كل احترام ادبى ،

وهى تطيح بصوابك .

انك اشبه بدفة المركب المحطمة ،

التي لا نفع لها .

انك اشبه بمحراب يفتقر الى اله ،

وبيت بدون خبز .

لقد قابلتك البعض وانت تقفز من فوق احد الجدران .

وكان الناس يهربون من ضرباتك الخطيرة .

آه ! لو انك اردت ان تفهم

ان الخمر ما هى سوى شئ مقيت وبنس .

سوف تلعن الخمر العذبة ،

ولن تفكر ابدا في الجعة

وستنسى تماما الخمر الواردة من الخارج .

انهم يعلمونك الغناء على انغام الناي

وانشاد القصائد على صوت المزمار المزدوج ،

والغناء بصوت ، ثاقب ، على انغام الجناك ،

واللقاء الملحن على انغام القيثارة !

ومانت جالسا في الحانة

تحيط بك بنات الهوى

ومانت ترغب في الافصاح بما تريد

وتستجيب لمتعتك . . . . .

ومانت امام احدى الفتيات ،

وقد ضمخت بالعطور ،

وقد احاط عنقك اكليل من الورود

وانت تطيل مازحا على بطنك .

وتتهنز وترتعش ، وتقع على الارض .

وقد غطتك الاقدار والأوساخ ،

وحالما انتهى النص ، طلب من الشاب ان يتأمل ويتفكر في الكلمات

الحكيمة التي قالها الكاتب انى :

« لا تتماذ في شرب الجعة

لانك ، حينئذ ، عندما تتكلم

فان عكس ما تفكر فيه هو الذى يخرج من فمك .

بل انك لا تعرف حتى من الذى كان يتحدث .

كما انك تقع ارضا ، لان ساقيك تخوران من تحدك !

ولن ياخذ احد بيدك

والذين كانوا يشاطرونك الشراب

ينهضون قائلين :

« فليؤخذ بعيدا هذا السكير ! »

واذا حضر احد لاستدعائك ،

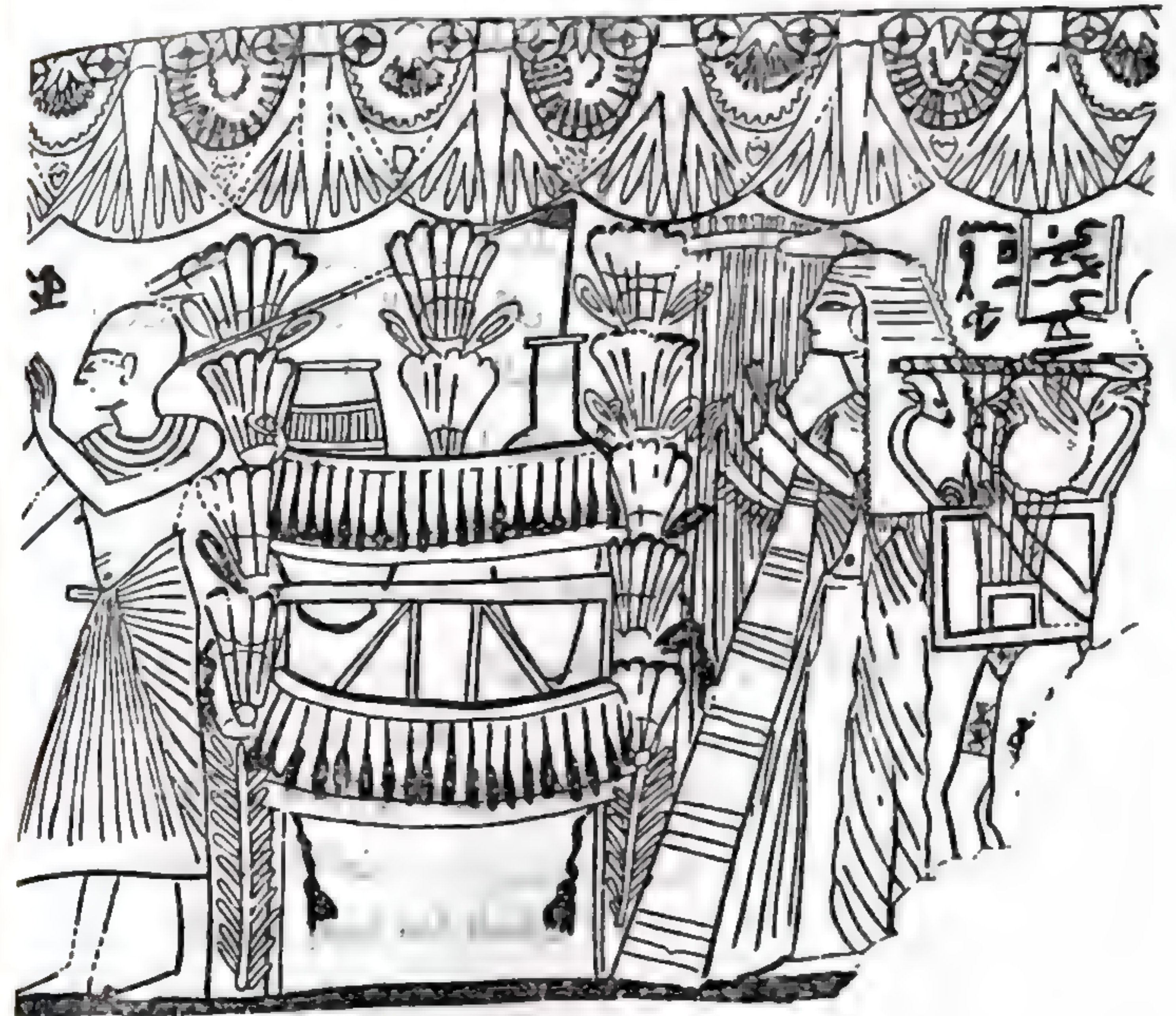
لطلب المشورة ،



ووجدك وانت معد فوق الأرض

فانك تبدو كطفل بانس (١١) .

ولا شك ان مثل هذه اللوحة ، كان لها عند الانتضاء ، بعض الاثر على الطلبة الشباب الذين كانوا قد بدءوا مرحلة شبابهم بالطيش ، وعلى العكس ، فان مثل هذا الوصف ، وكذلك غيره من النصوص ، التي على غرارها ، تدعو الى الروح لم تكن لتساعد باى شكل من الاشكال ، على اغلاق بيوت احتساء الجعة ، التي كانت تعج بالفتيات الجميلات غير المتحفظات ، ولقد بينت لنا احدى البرديات (١٢) ان هذه البيوت كانت غالبا تعج « بينات بابل » ، عموما ، كانت الدعارة قائمة فى الدولة الحديثة ، فعبارة « خنمت » ، تستعمل للإشارة الى فتاة الهوى ، التي كانت تعمل غالبا كمغنية وراقصة ، والتي كانت احيانا توشم فوق منطقة الحوض وعلى الفخذين . كما ان البرديات التي تعالج فيها مواضيع الفزل العشقى الماخن ، الموجودة بمتحف تورين قد تبين بفظاظة مراعاة او مداراة اوجه النشاط التي كانت يمكن ان تتم فى بعض بيوت الدعارة ، التي جاء ذكرها فى بعض الأحيان بالنصوص والكتابات .



شكل (٤٢) حفل موسيقى

فى قصة « خع ام واس » التي ترجع الى العصر المتأخر ، اشارة الى « فتاة الطريق » ( أى انسانة فاسدة دنيئة ) :

اذا كنت ترغب فى الحصول على متعتك منى ( كما تقول ابنة كامن باسلة الى خع ام واس ) فعليك ان تحضر الى بوباستيس ( تل بسطة ) فى بيتى . وهناك ، سوف يكون كل شيء معدا ، وسوف تمارس متعتك معى ، دون ان يكشف ذلك احد فى العالم كله ، ودون ان اسلك سلوك « فتاة الطريق » .

وبيوت احتساء الجعة ، هذه كانت منتشرة فى انحاء منطقة الشرق الأدنى ، ففى قانون « حمورابى » (١٣) ذكر ان « دخول بيت من بيوت احتساء الجعة ينطوى على سلوك غير اخلاقى وخليع من جانب المرأة » . ولا نندهش عندما نتبين من خلال قراءة قصة الاحداث العجيبة التي مر بها « ون آمون » ، والتي ترجع الى الأسرة الحادية والعشرين ، وجود مثل هذه المؤسسات فى جبيل . وعلى الأرجح ، انها كانت امراة من السلاتى ينتمين الى احدى هذه المؤسسات ، والتي عرضها امير جبيل على « ون آمون » لكى يساعده على تمضية الوقت ، منتظرا لان يتمكن بدون أية عقوبات من العودة ثانيا الى مصر . ومن الملاحظ ، انه كمثل ما كان يحدث بمصر ، كانت المرأة « السهلة المنال » فى جبيل يمكن ان تحضر من منطقة ضفاف النيل (١٤) ! « لقد بعث الى بسكرتيه الخاص ، الذى احضر الى اناءين من الخمر وخروفا ، وامر ايضا بان تحضر الى « تنتماد » ، وهى مغنية مصرية ، كانت تعيش بجواره ، بهذه المهمة : « غنى من أجله ، وابعدى عنه الأفكار السوداء » . وارسل الى بقوله : « كل ، واشرب ، وابعد الأفكار السوداء من مخيلتك » (١٥) .

ولقد بلغ نشاط تلك « المواخير » اقصاه ، خلال حكم « رمسيس الثالث » ، ابان الأسرة العشرين . ومما يذكر ، انه فى الوقت الذى أجرى فيه التحقيق مع مقترفى مؤامرة الحرير ، فقد اتهم ايضا اثنان من القضاة المكلفين بنظر القضية ، لأنهما كانا قد احتفلا احتفالا ماجنا صاخبا مع بعض النساء المتهمات ، وبعض المجرمات الأخريات ، فى بيت أحدهما ، الذى كان مرحبا للغاية كممثل احدى بيوت احتساء الجعة .

ولم يكن كافيا ان يحاول المعلم قيادة تلميذه بعيدا عن طريق الفسق والفجور ، بل كان الأمر يستلزم ايضا أن يوضع الشباب على طريق الفضيلة ويثبت عليه . ولذا ، كان الكاتب « آنى » يردد دائما (١٦) :



« خذ حذرك من المرأة الأجنبية التى لا يعرفها أحد فى المدينة ،  
لا تنظر وهى تسير خلف رفيقتها ، ولا ترتبط معها باية علاقة عشق أو  
شهوة : انها مياه عميقة الأغوار ، لا يسبر لها غور ، » وقال أيضا :  
« وتقول لك المرأة البعيدة عن زوجها : « اننى جميلة » عندما لا يكون  
هناك أية شهود ، انها تقف وترمى بشباكها . انها لجريمة تستحق  
عليها الموت اذ لم تكن قد عرفت كيف تحتفظ بالسِر » .

وحالما يصل الفتى الى بيته ، فسرعان ما كان أبوه يقوم كبديل  
للمعلم ، ويذكر التلميذ بالارشادات الشهيرة التى ذكرها الحكيم  
« بتاح حتب » ، (١٧) :

« اذا رغبت فى الاحتفاظ بالصدقة ،

بيت تتردد عليه ،

بصفتك سيدا مبجلا ، وأخا أو صديقا ،

بالمكان الذى تدخله ،

فأياك والاقتراب من النساء

فانه لن يحدث أى خير فى مكان يحدث فيه ذلك ،

فلا أحد ينتبه أبدا لذلك كما ينبغي .

فهناك الآلاف من الرجال

قد ضلوا الطريق عما هو مفيد ونافع لهم ،

وتأخذكم نشوة الشهوة والغريزة ، التى تهلككم وتفتنكم ،

انها مجرد لحظة قصيرة ، وكأنها حلم ،

ومع ذلك ، يمكن ان يساق المرء الى الموت بسبب ذلك » .

## خاتمة

ولا شك ان مثل هذه الارشادات والعظات ، ومثل هذه الأمثلة ،  
ومثل هذه النماذج المقنعة ، قد أدت فى نهاية الأمر الى دفع الابن البكر  
للأسرة لأن ينوى على الخاتمة الوحيدة الممكنة لمشكلته الشخصية ،  
وان يستمع الى الصوت الرنان فى قلب كل شاب مصرى ، ويقول له :  
« كزوج وانت شاب . . . ، لماذا الانتظار ؟ ألم تلاحق أحلامه ابنة اكبر  
المعاونين قريبا لأبيه ، منذ ان كانت تحضر وهى ما زالت طفلة ، للمشاركة  
فى ألعاب اخواته ؟ وفى اليوم الذى قدم فيه اليها ثمرة فاكهة ، فى نهاية  
وليمة عيد العام الجديد القريب ، فقد تقبلتها ككنز ثمين ، ومنذ هذه  
اللحظة كانت تشاهد غالبا وهى تحضر لتحية والدته . بل انها قد  
عرضت مساعدتها فى عملية قطف وجنى ثمار الجميز من الشجرة  
الهرمة الواقعة فى اقصى الحديقة . ولقد ذهب صبينا هذا ، بموافقة أبويه ،  
ليتحدث الى والد الفتاة ، الموافقة مسبقا .

وعندئذ تكرر نفس ما كان قد حدث بالنسبة لخطوبة والديه ، وأقيم  
الاحتفال بالعرس من مظاهر فرح وابتهاج الجميع . اما ربة البيت  
الجميلة ، التى بلغ تأثرها أشده بسبب زواج أول أبنائها ، فانها فى  
اليوم التالى لهذا اليوم المشهود ، كانت تستعيد فى مخيلتها كل اللحظات  
الماضية منذ ثمانية عشر عاما مضت بجوار زوجها ، الذى كان يظهر  
لها ، فى كافة المناسبات الكثير من الحب . ولذا فقد توجه هما الاثنان  
لمقابلة مثال المعبد ليطلبوا منه القيام بنقش اللوحة التى كانت السيدة  
بنفسها قد كتبت نصها تعبيريا وارقارا عن المصير الحسن الذى منحه  
لهما الاله ، والذى كانا يتمنيان دوامه ، ضمانا لحياة سعيدة ، يسودها  
التوافق والانسجام ، قبل ان يقتريا ، بعد فترة طويلة ، من الضفة  
الأخرى :



• اننا نرغب فى الاستراحة معا ،  
والاله لا يستطيع أن يفرقنا •  
وطوال حياتك ، لن اتخلى عنك أبدا •  
قبل أن تسامحنى •

اننا لا نريد سوى أن نجلس كل يوم ، فى سلام  
بدون أن يحدث أى سوء •  
سوف نذهب معا الى بلد الأبدية  
لكى لا ينسى اسمانا •

وكم ستكون جميلة اللحظة  
التي نشاهد فيها ضوء الشمع ،  
الى الأبد ، كارباب الجبانة ! (١٨) :

## خلاصة

خلال تسلسل آلاف الاجيال من المصريين ، وفى كافة طبقات  
المجتمع ، نالت المرأة كما استطعنا أن نلاحظ ، امتيازات متساوية ، ان  
لم تكن متطابقة مع امتيازات الرجل ، شملت كل المجالات •

ولم يكن الأمر يتعلق بحقوق بالمعنى القانونى البحت ، وان كان  
الأمر لا يبدو أنه قد ساد أو وجد مطلقا ، على ضفاف النيل ، أى تشريع  
قانونى فعلى أو شكلى • فضلا عن ذلك ، هل كانت الضرورة تستدعى  
ذلك ؟

لو أننا تفحصنا مليا وجهة نظر المصريين - كان الأمر يكفى مجرد  
اتباع • طريق الآله ، لكى يستحقوا التمتع بالأبدية - فإننا سنجد أن  
التذكير بالقانون الإلهى ، كان بمثابة المرشد الأفضل للفرور بالنعيم •  
وكانت كتب الأخلاقيات أو الحكم تملئ السلوك الذى يجب اتباعه ، سواء  
فى نطاق الأسرة ، أو فى مجال أداء المهر لمهنته • أما القصص والحكايات  
الشعبية - المعظمة بكل ثان واسهاب للأعمال الخليفة بالثناء المستحقة  
للمكافئة ، أو التهانن الجدير بالعقاب - فكانت غايتها تقوية الارادات  
الطيبة ، أو على العكس ردع من كان ، أو كانت تميل الى الزلل أو  
الاستسلام للغواية • وبالإضافة لذلك ، ومنذ الدولة الحديثة كانت  
• العقيدة السلبية ، • بكتاب الموتى ، • تسرد قائمة مطولة ومثيرة للعجب  
من الخطايا التي لا يجب اقترافها •

وفى الواقع ، أن كل شيء كان فى يد الآله ، الخالق الأسمى ،  
فكيف إذن ، تنازعه مخلوقاته ؟ فالرجل والمرأة قد تمت صياغتهما وفقا  
لامرأة • بيد المثال الإلهى نفسه ، وجنسهما ، قد ميز أيضا بينهما بواسطة  
قدرة الآله الأقوى ، مثلما أراد أن يفعل بالنسبة لأعضاء • المجتمع •  
الإلهى • وكان على كل واحد أن يقبل مصيره وكان يرجع اليه تحسين  
مصيره • ولكن دون انتهاك مبادئ العدالة ( الماعت ) أى يحاول أن  
يعوق مجرى القوازن الكونى ، الذى ترمز اليه هذه الابنة العزيزة للاله  
• رح •



ورغم هذه المساواة الكاملة ، فهناك احترام ملزم نحو التعدد الذى حدث أثناء عملية الخلق . فلكل دوره ، ومكانه ، فى عدالة كاملة . وحقيقة أن مضمون هذا المجتمع يبدو على قدر من المثالية ، ولكنه مع ذلك ، لم ينتهك بالفعل طوال أكثر من ثلاثة آلاف عام .

وبالرغم من أن فترات من الكوارث ، والغزوات ، والتعديلات الصارمة العنيفة ، قد استطاعت أن تزعزع مؤقتا هذه الحضارة العريقة ، ولكن ، حالما تحسنت الأيام تجد هذه الحضارة وفيه ومخلصة للخط المرسوم . وفى الواقع ، انه قد تجلى تغير داخلى عميق ، وفى خط متواز ، تدخلت بعض التأثيرات الأجنبية ، ولكن ظلت المبادئ الجوهرية على الدوام .

ومن أكثر السمات المثيرة للدهشة خلال الدولة القديمة - والتي مازال يبهرننا تناسق أشكال ودقة نسب أهراماتها - تلك المكانة التي احتلتها المرأة ، منذ تلك الحقبة المتقدمة . وإذا كانت لدينا معرفة بالسير الذاتية النسائية التي ترجع الى تلك الحقبة ، فلا شك أننا سنحيط بالعديد من التفاصيل عن السيدة « بسشت » أول امرأة طيبة عرفتها الانسانية منذ الأسرة الرابعة .

ولكن هل كان هناك نقص فى الامتيازات النسائية خلال الدولة الوسطى كما اعتقد البعض أنهم تكشفوا ذلك ؟ وعموما ، فإن مصادرنا ليست غزيرة أو متنوعة بما فيه الكفاية لتأكيد ذلك . ولكن ، عند الاقتراب من الدولة الحديثة ، تساعدنا بعض المعلومات التي حفظت حفا أفضل ، والأكثر غزارة ، على اكتشاف امرأة متمتعة بحركة متعمقة الجذور ، ولا تعاني من الافتقار للعيش « حرة » .

وعلىنا ألا نسق فى الخطأ ! فإن المساواة التي لا نزاع فيها بين الجنسين بمصر ، لم تكن وليدة صراع خاضته ابنة النيل للحصول على « ترقية ما » ، مشتهة . لقد خلقها إله امرأة ، ولم يكن الأمر يتعلق بإنكار هذه الحال أن تكون زوجة ، وأما ، وربة بيت بجوار كائن عزيز يعرف كيف يرد على الجهود المبذولة ! هكذا كان المثل الأعلى . ولكن التنقيف والتعليم ، والتأديب بقيت من الأمور الأساسية بالنسبة لتكوين واعداد تلك التي - تبعا للقدر - كانت ستطالب بمجابهة الكثير من المسئوليات . وعلى ما يبدو ، لم يكن يوجد فى الواقع ، أى حاجز أو عائق ، يعمل على مقاومة رفعتها فى كل طبقات المجتمع .

ويمكننا أن نتوصل عن طريق تحليل معلوماتنا عن المرأة المصرية ، الى الاحاطة بشكل أكثر تحديدا وأكثر واقعية ، بعقلية وفن الحياة لدى سكان ضفاف النيل .

ولم تكن مواجهة واجبات واعباء ربة البيت بضمير وشجاعة مجرد حياة عاطلة ، كما أن مزاولة « مهنة » عابدة الهية بجوار كاهن طموح قوى من كهنة آمون ، لم تكن مجرد وظيفة عاطلة ( براتب بلا عمل ) . كما أن الزوجة الملكية المعظمة كانت تقلد بقدر من الالتزامات البلاطية والدينية ، بحيث لا يتبادر الى ذهنها البحث عن امتيازات أوسع مدى . كما أن أية ملكة أم تصبح وصية على العرش فى وقت الأزمات ، وأية ملكة تتوج فرعون - فى حالة افتقار العرش الى سلطة الملك الذكر « البالغ » - وكلهن قد قمن بمهامهن بمقدرة وفعالية ، متساوية ، على الأقل مع الرجال .

وخلاف ذلك ، كان مسموحا للجارية دائما بأن تبدى رأيها ، وفى أغلب الأحيان ، كان يسمح لها بتكوين أسرة مع أحد أقرباء أسرتها السابقين !

وأخيرا ، وفى نطاق هذا المجتمع ، حيث الالتزام المعنوى يحصل محل التبول والرضى القانونى ، فإن النظام الذى كان الزوجان يبرمان زواجهما بواسطته ، دون أن يعتقدوا بأنهما ملزمان بالتماس تصديق أى قرار انسانى أو الهى - إدارى أو كهنوتى - يبين كل الوزن المعترف به للكلمة ، وللثقة الممنوحة لأفراد الجنسين .

وتعتبر المكانة الخاصة بالمرأة ، فى نطاق المجتمع المصرى وقتئذ بمثابة أحد مظاهر هذه الحضارة التي عرفت كيف تجعل من الأم ومن الزوجة أو الابنة ، رمزا لأكمل مظاهر المساواة فى إطار أكثر الفروق منطقية واقناعا ، وهو حال كانت الأوروبية فى أوائل القرن العشرين - من عدة نواح - بعيدة عنه كل البعد .

جملة القول ، كانت المصرية فى عصر الفراعنة ، امرأة لها مكانتها . لم تكن نكرة أو مخاوقة مسترجلة ، ومن المؤكد أنها كانت سعيدة وراضية بتطابقها بهذا الموضوع ، محل الإعجاب :

« فرحة القلب الكبرى »

« الفريدة ، المحبوبة ، التي لا نظير لها ،



المرأة في العالم الالهى

الالهة المرأة

- (١) انظر نصوص الأهرامات مقبرة ١٤٦٦ ب .
- (٢) انظر أسطورة « هلاك البشرية » .
- (٣) « الثامون » هو اجتماع ثمانية عناصر في كيان واحد .
- (٤) هناك رواية مختلفة أحلت البيضة الكونية محل زهرة اللوتس « فخرج منها » الناطق « الشمسى الكبير الذى أزال الضمير » .
- (٥) بالرغم من اعتراض خالق العالم وبمساعدة « تحوت » .
- (٦) اننا نقترّب هنا من موضوع يعد كاجابة على رأى ديودور الصقلى ( ١ ، ٢٧ ، ٢ ) .
- « فى الواقع كان ديودور الصقلى يعتقد أنه تخليد لذكرى ايزيس » التى قامت بنشاط حاسم بعد موت أوزيريس . وقد عرفت المرأة المصرية الحرية التى تميزت بها .
- والأجدد بنا أن نשוב رأى تيودور ، الذى يتساءل ، عما اذا كان قد وجد « فى واقع الامر » تأثيرا للنظم البشرية على عالم الارباب . وهو يشير ، هنا قبل كل شيء الى النظم الملكية . ولدينا الدليل على ذلك عندما نحاول التمعن فى وضع المرأة . وبالفعل ، اذا كانت المصرية ، فى كافة العصور قد منحت حقوقا قانونية متطابقة مع حقوق الرجال - التى يعبر عنها فى عالم الالهة عن طريق اليسر الكامل الذى تصرف به الربيات فى كافة المناسبات - فان قانون زواج المحارم فيما بين الاخ والاخت ، أو بين الأب وبعض بناته ، الذى يتأكد كحقيقة أساسية فى عالم الارباب ، لا يقوم بدوره فوق الأرض ، الا فى نطاق الفراعنة . عموما ، كان ذلك بمثابة سابقة أعدت بذكاء تام ، قام ملوك مصر بإسناد تصرفهم عليها ، حتى يزيدوا من تأكيد انتساب العرش الى المجتمع الالهى .

- (٧) مقتطفات من النص الموجود بمقبرة الملك سبتى الاول .
- (٨) Rê الشمس ، الصورة الظاهرة لأتوم .
- (٩) نصوص الأهرام ، تعويذة رقم ٧٨٥ .
- (١٠) وكذلك تحتل صورة الالهة « نوت » ربة السماء سقف المعابد فى العصور المتأخرة ، أو داخل بعض التوابيت الحجرية ، خاصة منذ بداية الدولة الحديثة .
- (١١) سوف نرجع الى تناول المظاهر المختلفة للالهة حتحور ، عندما نتناول موضوع المرأة المدنية .
- (١٢) باللغة المصرية : اين حرت In-Heret .
- (١٣) إعادة التشكيل هذه أصبحت ممكنة خاصة بفضل الأيماءات التى اكتشفت بإحدى البرديات الديموطيقية ، وبالنص الخاص بالمعابد البطلمية والرومانية بمصر .
- (١٤) يبين لنا معبد الدكة بالنوبة ، الالهة ممثلة فى هيئة ليدوة - أم ، وقد تدلت فروجها .

أجمل جميلات العالم ،  
انظر إليها ، كمثل النجمة المتألقة فى العام الجديد  
على مشارف عام طيب .

تلك التى تتألق ، والتى تشرق بشرتها بريقا رقيقا .  
ولها عينان دواتا نظرة صافية  
وشفتان ذواتا نطق رقيق .

ولا تخرج من فمها أبدا آية كلمة نافهة .  
هى ، ذات العنق الطويل ، والصدر المتألق ،  
شعرها لون اللازورد اللامع .

ان ذراعيها تفوقان تألق الذهب .  
وأصابعها تشبهان كؤوس زهرة اللوتس  
انها ذات خصر نحيل وردفين

وهى التى تشهد ساقاها بجمالها ،  
ذات المشية المتسمة بالنبل

عندما تضع قدميها على الأرض .  
ويقبلتها تأخذ قلبى !

انها تعمل على أن تلتفت أعناق الرجال  
وكل واحد ( ممن ) تحييههم يشعر بالسعادة ،

ويحس ، عندئذ ، أنه / الأمل بين الشباب .  
وعندما تخرج من بيتها ،

يويا للناس ، عندئذ ، بأنهم يرون القرية الفضة .



شكل (٤٤)

شكل (٤٣)



(١٥) سوف تقدم حورس الشاب من خلال مفاخر ايزيس ، وهذه الولادة الجديدة كانت شعبية ، بتأكيد ، حكم الفرعون ، عند أول كل عام جديد ، في ١٧ يولية من التقويم الجولياني .

(١٦) الصلاصل والمفات ، كانت أدوات رمزية سوف نتناول دورها الرئيسي وهي في ايدى العازفات ، في مجال لاحق ، في تفصيل خاص بعمل المصرية في نطاق الطقوس الجنازية .

(١٧) أراد البعض أن يفسروا خطأ اليا « Ba » حسب المفهوم الغربى للروح .  
(١٨) بدأت تظهر تيجان الاعمدة هذه في نطاق الهندسة المعمارية منذ بداية الدولة الوسطى .

(١٩) من المؤكد منذ العصر الصاوى .  
(٢٠) عند رجوعها ، أحضرت معها الاله الصغير المشوه Bes .  
(٢١) وبذا ، فإن حتجور - سحمت توحى بالموت ، الذى تتبعه في الحياة الآخرة .  
(٢٢) المقصورة الرئيسية للالهة باستيت تقع في مصر الوسطى .  
(٢٣) أتمجت واجيت بأم الاله الجديد في الدلتا .  
(٢٤) أحسن وأحدث ما نشر من هذه الاناشيد ما ترجمه عالم المصريات الفرنسى فرانسوا دوما .

(٢٥) انها التى أخذت من معمرات الأهرام ، والتى كانت قد ظهرت فقط منذ أواخر الأسرة الخامسة .  
(٢٦) تتكون هذه الدلائل أساسا من تراتيل الدولة الوسطى والحديثة ، ومنها إحدى البرديات المحفوظة في برلين Berlin واسترشادا بكتابات هيرودوت ، وديودور ، وبلوتارخ بصفة خاصة .

(٢٧) وضحت إحدى الموضوعات في فيلة ما نراه في أحد النقوش البارزة بمعبد Sethi سيتي الأول في أبيدوس عن اجتماع جنازى للاله مع أختيه . وبفضل قصة شعبية ترجع الى عصر الرعامسة ، نجد أنفسنا في إطار المجال الالهى لنعيش كافة العناصر المأخوذة من عالم البشر الناقص خلال الفترة التى كانت الالهة ايزيس تكافح فيها من أجل انتقال ميراث زوجها المتحول الى أبيها ، وفي إطار المناظر ، ترى هذه الزبة ، اما جالسة أحيانا بين الالهة ، واما واقفة .

(٢٨) وجد هذا الوضع ، سواء في النقوش البارزة ، أو في هيئة تماثيل صغيرة من البرونز ، ولكن ، لإعادة تكوينها ، فنحن نجد لدينا العديد من الاشارات عنها في نصوص الأهرام ، التى سوف نستعين بها كما سبق أن ذكرنا ، بمزجها مع بعض المصادر الأخرى ، التى يكملها ما قاله الكتاب الكلاسيكيون ، وبصفة خاصة بلوتارخ .

(٢٩) أخذت هذه العبارة من نصوص « التوابيت » المجلد الثانى - فقرة ٩ .  
(٣٠) هناك رواية أكثر قدما جعلت منه محاربا مقداما .  
(٣١) انظر بلوتارخ ، فقرات ١٤ ، ٢٨ ، ٥٩ .  
(٣٢) أخذ هذا النص من بردية برلين رقم ٣٠٠٨ .  
(٣٣) أرجع الى الأثرى الألماني شلوت ، برديات متحف المتروبوليتان بنيويورك .  
(٣٤) أخذ هذا الاستشهاد من أسطورة « هلاك البشرية » .  
(٣٥) لعلنا لا ننسى أن هذه الرواية ترجع الى عصر الرعامسة والخاصة بصراعات حورس وست .

(٣٦) أخذت هذه الفقرات من الانشودة الكبرى لاييزيس المكتوبة على برديات Oxyshinches ، رقم ١٢٨٠ ، ٢١٦ ، ١٢١٤ ، من القرن الثانى قبل ميلاد المسيح .

## المرأة في اطار الملكية

(١)

- (١) جمعت هذه المقابر في أبيدوس .
- (٢) انها ، ضمن غيرها ، مقابر « منيت حتب » ، ومريت نيت ، .
- (٣) ربما كانت زوجته ، أميرة من اقربائه البعيدات للأسرة الملكية وان كان ذلك غير مؤكد .
- (٤) عثر على هذه الآثار الضئيلة بالخبينة الملكية ، بالدير البحرى ، .
- (٥) يمكن مقارنة « الجعارين التاريخية » بالميداليات التذكارية حاليا .
- (٦) استطاع البعض أن يثيروا الى علاقات مماثلة نسبت الى الملك سنفر .
- (٧) عثر على مقبرتها بالفيوم عام ١٩٥٦ .
- (٨) يتعلق الامر بمريت آمون - الصغيرة ، والتى ربما تزوجت بعد ذلك من سمنخ كارع الأمير المعترض عليه .
- (٩) عرفت باسم « عنخ اس ان باتون » الصغيرة .
- (١٠) اتخذت عند زواجها اسم « عنخ اس ان آمون » .
- (١١) أنجبت هؤلاء الزوجات الملكات المعظمت على التوالي ، كل من الأميرة « بنت عنات » ، والأميرة « مريت آمون » ، .
- (١٢) اعتبرت « حنوت مى رع » لفترة طويلة كأخت له .
- (١٣) نقدم هنا الترجمة المعقاة للأثرى الفرنسى ليفير .
- (١٤) سوف نعود الى هذا الموضوع ، عند دراسة أماكن الحريم .
- (١٥) ميتانيا أو نهارين .

(١٦) بالرغم من أن البعض اعتقدوا ذلك ، فليس هناك أى دليل يسمح لنا بأن نستنبط بأن هذه الأميرة الميتانية قد أصبحت الملكة « موت ام ويا » ، أمنحتب الثالث .  
(١٧) يعترض الكثير من الكتاب على ذلك الأمر ، الذى لا يمكننا التاكيد منه بواسطة النصوص .

(١٨) ذكرت بعض الكتابات في سيناء من العام الرابع لحكم بيبى الأول ، استنمه بجوار اسم أمه .

(١٩) هناك من يشك في ذلك مثل كلود فاندرسلين أحد المتخصصين المعاصرين .  
(٢٠) وفقا لقول كلود فاندرسلين .  
(٢١) لا يجب الخلط بين هذه الملكة الأم الباسلة اع حتب وبين ملكة أخرى تدعى المح حتب من المحتمل أنها كانت زوجة لكاموس ، والتى عثر ماريت باشا على حلبيها



الجنائزية الغربية من نوعها ، مدفونة بجوار بعض آثار موميائها ، عند سفح حصبة طيبة : وكانت جميعها ذات نمط رجالي . ولقد عثر على تابوت أعج حنب العظيمة زوجة سقننرع الثاني بالخبيئة الملكية بالدير البحري . ومع ذلك ، فربما أنه قد تم في لحظة إعادة دفن زوجة كاموس ، إضافة الجواهر التي أمكن انقاذها من عمليات الصلب والنهب في : الآثار الجنائزية ، الخاص بأعج حنب العظيمة ، والددة الملك أحسن . بعض الجواهر الخاصة بزوجها المتوفى كاموس ، والتي كانت تصاحب مومياءه . ومعظم هذه الأشياء ، لوحظ أنها باسم : المحرر ، أي أحسن .

(٢٢) أحسن Amosis أو Ahmès .

(٢٣) يبدو تماما هذا التقليد عن مفهوم نظام الامومة المصري .

(٢٤) كان ونلوك هو المعارض لهذا الرأي .

(٢٥) لا يتعلق الأمر هنا بتحديد تأثير ، تي ، باعتبارها زوجة ملكية عظمى بجوار المنحوت الثالث . وهو ما سوف نشير إليه بعد ذلك .

(٢٦) لو لم يكن هناك دور فعال قامت به الملكة ، تي ، في إطار الثورة الدينية التي قام بها ابنها ، فهناك ، على الأقل نوع من التأييد والاشتراك من جانبها .

(٢٧) حجز هذا المكان من أجلها على معظم الآثار التي قدمها لها ابنها .

(٢٨) في منظر المولد الإلهي هذا - الذي تصور على جدران المعبد الذي كرسه رمسيس لأمه ، بالرمسيوم - تبدل الإله : وفقا للأسطورة - في هيئة الملك خلال اتمام اللقاء بين الملك والملكة .

## (٢)

(١) احتفظ بهذه المجموعة بمتحف بوسطن .

(٢) نقش صورة الملكة أحسن نفرتاري ، بجوار الملك على إحدى مسلات أبيدوس ، المحفوظة حاليا بمتحف القاهرة .

(٣) يتعلق الأمر بدراسات جتون .

(٤) يبين هيز ، الذي نقب في هذا الموقع ، أنه يوجد في الأطلال التي ترجع إلى أواخر الحكم ( بدون شك حتى العام ٢٩ ) إشارات عديدة عن : سات آمون Sat-Amon في مقابل إشارة واحدة عن : لها ، بالنسبة لنفس الحقب ونفس المكان .

(٥) نقش هذه اللوحة الفاتكة الأهمية على جدران مقبرة خرونف ؟

(٦) يبدو على نفس الجدار الملك في الشرفة ، في هيئة طبيعية تكاد تكون زائدة عن الحد ، وقد اضطجعت لأول مرة مليكته نفرتي .

(٧) هذا التمثال النحفي محفوظ بمتحف برلين الغربية مع بعض أعمال أخرى للتمثال تحتتمس .

(٨) يلاحظ ذلك ، بكل وضوح ، في مجموعة التماثيل الضخمة المحفوظة بمتحف القاهرة .

(٩) كان توت عنخ آمون ، بدون شك ينتمي إلى الأسرة المالكة ، وكان على ما يبدو - أحد أبناء الملكة ، تي ، الصغار ، قريبا من باكت آتون أخته الصغرى . والأمر الأقل تأكيدا ، أنه قد يكون ابن : كيا ، إحدى الزوجات الملكيات لإخناتون .

(١٠) بعد موت الملكة نفرتاري بفترة قصيرة ، تلك المفضلة الكبرى ، يلاحظ من جديد ظهور هذه الزوجة الأولى أيزيس نفرت ، فوق عدد من اللوحات عند النيل في جيل السلسلة على سبيل المثال ، ممثلة بجوار ابنتها : خع أم واس ، كبير كهنة بتاح .

(١١) تمثال صغير للسيدة : ايمرت - نبس ، محفوظ بمتحف ليدن .

(١٢) عندما أصبح عن دور الإلهة : يوسعاس ، .

(١٣) لم تنلق الملكة الأم أعج حنب لقب : زوجة الإله ، إلا في الكتابات اللاحقة لعصرها ، أي بعد وفاتها .

(١٤) هذا الريش العالي ذو السطح المخطط خطوطا خفيفة منتظمة ، يختلف تماما عن الريش ذي : المحفوظات ، السبعة الذي يعطو تاج آمون .

(١٥) لكن نزيد من الوضوح في نطاق توارث مهام زوجة الإله ، يمكننا أن نحدد أولا ، أنه من الناحية النظرية يعتبر انتقال الوظيفة من واحدة إلى أخرى ، انتقالا من أم إلى ابنة ، وثانيا ، أن اللقب لا يتصل بالعرش ولا يعطى لحاملته الحق في ارتقائه . ولذلك فبعد الملكة توي ، والددة رمسيس الثاني ، لم يعهد إلى أي من الزوجات المعظمت بلقب : زوجة الإله ، ( ومن هنا نستطيع أن نخمن أنه لم تكن أية واحدة من هؤلاء الزوجات ابنة لتوي ) . ومع ذلك ، فمن الناحية العملية ، كانت زوجات الإله مرتبطات تماما بالعائلة الملكية .

(١٦) أخت آتون تعني : أفق القرص ، .

(١٧) وبدون أن نتقبل كافة الافتراضات ، فإننا نميل إلى عدم طرح هذا الاقتراح جانبنا تماما .

(١٨) مدينة بوهن ، خلال العصور القديمة .

(١٩) من عصر رمسيس ، كانت هاتان الربوتان تكوينان المكاين المعروفين باسم ابشك ومحا .

(٢٠) هنا ، نجد مرة أخرى السيدتين اللتين كانتا تجاوران الملك المنحوت الثالث عقب عيده اليوبيلي ، وبعد ذلك بفترة ما ، بجوار رمسيس الأول في عيده بأبيدوس .

## (٣)

(١) وفقا لترجمة لفيير لهذا النص .

(٢) نهارينا Naharina ، أو ميتاني Meitanni .

(٣) الفيوم : مي - أور Mee-our ، أو مر - أور Mer-our أعطت اسمها لبحيرة مورييس Moeris ، المسماة حاليا ببحيرة قارون .

(٤) يعرف حاليا ، باسم بحر يوسف .

(٥) رأس للملكة تي ، محفوظة بمتحف برلين الغربية .

(٦) باللغة المصرية : خكروت - نسوت Khékérout-nesout .

(٧) هذه الغزلان الصغيرة أصلها من سوريا ، وتعرف باسم « gazella dorcas » لها قرون مستقيمة تماما ، منحنية عند الحافة المدبية .

(٨) باللغة المصرية : حنوت - بر - رينيرع .

(٩) هذه العبارة تتطابق مع العبارة المصرية : ست عات مجت Set-aât-Medjet .



(١٠) ينطق هذا العنوان بالمصرية : خرد ان كب Khéred-en-kep

(١١) كانت تقع عتبة أمام قلعة قصر ابريم الهيبه ، التي اندثرت تماما . في عصرنا الحالي ، تحت بحيرة ناصر ( يبعد فقط ، من فوق سطح المياه ، قمة صخور قصر ابريم ) .  
(١٢) الالكتروم هو مزيج يحصل عليه بانصهار معدن يحتوي على ٧٥٪ من الذهب و ٢٢٪ من الفضة و ٣٪ من النحاس .

(١٣) Cercopitheque ( قرود الذئب ) هي قرود صغيرة ذات ذبول طويلة موطنها أفريقيا .

(١٤) نقلت الكتابات المنقوشة على الحجر الى متحف القاهرة .

(١٥) . اوجى سنوهى . . يمثل هذه القصة ، ليكاوالتارى Mika Waltari بقصته الخيالية .

(١٦) التي قام بتأليفها منذ عدة سنوات قام ليفيبر بترجمة هذا النص .

(١٧) اعلمتنا برديات لى - رولين Lee-Rollin ، التي يوجد جزء منها بلندن والجزء الآخر بباريس ، بأغلبية التفاصيل التي تتعلق بهذه القضية التاريخية .

(١٨) تبعا لاعادة التكوين الذي قام به دى باك ، وتشرنى .

(١٩) هذا هو ما اقترحه دى باك وتشرنى بعد دراسة دقيقة لكافة الدلائل المتبقية .

(٢٠) حريم القصر ، او بيت الرينيرت .

(٢١) حاجب الملك ، او بالأحرى سائق الملك ، فهذا ما كان يقوم به يوسف ببلط الفرعون .

(٢٢) لا يعرف بالضبط أية عقوبة أُنزلت بهم : قطع الرأس أم الحرق ؟

(٢٣) اسم عربي يعنى . . مثل اليهود .

(٤)

(١) منذ أوائل الملوك الذين جعلوا اسم سنوسرت وحتى آخر ملك جعل اسم امتمحات فى . ايت تاوس . كان كل من ( امتمحات الأول وسنوسرت الأول ) . وفى دهشور كان كل من ( امتمحات الثانى وامتمحات الثالث ) . وفى اللاهون كان كل من سنوسرت الثانى والثالث ) وفى هواره كان ( سنوسرت الثانى والهرم الثانى لامتمحات الثالث ) .

(٢) عشر على هذه الجواهرات ، أصلا فى مقابر . ايتا . و . خنوميت . فى دهشور . ومقابر سبتيس فى اللاهون ومقبرة نفروبتاح فى هواره .

(٣) هذا التاج معروض حاليا فى متحف القاهرة .

(٤) لا شك أن هذا الجمع كان يضم . فى أن واحد معبد ومقبرة الملكة .

(٥) غزلان ، التركاس dorcas . السومرية الأصل .

(٦) ما يعرف عن كنز هؤلاء الاميرات السومريات ، مخطوط الجزء الأكبر منه فى متحف المتروبوليتان بنيويورك .

(٧) صلبة - أم اختيار متعدد ؟ فمن الملاحظ أن الجمع لم يكن يقل فخامة وهو يجاور مجمع أخت الملك رمسيس الثانى الكبرى وصهرة القبل . وأطلق على الاثنين

Thya . ومجمع مايا Maya وزير ماليته - الذى كان قد بدأ عمله خلال حكم الملك نوت عنخ امون . وكذلك الخاص بزواجه مريت .

(٨) كانت ترتبط أغلبية هؤلاء السيدات النبيلات عاتليا بأوائل ملوك الأسرة التاسعة عشرة مباشرة وفى الأسرة العشرين ، دفنت به بعض الملكات زوجات رمسيس الثالث بجوار فور أبناء الملك الذين ماتوا فى مقتبل العمر .  
(٩) بعض النصوص تدفعنا لأن نرجع بالفعل هذه الطقوس الى حكم الملك امنحتب الأول .

(١٠) فصل و الشمو Shemou . يتطابق مع شهور الفيضان : من منتصف يولية حتى منتصف اكتوبر .

(١١) وصلت اليينا أغلبية هذه الحوليات ، بفضل بردية تورين الملكية البادرة .

(١٢) هناك مرسوم صادر من و مرنوع . أخيه يتعلق ببعض الانشاءات التي قد يكون امر باقامتها هناك ، ولقد اقترح عالم المصريات ، نيوبيرى ، بأنها للملكة نيت زوجة مرنوع نفسه .

(١٣) هذه الملكة الأشبهه ، بالطفيف . . أطلق عليها لفترة طويلة فى كتب الفارينج اسم سبك نفرووع .

(١٤) ويقترح عالم المصريات كراوس R. Krauss من جانبه فى بحث القاء فى المؤتمر الدولى الأول للمصريات الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢ الى ١٠ اكتوبر سنة ١٩٧٦ :

Meritaten as Ruling Queen of Egypt and Successor of her father Nipkhouria-Akhenaton.

ان هذه الفرعونة هي مريت اثون الابنة البكرية لاختاتون ونفرتيتى :

(١٥) تبعا لرأى جاردنر ، لم يكن هناك ملكان يحملان اسم سينتاح . كما كان يظن البعض . ولكن ملك واحد فقط .

(١٦) حاليا فى المتحف المصرى .

(١٧) هذه الصلة تعنى هنا كاسم علم . انها تتطابق باللغة المصرية مع ست رع وأطلق كاسم عند مولدها على أول ملكة بالأسرة . زوجة رمسيس الأول .

(١٨) يضع مانيتون فى نطاق تسلسل الفراغة فى هذا المكان الذى كان يمكن أن تحتله ترمى ، ملكا يدعى ثوريس Thuoris ، قد يكون أمضى أواخر سبع سنوات فوق العرش .

(١٩) ما تبقى من هذه الجواهرات محفوظ حاليا بالمتحف المصرى .

(٥)

(١) المظهر العدوانى التهجى الذى حوهر به فى العمارة .

(٢) الكرنك ، مكان معين ، يحد من الشمال ، بمجموعته الكبيرة من النصب الدينية للعاصمة القديمة طيبة . وتعد الأقصر بمثابة القسم الجنوبى منه .

(٣) هذه الاميرة زوجة امون ، لا يجب الخلط بينها وبين الملكة التى تحمل نفس الاسم .



- (٤) اسم بيغنجى كما كان ينطق منذ عدة سنوات ، صوب نطقه الى بيى Pèyè .  
 (٥) هذه اللوحة الضخمة معروضة بالمتحف المصرى .  
 (٦) فى هذا النقش البارز المعروض بمتحف اللوفر نرى جنيات الشمال والجنوب المتعلقة بالفيضان المسماة بـ Shapènipet .

(٦)

(١) هذا التمثال الصغير ذو النمط القريب من نوعه ، محفوظ بمتحف التاريخ القومى بشيكاجو .

(٧)

- (١) هذا التمثال المعروف جيدا للملكة فى كامل عظمتها ، معروض فى متحف المتروبوليتان بنيويورك ، ومنذ فترة وجيزة تخلص من الترميمات الحديثة التى كانت تشوهه .  
 (٢) هؤلاء الكريتيون من عصر حتشبسوت كانوا يعيشون منذ المينوس المتأخر .  
 (٣) أو : « حاسفون » Hasfoun أى « قرن أفريقيا » .  
 (٤) كل هذه المناظر توجد فى الشرفة الثانية ، عند وصف الأعمدة الجنوبية .  
 (٥) شقيق سننموت يدعى سنمن Senmen يحمل اسم جزيرة بيجه ، فى مواجهة فيله .  
 (٦) مقبرة أمحتب بغرب طيبة ، تحمل رقم ٧٣ .  
 (٧) كلمة حريم باللغة المصرية تنطق ايت ipet ، ومنها جاء اسم عيد الحريم ( لامون ) ipet .  
 (٨) ذكر عالم المصريات الأمريكى هيز سبعة منها ، ولكن هذا الرقم لا يمكن الوثوق منه .  
 (٩) هذه الأسطوانة محفوظة بقسم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر .  
 (١٠) « اله الحكماء » هذا أبرزه بوضوح وأظهره عالم المصريات الفرنسى ايتين دريوتون .

- ٣ -

## المرأة المصرية

(١)

- (١) انظر كتاب ليفر من القصص والروايات المصرية القديمة ، ص ٤٥ ، رقم ١٥ .  
 (٢) الـ nomarque هو حاكم احدى المقاطعات أو الاقاليم .  
 (٣) لم يكتشف شيء ، حتى الآن يسمح لنا بأن نحدد بكل دقة عمر أغلبية النساء فى مصر القديمة .  
 (٤) هذه القصة هى جزء من الحكايات الموجودة ببردية وستكاره المحفوظة بمتحف برلين .  
 (٥) فيما يختص بالزوج الذى يرتكب الخيانة الزوجية ، يرجع الى الفصل الخاص بالخيانة الزوجية والطلاق .  
 (٦) هذا التوضيح أبرزه جيدا سير آلن جاردنر .  
 (٧) ضمن هؤلاء المؤرخين ، يجب ذكر جاك بيرن .  
 (٨) اقتطف هذا النص من برديات متحف بروكلين ، تحت رقم ٢٥١٤٦ .  
 (٩) يتعلق الأمر باللوحة رقم ٤٢٢٠٨ .  
 (١٠) كان هذا الفلاح يعيش بقرية العمال الملكيين ، بدير المدينة ، خلال عصر الرعامسة .  
 (١١) قانون « الاملاك غير القابلة للتصرف » يمكن مضاماته بقانون الاوقاف بمصر الاسلامية .  
 (١٢) يتعلق الأمر بالبرديات المحفوظة بمتحف بروكلين ، تحت رقم ٢٥١٤٦ والتى ترجع الى أواخر الدولة الوسطى .  
 (١٣) هؤلاء الاسيرات كان يستعان بهن للعمل نساجات بحريم « مياور » .  
 (١٤) وفقا لما جاء ببردية القاهرة رقم ٦٥٧٢٩ .  
 (١٥) انظر بردية اللوفر التى تحمل رقم ٢٢٢٨ (A) .  
 (١٦) انظر بردية المتحف البريطانى المسجلة تحت رقم ١٠٠٥٢ (X) .  
 (١٧) يتعلق الأمر بأول حكمة بالجموعة .  
 (١٨) فيما يختص « بأبناء الكاب » kep « ارجع الى فصل « مدرسة الحريم » .  
 (١٩) هذه المعلومات مستمدة من برديات ولبور .



(١) يرجع الفضل الى فيشر لاحصاء هذه العناوين خاصة في الدولة القديمة .

(٢) هذه التفاصيل غير المتوقعة تقدمها لنا بردية بولونيا رقم ١٠٨٤ .

(٣) هذه المقطعات الشعرية مستمدة من بردية شستر بيتي .

(٤) نص مستمد من المجموعة الشعرية التي جمعها عالم المصريات الالماني شوت .

(٥) استشهد مستمد من بردية ايبيرس ، رقم ٤٦٨ .

(٦) بيئت هذه الوصفة ببردية ايبيرس رقم ٤٧٤ ، ٤٧٦ تبعا لليوفر .

(٧) اكتشف هذا النص ونشره دريوتون .

(٨) القطعة والنص الخاص بالسحر المنقوش على ورقة من الفضة المرصعة ، والانية المصنوعة من الطين المحروق التي كانت تحتوى على كل ذلك ، توجد بمتحف اللوفر .

## ( ٣ )

(١) هذه النصوص كانت تكتب بالخط الهيراطيقي المخالف للمألوف ومنذ القرن السابع قبل الميلاد كانت تكتب بالخط الديموطيقي .

(٢) هذه المقترضات عبر عنها بوضوح في خع ام واست .

(٣) هذه الأوستراكا ( كسرات من الحجر الجيري أو قطع من الفخار كان من المعتاد أن يكتب عليها الرسائل أو النصوص التي لا يجب ادراجها في المكتبات ) محفوظة بمتحف براج .

(٤) ينتمى الى مجموعات متحف برلين .

(٥) العديد من « الأوستراكا » احتفظت لنا بنصوص تنوّه عن هذا البند ، وبصفة خاصة أحدها المحفوظ بمتحف اللوفر .

(٦) اقترح ذلك واحد من أكثر مؤرخي القانون المصري قديرا ومنزلة ، وهو بيرن ، مقتبسا آراء مرجريت ماري .

(٧) يعتقد عالم المصريات شفيق علام أنه عثر على مثالين فقط لتعدد الزوجات في تاريخ مصر القديمة كله ، أما كيلى سمسون فقد ذكر ١٢ حالة منها عند تحليله للأدلة التي عرفت ، خاصة ، من خلال الدولة الوسطى .

(٨) لوحة رقم (٥١) .

(٩) لوحة رقم (٢) .

(١٠) حكم بتاح حتب برقم ١٩ .

(١١) التعبير المستعمل لوصف هذه المعاشرة بين الزوجين هو : « يعيش مع » .

(١٢) الكلمة المستعملة لاعطاء معنى « يطلق » هي « خاع » Khaâ .

معنى طرد أو ابعاد .

(١٣) الكلمة المستعملة للتعبير عن الطلاق في اللغة المصرية القديمة ، كانت الفعل « شم » Shem ، التي كانت تعني « الدعوة للرحيل » .

(١٤) ترجع الى حكم بتاح حتب ، وأصل النص الذي عثر على نسخ عديدة منه الى حكم الملك « اسيسي » Isesi ، من الأسرة الخامسة . وكان بتاح حتب وزيره ، والمخطوط الأكثر قدما المعروف حتى يومنا هذا يرجع الى الدولة الوسطى ، وهو محفوظ بالمكتبة الوطنية بباريس . تحت اسم برديات ايبيرس ، وفقا لأول مالك لها في العصر الحديث .

(١٥) يبدو أن النص الخاص بحكم أنى يرجع الى أوائل الدولة الحديثة . وكان أنى كاتباً لدى الملكة أحمس نفرتاري ، زوجة الملك أحمس الأول . وقد عرف العديد من نسخ هذا النص الذي يصعب ترجمته للغاية . وأكثر النسخ اكتمالا هي اللوحة رقم ٨٩٣٤ المحفوظة بمتحف برلين .

(١٦) حكم أنى ٨ ، ١ ، ٢ .

(١٧) هذا النص مأخوذ من برديات اينسجر من العصر المتأخر .

(١٨) حكم أنى ٢ ، ١٥ ، ١٩ .

(١٩) للتعبير عن فعل الخيانة الزوجية ، يستعمل المصري الفعل « عاشر » الذي يعنى : « جامع » .

(٢٠) انظر ديودور الصقلي ١ ، ٧٨ .

(٢١) هذا ما بينه عن حق « اير » C. J. Eyre ، الذي قام حديثا بدراسة هذا الموضوع .

(٢٢) عرف هذا المكتوب باسم بردية هاريس .

(٢٣) وفقا للين ، الذي قام بدراسة عادات وتقاليد الفلاحين المصريين ، خاصة خلال القرن التاسع عشر .

(٢٤) هذا الافتراض قدمه بيير مونتيه .

(٢٥) هذه التسمية ، « المرتدية ملابسها » ، خلعت أحيانا على الخيلة ، وهذا غير مقنع تماما .

(٢٦) هل كان هذا الاحتياط يهدف الى التأكد من خصوبة الرفيقة المختارة ، أم أن الرجل كان يفتقر للمال للدرجة التي لا تجعله يرد مبلغ المال ، مرة واحدة ؟

(٢٧) يتعلق الأمر بقصة خع ام واس .

(٢٨) بكل تأكيد ، يجب تتبع أدجارتون في ظنه بأن هذه الأيماءات عن عيد الزواج تعتبر كإشارة لذكرى تقاليد أعرق قدما .

(٢٩) في هذا الصدد ، من الممكن الرجوع الى مشهد المولد الإلهي ، حيث صور ، من أجل استرجاع مشهد اللقاء الجسدي بين آمون ومن اصطفاها فوق الأرض ، فقط الزوجان وهما جالسان الواحد في مواجهة الآخر ، وركبتهما تكادان أن تتلامسا .

(٣٠) الجلجلة ذات الاجراس Crotales هي صناعات صغيرة مستديرة مصنوعة من النحاس .

(٣١) الذي يسأل نفسه هذا السؤال ، هو بستمأن أحدث من قام بدراسة عقود الزواج في مجموعتها .



- (٨) مأخوذة من الفصل الثلاثين ، بكتاب الموتى ، الخاص بنص ، جعران القلب ، .  
ترجمة بول بارجييه .  
(٩) قام جاردينر بترجمة هذه النصوص التي قام شوت بجمعها .  
(١٠) قدم شوت هذا النص وكذلك الاستشهاديين التاليين .  
(١١) يتعلق الأمر هنا ، بدون شك ، بالأجر اليومي الذي يقدم للمعلم ( يرجع إلى الفصل الخاص بتعليم الطفل ) .  
(١٢) هذا النص مستمد من ، حكم أنى ، ١٥ - ٨ ، ١ .  
(١٣) يتعلق الأمر ببردية كاهون ، رقم ١ .

## ( ٦ )

- (١) حكم أمنموبى رقم ٢٦ ، ١٠ .  
(٢) قدمت هذه المعلومة من خلال أوستراكا محفوظة بمتحف تورين تحت رقم ٥٧٠٠١ .  
(٣) هذه الوصفة من بردية كاهون رقم ٢ .  
(٤) لا شك أن من كتبوا بردية كاهون رقم ٧ لم يكونوا يعلمون أن هذا العلاج استمر متبعاً حتى القرن العشرين .  
(٥) اقتبس هذا الاستشهاد من شفيق علام .  
(٦) هذه الرسائل كانت تكتب ، في أغلب الأحيان على الأوانى . ولما كانت تكتب على البردى ، ولقد اكتشفها العالمان الشهيران جاردينر وزيتة .  
(٧) أكثر النصوص أهمية بهذه المجموعة ذكر في بردية ليدن رقم ١ ، ٣٧١ .  
(٨) هذه الافتراضات المقبولة جداً ، قدمها كل من علماء المصريات ثيودوسيدس ، Théodosidès .

- (٩) الخطاب الثانى رقم ١ - ٤٢ .  
(١٠) الخطاب الأول رقم ١٤ - ١٥ .  
(١١) حكم أنى ، ١٤ ، ٦ - ١١ .  
(١٢) يتعلق الأمر ببردية لاتستيج رقم ٨ ، ٧ - ٤ .  
(١٣) يتعلق الأمر بالفقرة رقم ١١٠ من قانون حمورابى .  
(١٤) حكاية أون آمون ٢ ، ٦٨ - ٧٢ .  
(١٥) قدم ليفنر الترجمة فى ، قصص وحكايات ، .  
(١٦) حكم أنى رقم ٨ ، ١٥ .  
(١٧) حكم بتاح حنب رقم ١٨ .  
(١٨) نص منقوش فوق تمثال القاهرة رقم ٤٢٢٠٦ .

- (١) حكم أنى ، ٦ ، من ١ إلى ٦ ، ١٠ .  
(٢) دور حارس الباب هذا يتطابق تماماً مع دور ، البواب ، فى مصر الحديثة .  
(٣) الكلمة المتطابقة تماماً مع كلمة ، جرد ، هى ، أيمت بر imet-per .  
نى ، الموجود بالبيت ، .  
(٤) ذكر هذا النص عن عالم المصريات الألمانى شوت .  
(٥) يوجد نفس هذا الجزء فى البيوت الحديثة بالقرية المصرية باسم ، الملقف ، .  
(٦) أرجع إلى ليفنر ، ، قصص وحكايات مصرية ، .  
(٧) ذكر هذا النص من مجموعة شوت : ، أغنيات حب ، .  
(٨) عشر أيفرسن على هذا النص ، ثم قام بدراسته ، وتبعه فى ذلك ليفنر .  
(٩) استمد هذا النص من بردية برلين رقم ١٩٩ ، ظهر الصفحة ٢ ، ٢ - ٢ .  
تلك الوصفة ، من المحتمل جداً ، أن الرمل كان يستعمل بمثابة قاعدة ودعامة لحبوس الشعير والقمح ، أما التمر فكان بمثابة السماد .  
(١٠) استمد هذا النص من الكتابات بمعبد اسنا .  
(١١) انظر ، مكان سابق ، مولد الفرعون حتشبسوت .  
(١٢) العبارات المذكورة أخذت من دراسة كل من جيون والعدالى .  
(١٣) هذه الفقرة من بردية وستكار ذكرت وفقاً لما نشره ليفنر .  
(١٤) أخذت هذه الوصفة من بردية ايبيرس الطبية .  
(١٥) هذه البرديات التى تتعلق بحماية الوليد حماية سحرية ، نشرها ، فى الماضى ارمان .  
(١٦) يملك متحف اللوفر نسختين من هذا التمثال الصغير الذى لابد أنه كان شائع الاستعمال .

## ( ٥ )

- (١) هذه البرديات الطبية الخاصة بمصر القديمة ، عرفت فى أيامنا هذه باسم ، بردية كاهون ، الطبية ، أو بردية ايبيرس ، وهو اسم المشتري المعاصر لها ، كما عرفت أيضاً باسم بردية برلين الخ ...  
(٢) أخذ من بردية ايبيرس ، تبعاً لليفنر : دراسة فى الطب .  
(٣) ، كتاب الأحلام ، ، هو موضوع إحدى برديات شسترييتى الذى قام بشرائها .  
(٤) هذه المغامرة أعاد ، فارد ، تجميعها من جديد ، ويبدو أنها تتطابق مع واقع الأحداث ، وتلك القصة لم تكن الوحيدة !  
(٥) أخذ هذا النص من قصة ، الصدق والكتب ، ، وفقاً لما نشره ليفنر .  
(٦) قدم شبيجليرج ترجمة لهذا النص .  
(٧) أخذت هذه الجملة من لوحة محفوظة ، بمتحف جولبنكيان بلشبوتة .



خانمہ

(١) انظر الفصل رقم ٧٥ .

(٢) مقتطفات من قصائد الحب المتضمنة ببردية شمسفر بيتي رقم ١ ونشرها السيد  
الن جاردنر \*

(5)

## بیلیو جرافیا

مجلسه اول - ۱۳۴۴

2000

211-10

11. 5. 11.

وہی ہے جس نے ان کو

[illegible]

1. 15-20

[illegible]

02.1-209A

... 12. 12. 1971



## التقويم المصرى القديم

هذه التواريخ ليست محدودة ولكنها تقريبية . وفيما يلى العصور الرئيسية :

- العصر الحجري الحديث
- حضارة البدارى
- حضارة العمرى
- حضارة جرزة
- بداية التاريخ ، وتوحيد مصر ، ظهور الكتابة
- العصر الثينى : الأسرتان الأولى والثانية
- الدولة القديمة : الأسرات من الثالثة الى السادسة
- من الملك سنفرى الى بيبى الثانى ( أطول حكم ملك فى التاريخ ) : الأسرة الرابعة : عصر الأهرام الضخمة ( خوفو ، خفرع ، منكاورع ) .
- الملكة نيتوكريس : حوالى عام ٢١٥٠ ؟
- عصر الانتقال الأول : من الأسرة السابعة الى العاشرة ٢٢٠٠-٢٠٦٠ تقريبا . مرحلة مضطربة ، ملوك عديديون ، زيادة سلطة حكام الأقاليم . هركليوبوليس ضد طيبة التى انتصرت أخيرا .
- الدولة الوسطى : الأسرة الحادية عشرة والثانية عشرة ٢٠٦٠-١٧٨٢ تقريبا . ملوك تسموا باسم منتوحتب ، وامنمحات ( من الأول الى الرابع ) وسنوسرت ( من الأول الى الثالث ) .
- عصر الانتقال الثانى : الأسرات من الثالثة عشرة الى السابعة عشرة ١٧٨٥ - ١٥٥٤ تقريبا فوضى ، وتفتت السلطة ثم حكم الهكسوس . أمراء طيبة سقنرع تاع - كامس - أحمس : تحرير البلاد من الهكسوس وطردهم .



١٠٨٠-١٥٥٤ تقريباً

★ من ١٥٥٤ - ١٢٠٥ تقريباً الأسرة الثامنة عشرة : حكم الملوك أمنحتب ( من الأول الى الرابع ) والتحامسة ( من الأول الى الرابع ) . حوالي ١٥٠٤-١٤٨٢ : حتشبسوت : الوصاية ثم سلطة ملكية كاملة . ثورة أمنحتب الرابع اخناتون ( نفرطيتي ؟ ، وسمنخ كارع ) ، وتوت عنخ آمون ، وآي ، وحور محب .

★ من ١٢٠٥ - ١١٩٦ : الأسرة التاسعة عشرة : رمسيس الأول ، وسيتي الأول ، ورمسيس الثاني ( ١٢٩٠-١٢٢٤ ) ، ورمسيس خامس ، وسيتي الثاني وسيتاح والملكة تاوسرت ( ١٢٠٤-١١٩٦ ) .

★ من ١١٩٦ - ١٠٨٠ : الأسرة العشرون : ست نخت ، ورمسيس الثالث الى الحادي عشر .

العصر المتأخر : من الأسرة الحادية والعشرين الى الثلاثين .

١٠٨٠-٢٢٢ تقريباً

★ ١٠٨٠-٩٤٦ : حكم متزامن لملوك تانيس

( سمنس ، ويسونس ، وسيامون . الخ )  
وكبار كهنة آمون ( حريشور - وبيعتي -  
وينجم - الخ ) في طيبة مع العابدات الالهيات .

★ ٩٤٦-٦٦٤ : الأسرة السادسة والعشرون :

عصر النهضة الصادي ( بسماتيك ) ، ونخاو ،

امازيس . الخ ) .

★ ٥٢٥-٢٢٢ : من الأسرة السابعة والعشرون الى الثلاثين . قمبيز

يفزو مصر . فترتان امازيي . الخ ) .

السيطرة الفارسية من دارا الأول الى الثالث

( اريانديس الحاكم الفارسي على مصر ) .

آخر الفراعنة : نفرطيس ، وحاكوريس ( الأسرة التاسعة والعشرون ) .

ونقتانبو الأول والثاني ( الأسرة الثلاثون )

معركة اموس : الاسكندر يحتل مصر ٢٢٢ - ٢٢٢

ملوك مقدونيون ( الاسكندر الأكبر ، وفيليب ٢٢٢ - ٢٠٥ )  
اريديوس والاسكندر الرابع .

الفراعنة البطالمة : من بطليموس الأول الى ٢٠٥-٢٠

الثاني عشر ، ومن كليوباترة الأولى الى السابعة ( كليوباترة السابعة هي التي حكمت فقط ) .

مصر الرومانية

من ٢٠ قبل الميلاد الى ٦٤٠ ميلادية



## المصادر الأصلية

لا ريب أن تناول تاريخ ودور المرأة في مصر الفرعونية ، أى على مدى حقبة كاملة مداما حوالى ثلاثين قرنا - منذ فجر الدولة القديمة حتى آخر الأسرات - يعد عملا محفوقا بالمصاعب .

والحقيقة أن طبيعة هذا المجال والآثار المتبقية منه التى تبدو دائما فى صورة مجزأة بعيدة عن الاكتمال لا تسمحان لنا بأن نرسم صورة شاملة وكاملة له .

ويلاحظ أيضا أننا لا نمتلك حتى يومنا هذا النصوص الكاملة التى تتيح لنا التعرف على هذا المجتمع العتيق بصورة شاملة ، ورغم أن الكتابة ظهرت فى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد .

وربما استطاعت الأبحاث والدراسات وأعمال التنقيب المقبلة أو الحالية أن تستكمل تدريجيا معارفنا فى هذا المجال وفى غيره .

ولا ريب أن المعرض الذى نظمته الأثرى الألمانى « د . فيلد لانج » بمدينة ميونخ ومنها الى العديد من العواصم الأوروبية ( ميونخ ، برلين ، بروكسل ، برشلونة ، مدريد ، جنيف ) قد سعى الى اعطاء رؤية صائبة للمكانة التى احتلتها المرأة على ضفاف النيل الفرعونى عبر العصور .

وعندما يتصل الأمر بسجل أكثر شمولا ، وبتقديم دراسة تستند الى معلومات ضافية لنا أن نتساءل هل من الضرورى أن نقدمها فى صورة تاريخية متتابعة أى حقبة بعد أخرى - كما فعل فيركوتيه مثلا - أم ينظم البحث وفقا لمختلف الدلائل والمظاهر والمفاهيم المتصلة بالأنوثة ، وهو التزامنا به هنا ؟

ولا ريب أن تحليلا سريعا للمصادر التى أتاحت للدراسة سوف يبرر هذا الاتجاه الذى نحونا نحوه فى هذا الكتاب .

## المعابد :

من المؤكد ، أن أى بلد آخر فى الأزمنة المعنة فى القدم ، لم يورثنا أكثر مما ورثتنا مصر الفرعونية من أدلة وبيانات عن حضارة مذهلة

وخارقة . ومع ذلك ، فمن ناحية ، يلاحظ أن أكثرها قد انمحي تقريبا من الوجود ، وأن أغلبية ما تبقى منها يتطابق مع عصر الدولة الحديثة والعصور الاغريقية - الرومانية ، وهذا يعمل ، وبالتالي ، على تحديد وتقييد مجال التقصى والبحث ، ومن ناحية أخرى ، وبصفة خاصة ، فإن هذه المعلومات تعتبر من الناحية الفعلية ذات نزعة دينية وجنازية .

وفى هذه الحالة ، فإنه من الطبيعى أن هذا الارث الذى ورثته لنا الأزمنة المعنة فى القدم ، يسمح لنا ، بطبيعة الحال ، بذكر المدلول والمعنى المقدس للنظام الفرعونى ، والمجد الذى أضفى عليه ، والدور الفائق القوة الذى كان يقوم به رجال الدين . ومن حسن الحظ أن اكتشاف بعض الكتابات النادرة ، والبرديات التى كتب لها النجاة من تلاطم أمواج العصور - تاركة بعض الالامح والاشارة عن سياق الطقوس والاحتفالات بالأعياد - يوفر لنا توضيحا عينا عن كثير من الموضوعات .

ولكن ، فوق جدران المعابد ، التى غطيت بأشكال الآلهة ، لا يوجد شيء محدد فعلا عن رعايا الملك ، وفى معظم الأحيان ، يشاهد ، وجها لوجه ، الملك واحد أشكال الآلهة ، تعبيراً عن التبادل الشعائرى ، للقرابين والغطايا . وبذا ، فعاداً عسانا نستطيع أن نستمد من هذه النصب والسطوح ، لكى نعيد تكوين وتشكيل تاريخ المرأة فى مصر القديمة ، هنا يجب أن يتم البحث والتحقيق بواسطة الاستنتاج والاستنباط ، مع الاعتماد ، فى بداية الأمر على ما نشاهده . وهناك ملحوظة تمهيدية يجب ذكرها : أن الأشكال الأنثوية للآلهة تظهر منذ العصور الأولى ، بمثابة جواهر وكيان حامى ومثبت للملكية . فأنثى النسر وأنثى الكوبرا « نخبيت Nekhebt » و « واجيت Ouodget » ، يجسدان المناطق التى يستطيع الملك أن يمد سيطرته عليها ، وفى نفس الوقت ، تسهران على رعاية هذه المناطق . بوساطة التلاعب اللفظى الرمزى السائد وقتئذ ، فقد مثلنا بالتاج الأبيض الخاص بمصر العليا ( حجت hedget ) ، والتاج الأحمر الخاص بمصر السفلى ( دشر desheret ) . وهذان التاجان كانا يكونان معا ما يعرف بالقوى ( باسخنم Pasekenm ) الخاص بالفرعون ، والذى أطلق عليه الاغريق اسم البششتن Pschent .

وفى كل مكان على أجزاء الجدران المتبقية التى ترجع الى الدولة القديمة والوسطى يمكن ملاحظة وجود الرباب ، اثباتاً بأن التعبير الالهى الأنثوى ليس مستبعدا أبداً وفقاً لما أكدته ، بطبيعة الحال ، النصوص الدينية العتيقة ، والتى ظهرت لأول مرة على جدران سراديب الأهرام ، بداية من عصر الملك أوناس ، آخر ملوك الأسرة الخامسة ، بعد ذلك ، فإن النصوص الخاصة بالتوابيت الحجرية ، فى الوقت الذى تكونت فيه الدولة



الوسطى ، قدمت عنهن نسخة جديدة تتماثل مع « التفسير » . ( هذه النصوص حل محلها بعد ذلك ، في المجال الجنائزى منذ الدولة الحديثة ، كتاب « الخروج نهارا » الذى أطلق عليه علماء المصريين ( كتاب الموتى ) .

وماذا يمكن أن يقال عن المناظر والأشكال الواضحة للعيان ، فى مقصورات الدولة الحديثة المجيدة ؟ فعلى غرار العصور الأولى ، كانت الريات يمثلن وهن بمفردهن ، وأحيانا وهن يتلقين التسابيح والولاء الملكى ، وأيضا وهن يواكبن الإله ويرافقنه : أنها صورة المرأة الحرة ، وصورة للزوجين معا . وأيضا ، يظهر « الثالث كاشارة كاملة عن الأسرة التى يمثلها الرجل والمرأة اللذان يخدمهما وريثهما . وبهذه الطريقة تتكرر هذه المجموعات عبر العصور ، حتى تصل الى جدران المعابد فى عصور البطالة والرومان اللذان رضخا للتقاليد الفرعونية واتبعوها .

ولقد صورت الملكة أيضا على جدران المعابد بمصاحبة زوجها ، وقد أحاطت بها أسى آيات الاحترام والتبجيل . ولكن ، لا شك أن ذلك قد تكرر كثيرا ، منذ اللحظة التى مر فيها التعبير الخاص بالمورع والتدين المفرط والمفهوم الإلهى ، بتغير وتحول عميق المدى ، خلال حكم امنحتب الثالث ، لدرجة « انفجاره » فى عصر امنحتب الرابع العظيم ، الذى عرف باسم « أخناتون » . ومنذ ذلك الحين ، فإن دور الملكة ، فى نطاق الدين ، وفى المجال التاريخى ، أخذ يبدو فى مظهر جديد . . . أو على الأقل سلطت عليه أضواء مختلفة . ومع ذلك ، فإن بعض الأدلة التى تقدمها بعض التماثيل والمسلات ، تبين ، بخلاف ذلك ، تلك المكانة الرفيعة التى احتلتها الملكات الأول فى بداية الأسرة . ولو فرض أن بعض الآثار ذات الأهمية الماثلة ، والتى ترجع الى عصور سابقة ، قد بقيت لسكى نراها ، فربما استطعنا تبين الجوهر والخلفية الأساسية ، من خلال تطور الشكل . ولكن فى الوقت الحالى ، فإن مثل هذا التسلسل يعتبر منعزلا بالنسبة لنا ، وبذا ، فإن دراسة السياق التاريخى للبحث تبدو عويصة وشاقة .

وبالنسبة للدول الحديثة ، فإن المعابد كان من السهل بلوغها ، الى حد ما ، ولكن ، وأيضا على جدرانها المتبقية تبدو ظاهرة اعلام تاريخى ، فتقوم الصورة بتفسيره وشرحه : حملات خارج الحدود ، وحروب متواصلة من أجل الدفاع عن الوطن ، وأحياء الأعياد الكبرى . وحقيقة أن الهدف يرمى الى غاية دينية ، ولكن الموضوع نفسه ، يشير الى حقيقة دنيوية . وبذا ، فمن الممكن أن نتابع حتى الآن ، فوق الجدران

التي عثر عليها بالدير البحرى ، ذكرى جزئية من الأحداث التى أرادت الملكة حتشبسوت أن تخلدها .

ولا ريب أن النظم قد تطورت عبر القرون ، وخلق وظائف جديدة ، وفقا لمتطلبات العصر : وبدون المقصورات التى أقامتها « العابدات الإلهيات » ، فنحن لم نكن لنستطيع أن نعلم سوى القليل جدا من هؤلاء الملكات الكاهنات ، اللاتى عمل الكهنوت على أن تكرر من أجلهن المزايا التى أصبحت بمثابة نظاما ، من أجل حماية ملكية أيلة للسقوط ، بداية من العام الألف قبل الميلاد .

وعند الاقتراب من المعابد البطلمية ، فإن أى قصة تبتعد عن الميثولوجيا البحتة ، قد أبعدت مرة أخرى ، من النقوش البارزة ، حيث انحصرت أغلبية المناظر على اللوحات التقليدية ، التى تمثل تقابل الأشكال الإلهية مع الملك لشكل متكرر الى ما لا نهاية ولكن الكتابات الهيروغليفية ذات الأشكال الفنية المحيرة ، فقد كثرت وزادت ، ولعل الكتب ، لكى يؤكدوا السمات والصفات الثابتة والمستقرة للحقائق التى عبر عنها فى الماضى ، عن قصد بأسلوب غامض مبهم ، قد سمحوا لنا عندئذ بفك رموزها ، حيث فسرت ونوقشت ، بشكل واسع النطاق ، فى أواخر المغامرة الفرعونية الطويلة المدى .

#### التمائيل :

منذ عصر الأهرامات ، وضحت لنا التماثيل الملكية ، من وقت مبكر ، بواسطة مجموعات تماثيل الملك منكاورع وزوجته ، أو بواسطة مجموعات « الثالث ، المثلة فى صورة الملك ، وقد نحتت فى نفس مقاييس تماثيل الريات اللاتى يحطن به ، وضحت لنا اهتماما من ناحية التساوى والتكافؤ الذى لا جدال فيه - ولا حتى نقاش - فيما بين الجنسين فى المناطق الإلهية ، أو العالم الملكى .

أما عن التماثيل فى المجال المدنى ، فهى تسمح لنا ، فى هذا المجال ، أن نلاحظ بعض السمات المشابهة : لتساوى فعلى بين الزوجين ، وقد مثلا غالبا فى الأعمال المجسمة . فها هنا فعلا تمجيد للحياة العائلية ، فإن مقياس ووضع أصحاب التماثيل ، لا يمكن قطعا ، أن ينم عن أى نقص أو ارتفاع ، فالرجل يبدو واقفا والمرأة جالسة أو بالعكس . ومن الممكن أن تكون أطوالهما متساوية ، أو تكون المرأة أيضا أقل طولا من زوجها ، ولكن فى أغلب الأحيان ، فهى تطوق زوجها من جذعه ، أو تضع يدها على كتفيه . وأحيانا أخرى يمثلان وهما واقفان ، وقد تشابكت أيديهما ، وهذا يوضح المساواة والتفاهم الكامل ، يضاف اليه فيما حولهما ، صورة الأبناء اللذين انجبوهما .



عندما تقدم المقبرة والمقصورة الجنائزية على جدرانها رسالة منقوشة ومرسومة ، تبدو لنا عندئذ صورا ونصوصا مخصصة للغاية ، لتحولات الملك ، وعموما ، فإن هذا الموضوع يخرج من نطاق حديثنا . ولكن هناك شرح تفسيري للكتابات ، قد يتفاوت تشدده ، وفقا للعصور التي ترجع اليها هذه الكتابات ، يبين عن نصوص دينية أصلية فريدة للغاية حيث يكشف لنا عالم الآلهة مرة أخرى ، من المكانة الوظيفية القاصرتين على مختلف مظاهر « مجتمع الرباب » الأنثوي ورموزه الرئيسية .

أما عن المقاصير الدنيوية ، حيث كانت تقام الشعائر للموتى ، فقد كانت تعتبر كهزة وصل بين المتوفين وبين « من بقوا فوق الأرض » ، وكانت جدران أغلبيتهم ، فى كافة العصور ، وبالرغم من تعاقب القرون ، تزين بمناظر عن الحياة اليومية ، والمهنية والزراعية ، فى الحقبسات المعنية ، وبدون شك ، ففى هذا المجال أيضا ، تطورت الأشكال ، وفرضت أنماط نفسها ، كما طرا على تصفيف الشعر والثياب بعض التغير ، ولكن مما يثير العجب ، هذا الوفاء الواضح ازاء المواضيع التى اختيرت وعولجت من قبل .

ولكن هذه المناظر كانت أيضا بمثابة صورة للحياة الفعلية - حتى اذا لم تكن تمثل الشكل الدقيق للحياة اليومية فى الحياة الدنيا لصاحب المقبرة ، فقد كانت ، على سبيل المثال ، تفيد خلق الأجواء العامة لحياة أحد موظفى الدولة ، أو لأحد ملاك الأراضى ، مع بعض اللمسات النادرة المحددة تماما ، والتى تتعلق بوظيفة الشخصية المشار اليها .

ومع ذلك ، فسواء كانت المقبرة قد كرسست من أجل أحد كبار الموظفين ، أو لمجرد فرد من الطبقة المتوسطة ، فإن الزوجة تبدو فى الرسومات وهى مصاحبة لزوجها ، متمتعة مثله بالقرايين الأساسية وباستعداداتها المتعددة . فالخبز الذى يقدم يعنى أنه بمثابة نتيجة لبذر الحب ، والحصاد ، الدرسي البدائية ، التى تسبق عملية سحق الحب ، الذى يطحن دقيقه ، ويعد بأيدي النساء ، بكافة الأشكال التى يشكل بها العجين من أجل الخبز .

كما أن سيد البيت يقوم أيضا فى بعض الأحيان بمكافئة العائلات اللاتى كن يجدن نسج أرق أنواع الكتان . كما أن الراقصات والموسيقيات اللاتى يدخلن البهجة على اللوائم الجنائزية التى يشارك فيها الرجال والنساء ، يبدون هنا ، ليذكرتنا باحدى الأعمال المختارة لدى النساء .

ولكن ليس هناك شىء خاص فى كل هذه النقوش البارزة والرسوم ، يمكن أن يعلمنا بالحياة الخاصة والأحداث المتعلقة بحياة واحدة أو أخرى من النساء ، أو عن التطلعات الطموحات الخاصة بمجموعة ما بين السيدات أو المواطنات العاديات ، وتكشف هذه الآثار عن تفريق واضح ما بين الخادمة وبين السيدة ، ولكن لم يحدث بعد أن استخرجت من القبور سيرة ذاتية لسيدة ما حتى ولو مختصرة ( ولكن ، وكما سنتبين بعد ذلك ، بواسطة النصوص القضائية التى عثر عليها ، يبدو أننا قد بدانا نحيط احاطة جيدة بالقانون الخاص بالمرأة ) .

اذن فالمعلومات تستنبط من التحقيقات والاستقصاءات التى تتم باستمرار ، سواء باستجواب هذه الأثام التاريخية والجنائزية التى نين لها ليس بما تقدمه لنا من رؤية عامة سقط ، ولكن تستنبط بصفة خاصة من التنقيبات التى تتم فى أرض نفس هذه التجمعات الأثرية الضخمة ، وفى اطلال التجمعات المدنية القليلة حيث أمكن اتمام الأبحاث : اشياء من الحياة العامة ، ومستندات مكتوبة حفظت بقاياها باعجوبة : محفوظات ( أرشيف ) القصور ، مراسلات دبلوماسية ، أوراق ادارية ، قصص شعبية كتبت من أجل تعليم الآداب الكلاسيكية فى المدارس ، كتب فى الحكمة والأمثال ، وفى الطب والصيدلة ، وأشعار ، وأحلام وبقايا من تقارير لدعاوى وقضايا ، وعقود قضائية ، ومراسلات فيما بين الأفراد الأحياء ، بل وايضا .. خطابات موجهة للأموات .. الخ .

ونادرا ما كانت هذه العناصر تصل لدينا وهى كاملة ، ولكن الاجزاء التى تمت مضاعفاتها بالأدلة والبيانات الأثرية ، تسمح لنا بتنظيم العناصر المحيرة ، لموضوع محاولة إعادة تكوين الممارسات والعادات التى تسوس وتحدد حياة النساء فى مصر القديمة ، وتسمح لنا أيضا ، بأن تحدد بعض سمات صفاتهن ، على مدى مساحة زمنية تزيد عن ثلاثة الى أربعة آلاف عام .





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب